

مَجْلَدُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

العدد ١٢١

تُشر في دمشق مرة في الشهر
في سورية ولبنان عشر فرنكات ذهباً
قيمة اشتراكها السنوي } وفي جميع الاقطار اثنا عشر فرنكاً ونصف فرنك
(الدفع مقدماً)

فهرس الجزء الاول والثاني من المجلد الثامن

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٢٨



صفحة	
١	التقرير الرابع (أعمال المجمع العلمي العربي)
١٥	اعضاء المجمع العلمي
١٩	جريدة المتبرعين والمحسنين للمجمع العلمي
٢٤	بعض آراء المفكرين
٢٩	الكلمات غير القاموسية (واجوبتها)
٣٨	الادب في البحرين
٤٥	البرازيليون والسوريون
٥٧	العلامة الدكتور يعقوب صروف
٦١	(مطبوعات حديثة) - مرآة الحرمين . كتاب
	في الادب الجاهلي . نظرات في اللغة والادب .
	المجموعة الكلامية .

للسيد عبد الله رعد
نشرها المجمع العلمي
للسيد عن الدين علم الدين

٦٥ علائق الحبشة بالبلاد العربية
٧٨ تاريخ أو أسطورة
٨٤ الادب في البحرين (٢)

صفحة

- ٩١ الموازنة بين الالعبية الالهية ورسالة القفران
السيد قسطنطين الحمصي
- ٩٧ عدة الكاتب
السيد سليم الجندي
- ١٠٠ فصيح وشوارد
السيد محمد كرد علي
- ١٠٢ الكلمات غير القاموسية (اجوبتها)
للأب انستاس الكرملي
والشيخ احمد الاسكندري
- ١٠٨ حفلة تنشيط (في المجمع العلمي)
- ١١١ (اخبار وانكار) - اقتراح . ملاحظات
لغوية . نبذة تاريخية .
للشيخ احمد رضا والسيد سالم
خليل رزق والسيد عبد الله
مخلص
- ١٢٢ (مطبوعات حديثة) - الانتاج الزراعي . تلقيح فهور الاثر .
تهافت الفلاسفة للغزالي . محاضرة في تربية الذوق السليم .
اربع محاضرات . مجلة الدروس الاسلامية . عواطف
وعواصف الشباب . البستان . من كتاب فتح الباب . المصور .
كتب ورسائل مختلفة . رجاء .
- للأمير مصطفى
الشمالي والسيد
محمد كرد علي

مَجْلَمُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٢٨ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٦ هـ

التقرير الرابع

اعمال المجمع العلمي العربي

« في سني ١٩٢٥ — ١٩٢٦ — ١٩٢٧ »

تقرير رفعه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب
« السمو السيد احمد ناي بك رئيس دولة سورية »

— — — — —

مولاي الرئيس المعظم :

نشأة المجمع وشخصه

منذ اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩١٩ وهو اليوم الذي أجابت فيه الحكومة العربية مقترحي ، وعهدت الى ضعفي بالعمل الذي شرفني ، وهو انشاء المجمع العلمي العربي ، لم يبرح مجمعا يعمل للغرض الذي اجتمع لاجله ، وعقد العزائم على النهوض به . ولم يبدُ في حركته فتور الا من ١ كانون الاول ١٩١٩ الى ٧ ايلول ١٩٢٠ ، عندما اوقفت الحكومة الفيصلية أعماله ايام كانت الفتنة يدب دبيبها بين الساحل والداخل سيف هذه الديار . ومعلوم ان أعصاب العلم حساسة فهي اول ما يتأثر من أوضاع المجتمع في ايام الهزاض والزعازع . وقد حدث مثل هذا التراخي

في أعمال المجمع خلال الثورة الشامية الأخيرة ، ولكن لم يظهر اثره كثيراً الا للداخلين فيه ، والناظرين الى حركته بامعان . حتى اذا انفجرت الغمرة عاد المجمع يعمل بمضاء أوفر وخبرة أوسع .

في علم صنوكم ان أغراض المجمع تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية ، وتلقين اصول البحث والدرس لنبيه الدارسين ، وقد عني بوضع ما عرض عليه وضعه من الالفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، وأصلح بعض الاوضاع الادارية ، وقوّم ما أمكن لغة الدواوين ، وصحح بعض أغلاط الناظرين والناظمين والخطابين ، وعاون عدة من المؤلفين والمترجمين على ما هم بسبيله ، ونشط بعض من رأى فيهم استعداداً للكتابة والخطابة وقرض الشعر وألقى من المحاضرات على الرجال والنساء كل طريق من أبحاث الاختصاصيين من جماعته وغيرهم ، وصحح بعض المخطوطات القديمة بما تركه السلف ونشر بعضه في سواد الامة ، وبذل جهده في الحرص على آثار السلف ، فجمع بالثقة التي أحرزها ، طائفة عظيمة من الاسفار والآثار ، نشدها في كل مكان وصلت يد طاقته اليه ، ليجعلها وقفاً على الاستفادة في خزائنه .

ومنذ وضع المجمع أساسه لم يخرج عن حدود دعونه العلمية البحتة ، ولذلك صفت مشاربه ، وعاش في ظل سلام ، بمعزل عن النزعات الدينية والنزعات السياسية ، فسهل عليه هذا ان يشترك مع كل من يخدم الغاية التي يسعى اليها . ولما ظهرت أعماله حاز ثقة كثير من الاندية العلمية في الشرق والغرب ، واستفاخت شهرته وتأفقت ، وعرفت الامة العربية مراميه فاستحسنتم صنيعه ، ونشطته باقوالها أكثر من أفعالها . اقول أنوالها لان القول أسهل من العمل ، والعمل جديد في ذاته . وليست الامة بأسرها على مستوى واحد من التهذيب حتى نقدر الائتمال بقدرها . وما خرج من قاوموا عملنا لاول امره ، عن سيرة كثير من الناس في مقاومة المحدثات ، واستغراب المقصود منها .

الجامع حاجة من حاجات البلاد لا تستغني عنها أمة تريد ان تثبت كفاءتها للحياة الاجتماعية ، وعنايتها بالمطالب العالية . هي قوة تكتمل كل حين جانباً من مجاهل الجهالة ، وتعمرها بمادة العلم الصحيح . والعقلاء على مثل اليقين في انه لن

ننشد العقبات امام هذا المجمع العلمي ، الا يوم تصبح معاونة المصالح العامة عقيدة راسخة في كل قلب ينبض فيه عرق الوطنية والقومية . ومما يبعث ميت الرجاء فينا ، ان المجمع أثبت بفضل هذه القوة المجتمعة على خدمة العلم ، ان تلك القوة التي كانت ضائعة هي بلا مرء صالحة للعمل النافع . ولولا هذه الكتلة العاملة لذهب ايضاً في جملة ما ذهب هذا الشيء الذي جمع في هذه البرهة القصيرة من المجاميع : عنوان مجد الامة ، ومثال نخارها ، وثمالة ثروتها . وكأن لسان الادب يقول : اكرم بهذه الامة الصغيرة الفقيرة التي استطاعت بالصبر والأناة ان تثبت بهذا النموذج الضئيل انها اهل للارقي وفي جسمها على كثرة ما اعتوره من الامراض الاجتماعية لا تحتاج جراثيم حية الا لمن ينميتها ، حتى يتمحض الابناء لما هو مغروس فيهم ، وخدمه آباؤهم في النهر الغابر اجل خدمة .

مولاي ان القائمين بالمجمع معترفون بان هذا العمل صغير في ذاته ، لا يتسامى بحال الى يفاع عظمنا التاريخية ، ولا ينم كثيراً عن حضارتنا الباهرة في عهد الدول العربية الرشيدة . وما هذا الا لقلة أسبابه ، وحدائثه سنه ، ولكن هذا الصغير لا بأس به بالقياس الى حاضرتنا ، والى ما مدد من الايدي لانعاشه ، وهي ضعيفة منقطعة ، ولولا هذا المنهاج الذي صار على نظامه سيراً متساوفاً في الجملة ، ونقيض معاهد الغرب في خطواتها ماساعدته الحال — لما قدر لهذا العمل المبتدع عندنا النجاح وطول البقاء . ولا يقولنا ان المجاميع والمتاحف وخزائن الكتب التي بهرنا امرها في الغرب هي ابنة التمرون الطويلة ، وما يرحت حكوماتها تأخذ بايدي القائمين بها ، ونرصد أموالاً طائلة في موازنتها وبقف عليها المحسنون الأموال ، ويخصونها باعلاقتهم ومجاميعهم . المجمع العلمي وحيد في ديار العرب ، ومصر على ما بلغته من استفاضة العلم ووفرة الثروة ، لم توفق حتى يوم الناس هذا الى إنشاء مجمع يليق بمكانتها . وقد صرح ملكها المحبوب صاحب الجلالة فؤاد الاول المعظم ، يوم تشرفي بين يديه الكريمتين في الربيع الماضي ، ان في نيته ان ينشي مجمعاً علمياً على مثال مجمعنا ، يكون اعضاؤه من عامة ابناء اللغة العربية . « واذا ^(١) كان الشاميون سيقوا ولا نخر اخوانهم المصريين

(١) من خطاب لواضع هذا التقرير ألقاه في جلسة المجمع العلمي يوم ٢٢ حزيران ١٩٢٧ .

في هذا العمل النافع، فقد فتح العرب أيضاً الشام قبل ان يفتحوا مصر بضع سنين .
فَسَبَقْنَا مصر في تأسيس المجمع أشبه بسبق الشام الى التحضر والعرب غيرها من
بلاد الاسلام في الصدر الاول « . وفي دمشق حدث اول تدوين في الاسلام ،
وفي دمشق نُقلت لاول مرة كتب العلوم عن اللغات القديمة الى اللغة العربية ،
وفي دمشق أنشئت اول خزانة كتب عربية . فدمشق سبقت غيرها من حواضر
العلم في الاسلام ، وكانت منبعث العقل العربي منذ أظلمتها راية الاسلام .

ومما يغتبط به مجتمعنا انه كان بين سائر الاندية العلمية في بلاد الشرق الاقرب
العربي اول ما دعي الى الاشتراك في تأليف المعلة العربية التي تنوي المملكة المصرية
وضعها الآن ، وأرصدت لها مبلغاً في موازنتها لاجراجها للامة على صورة تليق
بمحاضرها وغايرها . وسيكون للاخصائين من رجاله في مصر والشام والعراق وتونس
والجزائر المقام المحمود بين المؤازرين في هذه المعلة . لاجرم ان صنعة المعلة هي أعظم عمل
علمي قام حتى الآن في تاريخ العرب بعد نهضتهم الاخيرة . والرجاء ان يثبت المؤازرون
من اعضائنا بما ينشرون ان العرب بمجموعهم لا يقلون كثيراً عن بعض أم الحضارة الحديثة .

معهد المجمع واستقلاله

ما فتى المجمع العلمي منذ استولى لاول تأسيسه على المدرسة العادلية الكبرى ،
وجعل فيها مقره ، وخص دار الآثار باكثر فاعانها ، يتذرع باخذ المدرسة الظاهرية
الجوانية المناوحة له ، وهي التي وضع تحت قبتها مؤسسه دار الكتب الظاهرية في
سنة ١٢٩٦ هـ خزائنهم وقماطهم ومخطوطاتهم التي جمعوها من عشر مدارس ،
ووسدت الولاية عليها للمجمع يوم انشائه ، ليجمع من جميع هذه المدرسة دار كتب
عامة ، يجهزها بجهز دور الكتب في العهد الحديث ، وها قدمت له أمنيته ؛ هي استصفا
المدرسة بأمرها وتقلت مدرسة نموذج الظاهر الى مكان آخر . تلمها في الشهر الاخير
من السنة الغابرة واخذ يفكر في إرجاعها ما أمكن الى هندستها الاصلية بحيث لا ينبت
عنها النظر ، ولا يحاذر العبث بمجالها عشاق المصانع والعاديات . فأصبح مقر المجمع ودار
الآثار في المدرسة العادلية ، ودار الكتب في المدرسة الظاهرية .

والعادية والظاهرية بقية. ثلث من المدارس التي كانت عامرة في القرون الوسطى في هذا البلد وهي العضو الاثري المهم من تلك المعاهد التي كانت من مفاخر الشام وثبتت على ضربات الايام . وان ما بقي من أجنحتها دليل على تقدم الهندسة العربية في العصور الغابرة وعلى عناية ملوك هذه الديار بمصانعهم . فقد بدأ نور الدين محمود بن زنكي ببناء العادية الكبرى ليسكنها الامام قطب الدين النيسابوري ، فهلك الباني والمبني له قبل إنجازها ، ثم عمل فيها الملك العادل ابو بكر بن ابوب ولم تم ، ثم ولده الملك المعظم ووقفها على والده الذي دفن فيها . وهي أعظم مدارس الشافعية تم بناؤها في سنة ٦١٨ هـ .

اما الظاهرية الجوانية فكانت للحنفية والشافعية أنشأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بيبرس البندقداري ودفن فيها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ هـ والقبة التي دفن فيها وحيدة بنقوشها وجميل بنائها في كل مصانع الشام ، وهي المدرسة الفذة التي رأينا في زاوية من زواياها اسم مهندسها « ابراهيم بن غنائم » . وكلتا المدرستين تاريخ مجيد ، درس فيهما من القرن السابع الى القرن الثالث عشر للهجرة زمرة من أعظم الامة فقهاء ومحدثين ومفسرين ونحويين ولغويين ومؤرخين وأدباء . وفي العادية وضع المقدسي تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين ، وفي العادية عمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، وفي العادية والظاهرية رن صوت خطيب دمشق الجلال القزويني ، وعلى باب العادية كانت يقف ابن مالك النحوي ويدعو الناس لحضور درسه ، ينادي هل من متعلم هل من مستفيد ، والتاريخ يعيد نفسه ، وفي العادية نزل ابن خلدون فيلسوف العرب أوائل المئة التاسعة . وكان المولى تعلقت ارادته ففضى ان لا يخلى العادية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي بقيم فيها سوق العلم والادب بعد الكساد على النحو الذي كانتا عليه منذ وضع أساسهما نور الدين زنكي والظاهر بيبرس .

نعم ان الباقي من جدران هاتين المدرستين هو آخر المعمور في الجملة من اصل زهاء ثلاثمائة مدرسة في دمشق وصالحيتها ، يتم عن ذوق عال في الاسلاف ، وعن فطرة سليمة في حب العلم . ولكن الايام شعثتھا كثيراً ، فتوالت عليهما الزلازل

والحرائق في نوبات الناز وغيرها ، واكل لصوص الاوقاف ما حبس ريعه على مصالحها من المزارع والمقارات . ولما استلم المجمع المدرسة العادلية رمتها بأكثر من ثلاثة آلاف جنيه مصري ، وما زال كل سنة يرم شيثاً قليلاً من جوانبها ويحمد الى اصلاح الضروري الذي لا مناص منه من غرفها وبهوها وفنائها وقبتها بقدر ما تسمح به حالته المالية . اما الظاهرية فقد تسلمها اليوم مشوهة المحاسن داخلها وخارجها تحتاج الى مبالغ لتصلح حقيقة دار كتب أمام القريب والغريب . وهذا مما ألفت اليه نظر حكومتكم السامية خاصة .

كان المجمع العلمي يرسف فيما ترسف فيه الدواوين في الحكومات القوطاسية ، من إطالة المعاملات وتحمل القيود على غير طائل ، فطلبت رئاسة المجمع الى ارباب السلطات العليا بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩٢٦ انفصال المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية ، وكان انضم اليها منذ يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٣ ، وان يُجعل مرجعه وزارة المعارف كما كان سابقاً ، وان يكون مستقلاً بأموره المالية له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم . فصدر قرار نخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان مؤرخة بيوم ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بنزع المجمع من الجامعة لان المجمع شي والمدارس شي آخر .

ان استقلال المجمع يورث أعماله تقدماً وسرعة ، فهو يعرف ما يصلحه . وقد كانت المفادضات في الورق في الدقيق والجليل مما يضيع عليه الوقت ، وبذهب بالنصر التي قد تسخ له لاقتناء الاعلاق والنفائس وغير ذلك من أعماله المتشعبة . وكم من اثر او سفر أفلت منه لموزة . وكم من مؤتمر دعي اليه ولا سباب مالية لم يتمكن من ان يندب أحد أعضائه ليمثله فيه . فقد دُعي الى مؤتمر المستشرقين وعيد المئة سنة لتأسيس الجمعية الآسيوية بباريز ، وعيد المئة والخمسين سنة للمجمع العلمي الملوكي في بروكسل ، ومؤتمر المستشرقين الالمان في ليبسيك ، والمؤتمر الجغرافي في القاهرة ، وعيد المائتي سنة للمجمع العلمي الروسي في لينينغراد ، ومؤتمر التربية في تورنتو في كندا ، فلم يسعده الحظ بان يمثل في احد مؤتمراتها التمثيل اللازم . وأراد ان يندب بعض أعضائه للبحث

عن سير المجمع العلمية في فرنسا ، وعقد صلات جديدة مع المؤلفين والطابعين فيها ، وجدّ في ارسال احد اعضائه الى بعض بلاد الشام ليلقي نموذجاً من محاضرات المجمع فيها ويبحث عن المخطوطات والماديات — كل ذلك كان المجمع بل العلم بقطف ثمرته الجنية فحال المال والقيود في صرفه دون بلوغ الأرب . ولما سمحت حكومتكم السنية في الربيع الماضي لهذا العاجز ان ينوب في حفلات شاعر مصر احمد شوقي بك استنفاد المجمع فوائد أدبية ومادية مهمة فكان اول تمثيل علمي رسمي عن بلاد الشام في مؤتمر . ولذا بات الرجاء معقوداً ان يعمل المجمع حراً طليقاً أكثر منه مقيداً .

اما أوضاع المجمع الجديدة التي تقرر منذ السنة الفائتة ان يسير عليها ، ولما تصادق عليها المراجع العليا الى الآن ، فهي ان يكون له رئيس وامين سر موظفين ويقسم المبلغ المخصص رواتب للاعضاء العاملين جوائز ومكافآت لمن يعمل من اعضاء المجمع وغيره في خدمة غرضه ، وبذلك يكفأ العامل وتوجد البضائع العلمية التي تعرض على المجمع لان قيمتها موقوفة على جودتها وتجويدها بالدرس والتمحيص فيما نرى وذلك أسوة سائر المجمع في اوربا واميركا .

أعمال المجمع الاخيرة

لم ننظم جلسات المجمع في الاشهر التي كانت فيها الثورة على أبواب دمشق ، ولذلك لم يضع الا قليلاً من الالفاظ للمستحدثات العصرية والاضاع العلمية . ومضت شهور طويلة لم تلق في ردهته محاضرة ، وكان الرجال والنساء يحاضرون كل اسبوع مدة تسعة أشهر في السنة . اوقف المجمع اجتماعاته العامة والخاصة مدفوعاً بعامل الحذر والحزم . ولم يقصر بعض حضرات الاعضاء في الواجب عليهم فنامروا المجمع خلال تلك الفترة بافلامهم ، على ما كان شأنهم منذ وقع انتخابهم وانضموا الى جملة أعضائه ، فبعثوا لجلسته برسائلهم وملاحظاتهم ، وتعهدوا بجمعهم بأرائهم . بيد ان بعضهم أغفلوا معاونة المجمع معاونتة فعلية ، ولعله لا يفوتهم ذلك في السنة المقبلة . فقد تزيد فائدة العمل في مثل هذه المصالح المشتركة كلما كثرت الايدي العاملة فيه ، وتنوعت أساليب التلقين والتثقيف ، فتبادل الشرق والغرب الافكار والآراء .

انحصر عمل المجمع في سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ باصدار مجلته وتنمية مجموعاته من الكتب والآثار بقدر الطاقة ، ودار دولا ب إدارته على الاسلوب الذي جرى عليه منذ يومه الاول . وقد صدر حتى الآن من مجلته سبع مجلدات تحوي في مطاوعها أبحاثاً لغوية وأدبية ، وتحقيقات تاريخية وأثرية ، ولا يقل في السنة عدد من يؤازرون فيها عن نحو ثلاثين عالماً وباحثاً أدبياً . وهذا بندر مثله حتى في المجلات الكبرى في الغرب . وما مجلة المجمع العلمي في الحقيقة الا صورته ومثاله ، واثراً من آثار النهضة في الآداب العربية . وكانت المجلة تصدر في ٤٨ صفحة كل شهر بحيث يتألف منها مجلد في ٥٨٠ صفحة فقرر المجمع ان تصدر في سنتها الثامنة بـ ٦٤ صفحة فيقع مجلد السنة في ٧٦٨ صفحة ، وأهم ما تنشره المجلة عدا أبحاثها وتحقيقاتها نقد المطبوعات الحديثة ، بتحليل يراد به فائدة المؤلفين والمؤلف لهم من قراء العربية . وقد قدر المستعربون من علماء المشرقيات هذه العناية وعدوا أكثر أبحاث هذه الصحيفة حجة في الادب واللغة والتاريخ .

بلغ عدد المحاضرات التي أقيمت في المجمع من بدء سنة ١٩٢٥ الى أواسطها ثلاث عشرة محاضرة مختلفة الموضوعات ، وعدد ما ألقى منها من أواخر سنة ١٩٢٦ الى أواخر سنة ١٩٢٧ سبع عشرة محاضرة . وما دخل المجمع من الكتب ٢٦٧٩ مجلداً مدة ثلاث سنين منها ٨٣ مخطوطاً و ٨٧٩ كتاباً (في ١١٠٠ مجلد) خزانة كتب العلامة رقيق بك المظفر التي أوصى بها للمجمع بعد وفاته فنفذ اخوه عثمان بك المظفر وصيته في الحال . ومنها مائتا نسخة أهداها امير الشعراء احمد شوقي بك من ديوانه . واذا أضيف الى مجموع المهدي على أقل تعديل ثمانمائة مجلد ، وهو ما زال في طريق الارسال من كتب النظارات في مصر ، بلغ مجموع ما دخل ٣٤٧٩ مجلداً في السنين الثلاث الاخيرة . ومجموع ما في خزائن المجمع من الكتب الآن ١٦٥٠٠ مجلد كان منها في دار الكتب الظاهرية لما تسلم ٤٠١٤ مجلداً ومن هذا المجموع ٢٠٩٢ خزانة المجمع الخاصة عدا المجلات . وفي خزنة فرع المجمع في حلب ١١٥٣ مجلداً وفي دار الآثار ١٦٩ مجلداً و ١٧ مجلداً أخذت بالتصوير الشمسي . وعدد المخطوطات جميعها ٣٦١٨ مجلداً منها ٢٨٣٣ كانت في دار الكتب الظاهرية لما تولاه المجمع سنة ١٩١٩

و٧٨٥ مجلدآ من زيادة المجمع عليها مدة ولايته . وجرى الاتفاق على منح فرع المجمع في حلب مكانآ ثابتآ من أملاك الدولة في أجمل شارع من شوارع الشهباء . وكان أعضاؤنا يأوون الى بناية من بنايات الاوقاف منذ أسس الفرع هناك ، وهذا ما عاقبهم عن إلقاء محاضرات نفيد النشء الحلبي على مثال محاضراتنا في دمشق .

وزاد عدد المتخلفين الى دار الكتب كل يوم ، فما انخطوا عن ستين حتى في أيام الاضطرابات . واربوا اشهرآ طويلة عن المئة ، والمأمول زيادة عددهم حتى انظمت دار الكتب بانتقالها الى بنايتها الجديدة . وبدأ المجمع على سبيل التجربة منذ بدء سنة ١٩٢٦ يعير بعض مطبوعاته الى المشتغلين بالمطالعة والبحث من الوطنيين والاجانب ، يرسلها الى بيوتهم مدة معينة مقابل سندات موقع عليها منهم . وقد نجح في هذه التجربة . وعسى ان يزيد المستعبرون عناية بالمعمار ومحافظة على الوقت ، فيوفر لهم المجمع كل ما يسهل عليهم البحث والدرس أسوة كثير من الخزائن في العالم المتقدم .

اما دار الآثار فارتقت مجاميعها على صعوبة البحث والحفر مؤخرآ ، وساعدها تسهيل الحكومة في الاحابين مهمتها عليها ، خصوصا بعد نشر نظام الآثار في سورية ولبنان الصادر من المفوضية العليا في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٦ والعمل بالمادة الخاصة بالآثار في قانون الاندباب . وقد كان عدد القطع المختلفة التي دخلت دار الآثار سنة ١٩٢٥ — ٢٢٨ قطعة ودخل في سنة ١٩٢٦ — ١٤٩ قطعة وفي سنة ١٩٢٧ ١٠٢ قطعة . وفيها قطع نادرة جدا من الخشب والخزف والفسيفساء والنحاس تساوي بضعة الوف من الليرات . ولو كثر عدد البعثات الاثرية وعاونتها الحكومة بالمال ما وسعتها موازنتها ، لزادت مجاميع الامة من ارضها كل سنة زيادة مذهشة .

وكانت البعثات الاثرية التي عملت في ارضنا في المدة الاخيرة ثلاثآ البعثة التشكوسلوفاكية برئاسة الاستاذ هوروزني (Prof. Hrozny) نقت في قرية الشيخ سعد في حوران ، واخذ المجمع ماله الحق فيه من مستخرجاتها ، والبعثة الثانية هي البعثة الافرنسية التي يرأسها الاستاذ ري. نيل (du Mesnil du Buisson) قامت بالحفر في المشرفة في جوار حمص واخذت دار الآثار حقها من حفريات . وقلبت

ادارة دار الآثار نفسها بالنبش في قرية جوبر في غوطة دمشق فاستخرجت بعض الزجاجيات . وأمامها الآن عدة اماكن للقيام بأعمال الحفر في ضواحي دمشق يلحظ ان فيها كنوزاً مدفونة .

وبلغ ما حوته دار الآثار الى الآن من العاديات ٣١٥ قطعة من الاحجار على اختلاف صروبها و٦٠٣ قطع نحاسية و٢٥٩ قطعة من الفخار و٥٠ قطعة من الخشب و٢٢٤ قطعة من القاشاني و٦١٤ قطعة من الزجاج و٣١٧ قطعة متنوعة و٣٢٠ صفحة من الرقوق عربية وبونانية وقبطية وعبرية و٣٣٥٩ قطعة من نقود اسلامية وغير اسلامية . فيكون مجموع القطع اذا أضيف الى ما دخل في السنين الثلاث الاخيرة ٧١٤٠ قطعة . وقد نظمت دار الآثار تنظيمًا حسنًا في قاعاتها الاربع بعناية مديرها الامير جعفر الحسيني وفضل انتباهه . وهو اول من درس الآثار والعاديات في مدرسة اللوفر بباريز بمعاونة المجمع العلمي . وعسى ان نوفق الى ارسال طالب نبيه الى مدرسة السجلات في عاصمة فرنسا ليدرس تنظيم الكتب والمكتبات واستخراج المخطوطات على الاصول الحديثة .

وقد وافقت حكومتكم السامية اول شهر تموز الماضي على وضع رسم على زوار المتحف قدره عشرة قروش سورية ، على ان يتي الدخول ايام الجمع مجاناً ان اراد ، وسيجي المجمع من ذلك مبلغاً بصرفه في تحسين حالته واصلاح شأنه . ووزع المجمع العلمي ٩٨٦ كتاباً ورسالة ومجلة على الطلاب والدارسين والباحثين وعلى بعض غرف القراءة التي أنشئت حديثاً خارج دمشق ، منها ما كان من مطبوعاته ، ومنها مما ابتاعه او مما أهدي اليه ، ووزع كمية على معاهد التعليم العالي والثانوي في دولة سورية اهلية كانت او طائفية او اميرية . واعطى جانباً من مطبوعاته وغيرها الى بعض اهل ساحل الشام وغيرهم حباً بنشر العلم والآداب ، ولأن المجمع لا يتوقع من مطبوعاته ربحاً ، بل يقصد الى نشر اللغة والآداب قبل كل شيء ، وادخال كتب صالحة للطلالة الى ايدي الناس تلقح افكاراً جديدة جديدة ، وبياناً عربياً لا شائبة فيه .

ويطول بي نفس الكلام يا صاحب السمو اذا حاولت ان اورد ولو نموذجاً طفيفاً مما كتبه زوار داري الكتب والآثار في سجلاتنا من الثناء ، وما رددوه على

عمل المجمع من الشكر لعنايته . وفي مقدمتهم صاحب الفخامة الشيخ المسيو هنري دي جوفنيل المفوض السامي في سورية ولبنان سابقاً، فقد اولى المجمع عطفه وتفضل فتمنحه عشرة آلاف فرنك تقديراً لعمله ومعاونة له على قضاء مهمته النبيلة ، وذلك في أخرج الاوقات التي صار اليها المجمع منذ نحو سنتين بتأخر ماليته . ومن خدم المجمع وعطف عليه في العهد الاخير المسيو بهيراليب المندوب الممتاز في دولة سورية وجبل الدروز ، والمسيو راجي مستشار المعارف في هذه الدولة ، فكلاهما تفضل في دائرته وعاون على تسهير مصالحنا .

واذا أشرت في تقريري هذا الى الماديات التي جنتها البلاد فذلك لأشير الى ان ما جمع كان بقليل من النفقة والمقدر ان ثمانين في المئة من الكتب التي اقتناها كانت هدية ، واقل من ذلك ما ينفقه على جلب الآثار . هذا من حيث الماديات اما المعنويات فلا يقدرها قدرها الا من عرف ما تنفقه الامم المتحضرة على الاحتفاظ بمجدها ونشر آدابها وتاريخها . وادب العرب وتاريخهم مما يرفع الرؤوس على توالي الاحقاب ، ولو عمل في احيائها عشرة مجامع من مثل مجتمعنا لما كانت الى القصور ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

اماني المجمع وعمله في السنة القادمة

كان من أعظم اماني المجمع في السنين الخالية انشاء كلية للآداب تضاف الى الجامعة السورية فيكون فيها ثلاثة فروع (الآداب والطب والحقوق) ثم يفكر غيرنا في إضافة الفرعين الناقصين وهما الاهليات والعلوم ، وذلك لعلمه باحتياج الآداب العربية الى ان تخرج فيها طبقة مختارة تحسن الكتابة والخطابة بلفتها ، وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وادارة الاعمال على النظام الغربي ، فينشأ من طلاب هذه الكلية كفاء مستعدون لتولي مناصب التعليم والادارة في المدارس الوسطى والعليا ودواوين الحكومة والمسالك الحرة المختلفة ولا سيما الصحافة والتمثيل . فان عمل المجمع لا يتم الا اذا كانت من ورائه قوة تمده ، ومنبت ينشئ رجالاً يعرفون الآداب بفروعها، خصوصاً وكثير من اعضاء المجمع عانوا هذه الصناعة وعلموها والفوا فيها .

أراد المجمع ان يخرج طبقة من المؤلفين والناقلين غزيرة المادة من لغتها ولغات أخرى ، لينتقل العلم من طور الى طور آخر ، اذ ثبت انه لا سبيل الى تقوية ملكة البيان الا بالتخصص فيه ، والتوسع من استجداد الادوات الكثيرة . وقد درس هذا العاجز برامج سبع عشرة كلية للآداب في فرنسا ، ومنها منهاج جامعة الجزائر ومنهاج الدروس في جامعات جنيف ولوزان وبروكسل والاستانة ومصر ووضع لأئحة قانون كلية الآداب ومنهاج دروسها النظامية ، مع اختيار ما يلائم البلاد من الابحاث واللغات ، فأغفل هذا المشروع لاغراض اناني مصلحة الامة . وعسى ان يتغلب الغرض العام على الغرض الخاص في القريب العاجل ، ويبدو هذا المشروع من القوة الى الفعل بما ينير العقول ويحيي موات اللغة . فللمجتمع مطالب عالية يجب ان نعي بها كلها حتى ندخل ساحة العلم البشري مجهزين بكل جهاز نافع ، والآداب اول فرع يجب على أمة تحاول النهوض اخذ نفسها بها والتوفر على مدارسها باصولها وفردعها .

كتب المجمع العلمي غير مرة يلح على المراجع العليا ان توعز لادارة الاوقاف لننزل له عما في مستودعاتها من العاديات والطرائف ليعرضها في دار الآثار يستفيد منها العلم والتاريخ . ولم ترض ادارة الاوقاف ان تساهم المجمع على الاقل فيما لديها من العاديات تجعلها في غرف خاصة لها في المدرسة الظاهرية او العادلية تحفظ باسمها وتدار على حسابها باشراف المجمع وعماله او عمالها ان أحببت ، فتساند واباها على جفأ آثار الوطن . ومعلوم ان جميع الادوات موفورة للمجمع في هذا الشأن اكثر من غيره ، وهو يعرف كيف يتوسع في العمل ويحافظ على العاديات لينتفع بها الناس . والاوقاف يصعب عليها الآن ان تنشي لها دار آثار خاصة بموقوفاتها وما حوته مستودعاتها ، ودمشق لا تحتل متحفين . فقد حاول بعضهم زمن الحكومة العربية ان ينشي هنا متحفا عسكريا مأخوذاً بما كان محفوظاً في قلعة دمشق وغيرها من السلاح والاعلام وجهاز النقل والركوب ، فبقي مشروعه في حيز القول ، لان الخيال غير الحقيقة . هذا ما قلناه في تقرير سنة ١٩٢٤ وقد عرضناه على الاوقاف بطرق مختلفة فلم تمره قبولاً ، ولعلها في السنة المقبلة تصح عزيمتها على اجابة مؤلنا خدمة للعلم ، وصيانة لمجد الاسلاف من الضياع .

ان ما شاهدناه من عناية الحكومة بتنشيط الاصطيف والتيسير على المصطافين والسائحين لتريج البلاد من غشيانهم ارضنا ، وما رأينا من إقبال طبقات الوطنيين والغرباء على زيارة دار الآثار بدمشق يدعو الحكومة الى ان تحرص على توسيع دار الآثار ودار الكتب لتكون حالتها مناسبة مع مكانة البلاد . وكما كثرت هذه المعاهد يزداد توارد الاجانب الى بلادنا ، ومعلوم ما يحدث الاختلاط بالام الاخرى من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية . وهذا ما يدعو حكومتكم السنية الى وضع مبلغ في موازنة السنة المقبلة بصرف على ترميم المدرستين الظاهرية والمادلية ، وتسملاك الحكومة الدارين اللتين اقتطعتا من اصل بنائهما واحداهما بيد الاوقاف تؤجرها دار سكن .

ثم انه مضى على تأسيس دار الكتب خمسون سنة ومن واجب المجمع ان يحتفل بعيدها الخمسيني الموافق لمرور عشر سنين على تأسيس المجمع العلمي ، فيجعل العيدين عيداً واحداً ويدعو الاندبة العلمية والجامعات وعلماء المشرقيات في البلاد المتمدنة الى الحضور في الربيع المقبل (١٩٢٨) ولذلك اقتضى ان يسارع خلال هذه الاشهر القليلة الباقية في إدخال هذه الاصلاحات على ذبتك المهيدين على اسرع ما يمكن وبصورة تلاءم مع شأن الدولة وعظمة هذه الامة . ولا شك ان دعوة علماء المشرقيات وغيرهم الى حضور الحفلة العتيدة مما يعلي شأن بلادنا بين البلدان ، ويفدو هذا المؤتمر اول مؤتمر عقد في دمشق . ومنى تمت ادواننا في معاهدنا لا يصعب دعوة مؤتمر المستشرقين الى الانعقاد في عاصمة بني أمية لاث جماع المشتغلين بالمشرقيات في الغرب يودون زيارة الديار الشامية . وتمثيل أهمهم في مؤتمرنا فرصة ثمينة لهم ولنا ايضاً .

فأماني المجمع التي بتال الى تحقيقها والحالة هذه « إنشاء كلية للآداب اولاً » و « جمع آثار الاوقاف المبعثرة في صعيد واحد ثانياً » و « إصلاح المدرستين المادلية والظاهرية والتوسعة على موازنة المجمع ثالثاً » . وهذه المطالب اذا وفقت حكومتكم السنية الى اتناذها من قابل وهو ما يرجى ويؤتمتع تخدم هذه البلاد

خدمة حسنة يذكرها التاريخ . ويظهر المجمع في مظهر مجتشم يعلي شأن الوطن وينفع بنيه .

ويمكن المجمع بزيادة موازنته من رء دار الحديث الاشرفية في سنج قاسيون التي اخذها على ان يعمرها ويقيم فيها غرفة قراءة ونادياً للمحاضرات . ويوفق الى نشر ما لديه من المخطوطات التي يتطال الى احيائها خدمة للتاريخ والادب . فقد كانت امانى رجال المجمع منذ نشأته ان ينشر كل سنة على الاقل مجلد واحد من هذه الكتب النادرة التي حفظت في القبة الظاهرية ، وما فتئت ترقب الايام لنشر بالطبع بين الناس على وجه يناسب روح العصر من التحقيق والتدقيق . وكانت قلة المال هي الحائلة دون بلوغ هذه الامة . وفي عزم المجمع ان ينشيء مجماً صغيراً يدخل فيه الاوضاع العلمية الحديثة ، وان يضع رسالة باللغات الحية مزينة بالرسوم يصف فيها المجمع من آثار المجمع وعاديات دمشق ، لفائدة طلاب العلم كافة والطارئين على هذا القطر ، ولكن المال هو العائق الاعظم عن اتمام عمله .



اعضاء المجمع العلمي

فجع المجمع في السنين الثلاث الاخيرة بوفاة بضعة من اعضائه الاعلام وهم السيد اوجينيو غريفييني والسيد رفيق العظم والدكتور يعقوب صروف في القاهرة والسيد حسن بيهم والاب لويس شيخو في بيروت والدكتور صالح قنبازي في حماة والسيد مالتجو والسيد الياس القدسي في دمشق والسيد براون في كبريج والسيد رينه باميه في الجزائر والسيد كليمان هوار في باريز رحمهم الله وعوض العربية عنهم خيراً .

وضم المجمع الى اعضائه في هذه الفترة حضرات العلماء والادباء السيد عباس محمود العقاد ، والامير مصطفى الشهابي ، والسيد شفيق جبري والسيد ماسيه والسيد بوقا والشيخ ابراهيم منذر والشيخ مصطفى الغلاييني واحمد شوقي بك والشيخ محمد الخضر حسنين واحمد لطفي بك السيد والسيد احمد حسن الزيات والسيد احمد امين والسيد عبد الله مخلص والشيخ سليمان ظاهر والدكتور نقولا فياض والسيد عمر المناخوري .

وهذه جريدة باسماء اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٩٢٧ :

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
السادة :	محل الإقامة	السادة :	محل الإقامة
١	الدكتور اسعد الحكيم	٨	السيد شفيق جبري
٢	السيد انيس سلام	٩	السيد عارف النكدي
٣	السيد خليل مردم بك	١٠	الشيخ عبد القادر المبارك
٤	السيد رشيد بقندونس	١١	الشيخ عبد القادر المغربي
٥	الشيخ سليم البخاري	١٢	الكافليير عبد الله رعد
٦	السيد سليم الجندبي	١٣	السيد فارس الخوري
٧	السيد سليم عنخوري	١٤	الدكتور مرشد خاطر

«الاعضاء»

السادة :	محل الإقامة :	السادة :	محل الإقامة :
١٥ الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق	٣٧ المنسيور جرجس شلحت حلب	
١٦ الامير مصطفى الشهابي	=	٣٨ المنسيور جرجس منش =	
١٧ الشيخ ابراهيم منذر	بيروت	٣٩ الشيخ راغب الطباخ =	
١٨ السيد امين الرحمانى	=	٤٠ الشيخ عبد الحميد الجابري =	
١٩ السيد بولس الخولي	=	٤١ السيد عبد الحميد الكيالى =	
٢٠ السيد جبر ضوء	=	٤٢ السيد قسطنطين الحمصي =	
٢١ الامير شكيب أرسلان	=	٤٣ الشيخ كامل الغزي =	
٢٢ السيد عبد الباسط فتح الله	=	٤٤ السيد ميخائيل الصقال =	
٢٣ الشيخ عبد الرحمن سلام	=	٤٥ السيد اسعاف النشاشيبي القدس	
٢٤ الشيخ عبد الله البستاني	=	٤٦ السيد عبد الله مخلص حيفا	
٢٥ السيد عمر الزاخوري	=	٤٧ الشيخ سعيد الكرعي طولكرم	
٢٦ الدكتور فيليب حتي	=	٤٨ الشيخ محمد بهجة البيطار مكة المكرمة	
٢٧ الفيكونت فيليب دي طرازي	=	٤٩ الشيخ رضا الشيباني النجف الاشرف	
٢٨ الشيخ مصطفى الغلاييني	=	٥٠ الدكتور امين المملوك بغداد	
٢٩ السيد عيسى اسكندر المملوك زحلة		٥١ الاب انستاس الكرملي =	
٣٠ الشيخ احمد رضا .. النبطية		٥٢ السيد جميل صدي الزهاري =	
٣١ الشيخ سليمان ظاهر	=	٥٣ السيد عز الدين علم الدين =	
٣٢ السيد جرجي بني طرابلس الشام		٥٤ السيد كاظم الدجيلي =	
٣٣ الشيخ سايمان احمد اللاذقية		٥٥ السيد معروف الرصافي =	
٣٤ السيد ادوارد مرقص =		٥٦ الشيخ احمد الاسكندري القاهرة	
٣٥ الشيخ محمد زين العابدين انطاكية		٥٧ السيد احمد امين =	
٣٦ الشيخ بدر الدين النعساني حلب		٥٨ احمد تيمور باشا =	
		٥٩ السيد احمد حسن الزيات =	

« الاعضاء »

السادة :	محل الإقامة	السادة	محل الإقامة
٦٠ احمد زكي باشا	القاهرة	٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	القاهرة
٦١ احمد شوقي بك	=	٦٨ الدكتور تقولا فياض	الاسكندرية
٦٢ الدكتور احمد عيسى	=	٦٩ السيد زكي مغامر	الامانة
٦٣ السيد احمد لطفي السيد	=	٧٠ السيد حسن حسني عبدالوهاب تونس	
٦٤ السيد اسعد خليل داغر	=	٧١ الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٥ الشيخ محمد رشيد رضا	=	٧٢ الدكتور محمد اجل خان	الهند
٦٦ السيد عباس محمود العقاد	=		

٧٣ السيد مارسيد	Marçais	تونس
٧٤ السيد ماسه	Massé	الجزائر
٧٥ = كي	Guy	ازمير
٧٦ = ميشو بيلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٧٧ = فرات	Ferrand	باريز
٧٨ = دوسو	Dussaud	=
٧٩ = ماسينيون	Massignon	=
٨٠ = يوبا	Bouvat	=
٨١ = جويدي	Guidi	ايطاليا
٨٢ = نلينو	Nallino	=
٨٣ الاب آمين	Asin	اسبانيا
٨٤ السيد لويس	Lopès	البرتغال
٨٥ = مونت	Montet	سويسرا
٨٦ = هيس	Hess	=
٨٧ = سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٨٨ = هوتسما	Houtsma	=

« الاعضاء »

السادة :		محل الإقامة
٨٩ السيد اراندونك	Arendonk	هولانده
٩٠ = مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٩١ = بفن	Bevan	=
٩٢ = هول	Hommel	المانيا
٩٣ = ساخاو	Sachau	=
٩٤ = بروكين	Brockelmann	=
٩٥ = هوروفيتز	Horovitz	=
٩٦ = هرزفيلد	Herzfeld	=
٩٧ = هارتمان	Hartmann	=
٩٨ = مينفوخ	Mittwoch	=
٩٩ = سترستن	Zellerslœen	السويد
١٠٠ = اوستروب	Uustrup	الدانمارك
١٠١ = بول	Buhl	=
١٠٢ = پدرس	Pedersen	=
١٠٣ = موجيك	Mzik	النمسا
١٠٤ = ماهر	Mahler	المجر
١٠٥ = كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١٠٦ = كراشكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١٠٧ = موزل	Musil	تشيكوسلوفاكيا
١٠٨ = ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١٠٩ = كرميكو	Karsikko	فنلندا ^(١)

(١) والاعضاء الذين تقدم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق • والسيد نخلة زريق في القدس • والسيد اغناطيوس غولد صهير في بودابست •

جريدة المتبرعين والمحسنين للمجمع العلمي
ومنهم من تبرع بمال ومنهم بآثار او كتب مخطوطة او مطبوعة

دمشق	احمد عزت باشا العابد	« أ »	
مصر	السيد ابراهيم اطفيش		
دمشق	ابو كامل المعلم		
مصر	السيد ابراهيم زيدان		
جونية	احمد تيمور باشا		
المانيا	احمد شوقي بك		
القدس	احمد اغا الخانجي		
القدس	السيد احمد الطويل		
مصر	الدكتور احمد عيسى بك		
رومية	السيد احمد امين الديك		
مصر	الشيخ احمد الاسكندري		
دمشق	الشيخ احمد سليم العطار		
مصر	احمد زكي باشا		
صيدا	الشيخ احمد عارف الزين		
دمشق	الامير احمد مختار الجزائري		
البطية	اشيخ احمد رضا		
دمشق	السيد اديب البهنسي		
مصر	اديب مصري		
جونية	ادارة المسرة		
المانيا	السيد ارست هرزفد		
القدس	اسكندر الخوري البهتجالي القدس		
القدس	السيد اسعاف النشاشيبي		
مصر	اسعد خليل داغر		
رومية	اكاديمية لينچاي الملكية		
مصر	السيد الياس انطون الياس		
دمشق	امين الدالاتي		
مصر	امين هندية		
مصر	امين زيدان		
	« ب »		
مكبرديج	السيد براون في جامعة مكبرديج		
دمشق	البعثة الافرنسية		

والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كحل باشا
والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي والدكتور يعقوب صروف والسيد غريفييني والسيد
رفيق العظم في القاهرة . والسيد محمود شكوي الالومي في بغداد . والسيد حسن
بيهم والاب لويس شيخو في بيروت . والدكتور صالح قنبازي في حماة . والسيد مالنجر
والسيد الياس القدسي في دمشق . والسيد براون في مكبرديج . والسيد هوار في
باريز . اجزل الله ثوابهم .

السيد بدر الدين الشركسي	قنيطرة	السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
السيد بشاره الاصفر	دمشق	السيد حسام الدين الكزبري	دمشق
« بقرن »	كبرديج	حمدي بك النصر	«
الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد	حمدي بك الجلاد	«
السيد بهاء الدين الجاني	دمشق	السيد حمدي الكيلاني	«
بلدية دمشق		الشيخ حمدي الحامي	«
بلدية حمص		« خ »	
« ت »		الامير خالد الحسيني الجزائري	دمشق
السيد توفيق شامية	دمشق	خالد بك العظم	«
الشيخ توفيق المنيني	«	السيد خالد معاز	مصر
« ج »		السيد خالد يحيى	طرابلس الشام
جامعة سيام		خزانة كتب الامة	برلين
جامعة ليون		السيد خورشيد الشركسي	دمشق
جامعة بوردو		خايل بك مردم بك	دمشق
جامعة ستراسبورغ		السيد خير الدين الزركلي	القاهرة
الجامعة المصرية		« د »	
جرجي بك رزق الله	بيروت	السيد داود صدقي المارديني	دمشق
الامير جعفر الحسيني	دمشق	دار الكتب المصرية	
السيد جميل انكواكي	«	السيد درويش الدهان	«
الجمعية الاسبانية	باريز	« ديمتريوس فاضي »	«
السيد جيناردي	دمشق	المسيح راجي	«
« ح »		السيد رسلان البلوط	«
السيد حافظ زكية	حمص	رفيق بك العظم	مصر
الدكتور حبيب قشيشو	دمشق	السيد رضا الجوخدار	دمشق
الدكتور حسن رعد	طرابلس الشام	« رضا الشربجي »	«

رؤف بك الايولي	دمشق	« ع »	الشيخ عبد الله الزنجاني	ايران
« ز »			عبد المعطي السقا	مصر
زكي بك مغامر	الاستانة		عبد القادر بك العظم	دمشق
السيد زعل الدغيم	خسفين		عبد الرحمن بك اليوسف	«
« س »			الشيخ عبد القادر المغربي	«
سامي بك البكري	دمشق		عبد الواسع الباني	مصر
الامير سعيد الحسني الجزائري	«		عبد الله بك الاستاذ	دمشق
الشيخ سعيد الرافعي	مصر		السيد عبد الجواد الحسيني	حمص
سلم افندي البخاري	دمشق		عثمان بك العظم	دمشق
سلم بك عنخوري	«		عزت احمد بك العظم	«
السيور سبرانزا	«		السيد عز الدين علم الدين	بغداد
« ش »			عطاء الله بك الايولي	دمشق
السيد شفيق الحسيني	حمص		البرنس عمر طوسون باشا	مصر
« ص »			السيد عمر الخشاب	مصر
السيد صالح القشطوني	دمشق		عين الملك خان	دمشق
الدكتور صالح شوري	«		عيسى البابي الحلبي	مصر
السيد صادق العطار	«		عيسى اسكندر المملوف	زحلة
السيد صبحي الطباع	«	« غ »		
السيد صبري اديب الكاشف	«		غريغوريوس حداد	دمشق
« صدقي نور الله »	جبلة	« ف »		
صفوح بك المؤيد	دمشق		فارس قمحة	«
« ط »			الامير فاعور القاعور	القيطارة
الشيخ طاهر الجزائري	«		فائز بك العظم	دمشق
الامير طاهر الحسني الجزائري	«		نخري بك آل جميل	بغداد

السيد محمد عبد الواحد الطوبى مصر	دمشق	نقري بك البارودي
محيي الدين الكردي -	مصر	الشيخ فرج الله زكي الكردي
محمد فائز السفرجلاني دمشق	دمشق	السيدان فريد ونديم الغزي
محمد حاجي قولي حلب	=	فريد بك العمري
محمد علي الحلبي دمشق	=	السيد فؤاد الفرا
محمد الحمصي «	=	- فهمي ابرو
محمد شفيق السيوفي «	بغداد	{ جلالة الملك فيصل الاول ملك العراق
محمود شغلبل «		
محمد خير الجوخدار «		« ق »
محمد ابرقورة «	حمص	القومندان بورجوا
الشيخ محمد رشيد رضا مصر		« ك »
السيد محمد هراوي «	دمشق	الامير كاظم الحسيني الجزائري
مدرسة اللغات الشرقية باريز	باريز	السادة كلمان لبني الكتنيون
السيدة مريام هاري «		« ل »
مرعي باشا الملاح حلب	مصر	لجنة التأليف والترجمة والنشر
الشيخ مسعود الكواكبي دمشق		« م »
الامير مصطفى الشهابي «	باريز	الماريشال ليوتي
السيد مصطفى محمد مصر	دمشق	مأمون بك المؤيد
مصطفى البابي «	مصر	مجلس النواب المصري
المطبعة الاميركية بيروت	باريز	مجلس النواب الافرنسي
مكتبة الخانجي مصر	دمشق	محمد باشا العصيمي
مكتبة سان باولو البرازيل	مصر	السيد محب الدين الخطيب
السيد ممدوح هنانو حلب	-	- محيي الدين رضا
منير البرازي حماه	=	الشيخ محمد الخصري
منير الدمشقي مصر	=	السيد محمد جمال

دمشق	وزارة المالية	دمشق	مضيف بك اليوسف
«	« الزراعة »	«	السيدان مهدي وعبدو مرتضى
مصر	« الاوقاف »	لبنان	السيد ميخائيل بنخاش
مصر	« الزراعة »	بور دو	« ميخائيل فغالي
باريز	« المعارف والفنون »	باريز	المسيو ميليا
مصر	« المعارف »	سليمة	الامير ميرزا مصطفى
	« ي »		« ن »
دمشق	السيد يحيى الصواف	مصر	السيد نجيب متري
مصر	الدكتور يعقوب صروف	دمشق	« نعيم عرابي
«	البرنس يوسف كمال		« ه »
«	السيد يوسف توما البستاني	باريز	المسيو هنري دي جوفنيل
جبله	« يوسف ابراهيم »		« و »
دمشق	« يوسف السبع »	مصر	وزارة الاشغال
لبنان	« يوسف امين شدياق »	باريز	« «



بعض آراء المفكرين « في المجمع العلمي »

سألت مدام بوج ويكسل اثناء البحث في تقرير فرنسا عن سورية ولبنان أمام عصبة الامم في جنيف : هل في الامكان الحصول على معلومات متممة بشأن المجمع العربي في دمشق . فأوضح المسيو ده كه ممثل فرنسا في تلك الجمعية « ليس المجمع العربي معهد تعليم ولكنه مجمع بالمعنى المعروفة فيه هذه الكلمة في فرنسا . ففيه يجتمع عدد من علماء اللغة العربية الذين يدرسون هذه اللغة وآثارها الادبية » . وجواباً على سؤال آخر قال المسيو ده كه : « ان مجمع دمشق ليس معهد حكومة فهو مستقل استقلالاً واسعاً ويدير شؤونه بنفسه وتقدم له الحكومات بعض التخصصات » .

وجاء في تقرير الحكومة الفرنسية المرفوع الى جمعية الامم في السنة الماضية : « نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتهاد محافظه الامير جعفر حفيد عبدالقادر واحد قدماء تلاميذ مدرسة اللوثر . وقد جعل هذا المتحف في بناية من بنايات القرن الثالث عشر التي رمت برمتها منذ سنة ١٩١٩ بناءً على ما ارتآه رئيس المجمع العلمي محمد بك كرد علي . وقد جمعت في هذه البناية المجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضمت اليها الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولا سيما حفريات الشيخ سعد والمشرقة وتل النبي مند وتدمر » .

وكتب العلامة المسيو درسو في تقريره الى مجمع العلوم الادبية والاثريّة في باريز : ان متحف دمشق أجمل المتاحف التي تضمها بلاد الاندلس وهو أثر من آثار المجمع العلمي . واثني على هذا المعهد ورئيسه وعلى دار الآثار ومديرها .

وكتب العلامة المسيو ماسنيون في مجلة العالم الاسلامي الباريزية انه اجتمع بفضل رئيس المجمع وحوله طائفة من العلماء الشاميين المسلمين والمسيحيين يعملون في درس المدنية العربية بعلم تشهد به مجلة المجمع العلمي العربي .

وقال العلامة السيد سنوك هريغرون من جامعة ليدن : « واطلعت طلاب العلم من اهل بلادني على أعداد المجلة ، وبيئت لهم انها علامة احياء العلوم الشرقية ،

ومعجزة في جنسها ، مسكنة لمن ينكر استمرار التمدن العربي ، وأوضحت لهم عدم قدرة احدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب » .
وقال العلامة السيد هوتسا مدير الملة الاسلامية في هولاندة : « وبدعي ان علماء المشرقيات من الهولانديين يهتمون جد الاهتمام بالعمل الباهر الذي تقومون به في الشام لاحياء هذه الآداب لتعيدوا للعرب ما كانت لهم قديما من المقام المحمود في ساحة العلم البشري » .

وقال العلامة الدكتور حتي في مجلة العالم الجديد في نيويورك ان المجمع العلمي أعظم مشروع أدبي وطني يخطى للشاميين المباهة به جمع يمضي على تأسيسه ست سنوات فقط . أصبح متوليا تحرير مجلة علمية من أرقى المجلات وادارة متحف وطني نفيس ودار كتب كبرى وبنشئ فروعاً ويضم إلى عضويته زبدة العلماء من مشاركة ومشرقين واذا سلمنا بان المتحف المصري العربي في القاهرة يفوق متحف دمشق الى درجة كبيرة فاننا لا نعلم بان مجلات المشرقين من انكليزية وفرنسية والمانية تفوق مجلة مجمع دمشق

وقال الاستاذ السيد عباس محمود العقاد في البلاغ المصري في القاهرة : « ان اخواننا في دمشق قد سبقونا الى انشاء مجتمهم العلمي فنجحوا نجاحاً يفوق ما عندهم من الوسائل المالية والسياسية والعلمية ، ووطدوا ذلك المجمع توطيداً يبشر باطراد التقدم واتساع الامد وعموم الفائدة في الافطار العربية ، وكانت ذلك بعمة رئيسه التقدير وزملائه الفضلاء وعناية مأثورة من حكومات الدولة على اختلافها أمنت المجمع بعض التأمين من الوجهة المالية ودلت على احترام للباحث والآداب تغطيهم عليه ونظمتنا أدلى به واجمى بالسبق فيه لما عندنا من وسائل العلم والمال والسياسة » .

وقالت جريدة وادي النيل بالاسكندرية : « ان السيد محمد كرد علي رئيس المجمع السوري يقوم من مجهوده الفردي بعمل لم تقدم عليه الجماعات العلمية والادبية عندنا . وقد اغتبطنا باعمال المجمع لما نتم عليه من النهضة الادبية في الشام وهي جزء مهم من الاسرة العربية العظيمة ، على اننا تراجعتنا الى أنفسنا نسألها واين مصر من هذا المجد الادبي الرفيع » .

وقالت جريدة (فني العرب) في دمشق : « واذا كانت مصر على ما فيها من علم وثروة ورجال لم توفى حتى الآن لتأسيس مجمع علمي فيها فحسب سورية الفقيرة ان يكون لها مجمع علمي هو نسخة طبق الاصل عن نهضتها العلمية والادبية وصدى ناطق لصوتها الذي لم يكن يسمعه احد قبل سنين قليلة . ان المجمع العلمي يسير الى الرقي والاصلاح الى جانب الامة فاذا استمرت الامة في نهضتها ورقيا كان للمجمع نصيب وافر من هذه النهضة فهو جزء من روح هذه الامة وعنصر من عناصر آدابها وعلومها . . . »

وقالت جريدة (الزمان) في دمشق : « المجمع العلمي في دمشق هو مجموعة سالحة من اهل العلم والرأي والتفكير في بلادنا بل هو أصلح هيئة رسمية عندنا تمثل نهضتنا العلمية وجب عليها ان تمثلنا في جميع النهضة العلمية والحركات الفكرية التي ظهرت في سماء هذا الشرق بضعف قبل الحرب وأخذت تظهر بعدها بشيء من القوة بدل على شيئين : على منائنها اولاً وتطور الحالة الفكرية عندنا تطوراً كبيراً . . »

وقالت جريدة (الوطن) في بيروت : « فقد كان (المجمع) من حسنات الايام ومن محامد الحكومة الدمشقية بل كانت فلادة در في جسد الشام فقد ضم في سلكه البديع عصاة فضل لم يرو تاريخ الدول العربية انضمام مثل عددهم في مجمع بل ضم في عداد أعضائه جماعة من أعظم علماء وفلاسفة اوربا واميركا . . . فهو ولا ريب من مفاخر الامة السورية بل أجل مفخرة يجدد بها العرب ذكر مفاخرهم الغابرة وعلومهم ومدنياتهم العظيمة الباهرة وثقيم لاهل الارض البرهان المحسوس على تقدم السور بين اليوم وتمدينهم ونجاتهم . »

وقال الاستاذ السيد يوسف العيسى في جريدة (الف باء) في دمشق : « على ان الذي يسمع بهذا المجمع ليس كمن يحضر حفلاته فقد كنت أدرس أصني لمخاضرة الاستاذ رئيسه وأجبل نظري في صفوف المحاضرين الممثلة منهم تلك القاعة الفسيحة وكلهم من زعماء الامة وعلمائها وأدباؤها ومفكراتها وأقامل في سكوتهم العميق وعيونهم المنجحة الى الخطيب وهو يسرد ام تاريخ مجملهم وأعماله نفيل لي انني في كنيسة او مسجد لاهي مسيحية ولا هو اسلامي وانني محاط باتباع ديانة جديدة هي ديانة اللغة

العربية فقلت في نفسي يكفيني ويكفي هذا القوم تعزية عن سالفنا المجيد بهذا الحاضر المؤمل» .

وقال الاستاذ الدكتور حتي في مجلة الكلية في بيروت : « ان ما قام به المجمع وهو طفل في خلال سنواته الاولى من حياته من الخدمات العقلية وصوت الآثار ونشر المعارف هو شيء كبير حيوي للامة السورية الجديدة لا يقدر ولا يثنى بالدنانير السورية الزهيدة التي أرصدها الحكومة لنفقتة فكل درهم في ميزانية المجلس هو في عرفنا حلال لا نستطيع الامة في الاحوال الحاضرة ان تستثمره في طريقة أفضل من هذه الطريقة لانعاشها وإحياء عقليتها والاحتفاظ بذخائر مخطوطاتها وآثارها من ذلك الميراث المجيد الذي وصلنا بآبائنا وأسلافنا وينشطنا للسير الى العلاء والى الامام ... فحمد الله الذي وفقنا اخيراً الى اكتشاف امر ينضوي تحت لوائه المسيحي والمسلم واليهودي والشرقي والغربي — وذلك الامر هو العلم » .

وقال الاستاذ الاب لويس شينغو في مجلة الشرق في بيروت : « ومع حسن اختيار الموقع (اي دمشق) نجد في تأليف أعضاء المجمع داعياً آخر لنوسم فيه الخير فانه يرأسه رجل ... وكذلك أعضاء المجمع العلمي فان في اختلاف عناصرهم من وطنيين وأجانب وفي تباین أديانهم من مسلمين ونصارى وموسويين وفي امتياز مناصبهم من ارباب دنيا ودين ضامناً لثبات هذا الصرح العلمي ورقبه » .

وقال العلامة كراتشكوفسكي من جامعة لينينغراد في مجلة « الشرق » الروسية : وما يستجاب الانتباه ايضاً خلو المجمع من أصحاب الخطط التقليدية الضيقة من المسلمين والمسيحيين ومن السياسيين الذين يفضلون السياسة على العمران فالجميع يربطهم المبدأ الجنسي فلماذا يسوغ لنا ان نعدم زعماء العربية الفتاة لا بحسب اعمارهم بل بحسب أرواحهم ... ومما مر نستدل ان العرب قد تمكنوا من عمل ما يتصوره الغرب مستحيلاً في اوروبا بعد الحرب أعني ربط جميع البلاد العربية بئدي علمي واحد بل ربط جميع علماء المشرقيات في اوروبا . ويمكننا هنا ايضاً في فهم كنه التمدن الروحي الحقيقي بل الجراءة ان نسمي الشعب الشرقي معلم الغربيين وفي هذا وحده خدمة للمجمع العربي لا حد لها » .

وقالت جريدة (لاسيري) في بيروت : « وعيناً يحاول المرء وصف ما بذله رئيس المجمع العلمي العربي وأعضاؤه من الجهود لوضع أسس متينة تشعخ عليها دعائم هذا البناء القائم على مجد الذكاء السوري . ومن المحال ايضاً إسدائهم ما يستحقونه من الشكر الجزيل . فعلى الحكومة السورية التي من واجبها ان تفهم هذه الحقيقة ان تعمل عملاً مفيداً من تنشيط المشاريع النافعة بالمال كالمشروع الذي وقف نفسه على العدل فيه حضرة محمد كرد علي والتي عليها لتوقف حياة الاجيال القادمة في الآداب » .

وقال العلامة السيد ماكدونالد من جامعة اميركا بمناسبة اطراد صدور مجلة المجمع العلمي خلال الثورة الاخيرة : « لقد أحييت سنة الجمعية الآسيوية الباريزية ايام كانت ثابرة على إصدار مجلتها وباريز محصورة » .

وقال العلامة الامير شكيب أرسلان : « ان بنابة المجمع المعنوية كالمادية متينة ركنية بحيث ثبتت على كل هذه النوازل ولم تبال بكل هذه العواصف وهي تعصف من فوقها ومن تحتها » .

وقالت جريدة المقطم بمناسبة المجمع المنوي انشاؤه : قابل المشتغلون بالكتابة والخطابة والتأليف والترجمة الخبر الذي نشرناه عن مشروع المجمع اللغوي بارتياح شديد وأمل يتخلله شيء من الشك فقد اتجهت القوى والنيات غير مرة الى انشاء هذا المجمع اللغوي وأنشي مثله فعلاً في القاهرة ولكنه لم يكن طويلاً العمر وبقى ان أسس مجمع علمي في بيروت في أوائل النهضة العلمية الحديثة في سورية ثم أهمل امره بعد عمل نافع مذكور ولم يعيش من هذه الهيئات سوى مجمع دمشق وقد أسدى الى اللغة وتاريخ الشرق وعلومه خدمات جليلة يعرفها جميع الذين يطالعون مجلته النفيسة او يعرفون رئيسه واعضائه المجتهدين اه .



الكلمات غير القاموسية (١)

موضوع اقتراحي ايها السادة هو استمالة نظركم الى العناية بالكلمات (غير القاموسية) وأعني بالكلمات غير القاموسية كلمات نستكشف من ابداعها قواميسنا العربية . لكننا مع هذا لا نستكشف من التكلم بها وابداعها كتاباتنا أحياناً . وقد أصبحنا معشر العرب مع معاجم لغتنا نتجاه امر واقع غريب الشكل ذلك اننا نرى الوفاً من الكلمات العربية الحوشية المهجورة الاستعمال قد تبوأَت من قواميسنا الصدر والحراب . والوفاً من الكلمات الدخيلة التي ألفتها الاسماع والتي نرى أنفسنا مضطرين الى استعمالها اند حرمَت دخول المعاجم وطرحت وراء الأبواب .

ومذا على خلاف ما عليه الحال في لغات الامم الراقية : فان معاجمها اليوم تتضمن من الكلمات القديم والحديث الاصيل والدخيل . وميزان التفاضل بينهما انما هو استعمال البقاء لها لا لكونها اصيلة او دخيلة : فاذا نصفحت معجم لاروس مثلاً وجدت فيه ازاء الالفاظ الافرنسية المحضة المأظاً أخرى من لغات مختلفة . فتجد من اللغة العربية مثلاً كلمات (Mesquine) « مسكين » (Felouque) « فُلُك » (Marabout) « مرابط » (شيخ صوفي) (Bled) « بلد » (Cable) « حبل » (Sirop) « شراب » (Hourie) « حورية » (Mantille) « منديل » (Jarre) « جرة » في نظير ذلك من الكلمات العربية التي يحملونها المحل الارفع من معاجمهم ويزينون بها خطبهم وكتاباتهم . ولا يخفى على حضراتكم ايها السادة ان الكلمات الدخيلة التي سميناها (غير قاموسية) تبقى مردولة سيئة السمعة ما دامت لا تذكر في معاجمنا العربية . وما دام كتابنا المجيدون يأتقون من استعمالها خشية ان ينسب اليهم قصور او نومم كتاباتهم بلوثة المعجمة . وكل ما أريده الآن من أفاضلنا ان لا ينظروا الى الكلمات (غير القاموسية) نظرة ازدراء ، ولا يهجروا استعمالها على السواء ، بل أقترح عليهم

(١) هو اقتراح في ترقية اللغة كان الأستاذ المغربي احد اعضاء المجمع تلاه في احدى جلساته وقد أرسلت نسخ منه الى بعض الاعضاء فأجابوا عليه وسننشر أجوبتهم تباعاً في المجلة .

ان يصنفوها ، ثم يميزوا بين أصنافها ، فصنف منها يعلن مجمعنا العلمي الفتوى بجواز استعماله بل يلزوم ذكره في معاجنا اللغوية الحديثة ايضاً ، وصنف منها يعلن عدم جواز استعماله اصلاً ثم يبين السبب في الامرين الجواز وعدم الجواز .

وها انا ذا منذ الساعة أصنف هذه الكلمات تصنيفاً اولياً بدرك الذهن منه ما هي الكلمات (غير القاموسية) التي ينبغي استعمالها . وما هي الكلمات التي يجب اطراحها واهمالها . (الصنف الاول) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية قحة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتاج باقوالهم مثل فعل (تبدى) بمعنى ظهر لم تذكره المعاجم بهذا المعنى وانما ذكرته بمعنى (سكن البادية) لكنه ورد في بيت شعر لعمرو بن معدي كرب من قصيدته الدالية المذكورة في ديوان الحماسة والبيت هو قوله :

(وبدت ليس كأنها بدز السماء اذا تبدى)

فما رأيكم ايها السادة في هذه الكلمة (غير القاموسية) ؟ هل يجوز لنا اهمالها وبد ان جاءت في شعر هذا العربي الصميم ؟ لكن لما ذا لم تذكرها المعاجم ؟ هذا شيء آخر لا يتسع الوقت للبحث فيه . ولا أظن ان زملائي أعضاء المجمع العلمي يثاقفوني في وجوب الاسراع الى اعلان الفتوى بجواز استعمال كلمة (تبدى) وما أشبهها .

(الصنف الثاني) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية خالصة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتاج باقوالهم : وهذا كفعل (أقص) الخبر رباعياً بمعنى (قصه) ثلاثياً لم تذكره المعاجم لكنه جاء في كلام الامام الطبري المشهور ببلاغة عبارته اذ قال في تاريخه (جزء ٢ ص ١٨٤) من الطبعة الاوربية — (فأثبتته فأقصصت غصته) .

وأظن ان السادة أعضاء المجمع يوافقوني ايضاً على اعطاء الفتوى بجواز استعمال هذا الصنف من الكلمات (غير القاموسية) . ويمكن ان نعد من هذا النوع اقرار العلامة اليازجي لكلمة (نخيم) مع ان علماء اللثة لم يذكروا الا (نغم) واستعمال الامام الشيخ محمد عبده لكلمة (صدفة) في خطبة شرحه لنهج البلاغة مكان كلمة (مصادفة) .

(الصنف الثالث) كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها في

ممان آخر . وهي كلمات اصطلاحية فنية او إدارية كقولهم (هيئة المحكمة) (تشكيل المحاكم) (انعقدت الجلسة) (تعريف الرسوم) (ميزانية) (كمية) (كيفية) (سيف نظير ذلك . وهذه الكلمات (غير القاموسية) ارجو من رفقتي أعضاء المجمع ان يجوزوا استعمالها ولا سيما انها كلمات اصطلاحية كما قلنا . ولكل قوم اصطلاحهم .

(الصنف الرابع) كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون . ولم ينطق بها الفحول المقرمون . مثل فعل (خابره) بمعنى راسله . وفعل (نخرج) على الشيء (واحترار) في امره . (ونزله) في البستان وهكذا . وانا اعترف بانني سألتى صموبة في حمل زملائي أعضاء المجمع العلمي على اعطاء فتوى بجواز استعمال هذا الضرب من الكلمات (غير القاموسية) .

(الصنف الخامس) كلمات دخيلة أعجمية الاصل منها ما هو ثقيل على اللسان نحو (اوتوموبيل) (بيرصوناليت) ومنها ما هو خفيف في السمع مثل (فلم) (بالون) وانا على يقين ان أعضاء المجمع لا يجوزون استعمال كلا القسمين الثقيل والخفيف . وانما هم يوجرون العدول عنها الى كلمات عربية تقوم مقامها او تعربها بكلمات ذات صيغة عربية كما قالوا مناورة في تعريب (Manceuvre) وانا أوافقهم في الكلمات الثقيلة . اما الخفيفة مثل (فلم و بالون) فأرتاح الى القول بجواز استعمالها كما هي .

(الصنف السادس) أساليب او تراكيب أعجمية تسربت الى لغتنا مترجمة عن اللغات الاوربية وهي مما لا يعرفه العرب الاقدمون وهذا كقولهم : (ذرا الرماذي الميون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (لا جديد تحت الشمس) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك وكل هذا مما استفاض بيننا وتناورته أفلامنا ولا أظن ان احداً ينازع في جواز استعماله اللهم الا الذين أصيبوا بالوسواس اللغوي .

(الصنف السابع) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات غريبة لا يستعملها احد من النصحاء بل يتجاشون النطق بها العمري وهو ما نسميه (العامي) وهذا كثير لا يحمله احد مثل كلمة (بدني) اذهب . (جيب) الكتاب . (لحشه) على الارض . (تعربش) على الشجرة . (شحر كش) بفلان . الى غير ذلك وهذا لا يجوز استعماله

بالطبع بل يجب العمل على تقليص ظله من بيننا تدريجاً ونعويد أبنائنا استعمال غيره من الفصح الذي يصلح ان يقوم مقامه .

هذا ما خطر لي أيها السادة في تصنيف الكلمات (غير القاموسية) ويمكن تصور أصناف أخرى غيرها اذ ليس القصد من هذا الاقتراح الاستقصاء وبلوغ الغاية وإنما القصد الانارة والتلميح الى ما يجب على مجتمعا العلمي عمله من التسامح واعطاء الفتوى في الكلمات التي عمت بها البلوى .

المعربي

جواب الرصافي

« على الاقتراح »

اذا رأيت أمة لا يرغب ابناؤها في اقتناء معجم لغوي مر على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم ان لتلك الامة لغة حية .

خذ بيد من اقيت وانت ماشٍ في شارع المدينة ثم ادخل به في سفينة بخارية او قف به أمام قاطرة او سيارة او طيارة او نحو ذلك من محدثات العصر وسله عما دق وجل في هذه المحدثات من آلات وهنات فان اجابك باسم كل مسمى سألته عنه فاعلم ان ذلك الرجل انما يتكلم بلغة حية .

اما نحن فعن هذا عاجزون ثرانا نرجع في معرفة اللغة الى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير وكأنها ليست من صفات الحي الناطق تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان ومراقبة معه بعوامل العلم والعرفان .

نحن اليوم لو جئنا أعلم رجل بالعربية فسألناه عما حصل في العلوم والفنون العصرية من مصطلحات وما جد فيها من آلات وأدوات وما رتب للتجارب فيها من مخترعات لوجدناه شبه الاعجم لا يحير جواباً .

فلننا الفصحى اذن ليست بلغة علم وليست بلغة حية . وما حياة اللغة الا بنموها وتطورها باطوار المتكلمين بها .

فان أردنا ان نجعلها لغة حية فلا بد من ان ننوسع فيها الى اكثر مما يدعوننا اليه الاساذ المغربي . وذلك بان نجعل الاشتقاق فيها قياسيا وان تفتح باب التعريب — الذي سد في وجوهنا كما سد باب الاجتهاد في الدين — على مصراعيه وبان نقيم ان مفردات اللغة انما لتقرر باستعمال العامة اللم الا مصطلحات العلوم والفنون فانها لتقرر بوضع الخاصة واستعمالها اياها . فيجب اذن ان ندخل في معاجنا كل ما وقع به النفاخ بين العامة من الكلمات الاجنبية التي لا نجد ما يقابلها في الفصحى فنثبتها في المعاجم كما تكلمت بها العامة او بعد شيء من الصقل والتحوير والا أصبحت لغتنا جامدة جمود عقولنا في الامور الدينية .

وما انا ذا أتعجب كلاً من الاصناف السبعة التي ذكرها الاساذ المغربي بما يتفهم منه رأبي فيها فأقول :

(الصنف الاول) — من التعصب الأعمى التردد في جواز استعمال (تبدى) بمعنى بدا بعد ورودها في شعر ابن معدي كرب . حتى اننا لو فرضنا ان هذا الشعر مصنوع لما جاز ان تتردد في استعمالها جرباً على قواعد الاشتقاق الذي هو قياسي كما قلت آنفاً . فكيف وقد وردت في شعر عمرو . اما منع استعمالها بحجة انها لم تذكر في معاجم اللغة فليعذرني الاخوان اذا قلت انه من السخافة بمكان . او ليس من السخافة ان يدعي مدح ان معاجنا اللغوية قد حوت كل ما تكلمت به العرب وانها لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من كلامهم الا ذكرتها . فهذا الصنف على ما اري لا حاجة فيه الى الافتاء والاستفتاء بل نستعمله ولو كره الجامدوت .

(الصنف الثاني) — أوافق الاساذ على جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات بلا تردد لان القياس لا يأباه ولان اللغة لتقرر كما قلت آنفاً باستعمال العامة فكيف وقد استعملتها الخاصة كالطبري واليازجي والشيخ محمد عبده .

(الصنف الثالث) — ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات والتراكيب عليه ان يمنع اولاً جميع المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المسلمين قديماً في المعقول والمنقول من العلوم التي تكونت في ابان النهضة العلمية الاسلامية . وحينئذ نرجع بلغتنا الى عهد امري القيس فلا نكلم الا بلسنته . لا ريب ان الكلمات التي هي من

هذا الصنف انما أوجدتها الحاجة اليها الحاصلة من تقدم الامة في العلم وتطورها في السياسة والادارة وغير ذلك من وجوه الحياة الاجتماعية فعلى القائل بمنعها ان يأتينا بما يؤدي معناها من لغة امري القيس ثم يقول بمنعها .

(الصنف الرابع) — لا يا أيها الاستاذ المغربي انك لا تلقى صعوبة في موافقة زملائك على استعمال هذا الصنف من الكلمات لانهم مضطرون الى استعمالها ان شاؤوا وان لم يشاؤوا ، ولان القياس معك . وما أدري لما ذا لم تشق من الخبر مخابرة . ثم ان العرب قالت تفرج الغم بمعنى تكشف فحن كما نستعمل تفرج بهذا المعنى لنا ان نولد منه معنى آخر مأخوذاً من المعنى الاول فنقول تفرجت على كذا بمعنى نظرت اليه لينكشف بالنظر اليه غمي فيكون في الكلام ضرب من المجاز . ذلك لان العامة انما يقصدون في الغالب بالتفرج على امر من الامور دفع الغم وترويح النفس لان التفرج عندهم لا يكون الا على امر غريب يسر الناظرين ولو من بعض الوجوه . وكذا القول في نزه في البستان واحترار في امره وقد استعمل هذه الاخيرة في شعره الشيخ عبد الغني النابلسي اذ قال :

(حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تخنار)

وكذا ابن عابدين في تسمية كتابه « رد الخنار على الدر الخنار » وكلاهما من الخواص والقياس يميز لنا اشتقاق اختار من خار .

(الصنف الخامس) — نحن أمام سيل جارف من هذه الكلمات الاجنبية لا يرد تياره تعصبنا للغة . ثم نحن في أشد الحاجة اليها اذ هي على مجرى حياتنا اليومية فليس من الممكن ان نحيد عنها او ان نتجنبها معماردنا ذلك . فالصواب هو كما قلت سابقاً ان نفتح باب التعريب على مصراعيه وان نأخذ منها ما نقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتخويره ان كان فيه شيء من الثنافر او الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية . وما أدري لما ذا نتحاشى التعريب الذي جرى عليه أسلافنا الاولون متجاوزين فيه مقدار الحاجة . ومن المعلوم ان التعريب لا يشترط فيه كون المعرب ليس له ما يقابله في العربية لان العرب قد اخذوا من لغات الاعاجم كثيراً من الاسماء التي هم

في مندوحة من تعريبها بوجود ما يقابلها في لغتهم بل ان بعض معرباتهم أمات ما يقابلها من الكلمات الكائنة في لغتهم واستبدت بالاستعمال في اللغة العربية .

(الصنف السادس) — هذا الصنف من أغرب ما رأيت في اقتراح الاستاذ المغربي ولقد وقفت تجاهه متحيراً لم أدري ما ذا أقول . هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي قال وادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومن مجاز وكنابة موقوفة ايضاً على السماع من العرب الاولين هذا لعمرك ما لم اسمعه قبل اليوم . لماذا لا أقول (ذر الرماد في العيوت) كناية عن التعمية والاختفاء ؟ ! التركيب عربي محض جار على ما تقتضيه قواعد اللغة . ومفردات هذا التركيب عربية ايضاً فلماذا لا انطق بهذه الجملة الآن العرب الاولين لم ينطقوا بها . سبحان الله أينما بنا الجمود الى هذا الدرك ؟ ! لماذا لا ذكر الربيع وأريد به السنة كلها ؟ ومن الذي حذر علي استعمال هذا المجاز الشائع في كلام العرب من ذكر الجزء وارادة الكل ؟ لا احب ان اطيل الكلام في هذا فانه من العبث .

(الصنف السابع) — ان الكلام على هذا الصنف من التراكيب العامية لم يمن حينه بعد فلذا امر به ساكتاً بلا جواب سوى اني أقول ان هذه المسألة (أعني مسألة اللغة العامية) من أهم مسائلنا الحاضرة فيجب ان ننظر فيها نظراً دقيقاً وان ندرسها درساً منقناً حتى نميز فيها الحق من الباطل والا فالبت في تركها والاعراض عنها لا يكون في شيء من الصواب على ما ارى . وربما كتبت رسالة خاصة في هذه المسألة ان ساعدني الوقت .

جواب السيد احمد امين

« على الاقتراح المذكور »

حضرة الفاضل سلام عليكم ورحمة الله :

سألتني رأيي باختصار في موقفنا بازاء القواميس وبعبارة أخرى في الكلمات غير القاموسية وفي الاصناف التي وضعتوها لها .

فأقول : مذهبي ان اللغة ملك لنا ولستنا ملوكاً للغة والامة التي ترفض ان تكون

عبداً الا الله ترفض ان تكون عبداً للغة واذا لم تستعبدنا اللغة لم تستعبدنا القواميس بالاولى . ولكن هل نسمح بدخول كل كلمة خارج القاموس . لا : ان لنا الحق ان نخرج كلمات دخلت فيه وهي الكلمات التي ماتت من طول هجرها . ولنا الحق ان ندخل كلمات خرجت عنها بعد الاختبار والتحصيص والصقل متى احتجنا الى ذلك .

فلغتنا قاصرة في نوعين : النوع الاول نوع من المعنويات وضعت لها الامم الاخرى كلمات وذلك كلمة (Conception, perception, Idéal) وكل الكلمات التي وضعت في علم النفس والاخلاق والاجتماع .

ورأيي في هذا النوع الا نسمح بدخول الكلمات الافرنجية وان سهل النطق بها بل نختار لها كلمات عربية الاصل ونضعها لهذه المعاني متى كانت معانيها الاولى قريبة من المصطلحات الجديدة وندخل المعاني الجديدة في القواميس .

والنوع الثاني الماديات كأثوموبيل وفونوغراف وهذه ان لم نجد لها كلمة عربية قريبة نستعمل الكلمات الافرنجية بعد صقلها — لا فرق عندي في ذلك بين ان نكون الكلمة في الاصل ثقيلة على اللسان او خفيفة متى كان لنا الحق في تخفيف الثقل . . . هؤلاء طامنا استقلوا كلمة سينماتوغراف فسموها (سينما) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات . فلنترك الحرية للمؤتمر في كل ذلك يختار منها طبقاً للقواعد المعمول بها في الامم الاخرى ولعله يمكن معرفة الرأي بعد هذه القاعدة في كل صنف من الاصناف السبعة فاما اذا أريد جواب على كل صنف فانا ارى الصنف الاول — يجب ان يدخل منه في القاموس ما نحن في حاجة اليه فقط .

(٢) والثاني كذلك .

(٣) جواز إدخالها في القواميس كذلك .

(٤) لا حاجة الى إدخال هذا الصنف متى كانت اللغة العربية في الاصل غنية

بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى فاذا لم يكن فيها ما يؤدي اخذناه وادخلناه .

(٥) الصنف الخامس أبنت رأيي فيه قبل بوضوح .

(٦) أوافق كل الموافقة على إدخاله .

(٧) أنواع فقه كلمات عامة على الوزان العربي اصلها قد أخذ من لغات أخرى

او حرف عن لغات أخرى مثل (جزمة) و (عربية) وهذه وأمثالها يصح ان يأخذ منها المجمع ما يراه مناسباً — ومنه كلمات ليست على الطريقة العربية ولا تعرف العرب طريقته مثل (ما عليها) ونحوها وهذه ترفض رفضاً باتاً .

وعلى العموم فرأى ان تنوع الكلمات وتصنيفها ليس فيه كبير فائدة فليترك الباب مفتوحاً أمام المجمع على مصراعيه ليختار انما ما يجب ان يعنى به كل العناية المسائل الآتية :

- (١) هل المجمع له سلطة وحرية في وضع كلمات غير قاموسية او لا .
 - (٢) ما القواعد التي يتبعها المجمع في وضع الكلمات اذا كانت له الحرية .
 - (٣) كيف تنصل الهيئات العلمية في الامم العربية حتى تضع بالاشتراك كلمات تستعمل بالابتعاد لا ان كل أمة تستعمل اصطلاحاً خاصاً بل ان الامة الواحدة قد تستعمل مدارسها اصطلاحات مختلفة .
 - (٤) ما هي السلطة التي يتخذها المجمع المشترك وكيف بناها حتى تنشر قراراته في الجرائد الرسمية للحكومة ويخضع لها الافراد والهيئات العلمية .
- هذه هي المسائل التي يجب بحثها والبت فيها حتى يتم امر القواميس واذا أثبتت بعثت لحضرتكم برأى فيها والسلام عليكم ورحمة الله .



الادب في البحر بن

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

[ساعر الخط]

« ابو البحر جعفر بن محمد الخطي العبدي المتوفى سنة ١٠٢٨ هجرية »

(ديوانه) — مخطوط على ورق صقيل ضارب الى الصفرة بخط النسخ الواضح ، يشتمل على ٢١٦ صفحة ، ويظهر من صفحة عنوانه انه انتقل بالشراء الشرعي الى خمسة رجال ، وأقدم تاريخ عليه سنة ١١٣٤ رقم تحت صيغة هبة الديوان وهي بنصها : « بعد الحمد والصلوة لاهليها ، فقد وهبني هذا الديوان الجامع لانواع البلاغة والفصاحة ، الحاوي لمستطرف البراعة والملاحاة ، من نتائج أفكار البحر الزاخر ، والخبير الساحر ، الاديب البارع ، الاريب الساطع ، ابو البحر جعفر بن محمد بن حسن ابن علي الخطي البجراي ، تغمده الله بغفرانه ، وأحله دار الكرامة بفضله وسلطانه ، هبةً صحيحة شرعية ، الشيخ العالم الرباني عمي الشيخ احمد بن جار الله الصميري ^(١) مد ظله السامي وكتب هذه الحروف محمد بن صالح بن جار الله عني عنهم ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٤ والحمد لله أولاً وآخراً » .

والنسخة الاولى من هذا الديوان كانت قد كتبت برسم السيد الشريف جعفر ابن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي لمايينه والشاعر المترجم من الالفه والاختصاص ، والمودة والاخلاص كما تدل على ذلك الصفحة ٦٤ من النسخة المهداة الى دار الكتب الظاهرية ، ولعل واضع مقدمة الديوان وناسخه هو صديق ابي البحر الحسن بن محمد الغنوي الهذلي من شعراء القرن الحادي عشر ، وهو الذي تولى في اصبهان انشاد قصيدة شاعر الخط التي عارض بها رائية البهاء العاملي المشهورة ، وليس في فاتحة الديوان ولا خاتمه ما يدل على اسم الناسخ الاخير .

(١) من اهل مدينة الجزائر بين البصرة والمنفق في بطائح الفرات نسبة الى الصيامر وهي قبيلة تقطن الجزائر وحي من أحباء البصرة .

واما المقدمة فأرلها : اما بعد حمدآ لله الذي جعل الحمد قيذا لا وابد النعم ، وزمانا لشوار القسم ، ومجنا عن عوارض النقم ، الى ان قال بعد اتمام الحمدلة والصلولة ، معربا عن رأيه في الشعر مما نصه : فان الشعر مستبق فرسان البراعة ، ومنأضل رماة الاغراض من اولي البلاغة ، بميدات رهانه تركض الخيل العراب ، واياه بنتجم علم الاعراب ، واليه يفزع تأويل السنة والكتاب لم تزل الجاهلية يجيلون فيه أفداح المفاضلة ، وينثرون^(١) من كنانته سهام المناضلة ، وان في تعليقهم السبع حيث تعلق أربابهم ، ونصبهم لما حيث توضع أنصابهم ، واجتماعهم بعكاظ يبرون فيه أخلاف المماراة ، ويبرون له سهام المباراة ، لشاهدا على علومهم فيه معدلا ، وقاضيا بعلومهم عندهم مسجلا ، ولما جاء الاسلام لم يستحل دمه ، ولم ينتهك حرمة ، على انه شديد الحرص على نقض مرائهم المستمرة ، وافر لرغبة في هدم قواعدهم المستقرة ، وناهيك بأعداده صلى الله عليه وسلم حسان لذلك شاهد صدق انه في الاسلام غير وعمر المسالك ، ولا معجور الجوانب هنالك ، ولقد كان في أيام الدولتين ، وإبان الخلافتين ، معروف المراسم ، مشهود المواسم ، يستنزل به تجود الجود ، ويستنظر بيمينه في السنة الجود ، ويسترسب به كل من خفت حصانه ، وأستتكتف به عادية من ترهب شداته ، الى ان قال : ويناط به على المرءات رعات الاماني ويهنا به الحسن بن هاني ، ويوسى به اوس المجيد وتلد الرغائب بيد الوليد ، وينتمل به ابو الطيب أطايب الزيد ، ثم طارت بتلك الغضارة عنقاء مغرب ، ورؤي بعدم باللكنة المسلمين المغرب ، وهدأت بعدم فورة المهدر المشتق ، وأغار فليق الزمان على الشاعر المفلق ، وأسله الدهر الى قوم لا يعيشون الى قيس ساطع ، ولا يعيشون على الادب بضرس قاطع ، والممت برحم الادب معهم اجنب ، وذوالفضل معجور الجوانب متجنب ، والعالم كأنه مطلي به القار اجرب ، حشو أذهانهم السكر ، ومل أذهانهم الوقر ، قد أجاهم سوء بلاء الطبع ورثائسه ، الى تفصيل قدم الزمان على حدائنه ، وهل يدخل في حيز الامور الممكنة ، ان تفاضل الرجال بالازمنة ، وهل يملو السهي على سهيل ، يبرزه في أوائن الليل ، ام هل يسمو القناء وان جاء في

(١) لعل صوابه ينثرون وهو أكثر استعمالا مع السهام .

مقاديم السيل ، وما زال الادب قوساً لا تعطى باربعها ، وزنداً لا تجد موربعها ، حتى تلافى الله ذمماً الباقي ، واستنقذ روحه وقد بلغت التراقي ، بين الاديبي الذي جمع بين نجابة العرق ودمائة الخلق ، في الدوحة من ربعة عروقه ثنشب ، والى الجرثومة من عبد القيس اصوله ثنشب ، ترجمان العرب ، قهرمان الادب ، ابي الجعر شرف الدين جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد ، الامام الشهير بالخطي العبيدي احد بني عبد القيس بن شسن بن قصي بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، فانه المستولي على أقاصيه ، والآخذ باقدامه ونواصيه ، والقائد لطيمه وعاصيه ، والمنتقد لجسده وردية ، والعارف بصريحه ودعية ، وهو المقتلذ انامي عيونيه ، والمهتصر أنسان فنونه ، ان شذب فالخلي شجبي ، وان عزى فالداني الرحم قهي ، وان ندب فالقصي الرحم دني ، وان ادلى بالمعذرة سل السخيمة ، وامتنص الضائن القديمة ، فسيان عند تغزله العزهاة والغزل ، ومثلان عند اعزائه المقدام والفشل ، وعلى الجملة فكل ضرب من الشعر مضروب بسكته ، وكل صنف من النظم مجذب بمسكته ، قرض الشعر وأثفه مرتباً له حسب تلاحقه في الاسنان ، فوق اطراده في العمر ككعوب السنان ، ليعلم الماهر المتوسم ، والناظر المترسم كيف كان تدرجه من الفناء الى الكهولة ، ومن اباب الفضاضة الى الفحولة . ختم الله لنا وله بالحنى ، ورزقنا واياه من حسن العاقبة بالخط الاسني اه .

وانما أوردت ترجمة مقدمة الديوان لدالاتها على مرتبة الانشاء وأسلوبه في البحرين في عهد المترجم وهو عهد انحطاط الآداب في العالم العربي . وقد شعر به واضح المقدمة وأبدى رأيه فيه ، ولان هذه الترجمة على الظن الغالب لم تطلق بالطبع من قيد الخط . والا فان ترجمته مذكورة في سلافة العصر من محاسن اهل العصر وفي خلاصة الاثر ونقحة الريحانة الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولا يستفيد الباحث من هذه التراجم شيئاً جديداً سوى الملل من قراءة السجع الفاسر الذي تعلموه في المدرسة الحريية ، او الوصف الجاف المنطبق على كل موصوف وقد جاء في الخلاصة ان البهاء العاملي قرظ لشاعر الخط قصيدته التي عارض بهسا رائيته الموسومة بروح الجنان في مدح صاحب الزمان وهي منشورة في الكشكول وغيره ومطلعا :

«سرى البرق من نجد فهيج تذكري عهداً مجزوى والعذيب وذى قارى
ولم يرد سب في الخلاصة ولا غيرها شيء من هذا التقريظ ولذا رأيت مما يحسن ان
أنشر منه هذه النبذة : « ايم الله أني كلما سرحت يريد نظري في رياض قصيدتك
الغراء ، ورويت رائد فكري من حياض خريدتك العذراء ، زاد بها ولبي وغرامي ،
واشد اليها ولبي وهيامي فكأنما عناها من قال :

قصيدتك الغراء يا فرد دهره تنوب عن الماء الزلال لمن يظما
فتري متى تزوي بدائع لفظها ونظما اذا لم نرو يوماً لها نظما
ولعمري لا اراك الا آخذاً فيها بأزمة أو ابد اللسان ، تقودها حيث أردت ،
وتوردها أني شئت وارثدت ، حتي كأن الالفاظ تقاسد على التسابق الى لسانك ،
والمعاني تتفاير على الانثيال على جنانك والسلام » . لم نعتز على سنة ولادة الشاعر
واما سنة وفاته فقد ذكرها صاحب السلافة وهي ١٠٢٨ هجرية واقدم قصيدة له في
ديوانه في الغزل وهو اول ما يجري القتي جواده في حابته نظمها في صباه سنة ٩٩٩
وسائر شعره بعد الالف فتكون مدة نظمه نجواً من ثلاثين عاماً ، واذا قدرنا صباه
بما بين الخامسة عشرة والعشرين فيكون عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين .
وبما ان فارس منتجع أدباء الشيعة وعلمائها كما كانت فروق مستراد رجال العلم
والادب من فريق السنة رحل اليها الشاعر رحلة البهاء العاملي وذلك سنة ١٠١٦
وقطن بها حيناً من الدهر وفيها كانت وفاته كما يظهر من عبارة السلافة : « وكان
قد دخل الدار العجمية فظن منها بفارس ولم يزل بها وهو لرياض الأدب جالس
وغارس ، حتي اختطفته ايدي المذون » . ولعله توفي في شيراز لانه أرسل منها سنة
وفاته ١٠٢٨ قصيدة الى الشيخ احمد بن عبد السلام البحراني ، ويظهر من الديوان
ان له ابناً اسمه حسان وكنيته ابو الفرج أرسل لايه كتاباً صدره بيتين من نظمه
فسر بذلك ابوه السرور كله وأجابه باييات مشجعة قائلاً ما معناه ان الهلال بصير
بدرأ كاملاً ، والخطي المترجم كان كسائر علماء العرب الالباء والمنصفين من إخواننا
الشيعة شيعياً بلا رفض لقوله رحمه الله في وصف الحشيشة الخضراء جرياً — كما ذكر
صديقه الغنوي — على أسلوب الامراء المنهمكين في تعاطيها والافان المسموع عنه

انه لو حانت لعافها نثرها وتركها ابقاء على الشيمة من ملاسة ما يتخون العقل و يقدرح
سيف المروءة .

فان قال فيها الناس ما لم يقر به دليل ولم ينهض بصحته خبر
فدعهم فقد قال الخوارج في الفتى عليّ وقد قال الروافض في عمر
(مقياس شعر العرب) — قال النقاد الكبير علي بن عبد العزيز الجرجاني في وساطته
« وكأنت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته
وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فاصاب، وشبه فقارب وبده
فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة،
ولا تغفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض » . فاذا
ما حذفنا شعر ابي البحر الخطي على هذا المقياس رأينا انه يحاول تجويده وانه حسن
بشرف المعنى غير خلّاب والشعر لا تصغي اليه الاثمة ان كان حسنه وسطاً ولم يبلغ
الدرجة العليا كحسن الموسيقى وحسن التصوير وحسن الخطابة وحسن الوجوه، واما وصفه
فقد أحسن بالجملة في بعضه وكانت في بعضه الآخر ظالماً لم يدرك شأو الضليع من
الشعراء فقد وصف شيراز بوصف عام ينطبق على كل بلدة منعم أهلها فهو كالمصور
الذي لا يصور بلدة خاصة بل منظر مدينة او قرية رائعة بشجرها ونهرها فتكون
الواحد من جملة التزاويق زينة للجدران واليك ما قاله بشيراز :

ان شيراز بلدة لا يصكاد الوصف يأتي وان لناهي عليها
ليس ندري سكانها أمروور النفس يأتي من خلفها ام لديها
لو رأها امروء وأدخل عدنا سأل الله ان يرد اليها

ومن عاصره من شعراء البحرين المجيدين الشريف العلامة ماجد بن هاشم
الحسيني صديق ابي البحر وعشيرته فكأنما يتجاريان في الشعر فيفضل هذا صاحبه مرة
وهذا مرة فما شأى ابو البحر به الشريف وصف البدر اذ كان سامراً عنده وطلع
البدر فقال ابو البحر بديهة :

خذ اليك كصفحة المرآة بدرأ يكشف حالك الظلمات
فأجازه الشريف قاتلاً :

وكأنه وجه الملهة حسرت عنه ذوائب فرعها الفحات

وكأنه والشهب محسنة به ملك اطاف به الجنود ثبات

فقال ابو البحر :

وكأنه الدبار بثت حوله يفيض الدرام غير مجتمعات

وكأنه والنقص بأخذ بعضه قرص اللجين مثلم الجنبات

وكأنه والمحور في أرجائه وجه الفتاة مجدراً الصفحات

فان ابا البحر يكاد بهذا الوصف المصور يضع البدر امام عينيك ، فتهم ان تلمسه بيدك ،

ولم يلحق ابو البحر الشريف في وصف امرأة جميلة ثلوا القرآن قال الشريف :

من عذيري من عادة فننتني وهي ثلوا جزءاً من القرآن

بلسان يدعو الى طاعة الله ووجه يدعو الى الشيطان

وكأن ابا البحر عجز هنا عن مجاراته في هذا المعنى فقال لصاحبه وهو يجاريه

دعنا نقصر ذلك على الصوت لهجة ومعنى وقال :

وقاري يوقر الاسماع منطقاً اذا تلا جرع اللذات والغصصا

اذا أطاع لمعنى ما يفوه به قلب ، أهاب به ألسانه فقصي

فأجازه الشريف منشداً :

وتال لآي الذكر قد وقفت بنا قراءته بين الضلالة والرشد

بلفظ يسوق المتقين الى الخنا ومعنى يسوق الفاسقين الى الزهد

والفتوي الذي مر ذكره من أدباء البحرين في هذا العصر المولعين بشعر ابي

البحر و يكاد يكون راو بته اتصلت به هذه المجازاة فقال يجاريها بيبتين بدلات على

منزلته في الادب ومرتبته في نظم الشعر وهما :

وقار يحيط المعصم من شعفاتها يزيد على حسن التلاوة حسنه

نقسم قلبي حين غرد تالياً فللرشد معناه والغي الخنه

وسلك ابو البحر في كثير من أبيات وصفه سبيل التشايبه المألوفة في عهد

انحطاط البيان والمستبشعة بتصورها كقوله في وصف وزير البحرين :

اسد الفتك ، اجل الخطف ذئب الـ حكر فهد الوثوب كبش النطاح

وبه يخال الانسان ان الوزير جنينة حيوان ، ومنه قوله :
 كأنما قد قضيبت وسود الحماظه قواضب
 تفعل أصدائه بقلبي أضفاف ، تفعل المقارب
 ولكثرة ما يذكر أمثال هؤلاء الشعراء من سهام الاهداب وقسي الحواجب والرماح
 والقواضب وسائر آلات العذاب الواصب اراد ان يصور احد ادباء الفرنجة الشعر
 العربي فما رأى أصدق من تصوير مسلحة جامعة لانواع الاسلحة القديمة ومن منا
 لا يذهب الى ان من المصائب ، ما تفعله بعجز البيت الاخير هذه المقارب .
 وقد أجاد في حائثه المشهورة وصف الراح ولو اراد مقطراً كالعرق لطبق
 المفصل لانطباق هذا الوصف على الكحل — الكحول — وهو :
 مزجوها فقيدها فلو تت رك صرفاً طارت بغير جناح
 وقارب الاجادة في وصف دولاب القميميات وفي الكلاب وراء الارانب
 والسحكة الطافرة من البحر التي شقت وجنته اليمنى الى غير ذلك مما يطيل نفس
 القول استقصاؤه . (الباقي للاتي)

ابو قيس

عزالدين الشوخي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

والمجمع العلمي العربي ببغداد



البرازيليون^(١) والسوريون

« اللغتان البرتغالية والعربية »

في مطالعتي ان نادي العلم والتاريخ في مدينة اندرا ارسل وفداً جديداً الى البرازيل مؤلفاً من خمسة من خيرة اعضائه ، على ان يقصدوا ولاية مانوكرومكو ويتمتعوا في مجاهلها ، مفتشين عن آثار مدينة قديمة يقولون ان الفتيقيين بنوها حين استعمارهم تلك البلاد ، ويعزون اليها كل الاحلام التي دونها السندباد البحري في رحلاته .
ولهذه النظرية على غموضها البعيد وبمدها عن المعقول انصار متحمسون في انكلترا وفرنسا ، يعتقدون جد الاعتقاد ان الفتيقيين وصلوا البرازيل قديماً واستعمروا قسماً منها وتركوا فيه آثاراً تدل على مبلغ ما وصلوا اليه من الرقي وال عمران . ولكن اولئك الانصار لا يذكرون التاريخ ولا المدة ، ولا يهتمون ايضاً امر الاهتمام بهذه القضية للوقوف على الحقيقة بارسالهم الوفد تلو الآخر ، وخصوصاً بعد ان اخفت آثار البريطانيين الثلاثة الذين سافروا الى الولاية البرازيلية المذكورة في سنة ١٩٢٤ .

ولا غرابة في هذه النتيجة لان جانباً صغيراً من تلك الولاية مأهول ، والباقي مجاهل يستحيل الدخول اليها دون التعرض لأخطار هائلة كالأفاعي السامة والحيات الكبيرة ، وهذه اذا رأت حصاناً التفت على بطنه وحطمت عظامه . ناهيك بسوء المناخ في تلك البقعة النائية . اما الخطر الاكبر فهو وجود الهنود المتوحشين في تلك الارحاء ، وهم أقسام منهم من يستقبل المتمدن وبقية في حوزته على ان يقتله اذا حاول الهرب او الرجوع ، ومنهم القبائل التي تفرس لحوم الآدميين وغير الآدميين . ويظهر ان هذه القبائل هي التي افترست البعثة الاولى التي أشرنا اليها سابقاً . غير ان هذه الصعوبات والاعطال لا توهن عزائم بعض انساء الامم المتعدنة الذين يستقبلون الموت باسمين مستشهدين ، في سبيل العلم والتاريخ .

ولا سبيل الى إقامة الشبه بين نظرية الانكليز والفرنسيين من حيث وصول

(١) محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي العربي يوم ١٨ تشرين الاول ١٩٢٧

الامتاذ السيد موسى كريم من أماندة الشاهين في البرازيل .

الفنيقيين الى تلك الاصقاع ، وبين حقيقة نفوذ العرب في البرتقال حين اجتاحتها الاندلس أريد بهذا ان تأثير عادات العرب وأخلاقهم في نفوس البرازيليين لا غبار عليه ، لان البرتقاليين هم أجداد البرازيليين بلا اشكال . أضف الى ذلك تأثير اللسان العربي في اللغة البرتغالية ، اذ ليس في الارض لغة تقرب بمعابرها ومترادفاتها وجمالها وامثالها من اللغة العربية كاللسان الذي يتحدثون به في البرازيل والبرتقال .

ولا يسمح لي المجال لطيل الكلام في هذا البحث سوى اني اؤكد ان خمسة آلاف كلمة عربية دخلت البرتغالية . وسوادها يتبدى بأل التعريف ، ولا يزال على حاله باللفظ الفرنجي غير انهم حرفوا الحروف الحلقية التي تعذر عليهم لفظها ، وأبدلوها بحروف سهلة من لفظهم كابدال الخاء العربية بحرف (ف) الفرنجي كما ترى في كلمات الخياط Alfaiate والخس Alfance والخرج Alforge والخرائب Alfarrabios والشجر Alfange والبحيرة Albufeira والخنا Alfama وكلمات عديدة على هذا النمط استظهر منها خمسمائة على اقل تعديل .

واليك هذا الخبر الذي تلونه سفي احدي الصحف يتعلق باخبار الشرطة ومنه تدرك تأثير العربية في البرتغالية .

Debaixo de grande algazarra Foi o assassino algemado pelo alferes levando-o a presença do alcaid que o metteuno aljube

وترجمته : انهم أجمعوا القاتل بعد عريضة غزيره ، بواسطة الفارس وقادوه الى حضرة القائد الذي طرحه في الحب . وانت ترى ان خبراً صغيراً كهذا يتضمن ست كلمات عربية هي غزارة والجم والفارس والقاتل والقائد والحب .

واليك فقرة أخرى : - Na alfandega entraram batatas e azei-tonas detioradas tomando conhecimento do facto o senhor Pedro de Alcantara Mamede

ومعناها انه دخل دوائر المكس صندوق بطاطا وزيتون مهروء ، فسجل ذلك المدير السيد بدرو دي القنطرة محمد .

ويظهر ان طائفة من الادباء السوريين اهتموا للبحث في هذا الموضوع في الآونة

الآخيرة ، وراجت اشاعات غدت في حكم اليقين ان اثنين من صفوة المفكرين عازمان على إصدار مؤلف ضاف بهذا الشأن ، بذكران فيه الالفاظ الدخيلة على اللغة البرتغالية و يردانها الى اصلها العربي . ولا جدال في ان هذا العزم جدير بالاستحسان المطلق لان البراز يليين وأعني بهم الفريق الاخصائي في المواضيع اللغوية كتبوا مراراً بهذا الصدد آسفين لعدم إصدار مؤلف يبحث في اصل الالفاظ العربية وما لحقها من التفتيح والتحريف .

اقول هذا دون ان انسى الاستاذ العلامة محمد سعيد علي البراز يلي المولد ، والمتحدر من ابو يمين براز يليين ، وهو حفيد احد ابناء الفقهاء . فقد ذاع تضرعه من اللغة البرتغالية حتى اطلع على أسرارها وتناول الالفاظ الدخيلة ورد معظمها الى اصل عربي صحيح بالنظر الى معرفته العربية ايضاً في محاضرة القاها من زمن بعيد في ندوة العلماء البراز يلية . ولم أقف عليها لسوء الحظ غير اني تلوت بعضاً من مؤلفاته اللغوية وفي جملتها كتاب نقد فيه أشعار كلسترو الفس رب الشعر البرتغالي . فقدر العلماء نقده حق قدره ووضعوه في منصب يليق بادبه وعلمه الواسع ولا بدع فهو ابن دمشق وكفى به تعريفاً .

ولدي أمثلة كثيرة أضرب صفحاً عنها ، بيد ان أمة هذا شأن لغتها دون ان أغفل عاداتها الشبيهة بعاداتنا ، تستأهل بحكم المنطق الاشارة اليها والى بلادها الغنية ومنوجاتها في هذه المحاضرة المقنضة .

يقدر عدد المهاجرين من السور يين والبنانيين الى سائر أقطار المعمور بنيف ونصف مليون من النفوس ، وقد قصد سواهم القارات الاميركية لاسباب اهمها غنى العالم الجديد ، وسهولة الثراء الذي يوفره لكل مهاجر مجتهد ، وهكذا يقطن البرازيل اليوم أكثر من مائة وخمسين الف مهاجر سوري ولبناني على وجه التقريب . لانت حكومة البرازيل قامت باحصاء عام بمناسبة عيد استقلالها المئوي سنة ١٩٢٢ فجاء عدد المهاجرين من سورية ولبنان نحواً من ثمانين الف فقط . ولما اظهرت استغرابي لمدير الاحصاء في مدينة سان باولو من هذه النتيجة أفعني بجواب سديد ، خلاصته

ان العدد صحيح لا غبار عليه ، لان هناك فريقاً كبيراً من المواطنين قد تنجس بالجنسية البرازيلية ، فضلاً عن المولودين في البرازيل هم برازيليون بالجنسية ايضاً ، وباستثناء هذين الفريقين يصبح العدد معقولاً ، ولتثبيت برازيلية المولود في البرازيل من ابوين اجنبيين ، وقعت اخيراً حكومة البرازيل مع سواد الدول الاوربية والآسيوية . والمهاجرون من المواطنين متجنسون او غير متجنسين يشغل فريق كبير منهم مراكز جديرة بالذكر في مختلف الطبقات ، بفضل الشرائع الراقية التي اتخذتها دستوراً لها تلك القارة المضيفة ، فهي لا تفرق بين الوطني والاجنبي وتعامل الجميع على السواء بلا تمييز ولا استثناء ، حتى دفع الغرور جماعة من الاجانب لم يراعوا حرمة الضيافة فدخلوا بالسياسة دون ان يلحقهم ضرر او يتناولهم قصاص سوى الانذار والتنبيه ، ولا نجد برهاناً أوفى على صحة هذا الكلام من الثورة التي نشبت في مدينة سان باولو في الخامس من تموز ١٩٢٤ اذ تألفت فيها قوات من الاجانب وانضمت الى الثائرين ، وحاربت القوات النظامية دون ان تنتقم منها الحكومة البرازيلية ، بعد ان ساد النظام وانصر العدل ، وما ذلك الا لان البرازيل بطبيعتها لطيف الجانب وديع الخلق مضياف كبير . وقد يكون ورث هذا من اجداده البرتغاليين الذين استعمروا البرازيل طويلاً و يطلق عليهم مؤرخهم الكبير الاستاذ الشندري هر كولانو لقب مستعربين . ولو وقع هذا الحادث في بلاد غير البرازيل لرأيت الدخلاء ينفون الى خارج البلاد بعد ان يذوقوا من طعم العذاب أشكالا .

وقد يبدو لاول وهلة اني أسج بحمد البرازيل ، والحقيقة اني لا آتي بالجديد المبكر اذا أشرت اليها بالطبقات ، فسل من أردت من المهاجرين الى اية بلاد كانت وصل سواء من المواطنين في البرازيل ، نجد ان البعد شامع والمدى صحيح ، لان الشامي المقيم في هذه الجمهورية الاميركية يشعر كأنه في بلاده وعقر داره . له مطلق الحرية في الحياة التي يهواها ، فلا مراقبة ولا نقد على آنيه واعماله ، بل هو مطلق التصرف بكل شيء ، في الدائرة التي يتمتع بحقوقها ابن البلاد الوطني على اختلاف مظاهر الحياة وتباين أحوالها .

والبرازيل بلاد واسعة مترامية الاطراف تحتاج الى ابد عاملة لاستثمار ارضيها

ونفقروا الى المزارعين اكثر من اصحاب الحرف . وعلى الرغم من كون الشاميين لا يميلون الى الزراعة بتاتا ، لم تعتمد الحكومة الى سن شريعة تحدد فيها عدد المهاجرين غير النافعين او تحظر على بعض الاجانب حتى الاستيلاء ، كما فعلت سواها ، بل تركت الامور تجري على سنتها الطبيعية الى ان غدا السوريون الذين لا يعملون بغير التجارة ينزع بعضهم الى احتراف الزراعة حتى لقد دعيت محطة في منطقة زراعة البن باسم هنار وهو كنية سوري من كبار المزارعين . وفي ولاية سان باولو اليوم مزارعون عديدون من كرام المواطنين ومزارعهم تنتج البن والارز والفاسجوم والسكر والكافور وما اشبه من الاقوات .

ومع انه لم يكن لسوري مزرعة او شبه مزرعة بن حتى سنة ١٩١٠ فلبعض المواطنين اليوم اكثر من ثلاثة ملايين شجرة بن . وقد خصصت ولاية سان باولو دون سواها مع ان في البرازيل احدى وعشرين ولاية ، آخرها الولاية التي تعرف باسم احد الانهر الثلاثة الكبيرة في العالم وهي الامازون والنيل وميسيسيبي . ولكن ولاية سان باولو هي قلب البرازيل النابض ، ومصدر غناها وعظمتها ، وتعادل صادراتها ثلثي صادرات الجمهورية كلها ، ولولا البن الذي تصدره سنوياً ويقدر ثمنه بسبعين مليون ليرة انكليزية اي ضعف القطن المصري لساءت حالة البلاد . ولوحظت ان صادرات الامة كلها لا تزيد عن مئة مليون ليرة عمت بالبدية مكانة ولاية سان باولو من البرازيل .

وقد بالغ من خيلاء بعض سكانها انهم تحدثوا صراخاً بالانسلاخ عن جسم الجمهورية واعلان استقلال الولاية ، ولكن الغربيين في مستوى رفيع في الوطنية لا تغرم الوعود ولا تنسبهم حزازاتهم الشخصية مصلحة الوطن التي هي فوق كل مصلحة ولذلك كانت الوطنيون عند اقل المانع الى هذه الفكرة يهبون دفعة واحدة ويقفون حاجزاً دون تلك الاماني ، مبشرين بوجوب الاتحاد الذي يؤلف القوة ضاربين كسفاً عن كل تقسيم غرار وممالك خلافة .

والحقيقة ان امتياز سان باولو غريب ، فعلي رغم وجود ثنائي وعشرين جامعة في عواصم الولايات البرازيلية لدرس الطب والحقوق والهندسة ، تجد المجموع منفصلاً

الجامعات السانباولية ، وقد تخرج من كلية الحقوق فيها نوابغ الامة اذكر منهم المشرع الكبير واللغوي المحقق الاستاذ روي بربوزا وسواه من كبار الاعلام والمفكرين .

وقد قاموا باحصاء عن حالة المعارف في البرازيل فكان عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة ٤٧ بالمئة في ولاية سان باولو واقل من عشرين في بقية الولايات ، اصف الى ذلك نموها العجيب . فقد كان عدد سكان العاصمة في سنة ١٩١٠ (٣٠٠) الف واليوم يكادون يبلغون المليون ، وازداد سكان الولاية من مليونين الى خمسة ، ولذلك أصبحت محط رحال المفكرين وأصحاب المهن الحرة من الشاهين انفسهم ، ففيها خمسة عشر طبيباً وخمسة محامين أخص منهم بالذكر الدكتور يوسف رزق الله المشهور بدفاعه عن السوري من ثلاثين سنة حين اتهم بفرية افتراس لحوم الآدميين وضحفيون عديدون في جملتهم الدكتور سعيد ابو جرة الذي انتخب عضواً في هذا المجمع العلمي الزاهر والدكتور خليل بك سماعة صاحب المؤلفات المشهورة بالانكليزية والعربية .

حدثت ان السور بين في الولايات السحيقة البرازيلية أصحاب نفوذ واسع وثروة طائلة ، ولست وافقاً كل الوقوف على حالتهم ، واؤكد ان بينهم ثلاثة من النواب في مجالس الولايات واثنان مساهمان في شركة ملاحه ، وعلى كل فعددهم قليل جداً ، وشأن السور بين المقيمين في مدينتي سان باولو والريو محدود من الوجهة الزراعية ، ولكن في الصناعية والتجارية عظيمة جداً . ولا بدع اذا اشتهر الشامي بضمفه مجتمعاً فقوته فرداً حقيقة ناضجة ، لاسباً اذا ساعده الوسط واكتفه المحيط بدواعي المدنية ومظاهر النهوض .

لقد بدأ المواطنون في تجارنتهم يحترفون مهنة البائع الدوار ، او حمل الصناديق المملوءة من البضائع على الظهر ، وهي حرفة لا تدل على العظمة التجارية ، ولكن قاعدة النمو والتطور التي رافقها اقتصاد السوري وجهاده وثباته ضمنت تقدم السور بين حتى اصبحوا سادة البندر التجاري في مدينة سان باولو واصحاب مركز تجاري رفيع في عاصمة البلاد دع ملهم من المكانة في داخلية الولايات باعتبار انهم وحدهم استأثروا بالتجارة ، بحيث يضطر الناس الى شراء الاقمشة والحاجيات منهم ، وهكذا قل عن المدن ، فاكبر الحال التجارية تبتاع منهم البضائع الحريرية النفيسة على ان تبيعها من الاهالي مباشرة . ويمكن القول على وجه الجملة انهم اصبحوا قلب تجارة البلاد ، ولا سبيل الى الدهشة لان

انصرف الشاميين الى التجارة دعاهم الى تناول الصناعة ، ولم يمر وقت قليل حتى اصبحوا أصحاب مئات من مصانع النسيج القطني والجوارب والحرير والمناشف والاقمشة واحبوا هذه الصناعات التي لم يكن لها اثر في البلاد ، فتحسنت سميتهم تحسناً يبتاً لان ما فاتهم من الوجهة الزراعية اعتاضوا عنه من الوجهة الصناعية .

ولست غائبي الاشارة باسماء المواطنين المجيدين ولكني مضطر بحكم الواجب الى ذكر بعض اثر نفوذهم في السمعة العامة كمصنع النسيج في ايرنكا الذي هو ملك السادة يافث ومنهم المرحوم نعمة يافث الرياضي السوري المشهور الذي استأثرت به رحمة الله منذ اربع سنوات فحسرت بموته الطارئة السورية رجلاً من خيرة رجالها العاملين على انهاضها ورفيها ، واعترفت بثفوقه حكومة سان باولو ومجلس بلديتها باقتراح رئيسه دعوة شارع في محلة ايرنكا باسم الفقيد تقديراً للخدمات التي قام بها في المحلة المذكورة من وجهة بناء المعمل والقصور الباذخة . وهذه المحلة ذات شأن تاريخي لانها واقعة على هضبة وفيها نودي بالاستقلال البرازيلي سنة ١٨٢٢ واعتمد الوطنيون الجملة المشهورة : الاستقلال او الموت .

ومعمل ايرنكا من اكبر معامل النسيج في اميركا الجنوبية يديره الآث السيد باصيل يافث وتقدر ثروة آل يافث بخمسة ملايين ليرة انكليزية ، وهناك معمل للحرير والجوارب ملك السادة جبارة من أصحاب النفوذ السياسي ، والسادة ميشال اسعد واخوته أصحاب مصنع للمناشف والجوارب ولم مركز اجتماعي وكثيرون سواهم من آل معلوف واندراوس بلغوا مستوى رفيعاً في عالم الثراء ، أتحاشي ذكر اسمائهم لان نفوذهم تجاري وانما غائبي الالماح الى الشأن الصناعي والا لا اضطرت الى ذكر مئات من الاسماء ومئات المحال . ويقدر العارفون ثروة السور بين اليوم بثلاثين مليون ليرة انكليزية في البرازيل كلها .

اما السمعة الادبية فقد رافقت التفوق التجاري جرياً على قاعدة النمو الصحي التي تراها بصورة محسوسة في الاجسام ، فان اعضاء الجسم كلها تنمو دفعة واحدة والا اصبح من شواذ المخلوقات . وبعد سكن القصور ظهر التطور الاجتماعي في السور بين فأخذوا

يقصدون المسارح والاندية ويلبسون نساءهم أحدث الازياء وأثمنها ، وغدا لم شأن كبير في عالم الادب والاجتماع .

اذكر انه لما زار مدينة سان باولو العلامة الدكتور فيليب حتى استاذ التاريخ في إحدى جامعات اميركا الشمالية واحد اعضاء المجمع العلمي العربي الذي أتي لي الحظ بتعريفه الى الصحف البرازيلية فقوضت الي حينئذ نشر المعلومات عن زيارته التي يقوم بها اثناء اقامته في البرازيل ، وهكذا نشرت الصحف وفي جملتها الرسمية كل ما قدمته اليها خلال شهر كامل مما يبلغ عموداً كل يوم تحت عنوان استاذ سوري في البرازيل . ولما أقامت له النزالة مأدبة اشترك فيها رجال الصحافة البرازيلية وفريق من كبار المشترعين وانضمت الى هذا المظهر التكريمي حكومة سان باولو نفسها اذ أبرق رئيس الولاية الدكتور كرلوس دي كمبوس صديق السور بين الحميم الى الحنفل به يهنئه بمظاهر الاكرام التي تقام له ويشترك مع الحنفلين . والشأن في هذه البرقية ان الرئيس لم بدع رسمياً للحنفلة فكان عمله من مظاهر الاحترام الذي تفيضه حكومة البرازيل للسور بين وضيوفهم الاعلام .

والوجه الاهم في نخامة هذا الشعور ان الشامي عصامي في جهاده اذ لا سند له ولا عضد ولا مسحة لتأييد حكومته له منذ عهد الاتراك ، ولذلك كان يشار اليه بالهزم والسخرية ، فاذا ما رأيت الحكومة تعامله بالاحترام كانت ذلك من كبير جهوده ومنسعاء الشخصي . والحقيقة ان المواطنين لم يحجموا عن مشاركة البرازيليين بمظاهراتهم ومشاريعهم العامة وأعيادهم الوطنية ، ففي غضون الحرب جمعوا مبلغ الف كونا تقريباً (والكونا ثلاثة آلاف وثلاثمائة فرنك بسعر النقد الحالي) مساعدة لجمعية الصليب الاحمر البرازيلية حتى اضطرت بقية النزالات الى احتذاء مثاله دون ان تبلغ تبرعاتها القدر الذي ذكرناه في حين انها اغنى بما لا يقاس من الجالية السورية .

وعلى ذكر الاستاذ حتى اقول ان حضرته وعد في إحدى محاضراته في البرازيل بانشاء كرسي لتدريس اللغة البرتغالية في الجامعة الاميركية في بيروت ، وسمعت من احد المقربين الى نظارة الداخلية في مدينة سان باولو ان حكومة الولاية ستبادل الجليل بمثله وتدخل الى برامج المعارف العامة اللغة العربية وتوجب تدريسها حالما تقف رسمياً

على ان الاستاذ حتى قام بوعده . فعسى ان نتم هاتان الامنيتان لان تدريس العربية في المدارس البرازيلية بصورة رسمية على جانب كبير من المكانة اذ يجي القومي العربية و يوجد صلة ثابتة بين المهاجر السوري وابنه الذي يعتبر برازيلياً بمجرد ولادته في ارض كولومبس . وبالنظر الى جماع السواد المولودين في البرازيل من ابوين سوريين لغة آبائهم نراهم قد اندغموا كل الاندغام بالجنسية البرازيلية وخسروا عربيتهم ابد الدهر ، حتى انه كثيراً ما ينشأ بين الوالد وابنه شيء من الكدر او الاحقار لجهل هذا لغة والده وعدم تمكن الوالد من التحدث بالبرتغالية الصحيحة مع ابنه . ولكن هذا الواقع المحزن لا ينسني الاشارة الى فضل المدارس العربية في مدينة سان باولو فهي تشغل خمس عمارات كبيرة وقد قامت باجل الخدم نحو ابناء المهاجرين اذ لم تلقهم مبادي لغتهم فقط بل سعت جهداً لتلقينهم آدابها السامية .

وفي مدينة سان باولو رجل ناهض و كاتب متقن في خدمة الشرق وابنائهم هو شكري افندي الخوري مدير جريدة ابي الهول وصاحب فكرة اقامة نصب للمغفور له اليازجي التي تكلفت بالفوز ، وقد اترح على المواطنين التبرع لاقامة نصب خالد يقدم هدية منهم الى البرازيل بمناسبة استقلالها المئوي ، فأقبل المواطنون من ذوي الارباحية بغيره ممتازة على هذا المشروع . وسينصب هذا التمثال الفخيم قريباً في أعظم ساحات مدينة سان باولو ، وبكفيه عظمة ان يكون من وضع الاستاذ الطلياني الكوماندادور شمانس أعظم حفار متقن في العالم ، وفي النصب المذكور تماثيل صغيرة متعددة تشير الى الفتيقطين والعرب ، والى اصل البرازيليين وعظمتهم الحالية ، والى التساخي بين السوري والبرازيلي في كل نكبة وملة .

وقد تكررت هذه المآتي من السوريين فأصبح اسمهم موضوع احترام في الصحافة الكبيرة تشير اليهم بمنتهى الود وتعطف على قضايهم وتنظم منزلة الند والنظير مما ندر وقوعه في عامة الاقطار الاميركية . وقد استفادوا هم من هذه الحالة فتوسعوا في أعمالهم وتدخلوا بالسياسة البرازيلية ومنهم الآن نواب في مجالس الولايات ورؤساء بلديات وزعماء سياسيون يشار اليهم بالبنان . ولو أتيج لصحافة البرازيل العربية وخصوصاً صحافة سان باولو ان تجاري المحيط بالرفي وأدب اللهجة ورصين الدباجة ، ولوانزل الله

جل شأنه على قلوب كتابها موهبة التأخي والاتحاد وخدمة الجمهور كي لا يكونوا مثلاً لعقلية الشرقي المتعاسد المتباغض ، لكأنت الحالة مرضية من كل الوجوه . فإت مما يؤسف له كل الأسف ان يكون قادة الرأي العام في حكم المشاغبين والعاملين على انقسام المجموع وتباغضه وانحطاطه .

تسع البرازيل ايها الاخوان الاعزاء ملياراً من النفوس جرباً على طريقة السكن الاوربية ، لانها البلاد الرابعة في العالم من حيث المساحة . اما عدد سكانها اليوم فسبعة وثلاثون مليوناً وولاية سان باولو صالحة لاقامة مائتي مليون . وبالنظر الى تراخي أطراف تلك الجمهوربة تجد مناخ كل ولاية يختلف عن الاولى وكذلك التربة وخصبها وقابليتها للزراعة . ولذلك اهتمت حكومة البرازيل منذ نيف وعشرين سنة بالاعلان عن جودة ارضيها ودعوة العمال لاستثمارها ، وانصرفت بالدرجة الاولى الى خطب ود العمال الايطاليين والبرتغاليين والاسبانيين لانه لم تنألف الى الآن في البلاد قومية متوحدة ، واهل البرازيل مزيج من عناصر مختلفة يسود فيها العنصر اللاتيني ، ولهذا السبب بفضل البرازيليين العمال من اصل لاتيني حتى اذا انشأوا العيال جاءت منطقة على قاعدة النسب الجنسي .

أخف الى ذلك ان البلاد اللاتينية فقيرة ولاسيما ايطاليا ، وقد ضاقت ارضها بابنائها فعمدوا الى المهاجرة والمتحدر منهم يعتبر برازيلياً حقاً ، خلافاً للامان والانكليز الذين يقيمون العراقيل في سبيل الاندغام بجنسية غير جنسيتهم بالنظر لرقى مدنيته . وقد فازت البرازيل بدعوة العمال الاسبانيين والبرتغاليين من ايسر وجه ولكنها فادت كثيراً في سبيل الطليان وخصوصاً بعد ان حكم ايطاليا موسوليني الاشتراكي المتطرف سابقاً والوطني المتطرف اليوم لانه بعد ان لحظ حاجة البرازيل الى الابدني العمالة ومقدار نفعا في استثمار موارد البلاد قدم شروطاً صعبة ، منها وجوب تدريس اولاد العمال المولودين في البرازيل لغة آبائهم قبل كل لغة ، وتأليف لجنة يرأسها قنصل ايطاليا للمشاركة على حالة العمال الصحية وكيفية معاملتهم في المزارع وجعل ايطاليا الدولة المنفصلة من حيث جباية تعرفه بسيطة على بضائنها في دوائر المكس البرازيلية فرفضت البرازيل بكل اتفة هذه الشروط ولم ترض بغير الشرط الوحيد الذي وضعتته هي نفسها

وهو دفع جوازات سفر العمال من بلادهم الى المزارع . ولا جدال سيفي ان الشروط
الطليانية قاسية جداً لتضمنها عدم ثقة في الحكومة السانباولية شروط لا يجوز ان
تصدر من أمة مستقلة الى أمة نظيرها . وكانت النتيجة ان انقطعت المفارقات
ولا تزال الى الآن .

والجدير بالذكر انه لم يكذب بذبغ هذا الخلاف حتى تقدمت دول عديدة للنظام مع
حكومة البرازيل من هذه الوجهة قادرة التقديمات والمنافع التي تؤديها كدفع جوازات
السفر ومنح العمال ارضين صالحة للزراعة اذا شاؤوا الاستقلال ، وقد عقدت حكومة
سان باولو الى الآن اتفاقاً مع بولونيا واليابان واليوغوسلافيا والمجر . ومن المعلوم ان
المستقبل للبرازيل ، فكما توفرت الايدي العاملة فيها سهل استثمار كنوزها ومواردها
الى ان تصبح جنات تجري من تحتها الانهار .

الطبيعة مسرفة في البرازيل ياسادتي ، والربيع دائم وكل ولاية تنتج محصولاً
خاصاً . ففي ولاية سان باولو البن والفاجوم والقطن بوجه خاص . وفي ولاية ماتو كروسو
الابقار النادرة المثال . وفي ولاية كوايباز الارز والتبغ . وفي ولاية ميناس المعادن
والمحصولات المتعددة عدا الجبن والزبدة والبن النقي الصحي . وفي ولاية برانا «المانتي»
الذي يتناوله سكان الارجنين . وفي ولاية ريوكراندي دوسول الحنطة والفواكه
التي تضاعف بطعمها الثمار الاوربية . وفي ولاية سانتا كاترينا حيث يعدن العنصر
الاماني مذاق الفهم . وفي ولاية باهيا البرتغال والتبغ والكافور . وفي ولايتي بارا
والامازون المطاط .

ومدار كلامنا الآن عن البن فهو محصول البلاد الرئيسي الذي يضمن دخول
الذهب الى البرازيل وهو قاعدة غناها وعظمتها ولاجله تحصل ولاية سان باولو على اعتماد
مالي لدى صياغة العالم بضاعي اعتماد دول البلقان مجتمعة . ولا بدع فثلاثا سكان العالم
يشربون القهوة من البرازيل لان محصولها يقدر في ولاية سان باولو بعشرة ملايين الى
اثني عشر مليون كيس وفي كل البرازيل ينفق على خمسة عشر مليوناً .
ولما كانت الارقام اوفي دليل في مثل هذه الحال فالتا نورد هنا صادرات البرازيل

من البن ونردفها بـ معلومات عن الاسعار والصادرات بالاكياس . وفي سنة ١٨٨١ أصدرت منه مليوناً وربع . وفي سنة ١٨٩١ أصدرت منه ثلاثة ملايين . وفي سنة ١٩٠١ أصدرت منه ثمانية ملايين . وفي سنة ١٩١١ أصدرت منه ثمانية ملايين . وفي سنة ١٩٢١ أصدرت منه عشرة ملايين . وفي سنة ١٩٢٦ أصدرت منه عشرة ملايين . وفي سنة ١٩٢٧ أصدرت منه تسعة ملايين ونصف .

وكانت قيمة هذه الصادرات في السنوات الاولى ثلاثين الف كونت الى ان بلغت ١٠٠ الف كونت في سنة ١٨٩١ و ٤٠٠ الف كونت في سنة ١٩٠٧ ومليوناً وسبعمائة الف كونت في سنة ١٩٢٤ ومليون في كونت في السنة الغابرة ومليوناً ونصفاً في السنة الحالية اي من تموز السنة المنصرمة الى تموز في السنة الحالية كما اعتادوا حساب سنة البن في البرازيل .

وسقوط الاسعار محسوس في السنة الحالية بدليل هبوط قيمة الصادرات اكثر من نصف كونت وقد كان معدل سعر الخمسين كيلو في الهافر في سنة ١٨٨٥ — ١٠٠ فرنك فبلغ آخر الفسار ومئتي فرنك والسعر الآن ستمائة الى السبعمائة ، فلا يجد التجار والحالة هذه سائحة أفضل من الحالية لايجاد صلة تجارية عملية بين قاب العربية دمشق والبرازيل التي تضيف عدداً كبيراً من اخواننا وتحملهم محملهم من حسن الضيافة وجميل المأوى .

ولم تبق حاجة للانيان بالدليل على ان سقوط اسعار هذا المحصول يؤثر في الحالة الاقتصادية البرازيلية و يفقر المزارعين فيحول دون مجيئهم المدن وبذل النفقات الطائلة و ينقص اجور العمال فيمنعون عن شراء الاقمشة فتحل الضائقة المالية ضيفاً ثقيلاً على كل طبقات الشعب كما حدث مراراً في تلك البلاد . ولا بدع فالتناس باعمالهم ومشاريعهم شركات متضامنة او كاصابع اليد الواحدة متى أصيب اصبع منها بسوء شعرت بالالم بقية الاصابع .

ولما كان يتوقف على زراعة البن وأسعاره الرخاء واليخبوحة في البرازيل أنشأت حكومة سان باولو نادياً دعت نادى الدفاع عن البن غايته إقراض او تسليف المزارعين الاموال اللازمة مقابل محصولهم كي لا يضطروا الى بيعه بايخس الاثمان وقد عقد النادي

في السنوات الاخيرة قروضاً متعددة لهذا الغرض آخرها قرض قدره خمسة ملايين ليرة انكليزية من شهر ونصف والاجتماعات حافلة الآن بين ممثلي الولايات التي تنتج البن لاتخاذ ذرائع تؤدي حتماً الى تحسين اسعار هذا المحصول أسوة بما يعمل الانكليز لاستثمار المطاط والاميركان لاستثمار الحنطة والمصريون في القطن ا.د .



العلامة الدكتور يعقوب صروف

فجع العلم العربي يوم ٩ تموز سنة ١٩٢٧ بفقد العلامة المحقق الدكتور يعقوب صروف ، احد منشئي مجلة المقتطف وعضو المجمع العلمي العربي . توفاه الله اثر علة تعاب الشرايين ، فاهتزت الاندية العلمية في الشرق الاقرب العربي لوفاته ، وحل الاسى في قلوب اهل العلم والادب عليه .

ولد يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م في قرية حدث بيروت ، ولما ترعرع تلقى مبادي العلوم في مدرسة سوق الغرب ، ثم انتقل الى مدرسة عبيه الاميركية ونال شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٠ . وبعد ذلك درس سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين وعقبى ذلك دعتة الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيمياء والرياضية والفلسفة فدرس فيها احدى عشرة سنة .

وفي خلال التدريس بدا له مع تربيته الدكتور فارس نمر ان ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا استاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فاندبك الاميركاني فشجعهما على عمالهما وسمى مجلتهما (المقتطف) وبدأ يوازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . صدر المقتطف في اول ايار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم رأيا الانتقال الى القطر المصري وأنشأا في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سماها «المقطم» لناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على إصدار المقتطف والمقطم الى اليوم .

انقطع الدكتور صروف — الدكتور لقب ناله في الفلسفة من احدى جامعات اميركا — لانشاء المقتطف ، واختص زميله الدكتور نمر بانشاء المقطم وكان الدكتور

صروف ينظر على الاكثر في المسودة الاخيرة من المقطع ، وكثيراً ما كان يحذف منه أشياء تمس عواطف المصريين . وكان المترجم له ورصيفه الدكتور عمر مثال الشريكين المتأسكين الصدوقين ، فأثريا وارتاشا على صورة لم تسبق لغيرهما من ارباب الأفلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه بدأب على السير في الخطة التي رسمت له وجلت اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية والاميركية . ومادته البحث في تقريب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد نجح في هذا المعنى ، وأثر في أفكار قرائه تأثيراً حسناً ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل الخيم على العقول . وكثير من لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم على الاصول في المدارس تلقاها من طريق المقتطف فكان مدرسته وأستاذه من غير فكبر .

ذلك لان الدكتور صروف كان يترخى السلامة في التعبير وقد رزق بياناً لا تكلف فيه ، ورشانة في الأداء وإبلاغ المعنى الى القاري بما يفاخر بها ، وقدرة على النقل والاحتذاء قل ان دانه فيها احد بموضوعه ، يقرأ المقالة الطويلة لعالم من علماء اميركا او انكلترا فلا يلبث ان يلخصها في صفحات قليلة ، ويزينها بما يشرحها ويحبب الى الناس مطالعتها ، وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويختذي ويؤلف ، وكان التعريب في مجلته اكثر من التأليف ، واكثر التأليف من أفلام ووازيه في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن قرأ المقتطف وأدمن قراءتها فكأنما يقرأ ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في هذه العلوم . وقد حاول غير واحد من ارباب الأفلام في مصر والشام ان يتسج على منوالها فأخفق لان دراسته الاصلية كانت غير دراسة الدكتور صروف الذي تخرج على يد استاذ حكيم وعلم مبادي هذه العلوم قبل ان يؤلف فيها ، وسار على سنة التبرقي في موضوعاته ، تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

واذ كانت موضوعاته قد تمس الأديان والتقاليد في الاحابين كان يلزم الحياد على الاكثر فينقل بتصحيح السند والرواية ، ويترك المجال للناس يفكرون فيما يتلون وبتلى عليهم . وكان يتوخى ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث . ولم يكن ممن

يحسن الظن بمدينة العرب لتسببه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، ومع هذا نشر لمؤازريه أبحاثاً مهمة فيها بدون تعليق عليها الا في امور لا تحتلها حوصلته و يعتقد خلافها بحسب ما هداه اليه علمه وتلقفه من محيطه وبيئته ، وقد تضطره العاطفة الى ان ينوء بمن لا يستحقون الثن به فيترجم لهم ، و يقبل ترجمة من لا تروقه سياستهم من العلماء والعلماء من المعاصرين والغابرين . كل هذا وهو من التسامح العلمي على جانب عظيم . فكان في كل حياته الى الاعتدال ، بترك الصلح محلاً كما يقولون .

« ولو ظل المقتطف ^(١) يقبل المناقشة فيما يكتبه و ينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات ، وضاع المقصود من إنشائه ، فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المباحثات على ما أثبتنا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضياعاً بعد الوقت في الجدال سدى » « ومع ان للمقتطف مشرباً بصعب ان تقبله كل النفوس وأشياءاً يغالون في محبته وإجلال ما يصدر عنه ، نراه الى اليوم يراعي أكثر الاذواق استحياساً . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فالتجذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته . ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره ان يماري بعض المجلات في نشر الابحاث الأدبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الادبية ، فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في امور كثيرة بصح ان يقتلها اهل كل جبل وقيل ، ولا مسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين ، تلك الصحف التي تنصرف الى علم او عدة علوم لا لتعدهاها ، فتطيل فيها وتوسع ما شاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك ما دام اعل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أفلامهم ، وما عم العلم بيننا حتى ينحصر » « ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لا بد ان يسقط ولو قليلاً فيما بدعوه اخصاء لغوا او حشوا . ولعل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال يوماً لاحد كتاب المجلات انك يا هذا تملأ صحيفتك بالدم فوق اللازم ، فالاشبه بك ان تغمسها ما تغمض به النفوس ليشند بها القرم الى العلم » .

هذا ما قلته في المقتطف الأغر منذ ثنتين وعشرين سنة . وقد رأيت أول انشائه — ومنذ سنتين احتفل بعيده الخمسيني — يفتح صدره لأفلام الباحثين والمستفيدين والعلماء والادباء ، حتى كان مباءة لنشر افكار زمرة صالحة من رجال النهضة العربية في نصف قرن من الشاميين والمصريين والعراقيين وغيرهم . ولذلك دعي المقتطف بحق شيخ المجلات العربية ، وقد سار فيه منشئه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية بادية بدء ، ثم اخذ يعنى بالآداب العربية وما يستهوي العامة الى مطالعته ، خصوصاً عندما انبعثت شعلتها من مصر في الخمس والعشرين سنة الاخيرة ونبع من المصري علماء وادباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر . وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والاسماء الفنية نشرها بلسان مقتطفه فتناقلتها الافلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في التعريب وضعها في السنين الاخيرة حبذا لو يسير النقلة عليها لانها زبدة تجارب سنين طوييلة وهي خير الطرق في التعريب والاحتذاء . وكانت أجزل الله ثوابه على جانب من حسن الادب وتبحر في اخلاق العلماء المعاصرين هضم ما تعلمه فعليه من أيسر سبيل ، فرزق الخطوة بما كتب وعرب وكثر أحبابه والمحبوبون بمضائه من جميع الطبقات والتحل ، وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والمادية والادبية تخلد بين العالمين ذكره ، وتضمنه في الصف الاول من الذين حملوا قيس العلم والادب الى عقول العرب ، وكان مثال الدؤوب والصبر المتواصل ، لم يترك القلم من يده الى ايامه الاخيرة ، بلده عمله وبتعشقه ، ومن لا يحب موضوعه ويتشبع به يصعب ان يحمل الناس على حبه ، ويثبت في الناس دعوته ، ولذلك عُدَّ فقد هذا الرجل النافع بعلمه وعمله خسارة كبرى على العرب والعربية رحمه الله .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

مرآة الحرمين

كتاب قيم لا مثيل له في جزئين ، وضعه ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري فيه تفصيل اربع رحلات له الى الحج ، لم يدع امراً نفع معرفته الحاج من اهل المذاهب الاربعة او مرید الاطلاع على سفر الحجاز الا فصله تفصيلاً ، فهو من هذه الوجهة كتاب مناسب واق بال مقصود ، وكتاب تاريخ فيه وصف العادات المتخذة منذ نهضة المحمل المصري الى عودته بعد الحج ، ووصف المعاهد الاثرية ، وذكر تاريخ العرب وبداية الاسلام وانتشاره وفتوحاته ، وهو محلي بثلاثمائة وواحد وخمسين رسماً شمسياً بديعاً لماورد ذكره فيه من رجال ومعاهد وادوات وكتابات ، وبالجملة هو كتاب لا يتيسر وضعه فيما يتعلق بحج البيت الذي (رفع ابراهيم) قواعده لغير (ابراهيم رفعت) لما له من الولوع في هذا الامر ومساعدة وظيفته على تحصيل ما اودعه فيه من المعلومات الدقيقة والرسوم التي يمنع على غيره استقفاؤها ، طبع اجمل طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة وجعل ثمنه ذهباً واحداً مصرية ، وان رسومه البديعة وحدها لتسوى هذا المقدار .

وقد اُحييت ان يكون لي خدمة لهذا الاثر الجليل بتصحيح بعض هنات وجدتها فيه اثناء تصفحه وهي من الجزء الاول : ورد في صفحة ٢٦٢ سطر ٣ من امه صوابه هذا وامه . وفي ص ٣١٢ س ٢٣ يبدون صوابه يبدون لي . وفي ص ٤٠٥ س ٨ اجلاف صوابه في الحجاز اجلاف وفيها سطر ١٠ الناس صوابه الاجناس وفيها س ١٣ احلاف صوابه في الحجاز (او في الازهر) احلاف وفيها س ١٥ الناس صوابه الاجناس . وفي ص ٤٥٨ س ٥ قبل انشاء صوابه من قبل انشاء . وفي ص ٤٥٩ س ٢ من رجت صوابه من رجت .

ومن الجزء الثاني في ص ٢٠ س ٥ نبيع الخ البيتين صوابه مذان ليسا بيتين يليان البيتين قبلهما بل يتا واحداً مستقلاً عنها . وفي ص ٤٢ س ٥ بنده (انا) صوابه بنده (العبد) . وفي ص ٦٣ س ٣ قائما صوابه أقتما . وفي ص ٦٧ س ٩ الحائر والظالم

صوابه الذي تكلف النهوض كأنه يحمل نفسه . وفيه ص ٦٩ س ٤ فأيده صوابه
 زايد . وفي ص ٢٣٩ س ١٤ ابراجها صوابه ابرجها . وفي ص ٢٥٧ س ١٦ الرضوخ
 صوابه الأذمان . وفي ص ٢٦٨ س ٢١ تذاذ صوابه نذاذ . وفي ص ٢٦٩ س ٦ تحسبونها
 صوابه تحسبنها وفيها س ١٣ مال منه صوابه منه مال . وفي ص ٢٧١ س ٦ وعزواد
 صوابه وعزوداد . وفي ص ٢٨١ س ١٩ الحج صوابه الحاج وفيها س ٢٠ ذلك
 صوابه اولئك . وفي ص ٢٨٤ س ٨ يزبغ صوابه يزبغ . وفي ص ٢٩٩ س ٥ التفرير
 « وابه التمزير . وفي ص ٣٠٢ س ٢ اتباع صوابه ابتاع . وفيها س ٥ ولو يكن صوابه
 وان تكن . وفي ص ٣٠٩ س ٥ بلدرم صوابه يلدرم . وفي ص ٣١٠ س ٢٣ الفرض
 صوابه الفروض . وفي ص ٣٧٢ س ١٧ فما صوابه فيما . فجزى الله المؤلف أحسن
 الجزاء وله منا الشكر والثناء .

عضو المجمع العلمي

محمود الكوراكبي

—••••—

كتاب في الادب الجاهلي

« الله الدكتور طه حسين أستاذ اللغة العربية في الجامعة المصرية لاستفادة »

« الجامعة في السنين الاوليين من كلية الآداب »

الأستاذ المؤلف أشهر من ان يعرف ، وكتابه هذا بما رضع من أجله يزجع قدره
 الى حكومة البلاد التي يدرسه ابنساؤها ، واما تقدمه فلا أظن ان سيفوت الذين تقدموا
 من قبله صوره (في الشعر الجاهلي) ، وعند ذلك يتمحض موضع النقد منه ، والذي
 يقال عنه في مجلتنا الآن هو ان موضوع هذا الكتاب انكلام على هذا الادب الجاهلي
 المدون في الكتب شعراً ونثراً ، وأهم ما فيه المباحث المتعلقة بعدم الثقة في نسبة تلك
 الآثار الادبية الى من رويت عنهم ، وقد اتى المؤلف من ذلك بتدقيق تظهر الاصابة
 فيه بعضه ، لكن على كل حال هو بعد محتاج للتححيص ، ولا يجدر بالنشر قراءة شيء لم
 يفرغ من تقدمه ونخله فهو على وشك التهذيب والتعديل ، فالكتاب إذن يصلح لآب
 يقرأه مریدو التوغل في هذه الشعبة من فنون الادب ليطلعوا على ما فيه من أنظار

بعضها بدع في بابه ، وبعضها تلخيص لما سبق اليه المتقدمون ، فانه نتيجة اطلاق واسع وفكر جوال ، وهما بعض أوصاف المؤلف الأملعي . مسعود الكواكبي

== ❦ ==

نظرات في اللغة والادب

« تأليف الاستاذ مصطفى الغلاييني طبع في بيروت وعدد صفحاته مائتان »

يدور البحث في هذا الكتاب حول نقد (كتاب المنذر) في الأغلاط اللغوية المنقشية على الألسنة والأقلام . والاستاذان الغلاييني والمنذر من أعضاء المجمع العلمي العربي . و (كتاب المنذر) نشر في الأجزاء الأخيرة من مجلد السنة الماضية من مجلة المجمع . وقد أهدى الأستاذ مؤلفه نسخة من كتابه هذا الى صديقه الاستاذ الغلاييني وكلفه ابداء رأيه فيه ففعل وتبع ما كتبه في كتابه فوجد معظمه مصيباً فيه فأقره . لكنه نازعه في (ألفاظ صحيحة فصيحة جعلها المنذر من الخطأ والألفاظ ليست من الخطأ وإنما هي مما يجوز فيه الوجهات . والألفاظ خطأ فيها الكتاب وهي جائزة لكنها ليست من الفصح) الى غير ذلك مما رد فيه على المؤلف واستدركه عليه مستدلاً بأقوال اللغويين ونصوص المعاجم وتحكيم الاصول والأقيسة العامة للغة العربية . وختم الكتاب بمباحث في فلسفة اللغة (كالشذوذ والقياس) و (مفردات اللغة) و (تعديل القواعد) و (الاشتقاق) و (التعريب) . ويظهر من مجموع ما كتبه الاستاذ الغلاييني انه ميثال الى (التوسعة اللغوية) متبرأ كل التبرؤ من (الوسواس اللغوي) حاذباً في ذلك حذو الشهاب الخفاجي مذ قال في شرح الدرر (جزء ٧) « لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة لحجرتنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم » وقال الاستاذ المؤلف معلقاً على هذا القول في خطبة كتابه « فكل ما يوافق اصول اللغة مجازاً او تصريحاً او اشتقاقاً او قياساً وكان مقبولاً عند أصحاب الذوق السليم وكنا في حاجة اليه جاز لنا استعماله وان لم يستعمله الجدود . وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم وان ننظر نظرة صادقة في العرب بعد الاسلام وما اشتقوه من لغتهم وما أضافوه اليها من كلام غيرهم وما حرفوه

من ألقاظهم عن معناه الأصلي الى معانٍ آخر اقنضتها الحال واحتاجت اليها الحياة الجديدة . . . نرا العجب العجائب ونعلم ان هذا كان سرّاً من أمرار نهضتهم وامتداد ظل سلطانهم » .

وانا لنشكر لصدیقنا الاستاذ الغلابي عناية الجلي بابرار هذا الاثر اللغوي النفيس وندعو عشاق اللغة والادب لاقتناء كتابه هذا والاستفادة من علمه والاستضاءة بنوره .

المفربلي

المجموعة الكمالية

« في جغرافية مصر والقارة الافريقية لجامعها (البرنس) يوسف كمال »

« سنة ١٣٤٤ هـ طبع في ليدن من بلاد هولاندة »

كتاب بقطع ضخيم حجمه (٦٠ × ٧٥) وعدد صفحاته (١٠٧) وهو باللغة الفرنسية ومزين ببعض صور هذه الوثائق وكثير من المصورات الجغرافية : وهو الجزء الاول من مجموعة وثائق في جغرافية مصر وافريقية جمعها المؤلف بعناية زائدة وعناء شديد ، فجاء هذا السفر ذا شأن كبير أوثر جامعها العلامة نفراً عظيماً . فقد جمع بها وثائق تاريخية قيمة منذ عهد الهرم اي منذ سنة ٢٧٦٠ قبل الميلاد حتى عهد البطالسة في القرن الاول قبل الميلاد . ولا يسع كل من عانى هذا البحث الا ان يقدر بمجهود المؤلف وبطرب له ، لان هذه المجموعة او هذا التأليف الممتع ملاً فراغاً طاماً استغرق جهود كثيرين من العلماء . وقيمة هذا الكتاب العلمية وفوائده الجمة تجعلنا ننظر بفارغ الصبر أئمة هذه المجموعة النفيسة التي سنقع في عشرة مجلدات ولم يطبع منها سوى مائة نسخة فقط .

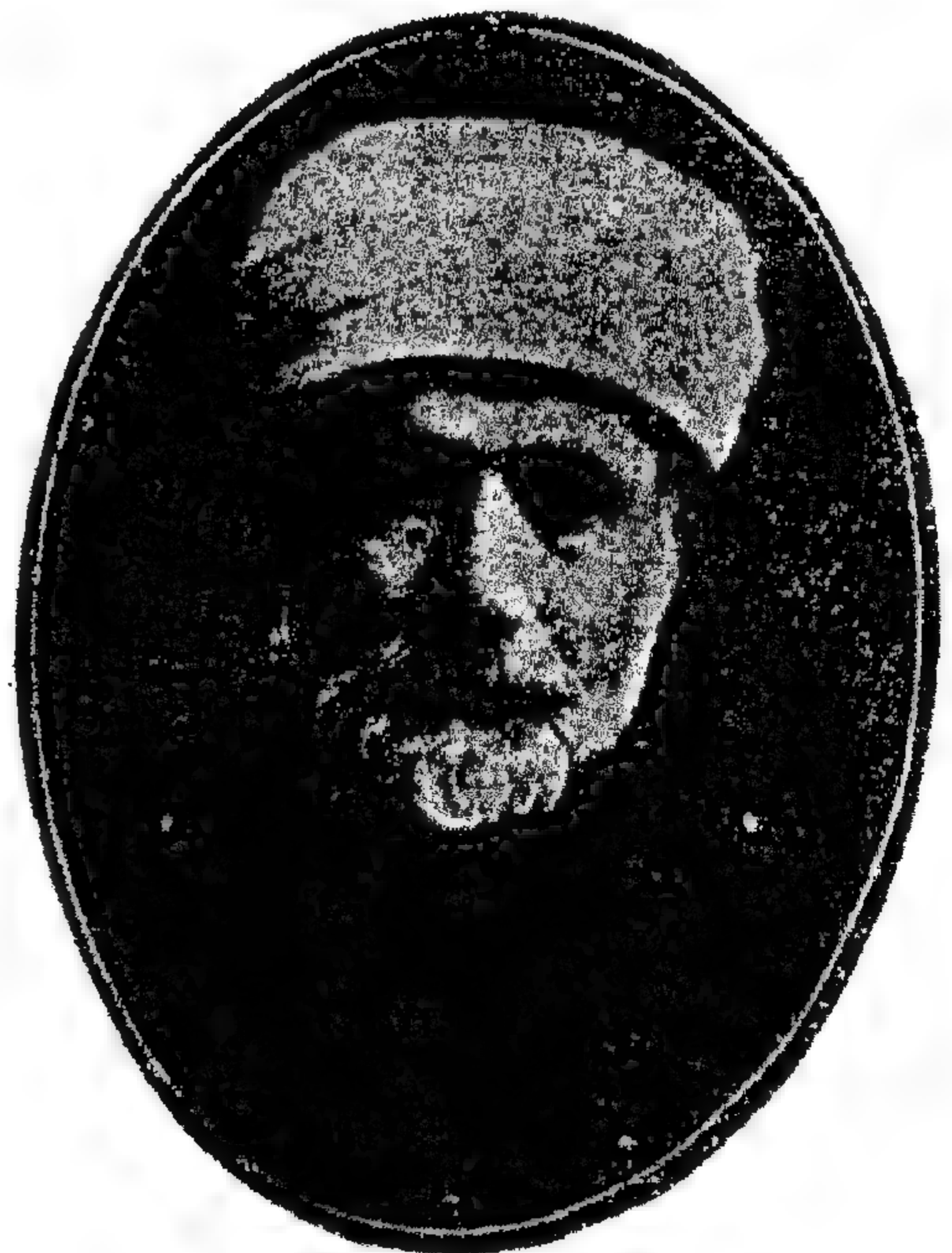
جعفر الحسيني



١ — السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي العربي)



٣ — الشيخ مسعود انكواكي (عضو المجمع العلمي العربي)



الشيخ عبد القادر المغربي (عضو المجمع العلمي العربي)



٤ — احمد نيمور باشا (عضو المجمع العلمي العربي)



٥- السيد محمد شيدرضا (عضو المجمع العلمي العربي)



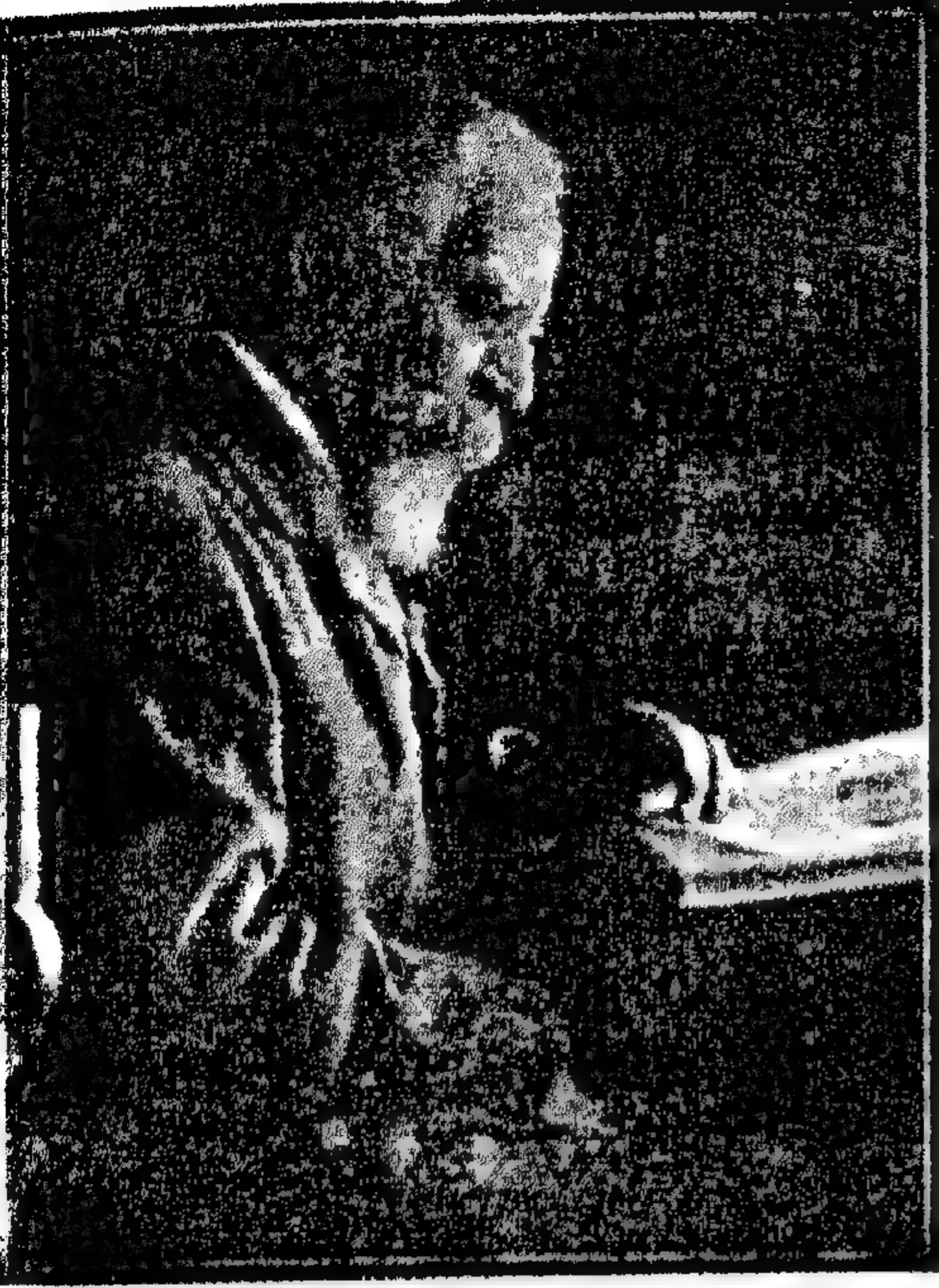
٦- الامير شكيب ارسلان (عضو المجمع العلمي العربي)



٧- السيد عباس محمود العقاد (عضو المجمع العلمي العربي)



٨- الاب انتاس ماري الكرملي
« عضو المجمع العلمي العربي »



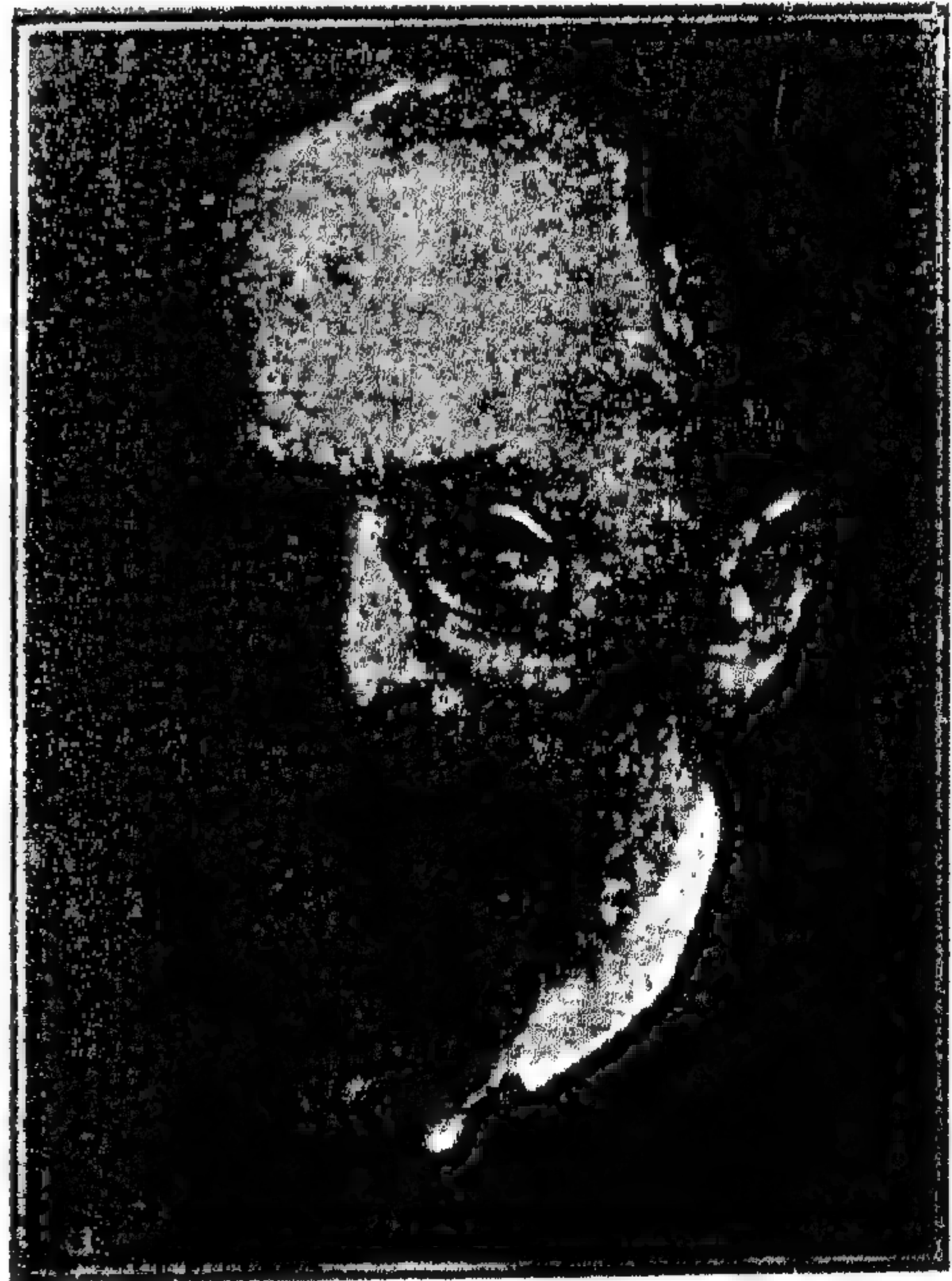
١٠ — السيدون اغناطيوس جويدي
« عضو المجمع العلمي العربي »



٩ — احمد لطفي بك السيد (عضو المجمع العلمي العربي)



١٢ — الشيخ كامل الغزي (عضو المجمع العلمي العربي)



١١ — السيد هومل (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٢ — الشيخ احمد الاسكندري
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢١ — الشيخ احمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٤ — السيد جبرضة ومط (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٣ — السيد مصطفى الغلاييني
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٦ — الفيكونت فيليب طرازي
« عضو المجمع العلمي العربي »



— الشيخ عبد القادر المبارك (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٨ — الامير مصطفى الشباني
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٧ — السيد حسن حسني عبد الوهاب
« عضو المجمع العلمي العربي »



٣٨ — السيد عبدالله نخلص (عضوالمجمع العلمي العربي)



٣٧ — السيد عبدالله رعد (عضوالمجمع العلمي العربي)



٤٠ — السيد احمد امين (عضوالمجمع العلمي العربي)



٣٩ — الدكتور احمد عيسى (عضوالمجمع العلمي العربي)



٤١ — الشيخ ابراهيم منذر (عضو المجمع العلمي العربي) ٤٢ — الامير جعفر الحسيني (مدير دار الآثار العربيه)



٢٩ — السيد فارس الخوري (عضو المجمع العلمي العربي) ٣٠ — السيد خليل مردم بك (عضو المجمع العلمي العربي)



٣١ — السيد امير يماني (عضو المجمع العلمي العربي) ٣٢ — السيد زكي مغامس «عضو المجمع العلمي العربي»



٣٤ — السيد عبد الباسط فتح الله
« عضو المجمع العلمي العربي »



٣٣ — السيد احمد حسن الزيات
« عضو المجمع العلمي العربي »



٣٥ — قسطنطين بك الحمصي (عضو المجمع العلمي العربي) ٣٦ — السيد انيس سلوم (عضو المجمع العلمي العربي)





١٤ — المنسيور جرجس منش (عضو المجمع العلمي العربي)



١٣ — الشيخ بدر الدين النعساني
(عضو المجمع العلمي العربي)



١٦ — احمد شوقي بك (عضو المجمع العلمي العربي)



١٥ — الاب آسين بلاسيوس (عضو المجمع العلمي العربي)



١ — الدكتور محمد اجمال خان (عضو المجمع العلمي العربي)



١٨ — السيد بروكمان (عضو المجمع العلمي العربي)



١٩ — السيد هورفيتز (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٠ — الماركو ارتوري (عضو المجمع العلمي العربي)

مَجْلَمُ لَعَلِيَّ الْعَرَبِيَّ

(دمشق): شباط سنة ١٩٢٨ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٦ هـ

علائق الحبشة بالبلاد العربية^(١)

« في الجامعة وفي الاسلام »

(قدم الحبشة واستقلالها) — الحبشة أيها السادة من أقدم ممالك العالم ان لم اقل اقدمها ، وهي الوحيدة بين ممالك الشرق ، التي حافظت الى يومنا هذا على كيائها واستقلالها ، على الرغم من امواج بحور الاطماع الاستعمارية ، التي طالما لاطمتها فالتفتها صخرة صلبة انكسرت عليها مياهها المذبذبة . دخلها اليونانيون الاقدمون جاليات في عهد بطليموس (Ptolémée) الثالث ولكن لم يحكموها ، واكاسرة الفرس مع قرب دارهم واتساع ملكهم لم يملكوا يوماً شبر ارض فيها ، وقياصرة الروم الذين دوخوا الشرق الادنى في آسية وإفريقية لم يتسلطوا عليها ، وغزاهم دراويز السودان اكثر من مرة فعادوا على أعقابهم خامرين ، وفتحها العرب سنة ١٥٤١ فلم تطل إقامتهم في قلبها ولم يستتب لهم فيها امر حتى أنجد البرتغاليون الأحباش فطردوا الفاتحين ولكنهم ظنوا ان الجو صفا لهم ، فأقاموا نفوسهم مكان العرب ولكن لم تطل مدة استعمارهم ، وفتحها الانكليز عنوة سنة ١٨٦٨ بجيش جرار مستكمل العدة والسلاح ، ومستوفي الميرة والذخيرة ، ودمرت قنابلهم عاصمتها مكديلا فوق رأس المنجاشي ثيودورس الذي انتحر يومئذ من شدة الغيظ ، ولكنهم لم يأنسوا من نفوسهم بعد ذلك النصر كفاءة لاستعمار تلك القلاع الطبيعية النائية الدار الصعبة المسالك فاكثفوا من الفتح ان عقدوا

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد عبد الله رعد احد أعضاء المجمع لعلي العربي

ألقاها في بهر المحاضرات في السنة الماضية .

معاهدة مع خلفه النجاشي بوحدس واخلوا له بلاده ، وحمل عليهم المصريون حملات متواليات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٦ في عهد الخديو بين محمد علي واسماعيل ، وكانت هذه الحملات انكليزية أكثر مما هي مصرية ، إبتغوا منها فض معضلة النيل بيسط السلطة الانكليزية على أعالي بنابعه ومجاريه في الأستقاع الحبشية ، وكل حملة كانت تعود بالغبية على أعقابها بعد تكبدها الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، وحاربهم الطليان فانكسروا شر كسرة في موقعة عدوى سنة ١٨٩٦ ، ولم تجد الالمان دسائسهم واموالهم وموارياتهم السياسية فتيلاً فيما اشترأت اليه أعناقهم وزينت لم اطاعهم في ارض الحبش فذهبت أحلاماً تحفر في قلوبهم ، على حد قول راستين شاعر الفرنسيين .

قال نخامة هازري دي جوفنيل مندوب فرنسا في جمعية عصبة الامم وعميد الدولة المنتدبة في سورية السابق ، في مقدمة له على كتاب سعادة المسيو بينراييب « كل فعل نفعله الدول الاوربية تبغي من ورائه بسط لواء سلطتها على الحبشة سواء كان ذلك بالفعل مباشرة او بالدسائس ، انما مصير الاخفاق » . وقال ايضاً بعيد هذا « لانظرون الى المشكلة الحبشية نظرنا الى مشكلة استعمارية بحثة ، ولا نريد لها كباقي المعضلات الافريقية فتحلها بالتجزئة الى مناطق نفوذ تناسب مصالح الحكومات المصافيتها ، بل ينبغي ان نحسبها مشكلة دولية وان نحلها بروح دولية مشتركة » . ولقد قرن القول بالفعل اذ عمل على ادخال الحبشة في عصبة الامم .

على ان الحبشة لم تعيش عشرات القرون في عزلة عن شعوب الارض بل كانت مدى حياتها على اتصال دائم بالامم وخصوصاً بجاراتها العربيتين اليمن ومصر ، اللتين كان لهما معها تجارة واسعة . حاربت جيرانها وحاربوها ، كبرت وصغرت ، فتحت بعض بلادهم وفتحوا بعض بلادها ، سنة الله في الامم والشعوب والممالك ، كسنته في الفرد يسعد ويشقى ويفقر ويغنى ولن تجد لسنة الله تبديلاً . الا ان كيان الحبشة الاساسي واستقلالها الداخلي والخارجي كانا في كل زمان ولا يزالان الى يومنا هذا أمنع من عقاب الجو . على ان امتزاج الحبش بالامم الغربية اثر في حضارتهم وعوائدهم واديانهم ولغاتهم حتى وفي لون بشرتهم وملامح سماتهم ايضاً . قال المسيو بينراييب عن تأليف

(James Bruce و Maurice Delafosse) عن كتب النقاة من المؤرخين
الاقدمين « ان الحضارة الحبشية نشأت في جزيرة العرب فحملها اليمايون الى شرق افرىقية
منذ عهد بعيد ، ومنت بامتزاجها بالحضارة المصرية » وقال ايضاً بعيد هذا « وانا لآرى
الحبشة خلال العصور السالفة يشاركون شديداً الاشتراك حياة ذلك الشرق الذي
انبزغت لنا منه شمس حضارتنا وانبثق لنا منه نور عقائدنا » (يعني اوربا بضمير الجمع)
وختم الموضوع بقوله « يستدل من هذا ان الحبشة كانت في ذلك الزمان . شرع
المفارق ، اي نقطة الاتصال بين حضارة البلاد المتصلة ببحر الروم ، وبين حضارة
البلاد المتصلة ببحر الهند ، وان أقل ما يقال عن الاحباش انهم أمة افريقية لا وجه
للشبه بينهم وبين سائر الافريقين العبيد ، لا في اصلهم ولا في عقليتهم ولا في
اذواقهم ولا في تقاليدهم (عني بالتقاليد حضارتهم وعاداتهم وعقائدهم) . ثم تسأل
هل هم يا ترى من نسل سام حقيقة أم من نسل يافث » انتهى .

ونحن نجيبه بالمعزى الذي توخاه هو نفسه من بديع شروحه . ان الحبشة ساميون
بلا رية ولا شك ، باجماع آراء العلماء والفلاسفة والمؤرخين ، تشهد على ذلك ملامح
وجوههم وهي أقرب شبيهاً الى النسل الأبيض منها الى العبيد . وبهذا دلالة على ان دماءهم
كثيرة الامتزاج بدماء الامم العربية والمصرية . ولم تدعهم العرب حبشاً الا وعنت
بهذه الكلمة صفة الاختلاط في الاجناس الادمية . تشهد لذلك لغتهم فهي حميرية
الاصل كالعربية وفيها الشيء الكثير الذي يشبه لغتنا من حيث الوضع واللفظ والاشتقاق
والوزن والاعراب ، حتى ان مئات المفردات من الكلام تفيد نفس المعنى في العربية
والحبشية معاً ، منها ما هو حبشي الاصل فصار عربياً فصيحاً كالمنبر والمصحف ومنها ما هو
عربي الاصل صار حبشياً كالعين والرأس ومنها ما هو مختلف في حبشية اصوله ام عربيتهما
والأصح ان يقال فيه ان كلا اللغتين اشتقنا من الحميرية وهي ام اللغتين الشقيقتين .

(ادبيات الحبشة) — ا وثنيتهما = دانت الحبشة اولاً كسائر الامم القديمة
بالوثنية فعبدت الاصنام وبعض الحيوان والنبات . ومن معبوداتها من الاصنام ما كانت
عبادته شائعة عند عرب الجاهلية كاللات والعزى ويحير وما لم تعبدتها العرب كعزيرم

ومدر ، ومن الحيوان الحية وقد شاعت عبادتها في الحبشة قبل ان يأتيهم دعاة اليهودية الذين هودوهم ، ومن النبات بعض الاشجار وهي لا تزال الى اليوم موضع اجلال ونذور عند قبائل الكالا . قال المستشرق الكبير العلامة (Ignacio Guidi) احد أعضاء مجمعنا العربي في محاضراته التاسعة والثلاثين في الجامعة المصرية « تزعم الحبش ان منيلك بن سليمان اول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل تخريم وبحير وميدر ثم انتصر من ثنتر من ملوكهم ، وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم اي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلاً ثم انتصرهم . واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على انتصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم تكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي : « نصبتُ منبراً هنا لتعزيم ولبحير ولمدر » ثم في كتابة أخرى : « نصبتُ منبراً لرب السماء الذي أعاني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وانا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم انه ملك نصراني لا وثني لانه في الكتابة الاولى يسجد لصنم ثم في هذه يسجد لرب السماء وهو الله . وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم » اه .

ومن عجيب ما بقي من اثر عبادة هذه الاصنام ، ان المسيحيين الاحباش ابقوا اسمي بُحير ومدر في أسماء الله جل جلاله ، فبحير كانت على ما يظهر آله السماء ويقال له بالعربية المشتري (Jupiter) وهو اكبر معبود عند اليونانيين الاقدمين . ومدر كان آله الارض . فيقولون اليوم اكزي بُحير وميدر اي آله السماء والارض يعنون به الله الخلاق العظيم دون الخليفة من الطواغيت .

٢ يهوديتها = واذ أمها اليهود منذ عشرة قرون قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ ايضاً ، هودوا القسم الاعظم من الحبشة ومنهم الامراء والملوك والناس على دين ملوكهم . وقد اُضيفت في ذلك الدور شرائع الحبشة الدينية والمدنية صورة طبق الاصل لشرائع مملكة اسرائيل . ودامت على هذا الطراز لا الى دخول النصرانية اليها فحسب ، بل ان معظم حضارتها الحالية ، والشئ الكثير في حفلاتها الدينية والمدنية حتى يومنا هذا ، مقتبسة عن عوائد هيكل سليمان وبلاط ملوك اسرائيل ، من ذلك ان قساقبتهم ترقص في

بمعهم كما كان يرقص داود النبي صاحب الزبور وكهنه أمام تابوت العهد ، ضاربين بالدفوف والصنوج وعازفين على المزمار والقيثارة كما كان يفعل كهان اليهود في ذلك الزمان الغابر . وكما كان سليمان الحكيم يجلس على كرسي القضاء ليقتضي بعدله المشهور بين رعيته كذلك يجلس النجاشي مرة في كل اسبوع ليسمع بنفسه شكاوي أمته وظلاماتها ويتصف بينها المظلوم من الظالم ، وليس لعظيم ولا لامير ولا لاي كان من الحكام ان يمنع احداً من استصراخ الملك في امر قضيته . . . والحبشة الى اليوم يطهرون صبيانهم بالختانة على سنة اليهود اولاً ثم يصبغونهم بماء المعمودية على سنة النصارى .

ولما انتصرت الحبشة الي بعضهم الا ان بقي على يهوديته فنزحوا الى جبال السمن حيث القوا لانفسهم مملكة صغيرة ومذكوا عليهم فنياس من سبط يهوذا فعرفت هذه المملكة الى اليوم باسم مملكة فلاشا . والى فنياس يمت رؤساء الفلاشا اليوم اي انهم يزعمون كالتجاشيين الانتساب الى صلب سليمان الحكيم . على ان استقلال هذه المملكة الصغيرة لم يدم طويلاً وهي اليوم خاضعة لصولجان التجاشي .

٣ نصرانيتها = في السنة السبعين للميلاد حج امين خزائن المملكة يهوديت صاحبة اكسوم الى اورشليم ؛ يسجد في الفصح في هيكل سليمان على سنة اليهود ، وكان هذا الوزير حبشي خصباً « ومن الغرائب ان أمناء خزائن التجاشيين اي وزراء ماليتهم ، لا يزالون الى اليوم ينتخبون من الحصيان » واذ كان صاعداً من حجه صادف على الطريق في غرة القديس فلتهس اول الشمامسة وهو من رسل المسيح السبعين ، فنصر على يده كما روي في فصل أعمال لرسل من كتاب العهد الجديد . واذ بلغ الحبشة بشتم ملكته التجاشية بالانجيل فنصرت ونصر معها قوم من المقربين ولكن ما عتحت الحبشة ان عادت الى يهوديتها بعد موت التجاشية يهوديت وذلك الخصب . حتى كان القرن الرابع للميلاد الذي فيه عمت النصرانية بلاد الحبش ، وكانت نصرانيتها على بد شاب فينيقي يدعى (Frumence) ابن اخي الفيلسوف السوري ميروبيوس الحكيم . وكانت لهجته الى الحبشة قصة تخرج تفاصيلها عن ملاك هذه المحافظة . ومن ذلك العهد دامت النصرانية مذهب التجاشيين ، وان الشعوب على دين ملوكها .

٤ اسلامها = اول ما دخل الاسلام الحبشة في عهد النبي (ص) اذ هاجر اليها

الصحابة هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في دينهم من قريش وقد أفردنا لهذه الهجرة فصلاً مخصوصاً من هذه المحاضرة . ثم لما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام اخذوا يبشرون الدعوة اليه في البلاد القريبة اليهم وبهذه الصورة انتشر الاسلام بالارشاد والاقناع في انحاء الحبشة الساحلية كبلاد هرر والصومال والدناكل والعدل والوآو والاغاو وسوهو على يد التجار ، فالحبشة كانت ولا تزال الى اليوم كثيرة العلاقات التجارية مع البلاد العربية . واذ بعث الخلفاء الراشدون سرايهم وكثائبهم فنزوا البلاد ، ودوتخوا الامم في آسية وافريقية حتى وفي اوربا ايضاً . وقصد المسلمون في هذه الفتوحات التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار ، لم يحولوا نظرهم الى الحبشة وهي جارتهم حتى القرن السادس عشر للميلاد . وسأذكر بعيد هذا حديث فتح الحبشة بجيش من مسلمي سواحل شرق افريقية بقيادة الامام احمد .

(اصل الأحباش) — ذكر المسيو بيهير آيب في كتابه القيم الذي دعاه « مملكة الإنجاشيين » ورأيه في ذلك رأي معظم العلماء الذين بحثوا في مواضع اصل الامم « ان قوشا ابن ابن توح عليه السلام ذهب ببنيه وولداه الى ارض الحبشة عن طريق مصر والسودان فسكنوها وفيها توالدوا ونموا وتكاثروا وملأوها بنسلهم وأعقابهم ، وان أحفاد قوش هم الذين بنوا مدينة اكسوم قبل عهد ابراهيم خليل الرحمان عليه السلام » .

مدينة اكسوم ايها السادة هي اول عاصمة في الحبشة وأقدم مدنها بل قل هي من أقدم مدن العالم . فيها الشيء الجلل من الآثار القديمة ومسلات (Obélisques) عجيبة واعمدة ضخمة وأبنية نفحة . فمن هذه الآثار ما عملت فيه أيدي الدهور فخطمته فدرست أجزاء له وبقيت أجزاء سبعة . ومنها ما ازدردت بالعصور واعاصيرها ولا تزال الى اليوم اطلالاً . فيها كثير من الكتابات بعضها مسارية وبعضها حميرية وبعضها يونانية وبعضها حبشية . ومن هذه الآثار ما هو أقدم عهداً مما ظن الرحالون الذين رأوها ويرجع تاريخها على الاصح الى عهد نجم الكلب المعبر عنه عند المؤرخين الأقدمين باسم (Constellation du Chien) . وأجمل ما يشاهد بين هذه

الآثار معبد عريق في القدم وفي وسطه عرش ضخم مهيب مصنوع من صخر الرخام المحبب المعروف بالغرانيت ، وعلى زواياه الأربع أعمدة مربعة الشكل . المعبد والعرش الذي فيه محفوظان الى اليوم جد الحفظ ، فالمعبد قُلِع منه الصنم الذي ربما كان فوق العرش وحول كنيسة يحج اليها الاحباش باحترام وثقى وهم يزعمون ان فيها لוחي الشريعة اللذين أنزلهما الله جل جلاله على موسى الكليم عليه السلام مكتوباً عليهما الكلمات العشر . ويروون ان هذين اللوحين المقدسين نُقِلا الى الحبشة عندما خرب البابليون اورشليم وهيكل سليمان . ويزعمون ايضاً ان هذا العرش هو الذي جلس عليه منليك الاول بن سليمان الحكيم من ملكة سبا ، لذلك قضت التقاليد الحبشية ان يذهب كل نجاشي جديد ويجلس على هذا العرش عندما يصلي على رأسه الاسقف ويلبسه التاج . . مثل هذه التقاليد كثيرة في نوارنج الملوك . اذكر لكم على سبيل المثل سلاطين بني عثمان فكانوا بقلدون السيف - في جامع محمد الفاتح وملوك فرنسا فكانوا يتوجون في كاتدرائية (Reims) .

اما تسمية الحبش بهذا الاسم فقد أجمع العلماء على انها مشتقة من قوش التي صارت بالنحت «حبش» على نوالي الازمان واللغات . وتسميتها (Abyssinie) بالفرنسية وباقي اللغات اللاتينية فانما هي تحريف عن كلمة حبشي اخذاً عن كتب البرتقاليين الذين استعمروا بعض أقاليمها او بالحري هبّئوا على مقدرات هذه الاقاليم مدة ما واضعيتها تحت حمايتهم . فالبرتقاليون يعبرون في كتابتهم عن حرف الشين بحرفي (ss) فكثبوا حبشي (Abessin) وهم يلفظون أبشين فقرأها غيرهم من الافرنج بلفظ السين المشددة اي أبسين ومنها اشتقوا (Abyssin) و (Abyssinie) . وزعم لبعض المؤلفين ان هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية (Abissus) وتعريبها الهاوية قالوا با في الحبشة من الاودية والوهاد ولكن هذه الرأي نبذه العلماء .

ولما اسم آخر (Ethiopie) . وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما (Aitho) وتعريبها أحرق و (Pso) الوجه ، قالوا لسواد وجوه قاطنيتها . وقد دعته بهذا الاسم الجالية اليونانية التي رحلت اليها في عهد القيصر بطليموس

(Ptolémée III Evergète) وهذه التسمية لا تزال الاعم الى اليوم والمستعملة عند الحبشة انفسهم .

(اول علائق الحبشة بالبلاد العربية) — رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد سليمان الحكيم . هي الرحلة التي ذكرتها الكتب المنزلة فضلاً عن تواريج الاقدمين وقصص القصاصين . القرآن الكريم والتوراة المقدسة والانجيل الطاهر أنوا على ذكر رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد الحكيم سليمان بن داؤود اي منذ نحو ثلاثين قرناً . تأليف عديدة شرقية وغربية ملأى بالفرائب عن هذه الملكة ذات الاصل الغامض والحكايات السحرية كأنها قصص الجن . من كانت هذه الحورية او الجنية التي افاضت الاقاصيص بوصفها جعلوا لها بشرة كالتحاس وعينين حمراوين كالعقيق ؟ أكانت حبشية ام يمانية ؟ أم يهودية ؟ كانت ام مجوسية ؟ تضاربت في ذلك آراء المفسرين فمنهم من قال ان سبا (بالسين) او سبا (بالشين) كانت مدينة في اليمن على عهد الحميريين ومنهم من قالوا بل كانت مدينة في شرق افريقية . قال فيها الدكتور (Mardrus) الافرسي في كتابه الذي عنوانه « ملكة سبا » واما تلك الملكة الآسيوية التي هام سر ذكرها فوق العقول والادب فان اسمها عند الشرقيين بمثابة صورة مقدسة باسناد اربعة : ذكرها في السورة الرابعة والثلاثين من القرآن الكريم (وهي سورة النمل) وذكرها في التوراة العبرانية المقدسة بلغة شعرية مقننة وذكرها في الانجيل الطاهر في الاصحاح الثاني عشر من بشارة متى ودام ذكرها في سلاسلها وهي الأسرة المالكة في الحبشة . . انتهى .

على ان الآراء وان تضاربت فملكة سبا التي رحلت تسمع حكمة سليمان بن داؤود النبي ملك يهوذا كانت بلا شك حبشية ، لان الاقدمين كانوا يسمون حبشة جميع البلاد التي طورها مصر آسيوية كانت ام افريقية ، يوم اذ كانت ملطة النجاشيين شاملة تلك البقاع حتى أواسط افريقية ، واذا كان البحر الاحمر خليجاً قائماً في وسط تلك المملكة الواسعة الارجله . قال سترابون : « الحبشة اسم تعرف به الارضون

الممتدة في الشمال » وذكر هوميروس صاحب الالياذة « ان الحبشة تمتد من البحر الى البحر » اي من بحر الهند الى بحر الظلمات او الاوقيانوس الاطلنطي .
 واذا نحر بنا أقدم الروايات في تفاصيل رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ، وجدناها في كثير من المخطوطات الحبشية القديمة الموجودة الآن في بعض المتاحف الاوربية ، وأهمها المحفوظة في ال (Bibliothèque Nationale) وهي المكتبة الوطنية في باريس ، وفي ال (British Muséum) وهو المتحف الانكليزي بلوندره وفي قصر آل (d'Abbadie) في شمال فرنسا . ومن هذه المخطوطات كتاب كبر راتكسنت (وتمري به عظمة الملوك) يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وقد نشره بالطبع العلامة المستشرق (wales Budge) حافظ المصاديات المصرية والاشورية في المتحف البريطاني .

رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ايها السادة ، وفيمة تاريخية لاجدال بصحتها ، ولكن في المخطوطات التي روت تفاصيلها اوهاام ومغالة وغرائب تحتاج الى الاثبات ، وأعجبها رواية لم ننوّه بها الكتب المنزلة التي جاءت على ذكر هذه الرحلة ، وليس لها أسناد أخرى في كتب قدماء المؤرخين الذين دونوها ، وهي : ان بلقيس كما دعاها العرب عن التقاليد الاسيوية او ميقادى كما يدعوها الاحباش عن مخطوطاتهم القديمة أعجب حسنهما الحكيم سليمان فاتخذها بين زوجاته وولد له منها ولد سماه منيلك . فلما شب هذا الغلام أرسله ابوه ملك المبرانيين الى الحبشة بحاشية كبيرة من رجاله فنزل عاصمتها اكروم وادخل الدين اليهودي وكانت الوثنية شائعة في تلك البلاد وخصوصاً عبادة الحية .

الاحباش مقتنعون كل الاقناع بهذه الرواية ، وهم ينزلونها منزلة الصحة التي لا ريب فيها ، ويقولون ان ابن سليمان هذا هو منيلك الاول ومن صلبه تسلسلت ملوكهم من ثلاثين قرناً الى اليوم . لذلك فاخر النجاشيون بهذا الحسب والنسب وكلهم ادعوا المت اليه من بعد النسب بين العاهل والآخر ولقبت الأسرة المائكة بالامرة السلمانية ، وملوكها بالقبائل مختلفة فيها صبغة الارث وصيغته عن جدم الموهوم سيدنا سليمان . فكان النجاشي نقلاً هيانوت مثلاً يلقب بعظيم ملوك الناصرة وبسبيل

النبيين داوود وسليمان ، والنجاشي يوحنا بن بلك صهيون ، والنجاشي منيلك الثاني بابن سليمان بن داوود حسب الجسد وبالأسد الظافر من سبط يهوذا ، وغيرهم من النجاشيين بما ضاهاها من الألقاب .

أنا ممن لم يقتنعوا بصحة هذه الرواية وأميل إلى رأي القائلين بأن هي الأخرافة لفقها قدماء الإغياش فنناقضنا عنهم الإحقاق وجماعتها عقيدة وطنية راسخة . ولذا لا بد لها من أساس وهو دخول الدين اليهودي إلى الحبشة من قديم الزمان ، فالظن الأساس الذي بنوا عليه هذه الخرافة التاريحية هو هرب بعض اليهود إلى الحبشة سنة ثلاثه أوان مختلفة عريقة في القدم : أولاً عندما تغلب ملك آشور على مملكة إسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبي أهلها ، ثانياً عندما افتتح بختنصر ملك الكلدانيين القدس وخرّبها سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم هيكل سليمان ولم يبق على عموم سكّان مملكة يهوذا الجنوبية وأجلا الأحياء منهم إلى بابل ، والثالث عندما نادى ملك فلسطين النينوس ابغاثوس اليهود العداء واضطهدهم سنة ١٧٤ . وفي هذه الأوان التاريحية الثلاثة جلا كثير من اليهود إلى مصر والسودان وسائر النواحي وخصوصاً إلى البلاد العربية كالشام والعراق والحجاز واليمن ولا يبعد أن قسماً من هؤلاء وخصوصاً الذين هاجروا إلى مصر العليا والسودان جاوزوها إلى الحبشة عن طريق الخطيرة وأقاموا فيها فان مناخ الحبشة الجبلي خير من مناخ بطائح السودان . والله اعلم .

(ذكر احتلال الحبشة اليمن) — قامت في أوائل القرن السادس حرب بين ذي نواس صاحب الأخدود وعمره وهو تابع يهودي وبين عرب نجران النصراني . وذلك بأن طمع ذو نواس بقبة نجران ولم تكن لليهود كعبة في اليمن فأراد إعلانه دينه بتحويل قبة نجران إلى كعبة يهودية .

قال ابن الأثير فسار ذو نواس فيجنوده إلى أهل نجران ودعاهم إلى التمهّد وخوّم بين ذلك والقتل فاخترأوا القتل فذلل عندئذ بهم وأفنى منهم قريباً من عشرين الفا بين قتل بالسيف وأحراق بالنار وخرّب كعبيهم . فأقلت منهم رجل يقال له دوس ذو أمّ بان وهرب على فرس له فسلّك الرمل ومضى على وجهه حتى أتى قيصر ملك

الروم (يقول المؤرخون ان هذا القيصر كان يوحنيوس الاول) فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم . فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه النجاشي ٧٠ ألفاً من الحبشة « يقول المؤرخون الاحباش ان هذا الحادث وقع في زمن النجاشي كالب او خالب وبعضهم يقولون خالب الاصهبان » وامر عليهم قائداً يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الاشرم . فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان فلما أحس ذونواس استنجد الأقبال فلم يتجدوه وقالوا يدافع كل منا عن بلاده . فسار اليه بن أطاعة من قبائل اليهود . فلما التقوا انهزم ذونواس واصحابه مقهورين ولحقت بهم الحبشة وأعمت السيف فأنت ثأثهم واختل ارباط اليمن واقام بها وخرب قصورها وأذل أهلها . فلما رأى ذونواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به وخاض ضحاضح البحر حتى أنفضى به الى غمره فأدخله فيه وكانت آخر العهد به . انتهى عن ابن الاثير .

وفي رواية أخرى ان الحبشة لما نزلوا بساحل اليمن ولم تنجد الاقبال ذانواس ، صنع مفاتيح وحماها على عدة من الابل ولقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك وحاروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجهه أصحابك لقبض الخزائن فنزق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقبال بقتل من يقد عليهم ففعلوا ولم ينج من الحبشة الا القليل فلما سمع النجاشي جهز حملة أخرى بقيادة ارباط وابرة فأنجحت الحملة الاولى وانزلت البلاء بذي نواس وقتلت ودمرت وأحرقت واستولت على اليمن واستعمرتها . قال في ذلك ذو جدر الحميري :

هوَ نَكَ لَيْس يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاثَا لَا يَهْلِكِي أَسْفَا فِي أَثَرٍ مِنْ مَاثَا

أَبْعَدُ يَبْنُونَ لَا عَيْنَ وَلَا أَثَرٍ وَبَعْدُ سُلْحِينِ بَيْنِي النَّاسَ أَبْيَاثَا

يَبْنُونَ وَسَلْحِينِ مِمَّا كَتَمْدَانِ مِنْ قُصُورِ الْيَمَنِ الَّتِي هَدَمَهَا أَرْبَاطُ .

قال ابن هشام : وهذا الذي عني سطيع الكاهن بقوله لربعة ليهبطن ارضكم الحبش

ولم يكن ما بين ابين الى جرش . والذي عني شق الكاهن بقوله لينزلن ارضكم السودان ولتلكن ما بين ابين الى نجران .

قال ابن اسحق : فأقام ارباط بارض اليمن بعض السنين في سلطانه ثم نازعه في امر الحكم ابرهة الحبشي حتى انمازت الحبشة الى كل واحد منها طائفة . ثم سارا احدهما الى الآخر برجاله فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارباط انك لا تصنع بان تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ، فأبرز الي وأبرز اليك فأبنا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده . فقبل ارباط بذلك وكان رجلاً عظيماً طويلاً فخرج ، وخرج اليه ابرهة وكانت رجلاً قصيراً لحناً وخلفه غلام يمنع ظهره . فرفع ارباط الحربة وضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم . وحمل الغلام على ارباط من خلف ابرهة فقتله فانصرف عند ذلك جنود ارباط الى ابرهة واجتمعت عليه كلمة الحبشة باليمن فحكمها .

فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عبد الله بن امير فقتله بغير امره ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يبطأ بلاده ويميز ناصيته . فحاق ابرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن وبعث به الى النجاشي وكتب اليه : ايها الملك انما كان ارباط عبدك وانا عبدك ، فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك ، الا اني كنت أقوى على امر الحبشة وأضبط لها وأمسوس منه . وقد حلفت رأسي كله حين باعني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارض اليمن ليضعه تحت قدمه فببر قسمه في . فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امري فأقام ابرهة باليمن .

قال ابن اسحق : ثم ان ابرهة بنى القليس بصنعاء والقليس هي الكنيسة التي اراد ابرهة ان يصرف اليها حج العرب وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء من بني فُقم من مضر اسمه الكِنَاني . والنساء هم العرب

الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيُحَاوَن الشهر من الاشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من اشهر الحلال ويؤخرون ذلك الشهر وهم ضرب من الخنائين قال ابن اسحق فخرج الكناني حتى اتى القليس وأحدث فيها ما بغض الحبشة وفر فلحق بارضه . فأخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقبل له رجل من العرب من اهل هذا البيت الذي فتح العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب عند ذلك ابرهة وحلف لـ «سيرة» الى البيت حتى يهدمه ، وكان ذلك باعثاً لقيام ابرهة على عرب الحجاز بحرب دامت شهوراً وتعرف بحرب النبل او عام النبل لأن ابرهة سار فيها بجنده راكباً فيلاً . وقد كان دليله رجل من عرب ثقيف من الطائف يدعى ابارغال . وذلك بان عرب ثقيف اصحاب الكعبة الجانية في الطائف التي كانت تنافس الكعبة الحجازية بمكة ارادوا هدم هذه الكعبة ليخلو لهم الجو فأرشدوا ابرهة الحبشي على الطريق . وقد مات ابرورغال على مقربة من مكة فرجعت قبرة العرب وهو القبر الذي لا يزال يرجمه الناس بموضع يقال له المغمّس على ثائي فرمخ من مكة على طريق الطائف .

ويروى ان ابرهة لم يوفق في هذه الحملة على نيل مرامه وعاد الى اليمن دون ان يمس البيت بسوء . ولما مات ابرهة ملك اليمن ابتسه بكسوم وبعد موته خلفه اخوه مسروق بن ابرهة . واساء الحبشة السيرة في اهل اليمن واشتد عليهم البلاء فقام سيف بن ذي يزن الحميري وطرد الحبشة من اليمن بمبارنة كسرى انوشروان وملك البلاد . وكانت مدة ملك الحبشة في اليمن اثنين وسبعين سنة . وبذلك تمت نبوءة سطيح الكاهن اذ قال لربيعة بن نصر « بل ينقطع (يعني ملك الحبشة على اليمن) لبضع وسبعين يمضين من السنين » ونبوءة شقر الكاهن اذ قال « ثم يستنمذكم منه عظيم ذو شأن » واذا سأله ربيعة من هذا العظيم الشأن قال « غلام ليس بدني ولا مدّن يخرج من بيت ذي يزن » .

« للبحث صلة »

تاريخ أو أسطورة؟

« ظفرتنا في الجزء الثامن عشر من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في تراجم من اسمائهم (يحيى) بهذه الرواية من خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأحببنا إطراف قراء مجلتنا بها خصوصاً وهي منقولة من مخطوط نادر من مخطوطات دار الكتب بدمشق .

يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي ، روى عن زيد بن أسلم ، روى عنه أبو طاهر موسى بن محمد الانصاري المقدسي ، أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني ، نا^(١) عبد العزيز الكثاني ، أنا عبد الوهاب بن جعفر ، أنا محمد بن عبد الله بن أحمد الربيعي لحافظ ، حدثني أبي ، حدثني محمد بن خليل الحلبي ، نا موسى بن محمد بن محمد بن طاهر الانصاري ، نا يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي من أهل البلقاء عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب كثيراً ما يحدثنا عن أخبار الجاهلية وأهلها ، ويقول : الأجل حصن حصين ، وكهف منيع ، ولقد أتت عليّ أحوال مهلكات ، فموت منها سالماً ، وكنت من أشد الناس إقداماً على ما يعجز عنه كثير من الناس ، من الدخول على الملوك ومباشرة الحرب ، حتى أتني وتقرأ من أقراني من قریش دون العشرة ، أقدمنا على مائة رجل من ذوي البأس في بعض طريق الشام ، وقد اجمعوا للقاء أقران لهم ، فمجننا عليهم ضحى ، فواقفناهم حتى ذهب النهار ، وجاء الليل ، فتمأجرونا وما ظفروا ما بشيء ، واقترب أصحابي بعد ذلك فرقتين ، فكنت في أقلهم عدداً ، فأقمت أنا ومن صار معي منهم بمكاننا ، وغدا الآخرون عنا يريدون البحر ، فذهبوا إلى الساعة ، فناعلم لاحد منهم خيراً ، وانطلقنا نحن إلى الشام ، فقضينا امرنا ، فلما هممنا بالانصراف ، طعن رجل من أصحابي فمات ، ومرت أنا وواحد منهم لم يبق معي غيره ، فلما نل نصف الطريق بنا حتى غشينا في ليلة ظلمة سيج فاختطفه وبقيت وحدي ، فأبيت مكة فأقمت بها أياماً . ثم توجهت لبعض الأما ، فبينما أنا أسير تغولت^(٢) لي الغول ، فقالت لي : أين تهمدي يا ابن الخطاب ، فقلت : وما عليك من ذلك ،

(١) التزمنا الرسم المصطلح في كتب الحديث من ذلك ان (نا) منحوتة من حديثنا

و (انا) من أنبأنا . (٢) تغولته الغول أضلته عن المسجدة .

فاستدار وجهها حتى صار من ورائها ، فرفعت السيف فأضرب ما بين كتفها وعنقها ، وانطلقت حتى قضيت حاجتي ، وحدثت نفسي ان لا آخذ في ذلك الطريق فأثبت على المكان الذي وقعت بالغول فيه فلم ار لها اثرًا .

فبينما انا اسير اذ سمعت صياحاً قد علا ولا ارى احداً ، فصارعني ذلك ولا استوحشت له وسرت حتى أتيت مكة ، وكان الناس يكثرون ذكر النعمان بن المنذر ويصفون اكرامه من بآتيه من قريش ، فتوجهت نحوه حتى أتيت اليه ، فوجدته جالساً في مجلس عظيم وقد كثر الناس فيه فجلست حيث انتهى بي المجلس ، فبينما انا كذلك اذ سمعته يدعو بقوم وجعبة فأتي بها ، فنكت السهام بين يديه وجعل يتأمل النام فاذا رجل قد طالم وعلا عليهم ، رشقه في اذنه بسهم فانشبه فيه ، وكنت رجلاً طويلاً فلما رأيت به فعل ذلك برجلين خفت ان يقع طرفه علي فيجعلني ثالثاً ، فتلطفت حتى خرجت ثم عدت الى مكة فلبثت بها حيناً .

ثم بلغني عن ملك من ملوك غسان انه من ابناء من قريش حباه وشرقه ، فلم يذمني ما شاهدته من النعمان ان توجهت حتى انتهيت الى باب ذلك الملك ، فأمكنك ايأما لا اصل اليه ولا يؤذن لاحد عليه ، ثم انه جلس جلوساً عاماً فدخلت في جملة الناس ، فاذا هو جالس في صدر مجلسه ، واذا في وسط داره أسطوانة طويلة واسعة الرأس ، فجعل يتأملها ملياً ، ثم أقبل على جلسائه فقال لهم : أترون انه لو اخذ رجل شاب ظاهر الدم حسن الجسم ، فذبح على رأس هذه الاسطوانة أكاب يسيل دمه حتى يبلغ الارض ، فقالوا ما ترى ذلك انها طويلة ، فأمر برجل نوصمه من بين الناس ، وقد نظر اليه على النعت الذي نعت به ، فأخذ وأصعد الى اعلى الاسطوانة فذبح فسال دمه حتى بلغ ثلثيها ، وانحدر قليلاً فقال : ما أراه بلغ الارض فلقد كانت به أدمة^(١) ، ولعله لو كان ابيض اللون كان دمه اكثر ، ثم تأمل الناس فلحظني بطرفه فظننت انه سيأمر بي ، ثم أجال طرفه وغفل عني ، فتلطفت حتى خرجت فعدت الى مكة ، فمكثت بها حيناً .

(١) آتة ممرقة .

ثم توجهت في تجارة الى الشام في رهط من قريش ، فيهم ابو سفيان بن حرب وكان مقصدنا غزوة ، فلما اتيناها وجدنا أسواقها قد تصرمت وبقيت بضائعنا ، فقبل لنا لو انتم دمشق لاصبتم بها حاجتكم ، فانطلقنا اليها حتى اتيناها فتسوقنا وبعنا واشترينا ما يصلح لبلادنا وخرجنا نريد طريق بلادنا ، فلما سرنا غير بعيد عرضت لي حاجة فخلت إزارى فاذا فيه صرة ذكرتها حين رأيتها فيها شيء من الذهب ، كانت امرأة من نساء قومي دفعتها اليّ وسألني ان ابتاع لها به بزا وما اشبه ذلك ، فقلت لاصحابي انظروني بمكانكم الى ان انصرف اليكم فقد عرضت حاجة لا بد من العودة فيها الى دمشق ، فأخبرتهم بامر المرأة فقالوا نحن نقيم عليك فلا نجسنا ، فرجعت حتى أدخلها مساءً فأبيت فندفاً بها ، فنزلته لأبيت فيه وأصبح على حاجتي ، فاني لنائم أتاني رجل حسن الصورة مكتمل فحركني برجله ، ففتحت عيني . فقال لي : من اين انت فقلت : انا رجل غريب دخلت في حاجة . فقال : انطلق معي الى منزلي . قال : فنهضت معه الى منزله فأحسن ضيافتي وبت عنده خير مبيت ، فلما أخذت مطبجي قام بصلي الليل كله حتى أدركه الصبح ، ثم أقبل علي فقال : لا تخرج الى السوق حتى اخرج معك فنقضي حاجتك . قال : وكأنت من يخرج الى الاسواق يحرز متاعه مخافة ان يختطف . قال : وأدرك الرجل النوم لسهره الليل كله ، فكرهت ان اوقظه وخفت ان احتبس انا عن اصحابي ان انا انظرته حتى يستيقظ ، فبادرت فأبيت السوق فاذا اكثر اهلها لم يأتوا ، فوقفت أترقب وانا في ذلك أتأمل اللام فاذا يطرئ^(١) من بطارقة الروم قد أقبل ومعه جماعة من الاعوان ، فرآني على تلك الحال فلم اني غريب . فقال لاعوانه : خذوا هذا فتم خادم الكنيسة هو ، فأخذوني فانطلقوا بي الى كنيسة لم فيها بناء قد استهدم ودفعوا اليّ مرآة . فقالوا : اهدم ، فظلت يومي كله أعمل في ذلك حتي أمسيت فخلوني ، فرجعت الى الفندق الذي كنت فيه اول الليلة الماضية وانا بجالة سيئة ، فيينا انا جالس فيه اتاني الرجل الذي كان أضافني فقال : اين كنت وما كان من امرك ، فاخبرته فقال : الم اوصك لا تخرج الى السوق الا معي . فقلت : انك بت تصلي فأصبحت تعبان واعجلني الامر

(١) البطريرق القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وورائي اصحابي ينظرونني وكرهت ان أعجلك من منامك . فقال : انطلق الآن معي ، قال : فصار بي الى منزله فأحسن ضيافتي ، وأوصاني ان لا أهنم كما صنعت ولا أخرج الا معه ، واخذني صلاته كما فعل في الليلة الماضية حتى اذا بات الصبح ونام خالفته ، فخرجت الى السوق فاذا بالطريق قد غشيني ، فقال لاصحابه هذا صاحبنا بالامس فخذوه ، فأخذوني حتى أوقفوني على موضع الهدم واعطوني المر ، فما زلت أهدم حتى انتصف النهار واشتد الحر وخلا الموضع فجلست احترج في ظل بعض تلك الحيطان ، فما شعرت الا وقد هجم عليّ الطريق فعلائي بسوط معه حتى اوجعني وقال : أتركت العمل وجلست ؟ قال عمر : فأبلغ مني فعله ، ونظرت عن يميني وعن شمالي فاذا ليس احد غيري فاجتذبه جذبة فسقط عن دابته الى الارض ، ثم ضربت هامته بالمر حتى فلقنها وهو في ذلك بصبح ويستغيث فلم يسمعه احد ، فطرحته عليه من ذلك الهدم وخرجت من المدينة هارباً لا التفث ورائي حذراً من الطلب ان يدركني ، وقصدت غير الطريق الذي فيه اصحابي ، فلما ابعدت من المدينة لحقني رجل من الروم يسير في بعض امره ، فسكنني بلفته فلم اعرفها ، واستراب بي وأحس في مخاطبتي بما لا اعلمه وانا مخاطبه بما لا يعلمه هو ، ثم أوماً بيده الى سيفه ليسله فبادرته فغلبته عليه وهرعته من بغلة كان عليها وضربته حتى قتله ، وندرت البغلة فذهبت واخذت حتى وصلت الى دير فيه جماعة من النصارى فدخلته فلما رأوني اطاقوا بي وسألوني عن حالي فأكثبت عنها وقلت : بما يعرف ديركم هذا قالوا : بدبر العدس . وانطلقوا الى أسقف لم يعرفوه خبري فأتاني فلما تأملني قال : اني لا أرى وجه خائف فقلت : وما ثري من خوفي فقال : كن كيف شئت فقد أمن الله خوفك ، ولا مكروه عليك ، اذ قد وصلت اليك ، وانزلني في بيته واحسن ضيافتي ، ثم سألتني من انا ومن انا فأخبرته وهو يتأملني ويحد مسألتي ، وبنت عنده فلما اصبحت قال لي : ما نشاء المساء ام الرحيل ؟ فقلت : بل الرحيل فاذا هو قد جاءني بمحارة له قراء^(١) ذات لحم وشحم فأوكفها^(٢) وحملها خرجين

(١) القراء ما لونه القُحرة يقال حمار أقر واتان قراء والقُحرة لون الى القُحرة

وقيل يابض فيه كُندرة . (٢) او كفه شد عليه الا كاف كآ كفه .

فيها طعام وطُرف. وتُحَف وقال لي : اركبها وانطلق فانك لن تأتي على احد من
النصارى فبراك عليها الا احسن ضيانتك وحفظك واكرمك وجوزك ، ثم اخذ بيدي
فخلا بي من وراء الدير فقال لي : يا عمر قد وجب حتي عليك فقلت : اجل فقال :
وانت رجل من قوم كرام ولي اليك حاجة فاقضها فقلت : اذكرها واني لا عجب ان
يكون لمثلك الي مثلي حاجة وانا رجل غريب على الحال الذي ترى فقال : اني رجل
عندي علم من الكتاب وقد نقرست فيك ، ولن تنتضي الايام حتى يتغير ما عليه الناس
وينقلون الي حالة أخرى ، وتلي انت هذه البلاد وينفذ امرك وحكمك فيها وفي اهلها ،
واخرج من كه دواة وصحيفة فقال : حاجتي ان نكتب لي كتاباً يكون في يدي
باسقاط الجزية عن هذا الدير ومن يسكنه فقلت : ما كنت اراك تجهزاً بي فقال :
وما كنت اراك تسي في الظن ، والذي ازل الانجيل على عيسى بن مريم ان الامر
لحق كما قلت لك فاكتب لي بما سألتك قال : فكشيت له بما سأل وانطلقت فما اتيت
على قوم من النصارى الا ضيقوني وجوزوني وارشدوني الطريق وشيعني بمضهم الي
بعض حين رأوني على حمارة الاسقف حتى انتهيت الي تبوك فاذا اصحابي نزول على
رُكي^(١) فلما رأوني نهضوا الي ومروا بورودي عليهم وقالوا : يا ابن الخطاب حبسنا
بالمكان الذي خلفنا فيه ثلاثاً . ثم لما يشنا منك سرنا وبنا منك هم شديداً ، فما كان
من شأنك فأخبرتهم خبري غير الذي قاله لي الأسقف فاني لم اذكره لم لضعفه كان
في نفسي . وقال لم ابو سفيان حين رأني راكباً تلك الحمارة : اما نرون هذا النسي
واقبال امره انه منذ نشأ لو عمد الي حجر لانتلق له عن رزق قال : وكان الأسقف
قد اوصاني اذا وصلت الي اصحابي واستغثيت عن الحمارة جعلت رسنها في احد
جانبي الخرج وأشد الخرجين عليها شداً متقناً وادعها بمكانها حيث كانت ففعلت بها
ذلك . فقال لي ابو سفيان : ما هذا فقلت : ما ترى فقال : ندع حمارة مثل هذه
معرضة للصوم والسباع فقلت : بهذا امرني صاحبها وهو اعلم بشأنها مني قال :
فسي ذلك الموضع والرُكي الذي فيه رُكي الأتات .

(١) الرُكي جمع رُكية البئر ذات الماء .

وسرنا حتى اتينا مكة ودار في نفسي ما سمعته من كلام الأسقف فأمررت ذلك الى حاضنة لي ذات فهم وعلم فقالت لي : يا ابن الخطاب فاني لم ازل اتوسم فيك الخير وانت صغير وذاك اني رأيتك يومئذ فيما يرى النائم وانت تطول حتى لم استطع النظر الى وجهك لطولك ، ثم مدت يدك اليمنى فقلت بها السماء فقلت في منامي : ما بال ابني فقال لي قائل : انه سينال خير الدنيا والآخرة قال : ونحن في جاهلية لا نعرف معنى هذا الكلام . وكان بمكة رجل من اهل الكتاب يخفي امره ويكنم شأنه ، الا ان اكابر قريش يعرفونه ويكرمونهم وربما شاوروه في الامر يحدث لهم . فطرقته نصف النهار ودخلت عليه فقلت له : أغلق الباب فان لي بك خلوة ففعل . ثم قلت : اني اذكرك حديثين وأمرهما اليك فلا تخبر بهما احداً فقال نعم : فقصصت عليه ما قال الأسقف بدير العدس وبما اخبرني به حاضنتي من الرؤيا فلما فرغت اقبل عليّ فقال : يا ابن الخطاب اما ما ذكره الأسقف فهو اليوم اعلم من بقي على وجه الارض من النصارى وما أخبرك الا بالحق ، واما الرؤيا فانه سيحدث بمكة عن قريب امر يتغير به جميع ما ترى ، وقد اظلم ، فاذا رأيت ادائه يا ابن الخطاب فأخبرني فان فيه مصداق ما أخبرك به الأسقف فقلت : وما هو فقال : لن يخفي عليك فاول امر تراه يحدث فهو هو قال : فانصرف من عنده وانا أتوقع ما قال . فمات بعد ايام وظهر من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء تحدث به قوم من قريش وجعلوا يتذكرونه بينهم على سبيل الهزوء فقلت في نفسي : لئن كان هذا حقاً لهو الذي اخبرني به الرجل الكتابي . ولم يزل ذلك يقوى حتى أظهر الله الاسلام قال : اسلم فلما كانت في خلافة عمر توجه الى الشام فأناه شيخ كبير ومعه جماعة من النصارى حين نزل عمر الجابية فسلم عليه وقال : ما تعرفني يا امير المؤمنين فقال : ان كنت صاحبي بدير العدس فاني اعرفك قال : انا هو فقال عمر : فان عهدي بك وانت مكتمل وقد بلغت الآن هذه الحال . وقد اتى الله جل اسمه بالاسلام فما يمنعك من الدخول فيه وانت رجل من اهل الكتاب . وقد كنت اخبرني بشيء فرأيت من نبائه ما استدلت به على انك من علمائهم ، عندي في ذلك مقول لا احفظه . ثم أظهر الكتاب الذي كانت عمر كتيبه له يوم نزل به فعرفه عمر وقال : ما تسأل قال : اسأل ان تمضيه لي فقد تقدم به امرك ووعدك .

فقال : انا يومئذ كنا واباكم على حالٍ قد علمتها . وقد ازالها الله وجاءنا بغيرها . ولا بد من احد امرين اما الخراج واما الضيافة . فاختار الضيافة فالزمهم اياما عمر وأسقط عن ديره الخراج على ان عليهم ضيافة من نزل هذا الدير من المسلمين اذا كان عامر سبيل ثلاثة ايام بطعمونهم ما يحل لهم من اوسط طعامهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقال عمر : ما اعرف لاحد عندي بدأ منذ كنت حتى من الله علي بالاسلام غير هذا الرجل ، يعني ما كان منعه به أسقف الدير . وعرض عليه المكافأة من ماله فلم يقبلها . وانصرف الى موضعه واصحابه راضين بما ألزمهم عمر من ضيافة المسلمين اه .

—•••••—

الادب في البحر من

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

— ٢ —

(أسلوبه) . — ليس لشاعر الخط أسلوب خاص في صناعة الشعر بل كان ناسجاً فيها على منوال من تقدمه من فحول الشعراء واعظم من هذا حذوه منهم هو الشريف الرضي فارتفعت باحتنائه مرتبة شعرايي البحر عن شعراء البحرين ، ولكن الشريف لبث في سمائه محققاً صافياً ، وابو البحر تجده متباً دافئاً . والمقابلة بين الشعرين لا تجثم صاحبها الا عناء المقابلة بين الخشب ودرّ البحرين ، وهو يؤثر الجزالة في القول على السهولة والادب من اهل بلده يرون ان نغامة الشعر لا تكون الا في الجزل ، وان الركة في الرقة والكلام السهل ، على ان لكل منهما مقام معلوماً ، وهذا الشاعر الغنوي يعرب عن رأيه في قصيدة لامية لابي البحر قائلاً : « ونحى فيها عنى الرقة وتساهل في النظم لغرض في نفسه والا فمذهبه في النظم على خلاف هذا » وقد اكثر في شعره من ذكر بلاد البحرين ومنتجاتها من درّ وقمر وغير ذلك مما هو طابع على شعره يعرف بها تاليه ، ولم يعلم قائله بانه شعر بجزائي لاشاعي ولا صناعي وذلك من محاسن شعره . والبيان العربي وان كان واحداً الا انه يستعذب ان يكون لكل قطر بيان ذو طابع

خاص كما ان الاذن تستلج لمجات الاقطار العربية المختلفة ولا يخرجها ذلك من كونها لغة عربية واحدة .

لقد بلغ فساد البيان في البحرين مبلغاً جعل مثل الشريف ماجد وهو من كبار أدباء البحرين اذا سمع قصيدة جيدة لابي البحر يلحقها بشعر البختري وهو امة في الشعر وحده قال الغنوي راو يته بعد ان أنشد الشريف ماجداً قصيدته التي مطلعها :

(هلام بغادي جوكم ويراوحه ونشر ثناء ننتجيجكم روائحه)

ان الشريف العلامة أعجب بها وألحقها بشعر ابي عبادة الوليد بن ابي عبيدة البختري واين هذه القصيدة ليست مما يفرق بينها وبين اشعار ابي البحر العادية وليس احد في عصرنا ممن يشق غبار ابي البحر في جودة السبك وجزالة اللفظ وبكارة المعنى وسلامة النظم .

احتذى ابو البحر الرضي في دالته التي رثى بها الصابي حينما اراد ان يرثي قاضي القضاء ابا جعفر عبد الرؤوف العلوي الموسوي للسنة السادسة بعد الالف ولتقابل بين المظلمين نال الرضي .

(اعلمت من حملوا على الاعواد ارايت كيف خبا ضياء النادي)

فقال الخطي :

(كف الحمام وثرت اي جواد ورجعت ظافرة بايه مراد)

فلو تلا المرء بيت الخطي وحده لقال لا بأس به ولكنه يتفائل في حينه اذا ما قرنه بقول الرضي ، وقد اراد ابو البحر ان يعارض المطلع في قصيدته فاستعمل جميع الفاظ الصدر وبعضها في العجز قائلاً :

(اعلمت من حملوا على اعوادهم المجد قد حملوا على الاعواد)

وقال الرضي :

(شكلك ارض لم تلد لك ثانياً اني ومثلك معوز الميلاد)

فقال الخطي :

(مهبات ان ولدت له الدنيا اخاً اني وقد عقيمت عن الميلاد)

وقد بالغ في هذا الاحتذاء حتى كأنه والسرقة سواء . قال الرضي :

(قلعت اظلة كل فضل بعده وأمرت مشربها على الورد)

فقال الخطي مغبراً على بيت شريفه :

(نضبت موارد كل خير بعده فالورد معتلٌ على الوراد)

وقال الرضي :

(عمري لقد اغمدت منك مهنداً في الترب كان مخرق الاغماد)

فأخذ الخطي هذا المعنى وتصرف بالالفاظ وقال :

(ومهنداً ابلى الغمود زلاقةً فغدا التراب له من الاغماد)

وقد بغض الطرف عن سرقة الشاعر اذا احسن استعمال المسروق وانست حلالة نسجه ولطافة نهجه والزيادة في معناه التثمة أسلوب البيت المسلوب ، ولكن صاحبنا ايا البحر انخط في ذلك عن الرضي وكرر الاغماد فأساء وما أجاد .

ان أئمة البيان هم الالي ينهجون في الصناعتين المناهج القويمة ويمتازون عما شوام باساليب مبتكرة مستملحة . واما المقلدون فيتابعون أئمتهم في مناهجهم وينحون مناهجهم صنع الواواء بالافتداء بالثنئي . وقد اعتاد الشريف الرضي في قصائد حماسه ونغره ان يصف شجاعة محبه وصبرهم على المكاره وخشونة العيش وتوسد اعضاء المطايا وملافاة المنايا كقوله مثلاً :

(ما كنت ارغب عن هجاء نقذف بي هام المروري واعناق الشناخيب)

(في فنية هجروا الاوطان واصطنعوا ايدي المطايا بادلاج وتأويب)

(من كل اشعث ملثا الثام له لحظ تكرره اجفان مدؤب)

فتحى الخطي هذا المنحى بقوله :

(عدوى لو المادي عليه سوى الردى قسماً لكنت عليه اول عادي)

(في فنية ضمنت لم عزماهم ري القنا في كل يوم جلاد)

(طالوا بايديهم عوالي ضمرم ففتنوا بهن عن القنا المياد)

ومن طرائق الجاهلية في التعبير عن الفواجع ان يقولوا مثلاً : ما ادماء كانت ترعى وخلفها خشفها فاخططفه اطلس غادر باوجع من الشاعر مهجة يوم بان الخليط ، ومنها القسم بالابل الراقصات اشباه الحنايا الى غير ذلك مما احتذاه الرضي واجاد فيه لشدة امر كلامه وجزالته وذلك كقوله :

(حلفت بها كقسي النباع تحسب اعتاقهن السهاما)

والخطي يقول :

(اما والراقصات كأن وحشاً نندبها حملن من الرجال)

يلجأ الى هذه الطريقة اليوم من ينحت من صخر وينقطع به امد الكلام وتعوزه المعاني الجلييلة واما من يغرف من بحر كشوفي ومعروف واتباع المدرسة الادبية الحديثة فقد اقتصروا على التعبير عن عواطفهم الثائرة وتناول الموضوعات والحوادث الاجتماعية التي تجذب بأمتهم فهم الذائدون عن حياضها والمتعارفون على إنهاضها .

قال عشيره الغنوي : وكانت كثيراً ما يجبه شعر ابي نواس في الخمريات فرمما تعرض لمجاراته فنه ما قاله في سنة الف وهو غلام مجيزاً له :

(دع عنك لومي فان اللوم اغراء)

(وليلة بت تجلولي حنادسها مدامة كدم المذبوح حمراء)

(كالنار والماء ان شبت وان لمست وفي الحقيقة لا نار ولا ماء)

(شمطاء عذراء في دن وفي قدح فاعجب لها وهي شمطاء وعذراء)

(كأنها في الدجى والزق بقذفها برق له من خلال البرق لألاء)

الى ان وصف ساقها الشادن فقال :

(له محلان في قلبي وفي بصري سواد هذا ومن ذاك السويداء)

(وشاها نطفة من فيه صافية كالراح فهي مع الصهباء صهباء)

(لحا على شربها قوم وما علوا يا ويجهم ، ان ذاك اللوم اغراء)

(عيوب شعره) — منها التكرار المعنوي وعدم التصرف بالتعابير والنقن في

ايراد المعنى الواحد المقصود بصور شتى فمن ذلك قوله :

(لا اغب الوزير سعد ينجي به كمر غدوة ورواح)

فقد كرر هذا المعنى الدال بتعبير الغدوة والرواح على الدوام والاستمرار في

مواطن مختلفة منها قوله :

(فصالحه عني على بعد داره بمدحي كفا غدوة واصيل)

وختم رائيته بصاحب الزمان بقوله :

(ولا زال تسليم المهين واصلاً إليك به سيرا عشي وإبكار)
ومن تكراره المعنوي قوله في بعض صحابته :
(لأعوز انت يأتي اب بشبيهه وان كثر الابناء يوماً وأنجبا)
وقوله من قصيدة أخرى :
(لأعوز انت يأتي اب بشبيهه سماحة نفس في طهارة مولد)
وفي هذا الكلام فضلاً عن التكرير المعنوي احالة يستنكرها العقل الرحيح ،
وينبوء عنها الطبع الصحيح .

ومنها التمدح والاستنثار الادبي . وقد قيل كل حق يحمل ذكره الا مدح
المرء نفسه . والشعر الرائع تذهب بهجته الدعوي وان كانت صحيحة ، هذا بالنظر
الى فضاء العقل وروح زماننا ، واما بالنسبة الى زمن ابي البحر والذي تقدمه فان التمدح
بالشعر كان ينظم في سلك الفخر ، والشاعر المفتون بشعره يمدح الشعر الفاخر من الفاخر
وكان اجدر به ان يترك الحكم على شعره لغيره فلكل زمان بيان ، ومن تمدحه قوله :
(فيا ابن محمد بن نقي اسمع ثناء مبرز في النظم فرد)
(محائب^(١) ان تزر ناديك نعلم مواطرن عن أحواض شهد)
(تشاركني الوري في الشعر ظلماً على اني المبرز فيه وحدي)
ومنها قوله :

(مدائح لم يسمع بها فسر شاعر) ولا اقترب عن أمثالها في منشد
(انا الكوكب الوفاء والعلم الذي به كل من غمت مساعيه يهتدي)
(متى أدع عاصي القول يأتي مطاوعا) وان يدع غيري طائع القول يقعد
وقوله في محل آخر :

(وعدت عن اسماعك شعر غيري) فابن حصي الطريق من اللائي
(مكان قريض غيري من قريض) مكان النفل من ولد الحلال
يقول رحمه الله هذا وقد قال قبل هذين البيتين :

(« تعز » لورقي يعقوب منه بيت او أقل لظل «سالي»)
 وقد بينا من عيوب شعر الخطي انه بالغ في الاحتذاء ، حتى كان السرقة سواء ،
 وقد يسرق معتدياً لا محتدياً فمن ذلك قوله والسرقة فيه مبينة لا تحتاج الى بيينة :
 (بقي لنا الجود ما بقوا فمضى قضا قضى الجود بعدم نجبا)
 اخذه من قول : في رثاء معن بن زائدة :
 (ولما قضى معن مضي الجود واتقضى واصبح عرين المكارم أجدا)
 وقوله : (وتجنس نفسها ابدأ عليه عكوف المرضعات على الفصال)
 من قول الشاعر : (نزلنا ارضه فحنا علينا حنو المرضعات على البثيم)
 واما قوله : (ملكته في الهوى قلبي فصار له عبداً مطيعاً وفيها شاء يسلكه)
 (ثم انثني معرضاً والقلب في يده هلا جفائي وقلبي كنت املكه)
 فهو مسروق من قول سيف الدولة بن حمدان :
 (واعرض لما صار قلبي بكفه هلا جفائي حين كان لي القلب)
 وقد تناول قوله :
 (لقد تضائل حتى لو قذفت به في مقلة ما أحسنه ماقيها)
 من قول الوزير ابن العميد :
 (لو ان ما ابقيت من جسيمي قذيت في العين لم يمنع من الاغفاء)
 وتناول منه ايضاً قوله :
 (وعبرة لو دعي نوح لبسلكها بفلكه قال بسم الله مجريها)
 (ومقلة الفت فرط السهاد فلو رد الرقاد عليها كاد يؤذيها)
 وشبه به بمعناه واحاله قول المتنبي :
 (اراك ظننت السلك جسيمي فعقته عليك بدر عن لقاء الترائب)
 (ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب)
 وكان الخطي غار من بيتي السيد علي في الخمر :
 (رقت فلولا الكأس لم تبصر لما جسماً ولم تلمس براحة لاس)
 (فكأنها عند المزاج لطافة وهم يخيلة توهم هاجس)

فأغار عليهما قائلاً :

(ما ذا على الطير اذ أبلى الضني جسدي تخف لو حملتني في خوافيها)
(ان تقعد الطير عن حملي لكم ومرت ريج الصبا فاطلبوني في مساريها)
وفي الديوان من عيوب لغة ونحو واملاء ونسخ ووزن وضرورات له عنها مندوحة
فمن ذلك جمعه قوس على قياسات في قوله :

(نواحل كالقيسان مما يفسفوا^(١) بها نكل تيهاء المعالم قدفد)

ومنها استعماله غوغاء بمعنى ضوضاء على غير الانصح في قوله :

(تلك النوادب لا يفيق السمع من غوغاء رنتها ولا ضوضائها)

ومنها استعماله تغاورها بمعنى أغار عليها في قوله :

(كأت قلوبنا لما استقلت ركابكم ضحى ودنى الوداع)

(فراخ قطعاً تخطفها بزاة وعرج ظبي تغاورها سباع)

والحال انه يقال : تغاوروا اذا أغار بعضهم على بعض على سبيل المشاركة ومن
اين لمرج الظباء ان تغير على السباع ، الا ان يكون الاصل تغاورها بالعين المهجلة
فمسخها التسخ ، وفي البيت الاول غلطان املائيئات : ركابكم والصواب ركائبكم
لان فعلها المجرد ليس أجوف فيكتب الجمع بالياء نحو مسايل جمع مسيل ، ودنا واوية
تكتب بالالف ، والظباء تكتب ايضاً بالالف لا بالمقصورة وهي التي بأخذونها (الظبي
جمع ظُبة اي حد السيف) ويحلون الحُبي حين يبلغ السيل الزبي .

« البقية للآتي » ابو قبيس : عز الدين التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

والمجمع العلمي العربي ببغداد

(١) لعلها تفسفوا .

الموازنة

بين الالعبوة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ○ =

اولاً : ان كل من تقدم دانتي من كتاب الترنجة وشعرائهما لم يرو عن احد من اولئك الا يرار الذين نسبوا اليهم العروج الى السماء والهبوط الى جهنم ، انه نفسه عرج وهبط ، وهذا أقدمهم بولس الرسول يحكي عن السماء فقط ، ثم بعده يوحنا لا يتكلم عن سواها ، واما من بعدهما ، فاما ان يحكي عن عروجه على السماء كالقديس ماثور والقديس بَارْبَتَو والقديسة كاترينا وغيرهم ، او عن المطهر كالقديس باتريس ، او عن جهنم فقط كما روى عن سواء ، ولم يتفرد عن كل هذه الجماعة الا راهب واحد يدعى البيريك ، ولدى نقصينا البحث عن موقع دير هذا الراهب علمنا انه مدينة كاستينو بايطاليا ووجدنا فيها دار كتب تحوي اربعين الف كتاب بينها خمسمائة كتاب مخطوط من اندر الكتب ومنها نسخة خطية من الالعبوة الالهية ، وفي هذه الدار صورة دانتي الاصلية .

فقد يكون الراهب البيريك — وكانت الرهبان في القرون المتوسطة خزانة العلوم وسدنة المنشور والمنظوم — او دانتي نفسه ، او كلاهما ، طالع رسالة الغفران العربية او المترجمة ، بين تلك الكتب المخطوطة النادرة وهو ما لا يشك فيه الناقد .

ثانياً : ان جميع العارفين والهابطين قد احتذى متأخرهم على مثال المتقدم فكان يحمل كلامهم عن الفردوس لا يتعدى ما عاينوه في زعمهم من الاعاجيب ووصف لذات الارواح في ذلك النعيم ، وتفصيل أنواع التعذيب وضروب الآلام التي يجزي بها الاشرار في الجحيم ، على اختلاف في اللفظ وطرق الوصف والتعبير ، واتفاق في وحدة الصورة وان اختلفت ألوان التصوير ، إذن دانتي لم يذهب الى محاكاة هؤلاء .

(١) ثممة ما نشر في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع .

ثالثاً : ان هوميروس اشعر شعراء اليونان ، وفيرجيل اشعر الرومان قد سلكا في أشعارهما على نقل الحوادث التاريخية وروايتها ولم نعثر على كثرة ما بين ابدينا من كتب الفريجة وغيرهم على الطريقة التي جرى عليها العربي في رفع مخاطبه الى الفردوس العلوي ، واراؤه من اعاليه مشهداً من الجحيم ، وننقيه صاحبه (وهو ابن القارح نفسه) في عرصات الجنان ، ومكالمته من بها من الانس والجان ، والقائه على قدماء الشعراء وغيرهم من الجن أسئلة أجاب عنها بلسانهم منصفين عن رأيه ومذهبه ، الى أغراض كثيرة في طي ذلك .

وكان داني لشد ما أعجبته ، ولم يكن لديه صديق كابن القارح يثق به ، رأى ان يكون هو نفسه ابن قارح عصره ، وهو الاشبه بما يزويه ، ولكن لما لم يرا با علائنا ولا هو ممن يلائمه اختار فيرجيل دليلاً وهادياً في تلك الهاويات المظلمات ، والهبطات العاتقات وكان في به اخذ كلام ابي العلاء على ظاهره ففهم ذلك العروج عروج تقوى وخشوع وانى له ان يتبطن ما وراء ظاهر اللفظ من المغامر ، وهو ليس بعربي ، او ان يجسر المترجم الى نقد ما هنالك او الاشارة اليه — ان كان قد زكن شيئاً منه — وهو في مجبوحه القرون المظلمة وظل محاكم التنقيش .

وقد ذكرنا قبل هذا ان داني كان صلباً في دينه ، شديداً في مذهبه وبقينه ، فلم يكن ليدور في خلدده شك في جل ما قرأه او وصل اليه من أساطير الاولين بل من الخرافات التي كان يثاقلها معاصروه عن معجزات ينكرها اليوم عقلاء المتدينين ، وكان نقد شيء من ذلك بعيداً عنه بعد الارض من الجوزاء ، وان اقصى ما اوحاه اليه خاطره عند نظمه شمل الالعوبة « ان ينتزع الاحياء من تعاستهم في هذه الدنيا ويقودهم الى السعادة الخالدة كما روى هو نفسه » ولكنه وان كان صافي السريرة بهذه الدعوى ، فقد كان يطمح ببصره الى المجد وانت جعل غرضه العلويات ، وفي نفسه من الحقد والعداوة وغيرهما من خسائس الارضيات ، ما اتخذ لها الهبوط والعروج اسباباً ، ومهد للولوج فيها ظرفاً وفتح ابواباً ، فطرح في جهنم من شاء من اعدائه وخصومه ثم من خالفه في مذهبه السياسي وآرائه في الدين ، وجعل اسم فيرجيل عوذة له يدفع بها اعتراض المعارضين في طريقته الشعرية باللغة الطليانية بدل الرومانية ليوم العامة من القراء انه

كان يوحى اليه بشعره هذا من فيرجيل فيعظم اسمه وتذيع شهرته بشكراره يا أبت وجواب فيرجيل يا بني ، وقد صرح في الاغنية الرابعة بعدة نفسه سادس شعراء الدنيا ومن ذلك ترى ان ليس « انتزاع الاحياء من تعاستهم الخ » هو وحده غرضه من العبثه ومراجعه المزعوم بل للفخر ومباهاة شعراء عصره فيها قسط كبير ، ولعله قد نبتاً عن نفسه اصدق النبوة بهذه الدعوة فقط ، فان اكثر ارباب العلم في اوربا قد أجمعوا على انه ثالث شعرائهم كما ذكرنا قبل هذا ، ولعل ذلك كان في القرن الثامن عشر .

على انه لو لم يكن الى تلك الشهرة طموحه ، ولهذا العز الاقص جنوحه ، ألم يكن الأجدد به ان يطلب من معشوقته بياتريس (وتعر بينها الغبطة) او كما دعاها في بعض شعره (الغبطة الالهية) ان تبعث اليه بملك من الفردوس يكون دليله في تلك الظلمات الحالكات ، او بسادن من سدنة جحيمه عارف بمن فيها ، من اتخاذه فيرجيل دليلاً وهادياً ، ولعله كان يريح القاري من تكرار لفظ انا لابي ، واني لي ، يريد قلت لابي واجابني ابي ، صرات عديدة في كل صفحة من الالعوبة ، وان قيل انه اراد بهذا التكرار ايضاح اسنائه بروح فيرجيل ليوحي اليه ما نظمه وهو أعظم شعراء الرومان كما هو معلوم ، فنجيب عن ذلك انه كان يرجونه ان يوحى اليه بعلم العروض والقوافي . فالشعر وجد عند الرومان قبل فيرجيل وهو يعلم ذلك ولم يكن فيرجيل واضع هذا العلم وان كان يريد ان فيرجيل كان يوحى اليه اللفظ والتركيب ، فهو ينظم بغير لغة فيرجيل بل لو علم بها لانكرها عليه كما انكرها عليه بعض مشاهير معاصريه ، وان كان يريد بنفيرجيل سمو المماني ، فليس في الملبوط الى جهنم ومشاهدة ما ذكره كبير معنى ، وقد ألهم دماغه وأنصب قراءه وأسام تقاديه وفيهم كاتب هذه الموازنة ، بما ابتدعه في جميعه من التلال ، والاوذية والجبال ، والحصون والاسوار ، والبحيرات والانهار ، والمهاوي والفلوات ، والمضائق والاعوجاجات ، والمخايي والدهاليز والجسور ، والمنافذ والسوابيط والقبور ، واناس بثلاثة ارؤس على كل كتف رأس ، واناس بثلاثة افواه وكل فم كتم التمساح ، وظلمات مدلهجات لم يحلم بها حالم ولا بدرصها اشد العميان عمى ، وكان في زعمه يتهاوى فيها تارة ، وطوراً يسير بطيئاً ، وحيناً يقف

يحدث من يريد في النار من اهل النار . وهم يتضرمون ويتوجعون ، ويدورون دورة
الرحى بسرعة البرق تنهشهم الافاعي وتلدعهم الحرور الجهنمية او هم يتخبطون على جبال
من نار ، او يسبحون في بحار من الماء المدلم ، او هو بخار النار واكنهها مياه سوداء
قائمة ذات ريح لا تحكيها في فسادها ريح من رياح الارض . ومنهم من كانت تقذف بهم
تلك الأمواج الجهنمية على الدوام بين هبوط وصعود وهم أرواح لا تُنظر ولا تُلمس
كالهواء ، ومع ذلك فانه كان يشاهد كل حركة من حركاتهم ويعاين جميع ملامحهم حتى
أظافرهم والقروح التي كانت منتشرة فوق أجسادهم ووجوههم الهوائية ، وحكّهم بأظافرهم
النارية تلك القروح الى كثير من أمثال هذا الوصف الذي نقشتمنه الجلود ولم يستك
مثله في المسامع . ثم يحكي ركوبه مع ابيه فيرجيل متن فلك اسود في بحيرة ماؤما اسود
في دركات مدلهات وظلمات غامضات ، وبصف ميل الفلك لتقل جسمه المادي وخفة
فيرجيل وهو روح . ثم ينتطس بذكر الخطوط المستقيمة والمنحرفة والزوايا والحنايا
والاشكال البيضوية والمحدودة والمنقوسة ونصف الزاوية والمربعات والمثلثات ودائرة
البروج كأنما هو يلمي على تلامذة مدرسة كل ماوعاه من أقوال طاليس وفيثاغورس
واقليدس ، ولم تفت بصره الألوان المختلفة التي كان يراها في جهنم في تلك المهاوي
والتحدرات تحت اقصى اسافل الطبقات في معترك عمى تلك الظلمات .

كل ذلك وهو هو بلحمه وعظامه وروحه ومادته وثيابه لم يصب باذى النار وهو
يخطر ويتنقل في ذلك الأخدود الجوفي ويتنسم تلك الأرياح وذلك الأوار ،
متضادات متناقضات ، بل هو خلط منظوم او هذيان محموم .

رابعا : ان أكثر تشبيهاته وتصويراته فقيرة محدودة لا تبعد كثيراً عن فيورنسا
مسقط رأسه ، او ماحولها من القرى التي لا تعرف سماؤها اليوم الا من العويشة ،
او عن رافين وهي المدينة التي قضى بها آخر حياته وان جازت هذه النواحي فالى رومة
وهي مقر العرش البابوي ، وأغلب محادثاته مع اهل النار تدور حول حوادث ابائه
السيامية في تلك الناحية الصغيرة من ايطاليا ولعلها أصبحت اليوم مما يبحث عنها المؤرخ
الزاغب في التنقيب عن الاحداث المحلية في هاتين المدينتين او مايليها في المعاجم ، وانما
ذكره ذلك كله في تلك الملحمة الطويلة وقد استعصر لمساعدته فيها روح فيرجيل

أشعر شعراء الرومان ، وخلطه فيها كثيراً من آلهة اليونان وإبطلهم ، كان على نحو قولهم تخض الجبل فولد فأرة ، فتراها إذا صوّرت مضيقاً من مضائق جهنم أو معبراً أو جبلاً أو غير ذلك ورام تشبيهه بشيء من نوعه على وجه الأرض لا يذكر في الأكثر إلا ما كان في بلدته أو نواحيها ، كما نفعل العجوز التي تروم تلهية الأطفال بحكايات تقرب بها إلى فهمهم ما ترويه فنقول « كان بيت السلطان في رأس الحارة وكان له بستان أكبر من جنينتي وأمل جنينتها لا تزيد على بعض أذرع » .

وهذا بذلك على أن غرض دانتي في كل بيت من أبيات العوثة كان الانتقام من خصومه في بلدته ونواحيها ، وكان جل قصده أن يقف أولئك الأعداء على ما يقول ، ويردد أصحابه ومن يقول بقوله اللعن على من لعنه ، وإن يقال إن هذا إلا وحي يوحى وأنه أخذ كل فصاحة فيرجيل وحكمته ، وعلى الجملة لينصروا لرأيه ، فقد كان ملئاً انانية ، كثير التطلع إلى المجد وهذا لابني ماثبت من تحمسه في دينه .

خامساً : أنه جعل جهنم في أسفل الطبقات الأرضية حسبما كان يذهب عامة أهل عصره ، وإن المطهر أعلى منها طبقات ، وإن فردوسه فوق أرفع الجبال فلم يرتفع عن سميتهم برأي سمي أو مذهب علي لاسيما وأنه شاعر ، ثم قسم جهنم إلى طبقات بحسب الآثام وهي عنده سبعة أو هي رؤس الخطايا ولا تطيل بهذا ، ولكن لا بد لنا من توثيق مدعانا عليه التشبه بأنبياء اليهود وانزاله نفسه منزلتهم بيئته لا تدحض وذلك من أغنيته التاسعة في الفردوس إذ يصور نفسه في محادثة مع الله وإن روح الله حلت بجسمه وامتزجت بذاته فنبا عن طوفان دم يحدث ببلدة يادولمعيان أهلها واستنزل النعمة بامسقفها الجاحد (في زعمه) وأنها سبكي طويلاً جنائثها الفظيعة الخ الخ . وكل ذلك لأن هذا الاسقف لم يكن من حزبه أو حزب جماعته وأنه أخبر عنهم أو وشى بهم فهلكوا .

سادساً : لم يسبق لأحد ممن عرجوا في زعمهم على جهنم أو على السماء ، أن رأى أحداً من أصحابه أو أعاديه أو أنه خاطبهم وخاطبوه وعانهم وعانوه إلا ما صوره لنا المعري في تمنيانه لابن القارح ثم مشى على آثاره دانتي في العوثة فاحتذى عين مثاله ونسج على منواله .

على ان دانتي وان كان قد تصرف في بعض المسروق تصرفاً بعيداً وفي بعضه الآخر لم يزد على التقديم والتأخير وابدال الاسماء فان الناقد المصنف يعترف معنا بصراحة السرقة اذ كل ما خلطه في العوثة من الاشارات الى علوم الحياة والهندسة والتاريخ واللاهوت وآيات من التوراة والانجيل والمعتقدات وأساطير اليونان والعادات القومية والامثال العامة والاحزاب السياسية المحلية والضغائن القومية وغير ذلك مما تعرض له — في غير محله كما سنبينه بعد هذا — لم يكن لبستر سرقة هذه عن أعين الناقد البصير والله درّ شاعرنا :

(ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفت به فانك عارٍ)

فاول ما فعل انه نزل الى جهنم اولاً ثم طلع الى المطهر ثم منه الى السماء ، وانت تعلم ان ابا العلاء طاف بابن القارح على الفردوس اولاً ثم على جنة العفاريث ثم المطهر ثم جهنم كما مر بك .

ثم ان ابن القارح وقف في باب الجنة يستأذن رضوان في الدخول فطلب منه جوازاً ولما لم يكن بيده جواز رشاه بقصيدة لم تفعل شيئاً في نفس رضوان . ثم وقف عند العرابط واستشفع بالزمراء فأمرت احدى جواربها باجازته كما مرت بك القصة .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي العربي

قسطنطين الحمصي



عدة الكاتب (١)

- ٢ -

وفي التاج المسطرة بالكسر ما يسطر به الكتاب . وأسطر الرجل خطأ .
 الفأوج كتور الكاتب . و يطلق على المدير الحاسب من قولهم هو بفلج الامراي
 بنظر فيه وبقسمه ويديره .
 حفر مرم القلم براه .
 كتب الشيء . كَتَبَا وكتاباً وكتابة خطه والكتاب اسم لما كتب مجموعاً .
 والكتاب ما كتب فيه .
 والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة .
 واكتب فلان فلاناً سألته ان يكتب له كتاباً في حاجة . واستكتبه الشيء
 سألته ان يكتبه له . ويقال اكتبه واستكتبه اذا استملاه .
 واكتب الرجل اذا كتب نفسه في ديوان السلطان .
 وكتب الرجل الغلام تكتيباً وأكتبه إكتاباً علمه الكتاب فهو مكتتب .
 ومكتتب اي مؤتم .
 ورجل مكتتب . له أجزاء تكتب من عنده .
 والمكتتب . موضع الكتّاب . وموضع تعليمهم . والكتّاب الصبيان . قال ابن
 الاعرابي و يقال لصبيان المكتب الفرقان ايضاً .
 والكتبة . اكتابك كتاباً لنسخه .
 واستكتب الرجل غيره أمره ان يكتب له او اتخذه كاتباً .
 والكتّاب سهم صغير مدور الرأس يتعلم به الصبي الرمي ويقال له الكتاب بالشاء
 قال الاصمعي الكتاب سهم لا نصل له ولا ريش يلعب به الصبيان . قال في اللسان
 والشاء في هذا الحرف اعلى من الشاء .

(١) راجع المقالة الاولى التي نشرت في المجلد السابع .

الآحق ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه فتلحق به ما سقط عنه . ويجمع
ألفاقاً وإن خفف فقليل آحق كان جائزاً .

الكُرَّاسة بالضم الجزء من الصحيفة يقال فرأت كُرَّاسة من كتاب كذا وهذا
الكتاب عدة كراريس وفي اللسان الكُرَّاسة من الكتب واحده الكراس والكراريس
سميت بذلك لتكرسها . قال في اللسان . وكل ما جعل بعضه فوق بعض فقد
كُرس وتكرس هو .

الصحيفة التي يكتب فيها من جلد أو قرطاس والجمع صحائف وصُحف وصُحف
والصحيفة الكتاب . والتصحيف الخطأ في الصحيفة . والتصحيف تغيير اللفظ حتى يتغير
المعنى المراد من الموضع يقال صحفه فتصحف أي غيره فتغير حتى التبس . والنسبة إلى
الصحيفة صحفي يقال رجل صحفي ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ .

الرَّق بالفتح الصحيفة البيضاء وقيل الجلد يكتب فيه والكسر لغة قليلة فيه .
والرِق بالكسر ورق الشجر والشئ الرقيق .

والرُق بالضم الماء الرقيق في البحر أو في الوادي لا غرر له .

الكُتَّابات بالضم والشداصول التي تنشعب منها الفروع قال في التاج ومنه الكناشة
لأوراق تجعل كالدقتر بقيد فيها الفوائد والشوارد لل ضبط هكذا يستعمله المغاربة .

وفي شفاء الغليل كناش بضم الكاف العربية وتخفيف النون وآخره شين معجمة
بزنة غراب لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة والكنش الجماعة ثم قال وقد وقع
هذا اللفظ كثيراً في كلام الحكماء وسموا به بعض كتبهم كما يعرفه من طالع كتب الحكمة .

الهامش حاشية الكتاب يقال كتب على هامشه وعلى الهامش وعلى الطرة وهو مولد .

المُهَرَّق . الصحيفة البيضاء يكتب فيها . فارسي معرب والجمع المهارق . وقيل
المهرق ثوب حرير أبيض يسي الصمغ و يصقل ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مَهْرُ كَرْد
وقيل مَهْرَة لان الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك .

القرطاس بتثنية القاف والقرطس بكسر ودرهم الصحيفة التي يكتب فيها .

القضم والقضية الصحيفة البيضاء وقيل القضم الجلد الأبيض يكتب فيه والجمع

قضم بضمين وبفتحين .

الكاغذ بفتح الغين القرطاس وهو معرب والكاغذ بالذال المعجمة لغة فيه .
 الطرس الصحيفة التي محيت ثم كتبت وقال الليث الطرس الكتاب المحو الذي
 يستطاع ان تعاد عليه الكتابة وفعلك به التطريس . وطرسه أفسده ويقال طرست
 الصحيفة تطريسا اذا انعمت محوها وطرس الكتاب سوده .
 وجمع الطرس أطراس وظروس والصاد لغة فيه .
 الطراس لغة في الطرس . والطرأس بالفتح المحو . طلس الكتاب طلاسا
 وطلاسه تطلبسا كطرسه تطريسا .
 وفيه اللسان الطراس كتاب قد محي ولم ينعم محوه فيصير طلاسا . وفيه ايضا .
 واذا محوت الكتاب لتفسد خطه قلت طلاست . فاذا أنعمت محوه قلت طرست .
 والطلاسة مشددة خرقه يمسح بها اللوح المكتوب ويمحي . ويقال طمس الرجل
 الكتاب طموسا اذا درسه . وفي اللسان الطمس ، استئصال اثر الشيء . وانطمس
 الكتاب وطمس امحى واندرس .
 التذناق صحيفة الحساب قال الاصحعي أحسبه معربا . وقال بعض العلماء :
 الغالب استعماله في الكتب المنصرفة في الخدمة وحساب العمال والخراج .
 التهمة كتاب الحيلاف والشراء . ويقال استعهد من صاحبه اذا اشترط عليه
 وكتب عليه عهدة . ويقال في خطه عهدة اذا لم يقم حروفه .
 السجل . كتاب العهد ونحوه والجمع سجلات وهو احد الاسماء المذكورة المجموعة
 بالناء ولا يكسر وقيل السجل الكتاب الكبير . وقيل الصحيفة التي فيها الكتاب وقيل
 الصك . وفي المصباح السجل كتاب القاضي . وأسجلت الرجل اسجالا ككتبت له
 كتابا . وسجل القاضي بالتشديد قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل .

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندي



فصح وشوارد

هذه تراكيب بليغة وألفاظ مختارة نقلت من كتب الفصحاء . تصلح ان يدمجها ارباب
الاقلام في تضاعيف كلامهم احياء لها وحياً بثنية ثروتنا اللغوية .

الحكايات الغلقة والاشارات البعيدة . تعانيت في شيء فتعجأه لي . كان يجلس
الي من العتمة الي ان ينكف السامر . . كان على قصره ودمايته نائماً ذا أهبة وذهاب
بنفسه . لم يتعاقى عليه شيء اي لم يُخطأ . قال ابن السكيت يقال بل الرجل من
مرضه وابل واستبل . انا جارك منه (مجيرك) اجتر صفرة وامتل سلة فأخرج
منها رغفاناً ووذراً من لحم . اعطني من سيورة الشعر شيئاً ما اعطيه احد (اي من
سيره وشهرته) .

تغاضرا بي فتقبت عليهما فعمدا . اذا نلستني ألسنها . يسكن الحيرة ويركن
الريف .

[انخرط الرجل في الامر ونخرط ركب فيه رأسه من غير علم ولا معرفة (عن
اللسان) فلا يقال اذا انخرطت في سلكه الا اذا أريد حشرت نفسي ولست باهل .
وفي (التاج) قال شيخنا : استعمل الناس كثيراً الانخرط بمعنى الانضمام والدخول
كالنخرط في السلك اذا انتظم فيه وقد وقع في كلام القصاص الثقات من علماء اللسان
كالكاسي والزمخشري وأضرابهما ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص اهل
اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا ولكنه رحمه الله وقع في جامع اللغة
لابن عباد وعلى قولهم خرطت الجواهر جمعيتها في الخريطة قال فعلت انهم تجوزوا به عن
جعله في العقد الى آخر ما ابداه ونقله في شرح الشفا وعناية القاضي وهو كلام لا يحيد عنه] .
أجدك لا تفعل — لا يقال الامضافاً واذا كُسر استعمله بحقيقته واذا فتح استعمل
يخته واذا قلت بالواو فتحت وجدك (لا تفعل) قاله الفيروز ابادي .

يقال يوم صائفٍ ورابعٍ وشاتٍ من الصيف والربيع والشتاء ، ويقال في

الازمنة اذا أريد الإقامة فيها صافوا وشتوا وارتبعوا واذا أريد الدخول فيها قيل
أصافوا وأشتوا وأرتبعوا وأجرفوا .

يقال هروته بالهراوة وسوطته بالسوط وصفته بالسيف وعصوته بالعصا وهي
قليلة . يقال أحال في المكاف وأحول اذا أقام فيه حولاً وكذلك أصل وأضفى
وأجر وأقر وأظلم وأعقم ولم يسمع في المغرب شيء . يقولون البداية بكذا وانما هو
البداء بضم الباء والهمز . أراهم يتشاهدون مرة ويتغايبون أخرى .

فلان حسن المحضر والمغيب . يقال ارض تغمرة كثيرة الانداء وبثة وعن عمر
ابن الخطاب ان الأردن ارض تغمرة وان الجايصة ارض تزهة . صبحوم فحشوم
اي قتلوم قتلاً ذريعاً ، وفي الكتاب العزيز اذ تحشونهم بارذنه . استعمل الاندلسيون
« الطومارة » في مقام البطاقة وفي كتب اللغة الطامور والطومار الصحيفة والجمع
طوامير . واستعمل لسان الدين بن الخطيب لفظة « العائلة » وقد انكرها بعض علماء
اللغة من اهل هذا العصر . ووردت لفظة « البنت » في شعر محمد بن جزي الكلابي .

نعم لست ارضي عن زمانني او ارضى مكاناً به السفن المواخر والبنت
لابي الخير المروزي النخوي المتوفي سنة ٤٢٣ هـ .

لنأق المال والعقل فما بينهما شكل

هما كالورد والنثر جس لا يحويهما فصل

فمقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

محمد كرد علي



الكلمات غير القاموسية

« جواب الاب انتاس الكرملي »

— على اقتراح الاستاذ « المغربي » —

(الصنف الاول) كل لغوي يوافق على تدوين مثل تلك الالفاظ لانها فانت اللغويين ولو عثروا عليها في وقتهم لحرصوا على ابداعها معاجمهم .

(الصنف الثاني) ككلمة فصحاء العرب الاسلاميين من أبناء صدر الدين الخفيف وبعده تدون ايضا لانها مؤأدة ، وأغلب مصطلحات علوم الادب والرياضيات والعقليات والالهيات غير مدونة . ولهذا تجمع وتبويب كسائر المفردات الفرائد لاننا في حاجة اليها والى مؤملها . اما (نخيم) و (صدقة) فليستا من هذا الصنف .

(الصنف الثالث) بين هذه المفردات ما هي حديثة الوضع نقلاً عن الترك وعمن جاراهم من كتبة لغتنا المحدثين ومنها قديمة الوضع . ومنها لما صلة تجوز اتخاذها في العربية لمجاز في معناها . فمثل (هيئة) المحكمة و(تشكيل) المحاكم ترفض لاستغنائنا عنها بجماعة المحكمة وتأليفها ولانها من الوضع الجديد التركي الاصل . ومثل انعقدت الجلسة وتعرفة (لا تعريف) الرسم وميزانية تقبل لصلتها بالفاظنا . ومثل كيفية وكية ومالية وماضاهما لتخذ لانها قديمة مولدة وردت في مؤلفات السلف .

(الصنف الرابع) الالفاظ التي ذكرها الاستاذ المغربي قديمة وهي للمولدين وهي من طائفة ما جعلها في الصنف الثاني وربما ارتقى بعضها الى اول صدر الاسلام . اذن انا وافق من يدونها في المعاجم وان لم اجعلها من الصنف الذي ضمناه شيخنا المغربي « الصنف الرابع » .

(الصنف الخامس) الاعجميات الثقيلة على اللسان والمخالفة للأوزان العربية بنبذ او نقصر لتوزن وزناً عربياً حتى يأنس اليها أبناء لغتنا . واما الاعجميات الخفيفة اللفظ والوزن فتقبل وتدوّن . فلم وبالون ومناورة من المستحسنات . ومثل ذلك فعل أجدادنا . فلقد كانت عندهم مثلاً : العَيْشُوم والعَيْنُوم والكُأْشُوم والعَآرُطَل والكُودن والدُكْم والدَغَقْل وابو مزاحم وهي اشمالاً للقليل بين صغير وكبير ، بين ذكر وأنثى ، بين ضخم وغير ضخم . فلما جاوروا الفرس وسمعوا منهم (الفيل) نسوا او تناسوا

ألفاظهم القديمة ولم نسمهم بنطقوت سوى بالفيل ونعتوه بالذكر والانثى او الصغير والكبير او الضخم وغير الضخم هرباً من اتخاذ تلك المفردات الثقيلة التي هي أثقل من جسم الفيل نفسه ، بل تجاوزوا الحد في هذا المعنى اذ شرحوا تلك الالفاظ العربية بالحرف الأعجمي (فيل) وهذا أقصى الافراط فتأمل .

وقد لاحظت في لغتنا ألفاظاً حجة قتلت الأعجمية العربية ولا سيما اذا كانت مادة لفظ الاعاجم تشبه مادة لغتنا والوزن وزناً عربياً ، فان لم يتوفر فيها ذاك الشرطان ، تموت الأعجمية لا رحمها الله .

(الصنف السادس) الأساليب والتراكيب الأعجمية لا أوافق عليها البتة ، فهي موصومة بل بنسب العرب في جباهها . اما ما ذكره حضرة المغربي فهو (افكار) او (خواطر افرنجية) او اعجمية ولكنها مفرغة في قالب عربي حسن . فانا من أشد الناس ترحيباً بها واول من قال بانجازها لانها ثروة جديدة . اما الاساليب او التراكيب الاعجمية فكنتقديم المضاف اليه على المضاف كما هو الامر في الفارسية والانكليزية الى ما ضاهى هذا الوضع . فهذا الذي يسمى الاساليب او التراكيب الأعجمية فاكرمه . اما التعابير او الخواطر فامراً آخر أرحب به واطمئني الى مصدرى .

(الصنف السابع) اني لا ابذ الالفاظ العامية بتاتاً ، بل اقول : ان في تلك المفردات ما هو مصحف عن فصيح فيعاد اليه ، ومنه ما اخترعه العوام سداً للخر ، اورأباً لصنع ولا تعرف له فصيحاً ، او لم يتصل بنسب فصيح . فمثل هذه الالفاظ نتخذ حتماً ، ولا سيما اذا كانت تدل على معنى يعود الى العلوم على اختلاف أنواعها .

أذكر مثلاً : الزهدي والبرّين والخستاري عاميات تدل على خسروب من التمر ، فاما الزهدي فهو مصحف عن (ازاذ) اي حرّ ومعنى (حرّ) هنا كثير الوجود منه اي يقابل كلمة (commun) بالفرنسية . فينشئ يجب ان يقال (ازاذ) لازهدي لان الازاذ هو الذي كان معروفاً عند سلفنا . واما البرّين والخستاري فلم يعرفها من تقدمنا فيجب اتخاذهما وان كثر رتانا جهلة اللغة .

على اني ازيد على ما تقدم : ان الالفاظ غير المقبولة لاي سبب من الاسباب لا بد من تدوينها في كتاب يحويها كلها وذكر ما يقابلها في النصيح ان وجدت ، والا لتندون

ولتشرح حتى نبقى للأجيال القادمة من باب الوقوف على ما كان متداولاً ومعروفاً في عصر من العصور . فالالفاظ عندي كالآثار القديمة فهي نفيدينا لا محالة والمولع بها لا يلقي منها شيئاً بل يوتئها او يصنفها ، فيجعل الثمين منها في طبقة الثمينة ، والبخسة في طبقة البخسة ، وما كان منها بين بين ، يضعها في الطبقة الوسطى ، وهكذا لا يُنْبَذُ منها شيء بل يحفظ الكل ، ويكتب على كل طبقة منها كما يكتب الصيدلي على القناني قترى فيها : السام ، والمضر ، والنافع والمغذي الى غيرها . فالسام من الالفاظ : العامي القبيح الذي يرى له فصيح ، والمضر : المبتذل من الالفاظ ، والنافع : الموأد الذي لاغنى لنا عنه ، والمغذي : الفصيح الجامع لجميع شروط البلاغة والفصاحة .

« جواب الاستاذ احمد الاسكندري »

— على الاقتراح المذكور —

يجب قبل اجابتي عن مواد الاقتراح ان نسلم بصحة هذه الاصول العربية :
(أ) ان العربية الفصحى التي نكتبها ونقرؤها ونؤلف بها هي غير العامية الدارجة لغة تخاطب العوام التي تختلف باختلاف الافطار العربية .

(ب) ان العربية الفصحى محدودة بقواعد واصول ثابتة نحوية وصرفية وبمخارج حروف خاصة ، فاذا حرفت قواعدهما عن مواضعها بان جعل الفاعل منصوباً والمفعول مجروراً واسم الفاعل على وزن اسم المفعول واسم المفعول على وزن اسم الفاعل وان تنطق بالشاء تاءً وبالدال دالاً ، خرجت عن انها العربية الفصيحة المعروفة لغة مضر ولغة القرآء وأصبحت ضرباً من العامية .

(ج) ان العامية في كل قطر عربي لا تجد بقواعد ثابتة ولا اصول وكل يوم هي في شأن ، وانه يجوز تغييرها في كل حين وانه يجوز دخول الكلمات الاجنبية فيها بدون قيد ولا شرط ، فلو فرضنا تدوينها واستعمالها في القراءة والكتابة كما فعل الاوربيون

بعاميتهم بعد هجر فصيحهم اليونانية او اللاتينية او اللثونية جاز لنا ان نغير فيها كل يوم ما نشاء ونكيل لما من الالفاظ الأعجمية كيلاً .

(د) ان لغة التدوين والقراءة والكتابة ولغة المعجمات الاوربية هي لغات عامية استبدلت بلغاتهم القديمة وهي لا تخرج من إضافة كلمات عربية وغير عربية اليها كما لا تخرج عاميتنا التي لم تدوّن بعد ولم تُخذ لغة كتابة وقراءة عن قبول اي تغيير في المادة والهيئة .

(هـ) حيثئذ لا يصح ان نقيس العربية الفصيحة على العامية الاوربية فنقول : يوجد في معجماتهم تسامح باضافة كلمات غير اوربية ولا يوجد عندنا هذا التسامح سيف إضافة كلمات أعجمية او عامية في معجمائنا .

اما اذا جعلنا لغائنا هي العامية (لا قدر الله) وهجرنا الفصحى بالتدريج طبعاً كما يشير علينا هؤلاء المتسامحون فانه يجوز لنا ان نجاري الاوربيين وندخل في لغتنا العامية هذه ما نشاء وتسامح في ان نحشو معجمائنا بالوف الكلمات ، وإذن فلا ننتجح بقولنا : اننا نتكلم بالعربية بل الاخلق بنا انت نقول اننا نتكلم بالسورية او المصرية او اليمنية او المراكشية الخ . وإذن لا نقول ان في الدنيا أمة عربية تبلغ مائة الف الف او ثمانين الف بل نقول ان في الدنيا أمة سورية وأمة مصرية وأمة مراكشية وهلم جرا . وإذن يكون (على تطاول الدهور وتماذي التسامح) مايؤلف وينظم ونكتب في مصر لا يفهم في الشام وما يكتب في اليمن لا يفهم في مراكش ويتم التقاطع بين الامة العربية كما تقاطع أبناء اللثون من الالمات والانجليز وأبناء اللانين من الابطالين والاسبانيين اذ لا جنس الا باللغة فهي عنوان الامة فاذا زالت العربية بالتدريج زالت الامة العربية الكبرى بعد قرنين او ثلاثة بركة أمثال هؤلاء المتسامحين المفتونين بتجديد اللغة في اوربا غير شاعرين بفرق ما بين لغتنا الفصيحة ولغتهم العامية .

اذا سلمنا هذه الامول جاز لي ان أجيب عن اقتراح صديقي القديم العلامة الشيخ المغربي :

(الاقتراح الاول) - بشأن الكلمات العربية التي وجدت في شعر من يحتاج

بعربيته في المعجمات — أقول في الجواب، تقبلها على الرأس والعين بشرط ان تكون في شعر صحيح لا في ثر اللحم الا اذا اشتهر النثر كالأمثال . وذلك لان المعجمات المطبوعة ليست هي اللغة كلها وكم انكرنا من كلمات لم تدون في المعجمات المطبوعة في مصر ثم وجدناها في المعجمات المطبوعة في حيدرآباد وفارس كالمغرب للطرزي والفائق لازمخشري ومعيار اللغة للشيرازي والازمنة والامكنة .

(الاقتراح الثاني) — بشأن الكلمات التي وجدت في كلام من لا يجمع بعربيته الخ . نقول هذه فيها نظر فان كان القائل قريب عهد بالعرب وأثر عنه الفصاحة كأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري والمثنبي جاز لنا ان نستأنس بهذا الكلام وخاصة اذا وافق القياس العربي ويرجح في ذلك الشعر من النثر لان النثر غير مضبوط بوزن فيكون عرضة لتحريف النساخ كما هو المظنون في همزة الطبري في (أقصه) اما اذا بعد القائل عن عصور الفصاحة كاهل زماننا ومنهم اليازجي ومحمد عبده فلا يقبل منهم الا ما ثبت في اللغة او وافق القياس ولو لم يذكر في المعجمات ولا تكفي شهرة هؤلاء الناس حتى في اللغة فمعتبرهم واضعين فيها . ول هؤلاء المشهورين أغلاط لا تحصى في النحو والصرف واللغة والهجاء .

(الاقتراح الثالث) — بشأن الكلمات العربية المادة التي استعملت مجازاً في غير معناها او اشتقت بالاشتقاق القياسي من فعل عربي صحيح او نسبت الى لفظ عربي وغير ذلك من بقية مصطلحات العلوم والصناعات فهذه كلها تقبلها بصدر رحب لان التجوز قياسي عند جمهور الائمة مع شرط العلاقة والقربنة ، ولان كثيراً من المشتقات قياسي ولان النسب باصوله قياسي بل ان المنسوب بصيغة النسب العربية الى اسم اعجمي يعتبر عربياً . وهذا الصنف هو عمدتنا وملجؤنا في تنمية اللغة وجعلها تجاري أحوال الزمان والمكان وفي رأيي انه يُخففنا عن كل دخیل .

(الاقتراح الرابع) — بشأن كلمات وضعها المولودون ولا اصل لها في التصحيح . واقول هذه لا يجوز استعمالها الا في العامة وقتلنا (لا اصل لها الخ) لانها لو جرت على مقتضى قياس عربي من مجاز او اشتقاق او نسب الخ جاز استعمالها ولو لم توجد في المعجمات لان المعجمات كثيراً ما تهمل القياسي انكالا على القواعد .

(الاقتراح الخامس) — بشأن كلمات اعجمية الخ . اقول ان الاعجمي صنفان صنف عربي من يعتد بعربيته وهم الجاهلية واهل القرنين الاولين من فصحاء الامصار والقرون الثلاثة الاولى من اهل جزيرة العرب وحكمه حكم العربي الا قليلاً وصنف استعمله غير من يعتد بعربيته وهذا لا يعتبر من الفصيح في شيء وحكمه حكم العامي ويعتبر ادخاله في الفصيح من باب اللحن وخرق القواعد لأنه لم يوجد امام قط من أئمة اللغة زعم ان التعريب قياسي وانما هو سماعي لقلة الوارد منه في الفصيح اذ لا يزيد على الف كلمة في لغة تبلغ اربعة آلاف الف كلمة واكثر . وانما يجوز استعماله في عامتنا كما هو الواقع الآن من مثل او توموبيل وغيره والخفة والثقل او صغر الكلمات وطولها ليست من المرخصات في عدم اصول اللغات .

(الاقتراح السادس) — أساليب و تراكيب أعجمية تسربت الخ . انا لا اقول ان هذه الاساليب اعجمية لان الفاعل لم يتقدم فيها على الفعل ولا المضاف اليه على المضاف ولا الصفة على الموصوف ولا وضعت فيها علامات للاضافة وانما هي انواع من المجاز والكناية تسيئها الاصول العربية وكم رست اللغة أمثالها بصدر رجب زمن لدة العباسية وبخاصة أساليب المنطق وأدلة التوحيد والاصول فانها على رأي شيخنا المغربي أساليب أعجمية وفي رأينا أساليب عربية رتب العقل او الخيال فيها على مألوف اليونان اما بعض أساليب المنطق الناشئة عن ضعف في الترجمة او عن الترجمة الحرفية فهذا نمنعه ولونطق به الكندي وابن سينا ويجب علينا اصلاحه الآن اثناء محاولتنا تذهيب^(١) العلوم . وفي رأينا ان هذا الصنف داخل في الصنف الثالث او هو عينه .

(الاقتراح السابع) — ألفاظ لا يجوز استعمالها في الفصيح كما يرى الاساذ المغربي وهي الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء وعنده ان الازجي والشيخ محمد عبده من الفصحاء ونحن نعتبرهم من المولدين فعما والبارودي وشوقي واخراهم لودع منهم ما يخالف قواعد العربية وما لا أصل له في اللغة لنبتذله ببذ النواة ولا كرامة وتركناه للعوام ان شاؤوا استعمالوه او اطرحوه .

هذا ما أراه وأظن ان بعضه لا يخفى على ذوق شيخنا المغربي خفة (الفلم) فقد

(١) ولعل صوابه (تهذيب) .

عرفت منه شيئاً كثيراً من ذلك أيام كونه في مصر ولكن لكم دينكم ولي دين وسلامي عليه وعلى اخواني اعضاء المجمع وتحبائي الخالصة .



حفلة تنشيط

« في المجمع العلمي »

لما رأى المجمع حفلات التكريم تقام في طول البلاد العربية وعرضها لنوبها باسم أشخاص فضلاء تقفوا البلاد بعلمهم وآثار نبوغهم — رأى هو ايضاً ان يقيم حفلة مبتكرة في نوعها دعاها (حفلة تنشيط) ذلك ان اربعة من طلاب المدرسة التجهيزية أظهروا في امتحان شهادة العالمية (البكالوريا) — ذكاء وتفوقاً لاسيما في الآداب العربية وقرض الشعر العربي ومثل هؤلاء الثبان كانوا اذا نبغوا في عهد عرب الجاهلية دقت البشار وأقيمت المهرجانات فرحاً بهم واستبشاراً بنبوغهم في الشعر من حيث يزدودون به عن حمى قبيلتهم ويفخمون الذي يهجوها او يعتدي عليها — كل ذلك حمل المجمع العلمي على إقامة حفلة التكريم او التنشيط لهؤلاء الاربعة فدعا لما الهم الغفير من أدباء الحاضرة وفضلائها .

فلما جاء الوقت المعين (الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧) اكنتت ردهة المجمع بالمدعوين وغيرهم وفيهم سعادة مدير الجامعة السورية رضا بك سعيد ومدير مكتب التجهيز واساتذته ورفاق الطلاب الاربعة من تلاميذ المكتب وطائفة كبيرة من شعراء انقياء وأدبائها . ولما استتم عقدهم نهض الاساذ رئيس المجمع السيد محمد كرد علي وأبان الغرض من هذه الحفلة وذكر ما روي عن غلادستون الشهير من انه اذا كان رأى غلاماً يلعبون في الشارع رفع قبعته تحية لهم وقال ان هؤلاء الغلامات سيكونون رجال المستقبل فهو يحيي بهم الرجولة المندمجة في هذه الطفولة ، وكذلك المجمع يكرم هؤلاء الشعراء الاربعة الذين

سيكونون في المستقبل نوابغ تباهي بهم الشام غيرها من البلاد . وان هذه الحفلة ستكون من اكبر المنشطات لهم للمضي في هذا الطريق طريق النبوغ والتفوق في الادب العربي وخدمة الوطن العربي . ثم قدم الشباب المحفل بهم للجمهور وهم السادة زكي الخماسني ثم جميل سلطان فانور العطار فعبداً الكريمي وأعلن الرئيس ان كلا منهم سينتقل على الحضور قصيدة من شعره تدل على مبلغه منه وتنفوق فيه .

فقدم السيد زكي الخماسني وثلاث قصيدته التي موضوعها (الشاعر المحزون) ومطلعها :

شاعر الشجو فادح الآلام مستتر تبريح كالأضرام
منذ شرخ الصبا بلوح له القدر يرونبداً أضواءه في قتام
هو سر لا يستطيع له عا سر ولغز ينأى عن الأفهام .

ارسل الشعر من عميق اساه فتغذوه محزن الانعام
فأنال التبريح كل شجي وخلي قسطاً من الآلام
لا تله في الشعر ان كان شجواً فخير الاشجان بهض الملام

آه من ليلة اساه براني ساء رثني فيها قوى الاسقام
قد تعالى فيها الرنين على ق يرفقنا من شاعر مستهام
عمى الحزين فاحتواها وأبلى حسنها النوم في طباق الرغام
ليت دمعاً عند المساء يُروى من يجل يدها غليل الرمام
قبح الدهر كم يبالغ فينا باعتساف وبنثني باجترام

ثم تقدم بعده السيد جميل سلطان فتلا قصيدة موضوعها (الأم) ومطلعها :

أذهاباً مع الاماني ملياً لا انطوى عهد من بعش هنيا
ناضر العود في ازدهار حلوم باسمات تشع نوراً هنيا

انما الأم كوكب لا يراه حاضر الأم كوكب دريا
آية الله نعمةً وابتسام الـ فحجر نوراً والارض عرفاً زكيا

من سوا ما يُسبغ كأس المائي ويفديك بالفؤاد رضا
هي مهد الحنان والأمل البا زغ نوحى قنبت القلب ربا
الى ان قال حسب من رب البنين صغارا انها تستفز روحا ايبا
ان دعت شبلها لخوض المايا خاضها مشرعا بها السميريا
يستطيب المنون تحت لواء تحذته لواءها القوميا
أيها ذالخفاق رفر ولا زل - ست عزيزا يجلا محيا

* * *

ثم تقدم بعده السيد انور العطار وتلا قصيدته التي موضوعها (الشاعر) ومطلعها :
خايبا ينح على عذباته ويصغ من دموعه آياته
ويرتل الحانه بخشوع مستمدا من العلى نغاته
الى ان قال شاعر صاغه الآله من البؤ س وابدى الاسبى على نظراته
وحباء انسحر الحلال ففتى شاكرآ ربه على نغماته
ومسرى التنظيم ما كان حيا فالهوى والشعور في طياته
ومسرى التنظيم ما كانت الحكمة - لة فياضة على جنباته
ومنها يخلد الشاعر الحزين اذا قط بر أنفاسه على صفحاته
ومنها كتب البؤس فوق خديه سطورا تراءى الآلام في كمانه
للهوى قلبه وللشجو عينا ه وللعالمين كل هباته
ومنها علل النفس دهره بالأمانى غير ما ناظر الى عقباته
كل من في الوجود يجني مناه وهو يقصي عن نيسله ثمراته

* * *

ثم ختمت الحلقة بالسيد عبد الكريم الكرمي وموضوع قصيدته (قصة بدوية)
او (ابنة الشيخ رضوان) فذكر خلاصة تلك القصة ثم تلاها ومطلعها :

ناديني الرباب قبل زبالي لست مذمومة ولست بدالي
ودعيني اسمعك وجد (ابنة الش ينج) و(رضوان) وهو سر الجلال

فالها شاعر الطبيعة في الدير ل ومهوى الاشعار تلك الليالي

مسك الشاعر الرباب فأذنت أنة الوجدان في الاطلال
فحنا مشفقاً عليها كأن حين تمنحو على وحيد غالي
قال والغيد حوله ساكنات وسكون الحسان عين السكال
ربوة يسكن الغرام اليها يمتليها (رضوان) كل زوال
كان يرعى انعام شيخ عجوز ساد فسمياً من قومه والآل
ثم سرد الشاعر خبر الراعي والشيخ رضوان وابنته .

اخبار وافكار

اقترح

مع تقديري قدر المهمة التي يبذلها رجال مجتمنا الموقر وقدر جهودهم الكبيرة فيه
لا ازال ارى فراغاً لم يتسع لم الوقت لسده ، وارى الناس لا يزالون يتحدثون به
الا وهو البحث في وضع الاسماء للمسميات الأعجمية الطارئة على اللغة .
انني ألس الصعوبة التي تقوم في هذا السبيل كما انني أحس عظيم التبعة الملقاة
على عاتق المجمع منه وارى جيشاً لجباً من الالفاظ الطارئة يطلب اثوابه العربية ليدخل
حظيرة اللغة وهو كل يوم في زيادة من عدده . ولا يفيد التسويف الا ازدياد المشقة
وعظيم الكلفة وتزيد العبء وان العمل بقدر الاستطاعة فيه قضاء للغرض ولا بعدم
المجمع (ورجاله من خيرة رجال الامة العربية) واسطة لتخفيف العبء والنهوض بالواجب .
ان تبعة الالهامال تقع على كاهل المجمع قبل كل احد لانه المجمع العربي الوحيد الذي
له انصاره وهو المؤيد بماء اللغة في سائر الافطار فعليه ان يضع وعلى الامة ان تتبع .
انني ارى الالفاظ الطارئة على ضروب منها ما عرف واشتهر في البلاد بمجتمه
قبل ان يوضع له اسم عربي مثل (تليفون وتلفون) ومنها ما وضع اسمه العربي قبل
اشتهاره فعرفه الناس به (كالطيارة للاروبلان) ومنها ما سبقت معرفته وضع اسمه

في قطر وسبق وضع اسمه . معرفته في قطر آخر فعرّف في القطر الاول بمجمته وفي الثاني باسمه العربي (كالانوموبيل) فهو في الشام مشهور باسمه الأعجمي وفي بعض أقطارها كشرق الأردن باسمه العربي (سيارة) .

وأجد ان الاسماء الأعجمية المشهورة منها الثقيل غير الجاري على اوزان اللغة (كالانوموبيل والمداموازيل) ومنها الخفيف الجاري على وزن اللغة مثل (فلم ودوش) ولا غرابة اذا تفرّت العامة عما لا تألفه من الأوزان الثقيلة والكلمات التي لا تجري على سنن لغتها فخرت ونصرفت بما شاءت حتى ساءت لها . فقد اجتزأوا بالتيل عن التلغراف في بعض الاقطار العربية . واستعملوا كلمة مكنة او ما كنة في معنى الانوموبيل كما هو شائع عند سواقي الساحل . ومكنة لفظة أعجمية أصبحت عربية لشيوعها عندم وخفة لفظها . فاذا صح ان المسمى اذا وضع له اسم عربي او معرب قبل اشتهار اسمه وتداوله الشعراء والكتاب في الصحف ثبت له اسمه العربي وكان الأعجمي غريباً واذا سبق اسمه الأعجمي فتداوله الناس صعب . عرف السننهم عنه الا الى ما يقاربه في اللفظ فاذا كان ما يقاربه في اللفظ خفيفاً عليهم تقبلوه بقبول حسن . فاذا صححت عزيمة المجمع على هذا فاني أرى أسهل طريق وان كان بمحد ذاته لا يخلو من الصعوبة ان يبادر معها أمكن الى التسميات الطارئة حديثاً قبل شيوع امرها فيضع لها اسماها العربية ثم يعمد الى التسميات الاخرى فما كانت منها شائعا معروفا ولكنه ثقيل خففه بالحذف والتبديل ، وما كان خفيفاً على وزن عربي أقره كما هو كما فعل العرب بلجام وأمثالها .

واما طريقة وضع الاسماء فلكي تكون معتمدة صالحة ينبغي ان يشترك فيها كل أعضاء المجمع وهم من خيرة علماء العرب وذلك بان يوثق بالتسميات فتشرح معانيها عن لغاتها الأصلية ويضم لها المجمع ما يراه الاعضاء الحاضرون من الاسماء ثم ينشر ذلك على الاعضاء المراسلين ضارباً لهم اجلاً للجواب ، ثم يعلن عند نهايته صفوة الآراء في الاسماء ويختار منها ما كان عليه الأكثر كثرة منهم ثم يسجله في سجله الخاص لهذه الغاية وتنشر خلاصته كل عام .

ان هذه الطريقة هي أجلب للثقة وأجمع للآراء في وضع كلمات تدخل في صلب اللغة بتقرير المجمع لها والله ولي التوفيق .
عضو المجمع العلمي العربي
احمد رضا

ملاحظات لغوية

ارجو ان تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات او اضافة بعض الاشياء الى مقالتي
الاستاذين الغاضلين الجندي والشهابي اتماماً للفائدة . فمافات الاول (الأرقم) من
اسماء القلم ولعله سمي بذلك تشبيهاً بالحية الارقم لاستطاعته تفت السم الادبي نفث هذا
السم المادي . و (الخفّاض) من اسماء المداد وسمي هذا بمداداً لان الدواة تُحَدِّثُ به .
و (المِخْبَر) اي موضع الخبر . و (قُرْضَة) الدواة اي موضع الخبر منها . و (حَبَر)
الدواة : وضع الخبر فيها . (وأمد) الكاتب : اعطاء مدة قلم . (ونمى) الخبر في
الكتاب : اشتد سواده بعدما كثرت . وصريف القلم : صوت جريانه . والرشتق
صوت القلم . والنميمة : صوت الكتابة . و حفر مِرم القلم : براه . وتشت رأس
القلم : انتفش طرفه وساء خطّه . والثالث برأسه شعرة اذا علق به او التفت عليه .
وللكتاب اسماء كثيرة غير ما ذكر منها الممهضوب والمهضور والصمك والذقر وهو
الكتاب في التجو . والممرسوم وهو الكتاب المطبوع . والمنشور وهو ما كان غير
مختوم من كتب السلطان ومنه مناشير الاحبار . والمودعة لانه جالب للمودة .
والوضعية وهو كتاب تكتب فيه الحكمة . والبلاغ وهو كتاب يودعه صاحبه حكماً
في مسألة . واما السيفر فهو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من أجزاء التوراة تقول
حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة مدارس الاسفار . والزبر والزبور والزبير
والضبار والمدرج وهو الكتاب المطوي والديوان وهو الكتاب يكتب فيه اهل
الجيش واهل العلية . ومن اسماء الكتاب الفأوج والمُرَقَن والمُرَقَم والحجاج
سمي بهذا لان قلم يمجّ المداد . والمكّاك وهو كاتب الصكوك — وحافظها . وقالوا
قرمط الكتاب كتبه دقيقاً او قصيراً الاحرف او قارب ما بين سطوره ورَقَن الكتاب

قارب ما بين سطوره ومثل قرطه ننم وقيل دامج ايضاً . وهذا خطٌ نزل اذا كان متلرزاً يقع الشيء الكثير منه في القرطاس اليسير . والعُندة الضعف في الخط يقال في خطه عُندة اي هو ردي الخط . وطأخ الكتابة أفسدها . ورعج الكاتب ما كتبه : أفسد سطوره بعد كتابتها وبجرح الكاتب وثبجته وثبجته : عمّاه وترك بيانته . والقمة طرُ ما يسان فيه الكتب بذكر ويؤنث وربما قيل قمة طرة . ونمقي الكتاب حسنه وزينه بالكتابة . ورقنه حسنه وزينه . وزوفه نزويقا قومه نقويما . وخط رشيق : ظريف . والرّش : الخط الحسن . والاطلاسة : خرقه يمسح بها بلوح المكتوب ويمحى بها وأنجل الصبي لوحه مثل نجله الخ الخ .

ومما فات الاستاذ الشهابي المطور فهو كالمطر : سنبول الذرة وقد ذكر للخيّل الطويلة الموطّ والسلاجم ولكن العرب وضعوا ألفاظاً خاصة للخيّل الطويلة فقالوا : فرس فوق طويل القوائم وهي قوّة فرس مُشدّاب طويل ليس بكثير اللحم تشبيهاً له بالنخلة المشدّبة . والشفاصية وهي الفرس الطويلة الشديدة الشبيطة . واليه مقوب وهو الفرس الطويل السريع . والطمر هو الفرس الطويل القوائم الخفيف . والممة ماص وهو المشرف المشمر الطويل القوائم يقال فرس ممة ماص . والقروري وهو الفرس المديد الطويل القوائم . والمزلول وهو الفرس الطويل الصلب . وفرس هيكلي مرتفع ، وفي فقه الثالبي هو الطويل الضخم تشبيهاً له بالمهيكل وهو البناء المرتفع . والشية ظم الطويل الجسم النقي . والسماهب وهو ماعظم وطالت عظامه وفي الصحاح هو الطويل على وجه الارض وربما جاء بالصاد . وفرس أشق وأتمق طويل . والشوها الفرس الطويل الرائعة . وفرس صقل طويل الصقلين . وقد طريب الفرس طال ظهره وطالت رجلاه في استرخاء فهو أطناب .

ويرادف الممشوش العذيق والمكّتب وهو العقود أكل بعض ما فيه . وقالوا سوّج على النخل والكرم تسويجاً أحاط عليه بالساج . والوشيع ، اجعل حول الحديقة من الشجر والشوك منعاً للداخلين . ويقال لذكور النحل الأرغال ج رعل . وأرى ان أضيف شيئاً الى ما تقدم عن الاجنة التي تكلم عنها الحكيم الالمعي امين المعلوف فقد قال العرب المجرّ ما في بطون الحوامل من الابل والغنم والقندوي

كل ما في بطون الحوامل وقيل خاص بالنساء وكذا العذوي والعذري . والمليط هو الجنين قبل ان يشعر . والنور ما اجنبت حمر الوحش في ارحامها قبل تمام خلقه وكذلك النورة والنورة ايضا اولاد الحوامل اذا صورت . وقد وزع الجنين توزيعا : صور في البطن فثبت صورته وتحرك . والمقط هو الذي يولد لسته اشهر او سبعة . والعرض : السقط الذي لم يتم خلقه . والحضيرة : ما تلقيه المرأة من اولادها . والاحشوش والحش : هو الولد اليابس في بطن أمه . والمجغ : الذي رمت به امه بعد ما انفج فيه الروح الخ .

النبك :
سالم خليل رزق

— — — — —

نبذة تاريخية

« نعلق بدمشق وجامعها وما حوله »

— تمهيد —

اضطرتني البحث مرة الى سؤال صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد تيمور باشا عن كتابة تاريخية ظهرت في المسجد الاقصي كانت السائح الهروي قلها في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » لاعتقادي بان الخزانة التيمورية لا تخلو من مثل هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً لم يمثل بالطبع فبعد ان تفضل بنسخ صورة الكتابة وارسالها الي مشفعا اياها بملاحظات حكيمه وآراء سديدة استنسخ كتاب الاشارات بالتصوير الشمسي وأهداه الي علي نسختين نسخة قديمة كتبت سنة ٩٧٧ ١٥٦٩ م ونسخة جديدة تاريخ نسخها سنة ١٣١٠ ١٨٩٢ م وقد جاء في آخر الاولى ما نصه : « وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة المعظمة نهار الثلاثاء أواخر شهر المحرم من شهر سنة سبع وصبعين وتسعمائة أحسن الله تعالى عاقبتها بمخير لنا وللمسلمين امين والحمد لله رب العالمين وذلك على يد العبد الفقير الى الله تعالى عثمان بن احمد المعري المؤذن يومئذ بمدينة حماة المحروسة بجامع الكبير الأعل غفر الله له وللمسلمين اجمعين آمين » .

أما الثانية فلم يُذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ولا الأصل الذي نقلت عنه بل يقول ناسخها المجهول : « وكانت الفراغ منه ضبيعة يوم الجمعة سنة ١٣١٠ الف وثلثمائة وعشرة على صاحب الهجرة أفضل صلاة وأزكى سلام ومسك ختام » .
وباول صفحة وآخر صفحة من هذه النسخة ختم « وقف أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر » وهو صاحبنا المتقدم ذكره أمد الله في حياته وأدام به النفع .
وفي هذه النسخة المكتوبة بقلم دقيق سقط مقدار كراس فيه بقية وصف بغداد ومدن العراق الأخرى ووصف مكة وماليها من مدن الحجاز وبعض من وصف المدينة .
نجاءت في ٨٣ صفحة بعكس الأولى التي تتألف من ١٢٤ صفحة وبكل من النسختين بعض زيادات ونواقص وأغلاط قد نتم أحدهما الأخرى وهذا ما دعا صدقنا العلامة تيمور باشا إلى تصويرهما وإهدائهما إلى معا .

والسائح الهروي مؤلف هذه الرحلة قد اشتهر بكتبته حتى أن النسخة المحفوظة منها في دار الكتب المصرية لم يكتب عليها اسمها بل كتب في أولها « رحلة أبي الحسن »^(١)
وقد ترجم ابن خلكان للهروي في كتابه وفيات الأعيان بقوله :^(٢)
« أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل الموصل المولد السائح المشهور بترك برأ ولا يجرأ ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها على كثرتها إلى أن يقول :

وكان مع هذا فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء وتقدم عند الملك الظاهر صاحب حلب وهو ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأقام عنده وكان كثير الرعاية له وبني له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة دفن فيها عقب وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وذكر له من المؤلفات كتاب الاشارات وكتاب الخطب الهروية وقال إن له غير ذلك من الكتب اهـ » .

(١) فهرست الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب الخديوية المصرية (ج ٥

ص ٥٨) . (٢) وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٣٧) .

ويظهر من بعض أقوال المؤلف في رحلته انه ألف كتاباً سماه العجائب والآثار والاصنام والطلسمات ذكر فيه ما وقع نظره عليه من عجائب المدن والامصار ، وآخر وصفه بكتاب منازل الارض ذات الطول والعرض وهما مفقودان الآن على ما نعلم .
والذي تبين لنا من أقواله في آخر الرحلة ان أكثر كتبه اخذتها الفرنج وغرفت في البحر الا انه بعد ذلك يقول انه ذكر في كتابه الثاني ما قدر عليه ووصل اليه وبنعي كلامه بقوله فمن أراد ذلك فليطلبه فيه الكفاية لاهل الدراية ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده .

والذي بهمنا من ذلك كله بعض تعاليق مفيدة كتبها احد من انصل الكتاب اليهم وهو يضع توقيعه على هذا الوجه « حرره أكل » وفي احد تعاليقه « قال كاتبه محمد الأكل بن مفلح » وفي آخر « قال جدي العلامة شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع في كتاب الجنائز » .

وقال في تعليقه على صلخد التي ذكرها الهروي بهذا الاسم : « صوابه صرخد ذات قلعة عظيمة وجامع وكانت لعز الدين ابيك المعظمي جدي لامي » .
قلنا وعز الدين هذا هو مملوك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الذي كان أعطاه صرخد وقد توفي عز الدين في محبسه بالقاهرة سنة ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م .
وقد تقدم ان الكتاب تم نسخه سنة ٩٧٧ هـ فيكون الأكل الذي حشى عليه عاش في القرن العاشر الهجري او فيما بعده .

وقد علق على مدينة دمشق بعض تعاليق كتبها تحت عنوان « نبذة تاريخية تعلق بدمشق وجامعها وما حوله » وهو ما اتخذناه عنواناً لمقالتنا هذه فقال في حاشية صفحة من الكتاب « لما مات السلطان صلاح الدين يوسف بنى ولده العزيز عثمان مدرسته الى جانب الكلاسة ونقل اليها والده ودفنه في قبة في جوارها والمدرسة تعرف الآن بالعزيزية والوقف عليها قرية محجة من عمل ازرع من حوران ^(١) وفي

(١) المحجة قرية بين اذرع ودمشق وبجانبها محطة لسكة الحديد الحجازية في الكيلومتر ٧٨ من دمشق وازرع قرية ومحطة في الكيلومتر ٩١ وقد ذكر الاولى يا قوت في مجمه وقال انها من قري حوران ولم يذكر الثانية وترى ان الأكل قد رسمها بلا الف اي زرع .

سنة ٦٠٦ امر بتبليط الصخر الخارج بتولي صاحب صني الدين عبد الله بن علي بن شكر وبتبليط الاروقة الجوانية في مباشرة الوزير جمال الدين الاسكندري المعروف بابن فارس في سنة سبع وستائة وجدد المقصورة التاجية المعروفة كانت بابن سنان في سنة ٦٢٤ وجدد من الرخام القائم بحدرا نالجامع ما كان متزايلاً في الايام الاشرفية ولما تملكها الملك الاشرف موسى بن العادل امر بترميم الحنايا وجدد بعض المقاصير ولما توفي في سنة ٦٣٥ عمل له تربة شمالي الجامع والكلاسة ولها شبابيك الى الكلاسة ودُفن بها ورتب فيها قراء .

ولما ملكها الصالح اسماعيل بن العادل عمل وزيره امين الدولة عبد السلام السامري بالجامع طلباً للحيات فلا تدخل اليه واحترقت .

هنا انتهى التعليق الذي حشي به على صفحة من الكتاب وجاءت بعده ورقة طيارة ليست من الكتاب كتب فيها ما سيأتي ذكره ولا نعلم اذا كانت منجمة للحاشية الاولى او قائمة بنفسها فاذا لم تكن لاحقة لما سبق فيكون قد سقط منها كلمة سقطت او هدمت او احترقت وهذه هي الحاشية الثانية : « في الايام الصالحة النجمية المأذنة الشرقية بجامع دمشق عند اول قدومه اليها في سنة ٦٤٥ واقامت خراباً ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً فأمر السلطان بعمارتهما في أوائل سنة سبع واربعين وستائة في الايام الصالحة الناصر بن الملك العزيز صاحب حلب ورعى من ماء القنوات زيادة على ماء باناس للجامع الأموي مقدار سبعة عشر أصبعاً من أصابع الماء للكلاسة والبركة المجددة بباب البريد والقسطل الماء وللمارستان .

(الكلاسة) — عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر البرسقي سنة ٥٥٥ واحترقت هي ومأذنة العروس في المحرم سنة ٥٧٠^(١) .

(قبة الفوارة) — بصحن جامع دمشق المعروفة بقبة ابي نواس اقيمت سنة ٤١٦ ولجعفر بن دواس الكنتاني المعروف بقمر الدولة بصف الفوارة :

(رأيت بالجامع العمور معجزة في حاو ليث أخذي من بهاسمما)

(فوارة كلما فارت فرت كبدي من حيث قابل أنبوباً لها ركما)

(١) مأذنة العروس هي اعلى ماذن جامع بني أمية بدمشق .

(الناصرية الجوانية النحوية) — عمرها الملك الناصر سنة ٦٤٣ على يد الحاجب وهي سنة ملك صلاح الدين دمشق^(١) وامر بتجديد عمارة الكلاسة سنة ٥٧٥ على يد ابن العميد الحاجب . وابتدي ترميم دائرة النسر والرفرف المستدير عليها والطافات في الايام الناصرية الصلاحية ابن ايوب بتولي القاضي محيي الدين القرشي قاضي قضاة الشام سنة ٥٨٥ وتمت الكلاسة فان نور الدين مات ولم تكل وجددت في ايامه فواره جيروت . »

وكتب في ورقة طيارة ثانية : « في الايام الظاهرية الركنية أخرجت الصناديق والمجاورون من جامع دمشق وقلعت الدرايز بنات وفكت المقاصير في سنة ٦٦٥ وولى فيه في هذه السنة وطاف به فرأى الحائط القبلي قد اتسخ رخامه وتشعثت الفسيفساء فأمر باصلاحها وغسل الأساطين وذُهِبت رؤوسها وغير ما يجب تغييره من الرخام وذُهِب تازيره والكرمة التي تدور به^(٢) .

(١) في هذه العبارة اضطراب فصلاح الدين الاول ملك دمشق سنة ٥٧٠ هـ ١١٧٤ م بينما هو يقول ان الملك الناصر عمر الناصرية سنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م فاذا كان يقصد بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فهذا قد ملك دمشق ودخلها سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م فيجب ان يكون بناء المدرسة بعد ذلك التاريخ .

(٢) لعل البقية الباقية من هذه الكرمة هي المحفوظة بدار الآثار العربية والتي وُصفت بمجلة المجمع العلمي العربي (م ٧ ص ٤٥) ولكن في الامر ما يذهب الى النظر فان واصفها الاستاذ جعفر الحسني مدير دار الآثار العربية في دمشق يقول ان كرمة جامع دمشق قد زالت فيما زال من الصناعات النفيسة في حريق سنة ٤٦١ هـ ١٠٦٨ م في حين ان الواصف يقول بان الكرمة التي تدور بالحائط القبلي قد ذُهِبت سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٦ م فهل هذه الكرمة هي غير الاولى التي كانت ايضا في الجهة القبليّة من المسجد وذُهِبت طعمة للحريق كما قيل ام هي بقاياها ولكنه أجهز عليها حريق آخر أودى بها وبها . وعلى ذكر الكرمة التي يقول عنها الاستاذ الحسني انها صنعت في

ولما دخل دمشق المولى الصاحب بهاء الدين علي بن محمد مع السلطان سنة ٦٩٠ نظر في وقوفه وما يفرض منها لأرباب الرواتب فمن كانت مستغنياً وليس به انتفاع في علم أبطله وكان بصحن الجامع حواصل للمعجنقات وحواصل للامراء من خيم وغيرها فأمر بآزالها فأتسع وزاد رونقه .

(ذكر ما جدد بظاهر دمشق من الجوامع) — جامع الجبل المعروف بالحنابلة بسفح قاسيون أول من خطه الحاج علي الفامي من محلة مسجد القصب وشرع في بنائه ومعه جماعة من الحنابلة الصالحين ثم بلغ مظفر الدين صاحب أربل أن الحنابلة بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون وأنهم عاجزون عن العمل وإتمامه فسير اليهم حاجب من حجابيه ومعه ثلاثة آلاف دينار للتميم العارة ومما فضل من ذلك يشتري به وقف و يوقف عليه وتم سنة ٥٩٦ .

(جامع مصلى العيدين) — قبل البلد أنشأه الملك العادل سيف الدين أبو بكر ابن أيوب سنة ٦٠٦ .

(جامع التوبة بالعقبة) — أنشأه الملك الأشرف موسى بن أيوب سنة ٦٢٢ وكان يعرف بخان الدغاري وقيل بجنائن الريحان وكان به كل مكروه من القيان وغيرها .

(جامع جراح) — أنشأه الملك الأشرف موسى سنة ٦٢٣ .

(المدرسة المرشدية بسفح قاسيون) — أنشأها الخاتون المعظمة عصمة الدين بنت الملك المعظم عيسى سنة ٦٥٤ ولها وقف مزرعة بالقابوت^(١) وبساتين

أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان عند بنائه مسجد دمشق فان جعل تاريخ صنعها سنة ١٨٦ — ١٨٧ هـ ٨٠٢ — ٨٠٣ م هو مغلوط فيه إذا لم يكن ذلك من خطأ الطبع فان الوليد لم يل الخلافة قبل سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م ومسجد دمشق قد بني في سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وان كان زعم بعض المؤرخين أن العارة بدي^٢ فيها سنة ٨٧ لكن الأعم على أنها كانت في سنة ٨٨ .

(١) القابون قرية تزهة في ضاحية دمشق بينها وبين دومة الغرطة ويقول باقوت عنها موضع بينة وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين .

بالصالحية (١) .

(الماردانية بالصالحية) — جامع ومدرسة وثروة إنشاء عزيزة الدين اجشرويا الماردانية سنة ٦١٠ وأوقفها سنة ٦٢٤ (٢) .

انتهت النبذة التاريجية التي أوردناها أكمل وقد عاتى على قبر وائل بن الاسقع الذي في قبلي الباب الصغير من ميدان الحصى قبلي دمشق وفي النسخة الجديدة من الرحلة وائلة بن الاسقع فقال : « الاسمع انه وائلة بن الاسقع وله مسجد بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشبائثي يعرف به » .

هذه هي تعاليق محمد الأكل بن مفلح عن دمشق نقلناها واكثرها غير معجم حتى الأعلام منها وبعثنا بها لمجلتكم الزاهرة لعلاقتها بتاريخ دمشق .

حيثما : عبد الله مخلص

استدراك

وقد ترجم له السيد كمال الدين الغزي الدمشقي المتوفى ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م في ذيل طبقات الخبابة بما ملخصه :

« محمد أكل الدين بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد أكل الدين بن عبد الله ابن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الشهير بالقاضي أكل بن مفلح الراميني المقدسي الاصل الدمشقي الشيخ الامام العالم البارع المؤرخ المسند الفقيه مولده بدمشق وكان له خطه حسن كتب به عدة مجاميع وعلى كتابته رونق ظاهر وله عدة نوايف وتلخيصات وتعاليق وفوائد وكان ينظم الشعر وتوفي في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٠١١ هـ ٧ حزيران سنة ١٦٠٣ م » اه باختصار من طبقات الخبابة للشيخ محمد جميل الشطي الدمشقي الذي

(١) الصالحية هي من أحياء دمشق كثير العارة وفيه معجم يافوت : قرية كبيرة ذات أمواق وجامع فيه لحف جبل قاسيون من غرطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها ايضا جماعة منهم واكثر أهلها فائلة البيت المقدس على مذهب احمد ان حنبل . (٢) في كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس الى ماني دمشق من الجوامع والمدارس لعبد القادر النعيمي قال عنها ابنة ملك ماردين .

قفي على ذلك بقوله « ص ٩٤ » : « هذا آخر من عُرِف من بني مفلح في دمشق وقد انقرضت هذه الأسرة ولم يبق منها سوى الأسباط وهم بنو الاسطواني الأسرة الكبيرة المعروفة بدمشق تولوا عنهم أوقافاً ووظائف كثيرة » .



مطبوعات حديثة

الانتاج الزراعي

« في مصر والولايات المتحدة والمانيا »

تأليف السيد احمد مراد البكري طبع بمطبعة المقتطف في مصر ويحتوي على ٢٦٨ صفحة متوسطة منها نحو مئة صفحة كلها في الاحصاء

أورد المؤلف في هذا الكتاب احصائيات زراعية ثمينة وشيئا في علم الاقتصاد الزراعي وأبحاثا في أهم الوسائل التي تتوصل بها تلك البلاد لتزويد المنتجات الزراعية فيها . واذا صح ما ورد في جداول الاحصاء يمكن ذكر نموذج مما أورده المؤلف مثل ان غذاء الفلاح المصري ربعان من دقيق الذرة والربع من دقيق الحنطة . ومن الأرز والخضر والربع الأخير من اللحم والدّابن . اما معظم اللحوم فيأكلها ذوواليسار في المدن وان كل ١٠٠ فدان مصري تقوم بتغذية ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصا في مصر ، وان عدد الفلاحين في مصر ٧٠ ونيف في المئة من السكان اما في المانيا فنحو ٥٠ في المئة . لكن الفلاح الالماني أقوى فلاح في العالم على الانتاج في مساحة واحدة ، وان الاجانب تملك نحو ١.١ في المئة من اراضي مصر الزراعية وهو مقدار كبير ، وانه بالغ عدد المعلمين في المدارس الزراعية في الولايات المتحدة ٢٠١٢ معلماً وعدد التلاميذ ٧١٢٩٨ تلميذاً وذلك سنة ١٩٢٣ . اما في مصر فلم يزد عدد الطلاب في المدارس الزراعية على ٥٢٣ طالباً في سنة ١٩٢١ فالفرق بين البلدين بعيد حتى مع مراعاة عدد السكان في كليهما . وظط المؤلف في تقدير متوسط ماآدره الأبقار الحلوبة في مدرسة الجيزة الزراعية فبدلاً من ان يجمع كل ما حصل من الحليب ويقسمه على عدد الأبقار وهو ٢٢ بقرة

فقد اخذ المقدار الذي درته أجود بقرة والمقدار الذي أعطته أنل الأبقار دراً وقسم مجموعها على اثنين وهذه الطريقة غير صحيحة .

وحبذا لو اعنتني المؤلف الفاضل بلغة الاجزاء التالية التي وعد باصدارها فان بعض جمل الكتاب (وهو الجزء الاول) تكاد تكون عامية مثل الجملة الآتية التي وردت تحت الصورة المقابلة للصفحة ١٤ وهي : « ٠٠٠ عمر هذه البقرة حوالي ١٣ سنة وكسور وهي شامي بلدي وقد أعطت ٠٠٠٠ » وليس يخاف على حضرة المؤلف ما لفصاحة اللغة من الشأن في التعانيف .

عضو المجسم العلمي العربي

مصطفى السرهانجي

تقديم فهوم اهل الاثر

« في عيون التاريخ والسير »

تأليف الحافظ جمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ

نشره وعلق عليه الشيخ محمد يوسف البريلوي التونسي وطبع في مطبعة

جيتدبيريس يرقى ببلدة دهلي في الهند ص ٣٨٤

طبع هذا المختصر في تاريخ الصدر الاول للاسلام الاستاذ البريلوي طبعا حجريا على العادة القديمة في اكثر كتب الهند ، منقولاً عن نسخة مخطوطة صحيحة مضبوطة كتبت في المائة السادسة تقريباً وجدت في مكتبة الوزير الامير عبد الرحيم خان بن النواب محمد علي خان في بلدة تونك وعلق عليها جواشي مسنداً فيها الى أمهات كتب التراجم المعتبرة ومما استند عليه من المخطوطات في تقويم الاصل الذي لديه مسند ابي يعلى الموصلي والتاريخ لابي حاتم والحانية للإستيعاب فدل على معرفة في البحث ومما قاله في المقدمة : « وفيه التاريخ والسير وعلوم الحديث أعني الوفيات وطبقات الرواة وبيان المقلين والمكثرين والوحدان وغيرها من الفوائد التي لا تكاد توجد في غيره لطلب العلم المبتدئين وللعلماء المنتهين ومما حدثني الى نشره اعراض اكثر علماء الهند وطلبته واستغناؤهم عن هذه الفنون الشريفة وهي مما يلزم معرفتها على طالب العلم لانها

معارف عمومية . فنثني على عناية الاساذ الناشر وتحقيقه في اخراج هذا الكتاب
المنع للناس خدمة للتاريخ والحديث . وما نظن النسخة التي طبعت من هذا الكتاب
في مدينة برسلو في المانيا منذ زمن الا قطعة من الاصل الذي وفق العالم الهندي
الى إحيائه . م . ك



تهافت الفلاسفة للغزالي

« نشره الاب موريس مويج اليسوعي وطبع في المطبعة الكاثوليكية »
« في بيروت سنة ١٩٢٧ في ٤٤٧ صفحة »

طبع هذا الكتاب منذ مدة طويلة في مصر طبعة تجارية وما قد طبعه هذا
الاستاذ الطابع طبعة علمية معارضا له على نسخ مخطوطة معمشا له وخادما لمنه وقد جعل
له فهارس تقرب منال فوائده على كل طالب فاستحق ثناء العلم على عنايته البالغة .
وقد قدم له مقدمة بالفرنسية في بيان الغرض الذي يرمي اليه بهذه الطبعة وكتب
التعليق عليه باللاتينية . لكن مما يؤخذ عليه انه بدأ به على الاصول الغربية من الشمال
الى اليمين خلافاً لكتب العرب التي يبدأ بها من اليمين الى الشمال . بخالف بذلك
سنة علماء المشرقيات المستعربين في نشرهم الكتب العربية على المثال الذي جرى عليه
واضعوها . فان هذا الكتاب وهو الكتاب الاول من مجموعة سماها المكتبة العربية
الفلسفية القديمة قد خالف فيه دي خوي المستشرق الهولاندي في نشره المكتبة
الجغرافية العربية وخالف فيه كوديرا ورييرا المستشرقين الاسبانيين بنشرهما المكتبة
الاندلسية العربية وخالف اماري المستشرق الابطالي في نشر المكتبة الصقلية
وخالف موجيك المستشرق النمساوي في نشره المكتبة الجغرافية التاريخية وخالف فيه
عشرات غيرهم من اعلام المشرقيات الذين نشروا الكتب العربية على صورتها المستقيمة
المتعارفة . م . ك



محاضرة في تربية الذوق السليم

« للاستاذ احمد فهمي العمروسي طبعت بمطبعة النهضة بمصر من ٣٢ مع الصور »
 مؤلف هذه المحاضرة من علماء التربية في مصر واشتهر بتأليف كثيرة وعضوا
 في هذا الشأن وهذه المحاضرة ألقاها في مؤتمر التعليم الاولي المنعقد في سنة ١٩٢٥
 في القاهرة بين فيها اثر الفنون الجميلة في تربية الذوق السليم مورداً لتلك الأمثلة
 مما حوته متاحف مصر من بدائع الآثار ومصوراتها تصويراً جميلاً وقد شفعها
 بنقطة عن الفنون الجميلة عند العرب منها ما اختبره بنفسه ومنها ما اقتبس من علماء
 الفرنج فجاءت صفحات قليلة تحوي علماً جماً .
 م . ك

اربع محاضرات

« للسيد احمد فهمي العمروسي طبعت ثانية بمصر سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ »
 « ص ١٣٣ بحجم صغير »

هذه محاضرات ألقاها الاستاذ العمروسي بك في التربية في انكلترا واميركا
 ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية . ولكن لم يقتسه ان يشفعها بما كان عند العرب
 من مثلها فأورد لذلك الأمثلة التي تدل على علو كعبه في الادب كادل بهذه المحاضرات
 على امتيازها في فن التربية وانه هضم ما تعلم فأجاد فيها علم . وكتب العمروسي بك
 تجمع بين الحديث ولا تغفل عن التذكير بالقديم وامتازت بأسلوبها وجمال وصفها
 مملوءة بمشاهداته وتجاربه الخاصة .
 م . ك

مجلة الدروس الاسلامية

أحسن صديقنا العلامة السيد لويز ماسنيون أستاذ علم الاجتماع في « كوليج

دي فرانس « يباريز واحد اعضاء المجمع العلمي العربي باصدار هذه المجلة الفرنسية في عاصمة فرنسا فسد بها فراغاً كان مملوفاً لكل من يحب التعمق في الدروس الاسلامية من الغربيين وغيرهم وقد عاهد قراءه انه ينقل من أصح المجلات العربية والغربية ما له مساس بموضوعه الذي سيقسمه فيما يظهر الى اثني عشر باباً وهي (١) التهذيب الاسلامي وغيره (٢) تاريخ الافكار العلمية (٣) المباحث اللغوية (٤) اصول الشعوب وأساطيرهم (٥) التاريخ الاوربي ونشر النصوص القديمة (٦) الفنون والصنائع (٧) القضاء والادارة (٨) العقائد والفلسفة والتصوف (٩) التجدد والمناقشات الدينية والتبشير (١٠) الاستعمار الاوربي والسياسة الحاضرة (١١) تاريخ الارجاع الطبيعية ووصف البلدان (١٢) البحث في الكتب وغيرها . وقد تكلم رصيفنا في هذه المسائل وأشار الى ١٢٣ كتاباً صدرت في هذه الموضوعات في العهد الاخير بلغات مختلفة ومنها العربية والفارسية والتركية . وفي هذا الجزء مقالة في الازهر وإصلاحه للسيد اشيل صيقللي وأخرى في عادات المرأة البربرية وإصلاح عادات البربر وغير ذلك من الابحاث والوثائق التاريخية واسم هذه المجلة النافعة (. Revue des Etudes Islamiques) وعنوانها :
Librairie Orientaliste Paul Geuthner 13, rue Jacob Paris

م . ك



عواطف عواصف الشباب

للـسيد لطفي الياني طبع في مطبعة « نتي العرب » ١٩٢٧ ص ٦٢ .

هذه مقالات ادبية ، انتقادية ، غرامية ، اجتماعية منها المترجم عن الافرنجية ومنها ما وضع مباشرة ، وهي لطيفة في أسلوبها وإنشائها . ولم يخرج كاتبها عن اصول اللغة . نقرأ ونفهم ونستطاب في اكثر الاذواق . واذا اكثر الكاتب من النسيج على هذا المنوال ونماه جاء بطريقة طريفة .

م . ك



البستان

« جمعه وشرح غريبه السيد اسعاف النشاشيبي طبع بمطبعة المعارف بمصر »
 « منه ١٣٤٦ ١٩٢٧ هـ م ص ١٣٥ »

هذا آخر كتاب في استظهار المدارس الابتدائية وهو سبعة أقسام مدرجة موافقة قوي الطلاب ، جمعه العلامة الاستاذ النشاشيبي وتوخى فيه السهولة والبيان فدل على ذوقه العالي في الادب وسيفيد الطلاب لانه يعلمهم السهل الممتنع في طبعهم بطابع الفصح من الصغر . ولا غرو فكل تأليف الاستاذ سلسلة مفرغة في قالب الاحسان في البيان .
 م . ك

من كتاب فتح الباب

« في الكنى واللقاب »

لابي عبد الله محمد بن اسحق بن مندة الاصفهاني نشره السيد صفن ددرنج
 (Sven Dedering) في أسالة من بلاد السويد

هذه قطعة من هذا الكتاب في ذكر ما انتهى اليه من كنى المحدثين من الصحابة والتابعين على مراتبهم وطبقاتهم من عُرِف باسمه وخفيت كنيته او عُرِف بكنيته وخفي اسمه او مختلف في اسمه . وهو مختصر جداً أشبه بفهرس ومع هذا وضع له الناشر فهرس واختلاف النسخ على العادة المتبعة عند المستعربين من علماء المشرقيات فكان حجم ما كتبه وعلق عليه (٥٥ ص) والاصل (٤٨) بطبع مشرق لا غبار عليه .
 م . ك

+«*×#»+

المصهور

هي مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة محررها الاستاذ السيد اسماعيل مظهر صاحب المؤلفات والابحاث في الفلسفة ومذهب النشوء واصل الانواع . اطلعنا على الاجزاء الثلاثة الاولى منها الصادرة في القاهرة فرأيناها ملاءمة بالافكار الجديدة والابحاث العلمية الطريفة والقصص المرببة وتراجم بعض العظماء من الغربيين مما يستفيد منه المطلع عبرة ويرقى المواطن الشريفة . وجبذا لمواضاف الاستاذ الباحث صاحب هذه المجلة الى هذا العلم الجديد شيئاً من العلم القديم ، ففي رجال العرب ايضاً أناس أمرياء بأن يكونوا عبرة لأحفادهم اليوم ، وعند العرب من هذه العلوم المادية والفلسفية بحسب أعصارهم ما يجب إحياءه والتنظير بينه وبين ما عرف المحدثون من نوره ، فما كل قدم بال ولا كل جديد حال ، ونرجو ان يلاحظ منشي المجلة الأغلاط المطبعية وغيرها فان رسالة كرسالته هذه يجب ان تخلو ما أمكن من الاخطاء . م . ك



* كتب ورسائل مختلفة *

- (١) رواية الحب المكتوم تعريب السيد امين غريب صاحب مجلة الخارص طبعة ثانية مصححة طبعت في مطابع قوزما في بيروت ١٩٢٧ .
- (٢) دليل الاصطياف والسياحة سنة ١٩٢٧ طبع بمصر ص ٢٠٨ .
- (٣) مجموعة فرح للاغاني والانشيد طبعت بمطبعة النجباء سيف حاتم باولو (البرازيل) ص ٦٤ .



رجاء

نرجو من اعضاء مجمعنا العلمي - وقد قرأوا اقتراح الاستاذ « المغربي » في الجزء الاول من هذه السنة - ان يكتبوا الى المجلة بأرائهم في هذا الاقتراح على نمط الأجوبة التي رأوها تنشر في المجلة من حيث الاختصار في العبارة . والاقتصار على ما له علاقة بالموضوع .

مجلد الحاشية على التوحيد

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٨ م الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٦ هـ

ابو حيان التوحيدي

عصر التوحيدي

ان القرن الذي اولد التوحيدي ، وشب فيه واكتهل وشاب ، هو العصر العباسي الثالث ، فسدت في تضاعيفه عصية بني العباس ، فلم تبقى لهم كلمة مستحقة ، ولا رأي جميع ، ولا قوة نافذة ، ولا كيان يبرحى معه البقاء ، دخلت الاعاجم منذ قرن ونسلطت على امور الدولة ، ودب ديبها في جسم العباسيين ، وما دخل القرن الرابع حتى رأيت الامور تلتوي ، ودولة الخلافة تخرج عن الصورة التي رسمها لها الاسلاف ، وشمل الضعف معظم أوضاعها ، وعاث سوس فساد الغريب في ذلك الجسم العظيم ، وتناثر غقد البلاد الاسلامية وانتقصت من أطرافها ، والاهوال مشتتة ، والنفوس شعاع .

لم يكد ينسلخ الزنج الاول من هذا القرن حتى استولى ابن رائق على البصرة وواسط ، واستأثر البريدي بالاهواز وأعمالها ، وذهب ابنه بويه الديلمي بفارس والري وأصفهان وطبرستان وجرجان وكرمان والجيل ، وغدت خراسان وما وراء النهر بيد السامانية ، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة في ايدي بني حمدان ، وانتقلت مصر والشام الى الامرشيدية ، والبحرين واليامة الى القرمطي ، والمغرب وإفريقية الى القائم العلوي ، والاندلس للناصر عبد الرحمن الأموي .

ولم يبق للخليفة العباسي غير بغداد وأعمالها ، والحكم فيها لابن رائق ، وليس للخليفة وزير ، وانما كان له كاتب يدبر إقطاعاته واخراجاته القليلة ، وكلما امتدت كلمة

ملك او امير سطا على من يجاوره واستعصى مملكة صاحبه ، فابن رائق بعد البصرة استولى على دمشق ، والبريدي بعد خوزستان استولى على بغداد ، وبنو بويه بعد بلاد الشرق استولوا على بغداد (٣٦٧) وخُطب لهم فيها مع الخليفة . وهكذا كانت مملكة بني العباس نهب ابيدي الاثرالك والديلم — والاثراك جيل من القتر معروف والديلم سكان الجبال في فارس — وكلهم شاركوا العرب في سلطانهم بل حاولوا نزع تراثهم من ابيديهم .

وكثر قتل الخلفاء وطمعهم ، فقتل المقتدر ، وبويج للقاهر ثم خلع ، وخلفه الراضي ، واستخلف المنقي ، ثم بويج للمستكني وهو كأكثر من سلفه مغلوب على امره . وهناك دول تقوم في الشام كدولة بني حمدان بعد الاخشيديين ، ودولة الفاطميين تستولي على مصر (٣٦٣) ويخطف للفاطميين في مكة والمدينة بدل الخليفة العباسي ، وتقطع من تلك الدولة العظمى دول وممالك . وقد أصبح خليفة بني العباس أشبه بصاحب منصب ديني له القول ولغيره العمل ، هو يملك الاسم والجسم يستغله المستغلون من المنغلبيين والمتوثبين ، والبلاد تخرب والنفوس تهلك ، حتى لقد خربت بغداد عند استيلاء البويهيين عليها واخذوا بتجديدها ورموها لاول امرهم وكانت في القرنين الثاني والثالث أعمر مدينة في الارض . وكان القرامطة^(١) خلال ذلك القرن يعيشون في البلاد ، فعلوا أفاعيلهم في العراق ثم تعدوا الى الشام بعد ان عبثوا بمقدسات الامة في الحجاز وكذلك كان شأن غيرهم من الخوارج والتزاع الى الفتنة .

اما الروم فكانوا يغادون الشام القتال ويرادحونها ، ودولة بني حمدان كفت البلاد عاديهم . وفي خلال هذا القرن انقرضت دول ولاسيما السامانية والاكشيدية وقام محمود بن سبكتكين رجل ذاك القرن فاستولى على خراسان وامتدت فتوحه حتى فتح جزءاً مهماً من بلاد الهند والشرق .

(١) القرامطة نسبة لمحمد بن قُرْمَط لقب بذلك لقرمطته اي تقريبه في خطه

او خطوه وهو صاحب الدعوة الباطنية .

الحالة العلمية والاجتماعية في عهده

وفي هذه المملكة بل المالك التي كانت تختبط في أقدارها ، وتختلط امورها بأيدي
أخبارها وأشرارها ، نشأت زمرة صالحة من العلماء والادباء ، بقوة التسلسل المنبعثة
من عمل القرن الثالث . وقد تضعف السياسة في أمة وتبقى قوتها المفكرة سائرة
سيزها ، علومها آخذة بالنظام الذي كان لها على عهد سيادتها ، كما قيل « بفني القميص
وفيه ربح المنديل » ولقد ساعد على هذه النهضة بعض أصحاب السلطان من هؤلاء
الملوك ، ممن ارادوا ان يكون في جملتهم الأجلاء والفضلاء ، يستأثرون بهم دون
غيرائهم ، ويزبنون بهم ملكهم ، او يستخدمونهم ليعينوم على قيام امرهم ، او يختارون
طبقة من الادباء والشعراء ، ينادمونهم ويمدحونهم ، ويخلدون مآثرهم ، ويعظمون
مفاخرهم ، فيعتزون بهم عند القريب والغريب ، والبغيض والحبيب . فكانت في هذه
السييل تجاري بغداد كل من أصفهان وشيراز ونيسابور وهمدان وأرجان وكرمان
والري وسمرقند وبلخ وحلب والقاهرة وقرطبة .

وتنوعت المذاهب التي غلبت على البلاد ، فكانت اهل البصرة قدسية وشيعة
وحنابلة ، وفي بغداد من جميع النحل وفيها غالبية يجنون معاوية ، ومشبهة وهم أصناف
كثيرة ، ويهود اقليم الجبال اكثر من نصاراها ، ومجوسها كثير ، والمجوس أصحاب
زردشت المعظمين للنار وسائر الانوار بقيت منهم بقية مغممة الى هذا القرن في العراق
والاهواز وفارس وأرميهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام . ولكل
بلد من بلاد العجم طرز يخالف الطرز الآخر ، فمنها ما تجد فيه الغلبة للحنفيين ، ومنها
ما كانت حنابلته كثيرة ، ومنها ما كانت شيعة غالبية ، ومنها ما تغلب فيه أصحاب
الحديث ، واكثر اقليم خوزستان معتزلة ، وفي الاقاليم الاخرى شيعة وحنابلة
وشوافع . والفنن كثيراً ما تقع بين الحنابلة والشوافع في بغداد او بين السنة والشيعة
في دار السلام وبعض أصقاع فارس والجبال وما اليها فيفني بعضهم بعضاً .

والحنابلة في بغداد يشورون على المنكرات ينكرونها بالعنف ، ويقضون عليها بالقوة ،
ويتدخلون في امور لو كانت للحكومة بعض قوة ما وعمت ، كما فعلوا في بغداد يوم

مات محدث الامة ومؤرخها ابن جرير الطبري ومنعوا دفنه في المقابر ، لانه لم يذكر الامام احمد بن حنبل في جملة الفقهاء وعده في المحدثين ، وكما وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين الخنابلة وخصوصهم قتل فيها خلق كثير من الجند والامة وذلك بسبب خلاف نشأ في تفسير قوله تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » . فقال ابو بكر المروزي وأصحابه بقول ، وقالت الطائفة الاخرى بآخر ووقع المرحج والهمج .
ومن اجل هذا اعتصم بعض العلماء والحكماء باهداب النقية ^(١) خشية العامة ^(٢)

(١) النقية مشتقة من انقاء اي خافه وهي ضد العلانية ، وكان المسلمون لاول عهدهم وهم ضعاف يتقون من عدوم فيدارونه اذا كان قوياً من غير ان يستجلوا دماً حراماً او مالا حراماً او غير ذلك من المحرمات او بظهور الكفار على عورة المسلمين . واختلفت الفرق الاسلامية في النقية ومنها التي تجوزت فيها كثيراً وبعضهم حدد لها شروطاً ولا سيما عندما يخشى المرء على نفسه فيدفع الضرر عنها بالمدارة والمداهنة والمباطنة . والعقل يقتضي بان يستعمل في دار النقية ما لا يستعمل في دار العلانية .

(٢) قال ابو عبيد الله المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في الموشح : حدثني احمد بن محمد بن زياد قال : سألت ابا الغوث عن السبب في خروج ابيه عن بغداد ، فقال لي : كان ابي قد قال في قصيدته التي رثي فيها ابا عيسى بن صاعد ايباناً ، وجد بها بعض اعدائه عليه مقالاً ، فشنع عليه انه ثديوي ودارت في الناس ، وكانت العامة حينئذ غالبية ببغداد ، فخافهم على نفسه فقال لي : قم يا بني حتى نطفي عنا هذه الثائرة فيخرجنا نلثم فيها ببلداننا ونعود ، قال : نخرجنا ، وأقام فلم يعد . قال والايات :

اخى متى خاضعت نفسك فاحتشد	لها ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى على الاشياء شتى ، ولا ارى الـ	جمع الا الة للفرق
ارى العيش ظلاً توشك الشمس نقله	فكس في ابغواء العيش كذبتك أو مقي
ارى الدهر غولاً للنفوس ، وانما	بقي الله في بعض المواطن من بقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى ؟	وعرج على الباقي فسائله لم بقي
ولم ار كالدنيا حيلة ولمقي	حبة متى تحسن بعينه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد	فتخسها متى حكيم واخرق

وجهلة السلاطين ، ممن قد يحرصون على مراعاة العامة اكثر من حرصهم على رضا الخاصة ، والنقبة واجبة في مثل هذه الاحوال ، فكانت ما كان من تأليف المجالس السرية من الفلاسفة وارباب العقول الكبيرة . وكان التوحيدي الذي بعيننا الآن تحليل حياته ، ووصف علمه ، احد أساطين تلك الحلبة حقبة من الزمن ، والحركة الدائمة في الافادة والاستفادة . والعقل الكبير والعامل الجبار ، ملئت ايام حياته بغرائب فكان عجباً في نفسه ودرسه وقوة اتاجه على معاندة الدهر له .

نشأته وأعماله

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي (بفتح التاء وسكون الواو وكسر الحاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها) نسبة فيما قيل للتوحيد وهو نوع من التمر كان يبيعه ابوه بالمراق ، وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله :

يثرشفن من في رشفات من فيه أحلى من التوحيد

وقيل ان التوحيدي نسبة للمعتزلة ، لانهم يسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد ، وهو الأرجح . ذكروا في اصله انه شيرازي وقيل نيسابوري وقيل واسطي ، ولا يعلم ان كان أجداده عرباً صرباً او فرساً استعربوا ، وكنيته ابو حيان ، ولد على الغالب في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع او في أوائل العقد الثالث وعُمّر لانه مات على رأس الاربعائة او بعدها بقليل .

نزل التوحيدي بغداد صغيراً على ما يظهر ، وتخرج في النحو بابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ، وبالنفق الشافعي بابي حميد المروزي وابي بكر الشافعي ، وحضر في أوقات مختلفة بين سنتي ٣٦١ — ٣٩١ هـ دروس يحيى بن عدي وابي سليمان المنطقي وغيرهما من الفلاسفة . فجاء مفتناً في العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وبأخذه الفلسفة عن ورثة علوم الاقدمين في عصره عد حكيماً عظيماً ، وصفا ذهنه ، وزاد تسامحه ، وأصبح يحكم عقله فيما يرى ويسمع ، لا يأخذ الاشياء على ظواهرها بل يعمق البحث ويواصل الدرس والنظر ، غير متخيز لفئة ، ولا منعصب لرأي جماعة .

وصفه ياقوت بأنه كان جاحظياً ، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ ، ويشتهي ان ينظم في سلكه ، فهو شيخ في الصوفية ، وفيلسوف الادباء ، واديب الفلاسفة ، ومحقق اهل الكلام ، ومتكلم المحققين ، وإمام البلغاء ، فرد الدنيا الذي لانظيره ذكاء وفطنة ، وفصاحة ومكنة ، كثير التخصيل للعلوم في كل فن ، حجة ظاهرة واسع الرواية والدراية . قال : ولم أر واحداً من اهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدبجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجيب . وقال فيه انه صوفي السميت والهيأة ، وانه كان فقيراً صابراً ، وعده السبكي في فقهاء الشافعية وقال انه من المؤرخين وروى الحديث وأرواه ، وآخر ما أخذ عنه بشيراز سنة اربعمائة .

ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الصديق والصدافة ، وكتاب المقابسات او المقابسة وكتاب الاشارات الالهية جزآن ، والرد على ابن جنّي في شعر المتنبي ، وكتاب الامناع والموانسة جزآن ، وكتاب الزلفة جزء ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب تقريب الجاحظ ، وكتاب مثالب الوزيرين^(١) وكتاب الحج العقلي اذا ضاق

(١) اطلع ياقوت الحموي على بعض كتب التوحيد في أوائل القرن السابع ونقل منها كثيراً في كتابه معجم الادباء فمنها اطلع عليه ومنها ما كان بخط المؤلف كتاب تقريب عمرو بن بحر الجاحظ و « مثالب الوزيرين » و « الامناع والموانسة » و « كتاب المحاضرات او محاضرات العلماء » . وفي مكاتب الاسنانه نسخة من مثالب الوزيرين وفي دار الكتب بدمشق الجزء الاول من الاشارات الالهية وله مختصر محفوظ في دار كتب الامة ببرلين . وفي دار الكتب الامبروزيانية في ميلانو بايطاليا الجزء الثاني من الامناع والموانسة ونسخة من كتاب البصائر له وفي مكتبة الفاتح في الاسنانه خمس نسخ مخطوطة من كتاب البصائر والذخائر وفي دار الكتب في لينينغراد نسخة من الحجج للتوحيد . وفي كتاب في النصوص كان بدمشق فيع مؤخراً في القاهرة وهو مكتوب بالقلم الكوفي ذكر لابي حيان وعده المؤلف في المتصوفة واقنيس من عباراته على ما حدثني الثقة ولم يكتب لي الاطلاع على هذا الكتاب . وليس لابي حيان من المطبوع سوى رسالة الصديق والصدافة وكتاب المقابسات ورسالة ثمرات العلوم .

النضاء عن الحج الشرعي ، رسالة في صلات الفقهاء في المناظرة ، الرسالة البغدادية ، الرسالة في أخبار الصوفية ، الرسالة الصوفية ايضاً ، الرسالة في الحنين الى الاوطان ، كتاب المحاضرات والمناظرات ، كتاب البصائر والذخائر في عشرة مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة .

وكتب ابي حيان أسئلة وأجوبة وروايات ومساجلات ومحاضرات ومحاضر جلسات وتقرير وتقرير وتقد ولز ووعظ وإرشاد وكل صفحة منها تدل على علو كعبه في العلوم المختلفة ، وبلوغه درجة عالية في النهم أنزلته منازل أعظم المنشئين والمؤلفين واتي فيها بصورة صحيحة من صور العلم والأدب في أيامه . ومنعرض هنا لبعض تأليفه ونسوق رواميز منها مما كتبه التوحيدي مباشرة او مما نقل عنها في الامهات نعرضها لتبئين روح صاحبها من أقواله ونتم لنا أمينتنا في الوقوف ما أمكن على حياة هذا العظيم ، الذي تنكرت النفوس لمشربه وأفكره كثيرون ، وما مثله بالذي يكون نكرة . ذلك لانه قال الحق ولم يزل قائله من المفقوتين كما قال المعري .

تصوف التوحيدي وفلسفته

كان التوحيدي على ما يظهر من كلامه ، من اهل الباطن اي الصوفية ، ومن اهل الظاهر اي الدينيين الحكماء ، جمع بين مذهب الصوفية أمثال الحاسبي والأستوري والجنيد والسري السقطي والرقى وبشر الحافي وإبراهيم بن أدهم وابن يسار وغيرهم من النساك او الصوفية ، ومذهب السجستاني والزنجاني والمهرجاني والصائغ ري والمقدمي والمجتي وابن زُرعة وابن سوار وابن رفاعة في الحكمة . وكان الصحابة والتابعون نساكاً في الصدر الاول ، زاهدين بالطبع في زخارف الدنيا ، ولم يكذب نصف القرن الثاني حتى هجمت الحضارة فنشأ التصوف ، وصار طريقة يقبل عليها المتزهدون ، يعالجون بها كلب المتكالبين على الدنيا ، واول من سمي بالصوفي في اهل السنة ابو هاشم الصوفي المتوفي سنة ١٥٠ . وسلك الصوفية طريق تصفية النفس بالرياضة، والعزوف عن بهارج العالم ، وعرفوا علمهم بانه العمل لما فيه ترقية اهل الكمال من النوع الانساني في مدارج معادتهم ، والامور العارضة لم سيرة درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية .

وقيل ان اصل اسمهم الصوفية يوزج الى آل صوفان خدام الكعبة المنسكون المتصوفون ، والارجح انهم نسبوا الى الصوف لباس العباء واهل الصوامع ، لآل هؤلاء القوم خلعوا ثياب الخز والحرير ، ولبسوا هذه المسوح على عادة اهل النسك في اهل الاديان الاخرى ولم مراسمهم ومصطلحاتهم .

اما الفلسفة فحدها كما قال الفارابي : « العلم بالموجودات بما هي موجودة » او علم حقائق الاشياء والعمل بما هو اصلح . وكانوا في ذلك العصر يقسمون الفلسفة قسمين احدهما الجزء النظري والآخر الجزء العملي ، وينقسم الجزء النظري الى ثلاثة اقسام وذلك ان منه ما يخص فيه عن الاشياء التي لها عنصر ومادة ويسمى علم الطبيعة ، ومنه ما يخص فيه عما هو خارج عن العنصر والمادة ويسمى علم الامور الالهية ، ومنه ما ليس يخص فيه عن اشياء لها مادة مثل المقادير والاشكال والحركات وما شبه ذلك ، ويسمى العلم التعليمي والرياضي ، وكأنه متوسط بين العلم الاعلى وهو الالهي ، وبين العلم الأسفل وهو الطبيعي . واما الفلسفة العملية فهي ثلاثة اقسام احدها تدبير الرجل نفسه او واحداً خاصاً ويسمى علم الأخلاق ، والقسم الثاني تدبير الخاصة ويسمى تدبير المنزل ، والقسم الثالث تدبير العامة وهو السياسة المدنية والامة والمملك . وكانوا يدمجون في العلم الطبيعي الطب والآثار العلوية وعلم المعادن والنبات والحيوان وصناعة الكيمياء .

وكان التوحيدي صوفياً فيلسوفاً بهذه الشروط ، شهدت له كتبه بانه متصوف ، وشهدت له بانه فيلسوف ، فجمع من ثم بين العلوم المادية والعلوم المعنوية ، ووفى كل علم قسطه من النظر ، فكان فيه الصدر المقدم . وليست له طريقة خاصة في التصوف ولا مذهب معروف في الفلسفة ، بل انه احاط بجميع الطرق ، وحني عليها وبسط لاهلها جناح الرحمة ، وظابت نفسه بعشرة اهل ثقتها والاخذ عنهم . وقد تجلبت شخصيته العلمية بما نقله من المباحثات والمناقشات المشربة بروح الحرية الممولة بعامل الجراءة على كسر القيود التي قيدت اهل مذهب خاص من مذاهب العلم الديني او الفلسفي ، وبدا كل ذلك في مظهر غريب باسلوب انشائه . وانا على مثل اليقين ان غفلة المؤرخين او تغافلهم عن الترجمة للتوحيدي ، مع هذه البسطة في العلم الواضح ،

والبيان الرائع ، كانت بسبب اخلاقه فغمطوه بذلك حقه ، لكن الفضل لا يستر بحجاب ، والعقل لا تخفى عظمته على ذوي الالباب معا تبدلت الاحوال ودرجت الأجيال والأحقاب .

اخلاقه وحالاته

ظهر ان ابا حيان كان مقترأ عليه في الرزق ، وانه ربما كان يعيش بالوراقة او النسخ في بغداد مدة طويلة — والوراقة في القديم كالطباعة في العصر الحديث من موارد العيش لكنها صناعة شاقة وان كانت خير معوان لاجراج العلماء والادباء — ولم يل التوحيدى امراً من امور الدولة ، ويستحيل على من كان في مثل عمله واستغرافه في دفتاره ، ان ينفذ الى تقلد الأعمال الدينية والادارية والسياسية ، او يجد في وقته متسعاً للقيام بها ، فاذا لم تكن له إدارات من السلطات او الخليفة يعيش بها يترج به العَوَز والاملاق . وهكذا كان شأن بعض معاصريه مثل ابي بكر القومسي الفيلسوف الذي وصفه ابو حيان بانه كان بجرأ عجائبا ، وسراجا وهماجا ، وكان فرين التوحيدى في الضر والفاقة ومقاساة الشدة ، ومن الاضافة بمنزلة عظيمة ، وهو الذي قال للتوحيدى ذات يوم : ما ظننت ان الدنيا ونكدها تبلغ من انسان ما بلغ مني : ان قصدت دجلة لاغتسل منها نضب مأوفا ، وان خرجت الى القفار لا أقيم بالصعيد عاد صليداً أملس . فالتوحيدى لم توظف له وظيفة ولا أجري عليه رزق ، فن اين كان يرتزق ؟ وهو يرى جنون الدهر بابنائيه ، ويشهد المتوسطين في العلم والعقل بل بعض التوَكِّي ينهال عليهم الرزق اي انهيمال وتوأتهم ضرور السعادة ولما تستعد لها انفسهم .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفنى ولكن احاطت قسمت وجدود

نظر ذات اليمين وذات الشمال يلوب على من يغمه الى جملته ، ويكشف عنه ضره وبؤسه ، والناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه كما قال علي (كرم الله وجهه) ولما ترمى الى بغداد نبأ مكارم ابن العميد والصاحب بن عباد من وزراء آل بويه في الشرق ، وكانا يُفضلان على أعلام العلم في مدينة دار السلام وبتراهم بهياتهم الحين

بعد الآخر ، ووصلت عطاباهما الى شينجي التوحيدى ابي سليمان المنطقي وابي سعيد السيرافي — سميت نفس ابي حيان الى ان يقصد ذينك الوزيرين وانقطع اليهما ، وقدم بين يدي نجواه مدحهما اولاً ، الا انه لم ينل منها رغبته ، وانقلب بعد مقام ثلاث سنين في دارالصاحب لم ينله منه درهم ، ولا أعطاه راحلة ولا زاداً ، واخفق في قصرالصاحبين مع انهما كانا مع الوزير المهلي من اكبر حماة الأدب ، كما كان سيف الدولة بن حمدان في حلب . وربما كان التوحيدى استطال عليهما ، وفيهما عزة السلطان وأبهة الفرس فازدرياه فشق عليه الامر ، وهجاها في كتاب اسماء « مثالب لوزيرين » اورد فيه حكايات في ثلبيهما ، ومنها ما عزاه الى بعض من روى عنهم ، وذكر وقائعه معها ، قال انه فارق باب الصاحب سنة ٣٧٠ وقد نال منه هذا الحرمان الذي قصده به ، واحفظه عليه ، وجعله من جميع غاشيته فرداً ، ومن جملة ما نقرأه من الصاحب ان هذا قدم اليه رسالة في ثلاثين مجلدة على ان ينسخها له فقال : نسخ مثله يأتي على العمر والبصر ، والوراقة كانت موجودة ببغداد ، فأخذ الصاحب في نفسه عليه .

وقد عرفنا شيئاً من أخلاق التوحيدى في هذا الكتاب ، وربما أثار ما قاله فيه ثائرة التعصب للوزيرين ، وأحبابها كثار في الامصار ، فأعرض الناس عنه وأوقعوا فيه وأسقطوه من دواوينهم . وعجيب ان يعصب الناس لهم حق المهجوةين ولا ينتاظون لحق المهاجين ، ولما يحفلون بالسبب الذي أجنباً هؤلاء الى الهجاء . وقيل ان الصاحب بن عباد اتهم التوحيدى بالزندقة ففر منه وطلبه الوزير المهلي ليقتله ففر الى ديار بكر وفي رواية انه مات في الاستنار . ولكن التوحيدى اذا فائته أفضال الوزيرين الصاحبين ، فقد لقي اكراماً من الوزير صمصام الدولة ابن سعدان وعبد الله ابن عارض الشيرازي ، ولابن سعدان ألف كتاب الصديق والصدقة وكتاب الائتماع والموانسة ، وللداعي بشيراز ألف كتاب المحاضرات . ولم نعلم السبب الذي عاق التوحيدى عن اهداء كتبه كلها الى بعض عظماء عصره ، وكانت طريقة اهداء المؤلفين مصنفاتهم لامير او عظيم من الشائع المعروف وكثير من المؤلفين كان من أم موارد عيشهم التصنيف باسماء معاصريهم والارتزاق بعطايام وهداياهم .

قضت الفاقة على التوحيدى ان يتكفف بعض الامراء ، وهو عارف بان استجداءهم

ضرب من ضروب المذلة الفادحة ، وكتابه الى ابن العميد نموذج من هذا النزل بل التبذل ، ولكن العجز غالب لانه مبذور في الطينة كما قال عن نفسه . وقال انه تصفح الناس فوجدهم احد رجلين رجل ان نطق نطق عن غيظ ودمنة وان سكنت سكنت عن غضن وإحنة ، ورجل ان بذل كدراً بامثاله بذله ، وان منع حسن باقباله بخله . ولقد دعا ، وقد تفرقت عيناه بالدموع لما أخفق عند بعض من قصدهم ، وبان له نبوءة الدهر به ، وضياح سعيه ، وخيبة أمله ، سيف كل ما ارتجاه لم او مهم ، او حادثة او نائية ، دعا بما دعا به بعض الناس فقال : « اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تقلها بالافتار ، فنترزق اهل رزقك ، ونسأل شر خلقك ، ونبتلي بمحمد من اعطى ، وذم من منع ، وانت من دونهم ولي الاعطاء ، وببك خزائن الارض والسماء » .

واذا أنصفنا ابا حيان فلنا على ما بدر منه في حق عظيمين غمط حسناتهما وجسم سيئاتهما ، واي رجل بري من عيب او عيوب ، مما ساقه اليه ضعف في نفسه ، او خيبة في أمله ، او مساس في عاطفته ، او اعتداد برأيه . فلان ذهب مع القائلين في الحكم عليه بالزندقة اللهم اذا وقفنا في الحكم عليه عند حدود أقواله ، وفيها شاهد عدل على توحيده ، وبعده عن الاتحاد الذي قُرّف به . على ان معظم من ذكره ومنهم صاحب تاريخ بغداد ومؤلف مجمع الادباء قالوا انه كان يتألم اي يتنكس ويتعبّد ، والناس على ثقة من دينه وصحة عقيدته : ودعوى ابن الجوزي في ان زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي وابو حيان وابو العلاء المعري ، وانه كان اشدّهما : ضريحاً وهو جمجم ، من الكلام الذي يلقي على عواهنه ، اخذه على ما يظهر بدون روية ، وتابعه عليه بعض الناقلين من دون تحييص ولا تحليل ، وكذلك ما قيل من ان صاحب ابن عباد وقف على قدح التوحيدي في الشريعة وقوله في التعطيل وما كان يخفيه من ذلك ، فطلبه ليقطله قراً ، كلام فيه نظر ايضاً^(١) على ان كثيرين

(١) في المعلقة الاسلامية ترجمة للتوحيدي بقلم الاستاذ مرجليوث الانكليزي جاء فيها

ان الوزير المهلي نفى ابا حيان لما صرح به من الاتحاد في كتبه التي ضاعت . وذكر له المترجم السيد مرجليوث كتاب التذكرة التوحيدية وكتاب اخبار القدماء وذخائر الحكماء وقال انه ليس من الثابت ان هذين التأليفين دخلا في شيء من فهرس كتب التوحيدي التي ذكرها ياقوت

من المتصوفة شطحوا أكثر من شطحات ابن الزاوي والتوحيدي والمعري فلم يُتهموا بشيء ولا قدح الناس في دينهم ، وذهبوا من هذا العالم بسلام ، لم يمسه أحد بسوء ، ولا طعن طاعن في عقيدتهم . ولطالما وجهت تهمة الزندقة الى كثير من توسعوا في علم الكلام او العلم الالهي ، او علوم الاوائل من الفلسفة والطب والرياضي ممن استعملوا العقل ولم يجمدوا على التقليد ، وكانت نمط تفكيرهم جديداً يخالف من بعض نواحيه نمط التفكير الذي اصطنعه رجل مات او رجال ماتوا ، فوقروا في الصدور وعلت منزلاتهم بين الناس ، وكان الميت أفضل عندهم من الحي ، وقد يكون بينهما بون بعيد ، وفروق ظاهرة . والارجح انه كان للحسد والجهل مدخل كبير في الطعن على التوحيدي ، والطاعنون إما حسدة ساقهم لؤم الغريزة الى النيل من عظيم بذلهم واربي عليهم ، فما استطاعوا مشاركته ومنافسته ، ادانهم جهلوا حقيقته وتأولوا كلامه ، وباب التأويل متسع لمن يحاول ان يسقط مؤلفاً مثله ، خاض أصعب المسائل الالهية والدينية والاجتماعية .

وقال فيه بعض واصفيه انه قليل الرضى عند الاساءة عليه والاحسان ، الذم شأنه ، والثلب دكانه ، يشتكي صرف زمانه ، ويبكي في تضاعيفه على حرمانه . وقد لامه أستاذه السيرافي يوماً وهو ينقل ذم أعرابي — بقوله « تأبى الا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس » فأجاب : « أدام الله الاستاذ ، شغل كل انسان بما هو مبتلى به مدفوع اليه » وهذا الخلق في النيل من الناس لا سبيل الى تبرئة ابي حيان منه ، لانه مما أجمعت الآراء على انه كان فيه مستأصلاً بادياً ، وهو مزاج خاص من جملة أمزجة بني آدم . ويوشك صاحب هذا المشرب ان يعادي أكثر من يعاصرونه ، هذا وهم دونه في صوب العقل وذوب الفضل . و « اذا أقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » .

ان الرجل الذي يخوض غمار المباحث التي خاض التوحيدي عبايها ، وخرج منها ناصع الجبين والحجة ، ناجح المسعى والمرى ، وهو من افراد الدنيا بذكائه ونبوغته ، يستحيل ان ينقيد بقيود أفكار غيره يصدر اذا صدروا ، ويرد اذا وردوا ، يقدم في كل ما قرروا او قرروا لهم ، ويتبايعهم عموا او ضلوا ، أبصروا ام اعتدوا

و « الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثم إنهم العمل به وإثم الرضى به » . وفي تاريخ البشر عدد ليس بقليل من نوابغ الارض كان نصيبهم نصيب ابي حيان من الناس والمتجمع : قضوا ايامهم في ضيق من معاشهم ، وضيق من عقول اهل محيطهم ، وضيق من عبث المناظرين والمتعاملين ، وسيطرة المستبدين والجائرين .

شعره وثقافته

نرى هل كان التوحيدي يسمع الموسيقى والغناء ، ويجلس الى ارباب الدعابة والهزل ولو في الاحابين ، ويخلع ثوب الجد والوقار ساعة من ليل او نهار ، وبغداد في ايامه علفت الطرب ، ورفعت أقدار السمعين والسمعات الى أسمي الرتب ، وخرج الادب فيها عن حد النظر والخيال ، وأصبح أطرب الشعر ما صدر عن قلب ملتهب وفؤاد مضطرب ، ووصف واقعة حال ، بعيدة عن الخيال . واكبر الفن ان التوحيدي لم يكن على شيء من هذا اللهم الا اذا كان في صباه ، وقد عرف بنفسه وزهده ، أجمع على ذلك العارفون به ، لو لم تناقضه القطعة الوحيدة التي انتهت اليها من شعره وهي في غزل رقيق ، صدر عن ذوق تام في الغرام ، فكانت أشبه بكلام من ابتسم للحياة والايام ، فأخذ ينظر اليها نظرا متفائلا ، على حين كانت اكثر نظرات التوحيدي متشائمة متأللة ، هذا اذا لم يؤول له مأول بان هذا اللسان كان في موضوع من موضوعات اهل الباطن ، كما يفسر بعض المتصوفة كثيرا من غزل من أثروا شعرهم او ثرم فيدعون انه في العزة الالهية او في المقامات المطهرة . اما ابيات التوحيدي فهذه :

يا صاحبي دعا الملامة واقصرا	ترك الهوى يا صاحبي خسارة
كم لمت قلبي كي يُفني فقال لي	لجأت ^(١) يمين ما لها كفارة
أنا لا أفني ولا أقدر لحظة	ان انت لم تعشق فأنت حجارة
الحب اول ما يكون بنظرة	وكذا الحريق بدأوه بشرارة
يا من احب ولا أسمي باسمها	إياك أعني فاسمعي يا جارة

(١) لجأت في اليمين لم يكفرها مدعي صدقه فيها .

شيء من تشاؤمه

كان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلّة جدواها ، وضناً بها بزعمه على من لا يعرف قدرها بعد موته ، وكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ، ويعرفه فيج ما اعتمد من الفعل وشنيعه ، فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك : « حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جنائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك ، وأجارنا جميعاً مما يسود وجه عهد ان رعيناه كنا مستأنسين به ، وان أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، وادام الله نعمته عندك ، وجعلني على الحالات كلها فداك » .

« وافاني كتابك غير مُتَوَقَّع ولا مُتَوَقَّع ، على ظاء يروح ^(١) مني إليه ، وشكرت الله تعالى على النعمة به عليّ ، وسألتك المزيد من أمثاله الذي وصفت به بعد ذكر الشوق اليّ والصبابة فحوي ما نال قلبك ، والتهب في صدرك ، من الخبر الذي نبيّ إليك ، فيما كان مني من إحراق كتيبي النقبسة بالنار ، وغسلها بالماء ، فعجبت من إنزواء وجه العذر عنك في ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعزّ (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) وكأنك لم تأبه ^(٢) لقوله تعالى (كل من عليها فان) . »
« وكأنك لم تعلم انه لا ثبات لشيء من الدنيا ، وان كان شريف الجواهر ، كريم العناصر ، مادام مقلّباً بيد الليل والنهار ، معروضاً على حوادث الدهر وتعاور الايام . ثم اني اقول ان كان أيدك الله ، قد أتقّب خُفّك ^(٣) ما سمعت ، فقد أدعى أظلامي ما فعلت ، فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له ، ولا اجترأت عليه ، حتى استخرت الله عز وجل فيه اياماً وليالي ، وحتى اوحى اليّ في المنام بما بعث راقداً العزم ، واجد فاطر النية ، وأحياميت الرأي ، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع ، وترتيب سيفه الخاطر ،

(١) شديد . (٢) آبه له وبه كمنع وفرح فطن وانسيه ثم تفتن له . (٣) اصل المثل ان يَدْمَ أَظْلُكْ فقد تقبّ خفي . الأظْلُ ما تحت منسم البعير ، والخف واحد الاخفاف وهي قوائمه . يضربه المشكوا اليه للشاكي اي انا منه في مثل ما تشكوه (امثال المبدائي) والمنسم كجلس طرف خف البعير وهما كالظفرين في مقدمته .

وانا أجد عليك الآن بالحجة في ذلك ان طالبت ، او العذر ان استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني ، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي . ان العلم « حاطك الله » يراد للعمل كما ان العمل يراد للنجاة ، فاذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاً على العالم ، وانا اعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً ، وصار في رقبة صاحبه غُلاً ، وهذا ضرب من الاحتياج المخلوط بالاعتذار .

لماذا كره كتبه وما اورثه

« ثم اعلم علمك الله الخير ، ان هذه الكتب حوت من أصناف العلم مره وعلايته فاما ما كان مرراً فلم اجد له من يتحلى بمحقيقته راغباً واما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالباً على اني جمعت اكثرها للناس واطلب المثالة^(١) منهم ولقد الرياسة بينهم ولمدة الجاه عندهم فخرت ذلك كله ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي وربطه بامري وكرمت مع هذا وغيره ان تكون حجة علي لا لي .

وما شئت العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه اني فقدت ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً وصاحباً قريباً وتابعاً ادبياً ورئيساً منيباً فشق علي ان ادعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسوت عرضي اذا نظروا فيها ويشتموت بسهوي وغلطي اذا تصفحوها ويترأثون تقصي وعيبي من اجلها . فان قلت ولم تسد عنهم سوء الظن وتقرع جماعتهم بهذا العيب فجوابي لك ان عياني منهم في الحياة هو الذي حقق ظني بهم بعد المات وكيف أتركها لاناس جاورنهم عشرين سنة فما صح لي من احدم وداد ولا ظهر لي من انسان منهم حفاظ . ولقد اضطرت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في اوقات كثيرة الى اكل الخضر^(٢) في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخلصة والعامية والى بيع الدين والمروءة والى تعاظم الرياء بالسمعة والنفاق والى ما لا يحسن

(١) الفضل يقال هو من ذوي مثالبهم . (٢) الخضر ككتف البقلة الخضراء كالخضرة كفرحة وهي بقلة خضراء خشناء ورقها مثل ورق الدخن وكذلك ثمرتها وترثع ذراعاً وهي تملأ في البعير (الناج) .

بالحران يرسمه بالقلم ويطرح في قلب صاحبه الألم واحوال الزمان بادية لعينك
بارزة بين مسائك وصباحك وليس ماقلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك وشدة
تبعك وتفرغك وما كان يجب ان ترتاب في صواب ما فعلته واتيت به بما قدمته ووصفته
وبما أمسكت عنه وطوبته اما هرباً من التطويل واما خوفاً من القال والقيـل .

شكوى الحرم

« وبعد فقد أصبحت هامة ^(١) اليوم او غد فاني في عشر التسعين وهل لي بعد
الكثرة والجزأمل في حياة لذينة او رجلاً لحال جديدة الست من زمرة من قال
القائل فيهم :

نروح ونغدو كل يوم وليلة وعما قليل لا نروح ولا نغدو
وكما قال الآخر :

تفوقت درات العجا في ظلاله الى ان اتاني بالفطام مشيب
وهذا البيت للورد الجعدي وتماه يضيق عنه هذا المكاث .

« والله يا سيدي لو لم انعط الا بمن فقدته من الاخوان والاخذان في هذا
الصقع من الغرباء والادباء والاحباء لكفى فكيف بمن كانت العين تقرر بهم والنفس
تستجير بقربهم فقدتهم بالعراق والحجاز والجليل والري وما الى هذه المواضع وتواتر
الي نعيمهم واشتدت الواعية ^(٢) بهم فهل انا الا من عنصرهم وهل لي محيد عن
مصرهم أسأل الله تعالى رب العالمين ان يجعل اعترافي بما اعرفه موصولاً بنزوعي
عما اقترفه انه قريب مجيد .

بن اقتدى في احراق كتبه والحامل له عليه

« وبعد فلي في احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم و يؤخذ بهديهم
وبعشي الى فارم . منهم ابو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر
وورع معروف دفن كتبه في بطن الارض فلم يوجد لها اثر . وهذا داود الطائي
وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة ويقال له تاج الامة طرح كتبه

(١) يقال هو هامة اليوم او غد اي مشف على الموت . (٢) الصراخ .

في البحر وقال بناجيتها : نعم الدليل كنت والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء
 وذهول وبلاء وخمول . وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار في جبل
 وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : دلنا العلم في الاول ثم كاد يُضلنا
 في الثاني فهجرناه لوجه من وصلنا وبرهناه من اجل من أردناه . وهذا ابو سليمان
 الداراني جمع كتبه في ثنور وسجرها^(١) بانثار ثم قال : والله ما أحرقتك حتى كدت
 أحترق بك . وهذا سفيان الثوري منق الف جزء وطرحها في الريح وقال : ليت
 يدسي قطعت من هاهنا بل من ماهنا ولم أكتب حرفاً . وهذا شيخنا ابو سعيد السيراني
 سيد العلماء قال لولده محمد : قد تركت لك هذه الكتب نكتسب بها خير الآجل
 فاذا رأيتها تحونك فاجعلها طعمة للنار .

« وما ذا اقول وسامعي يصدق ان زماناً احوج مثلي الى ما بلغك لزمان تدمع
 له العين حزناً واهي وينقطع عليه القلب غيظاً وجوى وضى وشجى وما يستمع
 بما كان وحدث وبان ان احتجت الى العلم في خاصة نفسي فقليل والله تعالى شاف
 كاف وان احتجت اليه للناس فني الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس الى
 ان انى الانتاس بعد الانتاس وذلك من فضل الله علينا ولكن اكثر الناس
 لا يعلمون . فله تعني عيني ابدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة
 والتصحيح والسواد والبياض وهل ادرك السلف في الدين الدرجات العلى الا بالعمل
 الصالح وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل اراق من الدنيا وخذع بالزيرج^(٢)
 وهوى بصاحبه الى الميوط وهل وصل الحكماء والقديما الى السعادة العظمى الا
 بالاقتصاد في السعي والا الرضى بالميسور والا يبذل ما فضل عن الحاجة للسائل
 والمحروم فأين يذهب بنا ؟ وعلى ابيه باب نخط رحالنسا ؟ وهل جامع الكتب الا
 بجامع الفضة والذهب وهل انبهم بها الا كالخريص الجشع عليها وهل المنعم بمجبتها
 الا كمكاثرها ؟ هيات الرحيل والله قريب والثراء قليل والمضجع مقض والمقام
 ممض والطريق مخوف والمعين ضعيف والاعتزاز غالب والله من وراء هذا كله

(١) سجر الثنور أو قده . (٢) الزيرج بالكسر الزينة بالوشى أو الجوهر .

طالب . نسأل الله تعالى رحمة يظللنا جناحها ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد ان حصل تحت قدرته .

يشكو صحته وشيخوخته وعوزة

« ثم اني أبدك الله ما أردت ان أجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك وفأبك (مقبلاً) مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء البساط لتعاور الملل عليّ وتخاذل الاعضاء مني فقد كلّ البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البهتان وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس ولكني حرصت منك ما أضعته مني ووفيت لك بما لم تف به لي وبعز عليّ ان يكون لي الفضل عليك وأحرز المزية دونك وما حداني على مكاتبتك الا ما أتمثله من تشوقك اليّ وتحرقك عليّ وان الحديث الذي بلغك قد بدد فكري وأعظم تعجبك وحشد عليك جزعك والاول يقول :

وقد يجزع المرء الجليد ويتلي عزيمة رأسه المرء نائبة الدهر

تعاوره الايام فيما ينوبه فيقوى على امر ويضعف عن امر

على اني لو علمت في ابي حال غلب عليّ ما فعلته وعند ابي مرض وعلى اية عسرة وفاته لعرفت من عذري اضعاف ما ابدته واحتججت لي باكثر ما نشرته وطوبته واذا أنعمت النظر تيقنت ان لله جلّ وعزّ في خلقه أحكاماً لا ينفاز عليها ولا يغالب فيها لانه لا يبلغ كنهها ولا ينال غيبتها (ظليتها) ولا يعرف قابها (مسانيتها) ولا يقرع بابها وهو تعالى أملك لنواصينا وأطلع على ادانينا واقاصينا له الخلق والامر وبه الكسر والجبر وعلينا الصمت والصبر الى ان يوارينا التحد والقبر والسلام .

حاشية له

« ان سرّك جعلني الله فداك ان تواصلني بخبرك وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل فاني لا ادع جوابك الى ان يقضي الله تعالى تلاقياً بسر النفس وبذكر حديثنا بالامس او بفراق نصيره الى الرمس ونفقد معه رؤية هذه الشمس والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك وعلى جميع اخوانك عاماً بحق الوفاء

الذي يجب عليّ وعليك والسلام . وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة اربعمائة هـ .

يعتذر ببلاغته عن فعلته

هذا هو كتاب التوحيدى كشف به الغطاء عن محيا حقائق عصره وألم فيه اي الإمام بما حدها على تسمية اثره لما لقي من الانكار وناله من اهل جيله وقبيله ففجّن بما هجّن وأزعج بما أزعج ولولا ان السو بداء غلبت عليه باقراره والياس من الحياة وبنيها سد عليه مسالكه وزين له إتيان ما اتى على حين كانت ولا تزال بنات الانكار اغلى من كل عقار ونضار لما أقيمت له معذرة ولا أسبل على ذنبه ستر المغفرة . وبالسويداء قد يهلك المرء اعزّ حبيب على قلبه حتى اذا ثاب اليه عقله ندم على فعلته بل بالمرّة الصفراء قد يقتل نفسه والنفس أغزّ الاعلاق على الاطلاق . والتوحيدى مع هذا لم يأت بدعاً فربا ولعمله اشياء ونظائر في كل عصر ومصر . بيد ان الزمن الذي قلبه كل مقاب وغيره في اعطاف الذم ينقلب واخرجه من جلده وبنا به عن طوره بما رآه من خُبث وخَبِث وَعَدَت وَعَبَث — لم يرض ان يستلب جميع جواهره وعقوده ليستمتع بذرو من درره اهل الاجيال الحاضرة على نحو ما استمتع بها ابناء الأعرى الغابرة ففضى له من قبل المأثم الذي عقده لاحراق كتبه ان يتناقل الوراقون والطالبون أسفاره ويتنافسوا في نسخها واقتنائها فبقيت بصنيعهم هذه البقية الباقية الصالحة من أفكاره التي حفظت ذكراه على كرور الاعصار وطارت كل مطار في الاقطار والامصار .

وان اعظم ما ينتقد عليه في هذه الرسالة قوله انه جمع اكثر كتبه للناس ولطلب الفضل منهم وعقد لرياسة بينهم ومن الجاء عندهم . وقوله هذا يناني في الحق هدى العلماء فان العلم يراد لذاته وتأليف الكتب يقصد بها نفع الناس ونشر فكر وبث حقيقة ثم يتوقع منها ما أرب آخر هذا اذا كان يريد بعبارة ما فهمناه منها فان هذا التصريح مما يعاب عليه وما نرى هذه الافكار تلثم مع الفلسفة والنصوف .

على اننا رأينا ابا حيان في بعض احواله ومواقفه يقول غير هذا رأينا بهدول

وقد رأى في جامع الرصافة المعافين زكريا وقد نام مستدير الشمس في يوم شاتٍ
وبه من اثر الفقر والبؤس والضر امر عظيم مع غزارة علمه واتساع ادبه وفضله
المشهور ومعرفة بصنوف العلم سيما علم الاثر والاخبار وسير العرب وايامها فقال له :
مهلاً ايها الشيخ وصبراً فانك بعين الله ومرأى منه ومسمع وما جمع الله لاحد شرف
العلم وعز المال فقال : ما لا بد منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال :

يا محنة الدهر كفي ان لم تكفي فخفي
قد آن ان ترحمينا من طول هذا التشفي
طلبت جداً لنفسي فقييل لي قد توفي
فلا علومي تجدي ولا صناعة كفي
ثور ينال الثريا وعالم متخفي

« للكلام صلة »

محمد كرد علي



علائق الحبشة بالبلاد العربية

« في الجاهلية وفي الاسلام »

- ٢ -

(ذكر انكسار الاحباش وخروجهم من اليمن ورجوع الحكم الى العرب تحت سيادة
الفرس) - سيف بن ذي يزن ويكنى بابي مرة من سلالة التباينة ملوك حمير
وآخرهم عهداً وهو الذي سمي سيف وإخراج الحبشة من بلاد اليمن . وذلك ان ابرهة
الاشرم لما تولى اليمن انتزع ربحانة زوجة ذي يزن وكان سيف صغيراً فترعرع في حجر
ابرهة وهو يظنه اياه وكان ابوه قد أمّ كسرى انوشروان يستصرجه على الحبشة وان
يكون ملك اليمن له فوعده النصر وطال تلبسه عنده حتى تصرم حبل اجله .

فلما شب سيف عن لحد ابناء ابرهة ان يتقص شأنه فبيده وهجّان اياه فخرج
الى أمه وسألها عن امر ابيه فأعلمته اليقين فأقام حيناً الى ان مات ابرهة وابنه يكسوم
وقام مسروق اخو يكسوم . فخرج سيف حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه
امر الحبشة وسأله ان يخرجهم ويبعث من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكّه
قيصر . فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وكان عامل كسرى على الحيرة وما بليها من
ارض العراق فشكا اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة سيف كل
عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل . ثم خرج معه فأدخله النعمان على كسرى فطأطأ رأسه
وبرك على نحو العادة المرعية سيف بلاط فارس وقال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا
الاغربية . فقال له كسرى : اي الاغربية الحبشة ام السند . فقال بل الحبشة
فجئت لك لتصرفني ويكون ملك بلادك . قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم اكن
لأورط جيشاً من فارس بارض العرب . ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وكساء كسوة
حسنة . فلما قبض ذلك منه سيف خرج وجعل ينثر تلك الدراهم للناس فبلغ ذلك
الملك فقال ان لهذا شأنًا ثم بعث اليه وقال له عمدت الى جباة الملك تنثره للناس .
فقال سيف وما أصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت أقدسها للملك الا ذهب وفضة .
فجمع كسرى مرازبته (والمرازبة جمع مرزبان) وهم الوزراء وعظماء السلطنة في

فارس) وقال لم ما ذا تريد في امر هذا الرجل . فقال قاتل ايها الملك انت سيف
سجونك رجلاً قد حبستهم للقتل فلوانك تبعثهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي
أردت بهم وان ظفروا كان ملكاً أردته . فبعث كسرى من كان في سجنه وكانوا
ثمانمائة رجل واستعمل عليهم (اي جعل عليهم عالماً يعني قائداً) رجلاً منهم يقال له
وهرز . ولما وصلوا الى ساحل عدن جمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه .
وقد قُتل مسروق بن ابرهة الحبشي في هذه المعركة ودخل وهرز مع سيف الى صنعاء .
قال ابن اسحق : عن هذه المعركة عن سطيج الكاهن بقوله « يليه إرمُ ذي يزن
يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن » . فلما قتل مسروق وانهزم الحبش
كُتب الى كسرى فامر ان يملك سيف بن ذي يزن وفرض عليه خراجاً وجزية سيف
كل عام . وهكذا عاد ملك اليمن الى العرب ولكن بقيت السيادة العملية للفرس حتى
ظهر الاسلام فأجهز عليهم وأدال دولتهم .

(ذكر هجرة الصحابة الى ارض الحبشة) . — حدث عبد الملك بن هشام عن زياد بن
عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق قال : لما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه
من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن ابن عمه ابي طالب وانه لا يقدر
ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يُظلم
عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه . فخرج عند ذلك
المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وقراراً الى الله
بدينهم فكانت هذه اول هجرة في الاسلام وكان المهاجرون من المسلمين الذين لحقوا
بارض الحبشة سوى ابنائهم ونسائهم ثلاثة وثمانين رجلاً . فأمنوا بارض الحبشة
وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون في ذلك احداً وقد احسن النجاشي جوارهم
حين نزلوا به . (وهنا عددهم المؤلف فرداً فرداً باسمائهم) .

قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله (ص) قد آمنوا واطمأنوا
بارض الحبشة وانهم قد أصابوا بها داراً وقراراً اتسمروا بينهم ان يبعثوا فيهم رجلين
من قريش جليدين الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم
التي اطمأنوا بها وامنوا فيها . فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل

وجمعوا لها هدايا للنجاشي ولبطارقته . (والبطارقة جمع بطريق وهم عند الروم والحبشة كالأقباط عند العرب والمرازبة عند الفرس من عطاء المملكة وحكام الاقطاعات .
والبطريق غير البطررك فالاول لقب لذي منصب سيامي ويدعوه الافرنسيون (patrice) او (Patrique) والآخر لقب لذي منصب ديني وهي اختصار لكلمة بطريك اليونانية) .

قال ابن اسحق في عنعنة من حديث لام سلمة بنت ابي أمية ابن المغيرة زوج النبي (ص) قال قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أرمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً اتهموا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا اهدوا له هدية . ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص فأمرهما بأمرهم وقالوا لها ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلم النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار . فلم يبق من بطارقته بطريقي الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلم النجاشي وقالوا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم . وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردوهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لها نعم . ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشي فقبلها منها . ثم كماه فقالا له عش ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردّهم عليهم فهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعابوهم فيه . قالت ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشي كلامهم . قالت فقال بطارقته حوله صدقاً ايها الملك قومهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليها ليرداهم الى بلادهم وقومهم . قالت فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا أسلم اليها قوماً جاوروني

ونزلوا بلادني واختاروني على من سواي حتى ادعوم فأسلمهم عما يقول عذنان في امرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليها ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك مذهبهم منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني . قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله (ص) فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما نقولون للرجل اذا جئتموه . قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا كئنا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فقصروا مصاحفهم حوله ، سألهم ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الملل . قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال : عش ايها الملك كئنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسي الجوار وبأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانه وعداه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والاثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما احل لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجعنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء عن الله من شيء . قالت فقال له جعفر نعم . فقال له النجاشي فاقرأه علي . فقرأ عليه صدراً من كميص . قالت فبكي والله النجاشي حتى اخضت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم . ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله ما أسلمهم اليكما ولا يكادون . قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن

العاث والله لا آتينه غداً عنهم بما استأصل به خضرائهم . فقال له عبد الله بن ربيعة وكان اتقى الرجلين لا تفعل فان لم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا . قال والله لا أخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد . قالت ثم غدا عليه الغد فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم وسلم عما يقولون فيه . فأرسل اليهم ليسألم عنه . قالت ولم ينزل بنا مثلاً قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا نقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه . قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ما ذا نقولون في عيسى بن مريم . فقال — جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) هو عبد الله ورسوله وربه وكلمته ألقاهما الى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي الى الارض وقال اذهبوا فانتم آمنون بارضي ، من سبكم عرستم . ردوا عليها هداياهما فلاحاجة لي بها . فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين ردت علي ملكي فأخذ الرشوة فيسه ، وما اطاع الناس في فأطيعهم فيه . فخرجوا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به . قالت واقمنا عنده بغير دار مع خير جار .

(رجوع المهاجرين الى مكة) . — ذكر سفيان بن عيينة عن الاحول عن الشعبي ان جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه رجع من الحبشة وقدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر .

وقال ابن اسحق ان قد بقي بارض الحبشة من اصحاب رسول الله (ص) حتى بعث فيهم رسول الله الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري بعد فتح خيبر فحملهم في سفينتين وقدم بهم الى مكة . فكان الذين رجعوا من الحبشة الثلث فقط ومات هنالك من مات والباقيون تخلفوا عن الحج . وقد أنصر بينهم واحد فقط وهو عبيد الله بن جحش فكان اذا مر بالمسلمين بعد نصرانته يتمكمهم بقوله فقننا وصأصأتم اي ابصرنا وانتم تلتسون البصر فخرت هذه العبارة من ذلك اليوم مثلاً .

هذا حديث اول هجرة للصحابة الى الحبشة . وقد هاجروا اليها هجرة ثانية وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل الى مكة وهو على شركه قبل اسلامه فلتى

المسلمون منه بلاءً واذىً وشدة فهم بعضهم وهاجروا الى الحبشة لينضموا الي من بقي مقيماً في تلك الارحاء . وكان ذلك استناداً الى ما روي في مكة عن اسلام النجاشي . (اسلام النجاشي اصمحة) . — كان اسم النجاشي ايام هجرة المسلمين الى الحبشة اصمحة والعرب يقولون الاصم بن ايجر . قالوا انه أسلم سرّاً ولكن رواية اسلامه لا ذكر لها في تاريخ ملوك الحبش . وقد رواها ابن اسحق فيما يلي قال :

بعث رسول الله (ص) ابن عمه جعفرأ بكتاب الى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي الاصم ملك الحبشة . سلم انت فاني احمد الله اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله . وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرأ وتقرأ معه من المسلمين فاذا جاءك فاقرهم ودع النجير فاني ادعوك وجنودك الى الله . فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي . والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي الى رسول الله (ص) : « بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله من النجاشي الاصم بن ايجر . سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا اله الا هو الذي هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى . فو رب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت أنه روقاً . انه كما قلت . وقد عرفنا ما بُعثت به الينا . وقد قربنا ابن عمك واصحابه . فأشهد انك رسول الله صادقاً مصداً . وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثتُ اليك بابني ارها بن الاصم بن ايجر فاني لا أملك الا نفسي . وان شئت ان آتيك فملتُ يا رسول الله فاني أشهد ان ما تقول حق . والسلام عليك يا رسول الله » .

ولكن بعد ان أورد ابن اسحق هذين الرقيبين التواريخين عاد فأوقع القاري في ريبة من امر الرد (اي من امر جواب النجاشي) ومن امر صحة الرواية التي أسندها اليه اذ قال : ان النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فاذا كانوا في وسط

البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا . كما ان تاريخ ملوك الحبش يدعو ابن اصبحة عمدة صهيون وقد ملك على الحبشة بعد موت ابيه .

وقال ايضا المؤلف نفسه : حدثني جعفر بن محمد عن ابيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للتجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه . فأرسل الى جعفر واصحابه فيها لم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم . فان هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بجيش شتم وان ظفرت فاثبتوا . ثم عمِد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكنته ألقاها الى مريم . ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن^(١) . وخرج الى الحبشة فقال : يا معشر الحبشة الست احق الناس بكم . قالوا بلى . قال فكيف رأيتي سيرتي فيكم . قالوا خير سيرة . قال فما لكم . قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد . قال فما تقولون انتم في عيسى . قالوا نقول هو ابن الله . فقال التجاشي واضعاً يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم ولم يزد على هذا شيئاً . فرضوا وانصرفوا . قال ابن اسحق : ولما مات التجاشي كانوا بمكة يتحدثون باسلامه وبانه رؤي على قبره نور . وقد صلى عليه النبي صلاة الغائب .

(فتوحات المسلمين في الحبشة) — عندما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام بعد ان كانوا في الجاهلية اشتاتاً بعضهم لبعض عدو كما ذكرنا فويق هذا . اخذوا بشيرون الحروب بقصد التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار . قال العلامة احمد زكي باشا احد اعضاء هذا المجمع العربي في احدى محاضراته على تلامذة الجامعة المصرية « ان الحرب هي من طبيعة الانسان او هي من المصائب الضرورية كما يقول علماء العمران . واية دولة قامت قديماً او حديثاً وتوسعت في العمران بغير الحرب » اهـ .

وان في عداد الجيوش التي سيروها وفتحوا بها فتوحاتهم المشهورة في الشام ومصر

(١) القباء هو رداء الحبشة الوطني يُصنع من الوبر الاسود وهو يشبه البرنس عند اهل تونس ومراكش وجزائر الغرب .

والعراق وإفريقية حتى وفي بعض أنحاء أوربا سرية صوبوها إلى جارتهم الحبشة ففتحت أولاً بلاد الزيلع ونزلت أرض جَبْرَةَ التي تعرف اليوم بِجَبْرَت وهذه البلاد هي صحراوية من أعمال الحبشة على ساحل البحر الأحمر . وانتشر منذ ذلك العهد الإسلام في جميع البلاد الساحلية السفلى التي تحيط بالحبشة الداخلية العليا وهي المعبّر عنها في التواريخ العربية بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له ولا يزال منتشرًا إلى اليوم . والأمراء الذين تولوها هم من بني عبد الدار ومن بني هاشم القرشيين . أشهرهم الأمير عمر الذي يقال له كَشَمَع وولده حق الدين ، وصبر الدين ، وعلي بن صبر الدين ، وسعد الدين محمد أبو البركات ، وأبو بكر بن علي ، ولخوي بن منصور ، ومنصور بن سعد الدين وجمال الدين ، وحرب جوش ، وأحمد بدلاني وغيرهم . وهؤلاء كانوا في غزوات مستمرة مع الأحباش على عهد النجاشيين اسحق بن داود وأندراوس بن اسحق وحربناي بن داود . حتى تمكنت منهم الأحباش وأخضعتهم لسلطة الصولجانات ولكنها لم تغلم المسلمين ولا فتنهم قط عن دينهم . وقد عامل النجاشيون الأمراء المسلمين الذين نادشوم العداء معاملة حسنة حتى أنهم عادوا قولوم وأولادهم من بعدهم على المقاطعات التي كانوا يحكمون عليها . وهكذا استتب الأمر وهدأت الفتن دهرًا طويلًا فيما بينهم . قال أبو جعفر : وقد بعث عمر (رضه) علقمة بن عجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر وذلك أن الحبشة كانت تطرفت طرفًا من أطراف الإسلام فأصيبوا . فخلف ابن لا يبعث برجاله إلى أرض الحبش .

وفي منتصف القرن السادس للميلاد قام الإمام أحمد أمير العدل المسلمين (ويلقبه الأحباش بأحمد كران أي الأعور كما لقب العرب فيما سلف أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن بالاشرم) بفننة كبيرة واستمال إليه الأمراء المسلمين حكام المقاطعات الحبشية الساحلية واستنجدهم على النجاشي فأجندوه وقاموا معه جميعًا بالجهاد فدخلوا قلب الحبشة العليا ودوخوا أهلها وجنودها وفتحوا مدنها وقتلوا ودمروا حتى كاد الحبشة أن يُلغوا على أمرهم ويؤزل سلطانهم فاستنجد النجاشي ملك البرثقال . وكانت البرثقال يومئذ دولة ذات عز وبطش وسيدة معمورات وأصعات الأرجاء بعيدة الانحاء . وكانت الهند ملكها واغنى مستعمراتها . فأجندته بجيش نزل إلى البر في مصوع

سنة ١٥٤١ تحت قيادة خريستوف دي كاما فكسر عساكر المسلمين في ممالك كثيرة الا ان عسكره انكسر بعد ذلك وقتل القائد دي كاما في معركة مهمة . ولما نفي الخبر الى نائب ملك البرتغال في الهند وكان اخا القائد المقتول جيز فجدة أخرى وارسلها الى الحبشة فتمكنت من اصحاب الامام احمد وردتهم على اعقابهم . وقتل الامام نفسه في موقعة وابنادكا خلفه على سرير هرر ابنه نور ولاء النجاشي نفسه على تلك المقاطعة الحبشية الاسلامية المتوسطة بين الساحل والداخل . ومن سلالة نور الامير عبد الله صاحب هرر السابق وهو حي يرزق على ما اظن . وقد حدث لهذا الامير ان قام على النجاشي منليك فكسره النجاشي واسره في بلاطه وكانت هذه الفتن دسيسة من الانكليز في أواخر القرن الماضي نفهمها فيما بعد النجاشي فعفا عن اسيرد الامير وعاد فولاء إمارته ورد اليه املاكه المحجوزة . واذ لم يحسن الامير بعد ذلك سياسته عزله وولى مكانه الراس مكوين من امراء الاحباش فلزم الامير عبد الله بيته بجانب المسجد الذي شاده هو من ماله . وقد تعرفت اليه في هرر وكان شيخاً هرمًا محترم الجانب متكياً على العبادة وتقوى الله . وكانت بيني وبينه صلة صداقة .

ومن آثار فتوحات الامام احمد في قلب الحبشة العليا اسلام مقاطعة جتا باجمعها وسكانها من قبائل الكالالا فلم يجبرهم النجاشي على العودة عن اسلامهم وولى عليهم اميراً مسلماً يتوارث عنه ولده الامارة . وقدام امير جتا بحاشية كبيرة عاصمة الحبشة اديس ابابا ابان اقامتي فيها لمواجهة النجاشي فتسنى لي التعرف اليه ويدعى الامير محمداً ابا جعفر . والحبشة يقولون « دختا ابا جعفر » . وهو الذي زوج ابنته من النجاشي يسوع الثالث الذي أسلم ابان الحرب العالمية .

(اسلام النجاشي يسوع الثالث بن ميخائيل) . — الراس ميخائيل ابو هذا النجاشي كان اميراً مسلماً يحكم في طاعة النجاشي بلاد قبائل الواو المسلمين وكان اسمه السلطان محمد علي . ثار على ملكه منليك الثاني فظفر به النجاشي واسره وولى حاكماً مسيحياً على بلاده . وكانت محمد علي هذا رجلاً زكياً فطناً . فلما امسى اسيراً ذليلاً في قصر النجاشي ورأى في طبع منليك حلاً ودعة وفي سياسته ميلاً عظيماً لجمع القلوب وتأليف الوحدة الوطنية في اقطاعات مملكته . اخذ يستعطف وبتقرب من بابته ثم

انصر على يده وهكذا دأب في التجب اليه حتى نال حظوةً لديه ولقبه بلقب رأس (وهو اكبر لقب في الحبشة يوازي لقب خديوي التركي و Vice roi الا فرنجي) . وصاهره بان زوجه من ابنته البكر وأعادها عاملاً على بلاده يحكم باسمه قبائل الواو . وقد رُزق من امرأته ابنة النجاشي ولداً ذكراً دعا اسمه يسوع . فلما نما هذا الصبي حتى بلغ السادسة او السابعة من عمره أتى به ابوه الى بلاط جده النجاشي حيث أقام مع اترابه اولاد الاسراء الذين يؤلفون غلمان القصر .

« هذه العادة لا تزال متبعة الى اليوم في قصور النجاشي وأسرائه وهي قديمة العهد جداً وكانت مرعية عند ملوك اليونان والفرس والرومان وملوك اوربا جمعاء في عهد الاقطاعات وبعده . وهؤلاء الغلمان يدعومهم الا فرنج (les pages du Palais) .

واذ أنهم كالمريض منيلك في أواخر أيامه واشتد تأثيره على دماغه ولم يكن له عقب ذكر يرث الملك من بعده حتى ولا واحد من أبناء عمه وذوي قرابه من العصبيين اتقسم أسراء الحبشة فيما بينهم احزاباً في امر هذه الوراثة فشد بعضهم أزر الملكة طهايتو (وبالعربية الشمس) لترث التاج عن زوجها وتخير غيرهم لابنته الثانية الاميرة زوديتو (وبالعربية صاحبة التاج) (لان البنت البكر زوج الراس ميخائيل كانت قد توفيت) وهي المعاملة الحالية . ومنهم من تحزب للامير نفري (وبالعربية هبوب) ابن الراس مكوون (وبالعربية القاضي) وعضد الراس ميخائيل ابنه الامير يسوع حفيد النجاشي الداخل في طور النزاع واف حوله ليف من مريديه المقربين . فتغلب هذا الحزب بدعائه على سائر الأحزاب واقترص يوم ضف شديد في عقلية النجاشي فأقنعه بتسمية حفيده الامير يسوع ولياً لعهد . وكان لم في يوم من شتاء عام ١٩٠٩ ما طمحوا اليه فنودي بالامير يسوع بن ميخائيل ولياً لعهد السلطنة ووارثاً لتاج جده الا . براطور منيلك الثاني وقد جلس بعد وفاة جده على عرش الحبشة عام ١٩١٣ وتزوج باسم يسوع الثالث وهو أحدث لا يتجاوز السنة السادسة عشرة من عمره . فتلاعب به الدساسون وكان اول عمل حملوه عليه تسمية ابيه الراس ميخائيل قائداً عاماً لقوات الحبشة ثم قلد أهم مناصب المملكة لمريديه من الحزب الذي ينتمي اليه فكان

من وراء هذا الفعل ما كان من استيلاء بقية الاحزاب وانتقاضهم عليه واشتعلت الحبشة بشورة يخرج شرحها عن ملاك موضوع هذه المحاضرة .

ولما هبت رياح الحرب الكونية واشتعلت نيرانها اغتنم الالمانيون فرصة الثورة الضاربة في الحبشة وعملوا على الانتفاع منها وتحويلها لآرهم وكان النجاشي يسوع قد هرب ببعض رجاله المواليين الى هرر . وهناك دهاه الالمانيون وأشاروا عليه بالعودة الى دين اجداده موهمينه انه بهذا يستطيع ان يجيش قبائل المسلمين في السواحل فيسترد بها عاصمته ويقهر اعداءه القائمين عليه . ولم يكن الالمانيون ليطنوا في ذلك الا الاغارة بهذا الجيش على المستعمرات الفرنسية والانكليزية والاطالية القائمة على شواطئ بحر القلزم . وقد جازت حملة الالمانيون السياسية على النجاشي يسوع فأذعن لهم وأسلم ودعي محمد يسوع وبث الدعوة الى الجهاد بين الحبشة المسلمين فتبعه قوم منهم وخشي قوم سوء المغبة فلم يتبعوه . وبلغ ذلك أسقف الحبشة الانبامتاؤوس المصري الصعيدي (المتوفى حديثاً) فأفتى بخلعه . ونصح سفراء الحلفاء للاحزاب فانضموا بعد تشييت آرائهم وعادوا فألفوا كحلة واحدة وطنية رصت بنيان كيائها ونادت بالاميرة صاحبة التاج ابنة النجاشي منيلاك عاهلة بالأصالة سنة ١٩١٦ وبالامير ثفري ابن الراس مكوّن قبا على الملك بالوكالة وولياً للعهد لان العاهلة المذكورة متزوجة من زوجها عن غير عقب .

واذ نهض النجاشي محمد يسوع بالمواليين الى العاصمة ليفتحها عنوة تشنت شمل جنده ووقع ابوه الراس ميخائيل اسيراً فانهمزم عند ذلك النجاشي الى صحراء الدناكل وعزم ان يجناز البحر الاحمر الى ساحل اليمن فلم يفلح لان اعداء اصحابه الالمانيون كانوا له ولم بالمرصاد فلجأ الى مقاطعة تگره حيث لحق به الامير ثفري فأمره وساقه الى منفى الملوك . وبهذا انتهى امر هذا النجاشي وامر دسائس الالمانيون الذين استخدموه لقضاء مآربهم فكانوا سبب شقائه .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله رعم

الادب في البحرين

— ٣ —

ومن اغلاط الكتابة :

(واجفاناً (مأرقة) دواما لما عن خاطب الغمض امتناع)
والصواب مؤرقة لان ما قبل العمزة مضموم . ومن خواطئه اللغوية قوله :
(لم يألوا كنف العقيق وانما . شتوا بارباع الضمير وقيضوا)
بالضاد المعجمة وصوابه قبطوا من القبط اشد الصيف حرأ لا من القبط وهو
قشر البيضة . ومنه قولهم مع البيض خير من القبط وقيض تستعمل بمعنى قبط الله
له الخطأ او الصواب وما اشبه ذلك من التعبير .

ومن الخطأ النحوي قوله في صدور البيض عن شعراته البيض :
(أو للبيض عن سناهن أوما كان (ناش) عن صدهن صدور)
والصواب ناشئاً خبر كانت المقدم .

ومن عيوب النسخ مسخ اجفال باجفان في بيت يصف فيه النياق :
(لمن اذا ما استرفض الآل سمته على الأين (اجنان) النعام المطرد)
ومن مخالفة العروض والوزن الذي وقع فيه الناسخ قوله :
(لو كان في وسع جهدي ان ابشك شوقي واشكو (اليكم) وجدي وتبريخي)
الصواب لكم . ومن اغلاطه اللغوية قوله :

(يا شوى قلبي على البعد فهل من لقا يعدي على ذاك ووسلي)
فهو يزيد مصدر شوى اللحم شياً وشواءً واما الشوى فما لبس بمقتل من الانسان
نقول رمى الصيد فأشواه نقيض أصماه ، ومن المجاز اعطاني من الشوى وهو رذال المال
وكل ذلك شوى ما سلم شرفي اي هو حقير ، وتعبيره يا شوى قلبي من اقوال العامة
في البحرين وفي الشام ايضاً نقول الشكى عندنا « يا شوى قلبي عليه » اي على فقيدها
ولو وضعها بين قوسين بدلان على الرواية لما خطأناه . ومنها استعماله التفريق للفراق
وهو غير صحيح ولا مستعمل لا في الشام ولا في العراق .

(فان من جمع الزوجين قبلك لا بعيا بألفنا بعد الزيفراق)
اي لا يتمب بجمعنا بعد تفرقتنا وهو بيت ضعيف الأسر لم يوجد حبه .
ومن مسخ النسخ قوله :

(وخذوا بالتراث من قاتل الشعر فما الحزم ان تضاع الدحول)
والصواب التراث جمع ترة وهي التزاري التراث نقول : هو اطلب الناس للتراث
ما بين دجاة والفرات ، ولا معنى للتراث وليس هنا من يأكله أكلاً لما ، والدحول
في آخر البيت دليل على صحة ما نقول :

ومن الأغلاط النحوية ولعله من مسخ النسخ ايضاً :
(فما اشقاك يا من لا يذقه واحظى من تعاطاه واسعد)
ويغلب الظن على المسخ ان الوزن يستقيم لو قال : يا من لم يذقه ، وكلامه
على نبات الحشيشة الملعونة ، ولو نظمنا في وصفه لقنا :

(فما اسماك يا من لم يذقه واسفل من تعاطاه وانكد !)
هذا ولعل في ديوان ابي البحر غير هذه الهفوات اليسيرة وهي بالنظر الى تجويداته
الجملة كالحسنات يذهب السيثات . واما الديوان من وجهة الادب الحقيقية اي
الأخلاق ، فجل قصائده قيلت في المدح وفيه من المغالاة والاغراق ما لا يحمد ،
خلا ما قاله في الرثاء المحمول على الوفاء ، فمن اغراقه الكاذب قوله :

(وزفرة لو ثوى اليوم الخليل بها اودى ولم يغن عنه يرد فيها)
(لو سم وبلى الحيا اطفاء وقدها لم تلقه ومياه الارض تطفئها)
(وعبرة لو دعي نوح ليسلكها بفلكه قال : بسم الله بحريها)
ومن هذه الاحالة التي يمجها العقل السليم وذوق العصر الحاضر قوله :
(أصبَحَتْ أَثْقَلُ مِنِّي نَمْلَةٌ فزَنُوا بِي بَعْضُهَا يَرْجِعُ بِكُلِّي)
(ثُمَّ لَوْ قَدْ حَمَلْتَنِي بَقَّةٌ مَدَّةَ الْيَوْمِ لَمْ تَعِي بِحَمَلِي)

وفي تعي المجزومة زحاف كان له عنه مندوحة بقوله لم تسمع .

واما الرثاء فقد يرفيه اقرانه ولا سيما مراثيه في آل البيت فانها :
(ارق من دمة شيمية ترثي علي بن ابي طالب)

وقد اشتهرت مرثيته في الامام الشهيد ابي عبدالله الحسين وامرته الطاهرة وهي
 التي مطلعها : (معاھدم بالابرقين هوامد رزقن عھادالمزن تلكالمعاھد)
 ولو قال : سقین لكان أعرب وأطرب ومنها في وصف ذلك المستبسل :
 (ككأنی به في ثلة من رجاله كما حف بالليث الاسود اللوابد)
 (اذا اعتقلوا سمر الرماح وجردوا سيوفاً اعارتها البطون الاسود)
 (فليس لها الا الصدور مراكز وليس لها الا الرؤوس مقامد)
 (الى ان ثروا في الرمل صرعى كأنهم نخيل أملتتهن أبد عواضد)
 (ولم يبق الا واخذ الناس واحداً يكابد من أعدائه ما يكابد)
 (يحامي وراء الطاهرات مجاهداً باھلي وبی ذاك المحامي المجاهد)

ومن شوائبه ومعائب جيله الاستجداء والبذاء في الشعر ومدح ما هو خليق بالذم
 كمدحه الحشيشة بقصيدة طويلة تحجب التحشيش الى قلب كل سخييف العقل كالقصيدة
 التي نظمها جواباً لحشيشية بعض فتيان القطيف وفي قصيدة ابي البحر من فاحش البذاء
 ما يندى له جبين الحياء ومن استجدائه الشائن قوله يعائب بعض العلويين الشريف
 ناصر القاروني مستجدياً .

(ما كنت احسب والعلياء مولعة) يختمش شأن اخي العلياء والحسب
 (اني أمد لا ندى العالمين بدأ) يدي لاعلق ما أوتيه من نسب
 (حتي سألتك يا احني الانام على) ضعني قويت ويا احني البرية بي
 (فظلت توسعني مطلاً يضيق به) صدري ويضطرنني كرهاً الى العتب
 فكيف يكوّن اندي العالمين بدأ من يوسعه مطلاً يضيق به صدره فيضطره
 الى العتب الى ان يقول في الجواد المطول :
 (اما الوفاء فشيء قد سمعت به) ولن تراه ولو امعنت في الطلب
 وانظر الى بعد همته ومبلغ غزته قائلاً :

(أصيحت منذ اليوم ضيقة يدي) فابعث اليّ ولو بعثت بدرهم
 (انا غرس أنعمك التي لا عذر لي) ان لم أوصل شكر تلك الانعم
 واما محامن ابي البحر فجمعة منها ما كان في حب اوطانه والحنين الى اهله وخالانه كقوله :

- (أحبابنا والمرء يا ربما دعا
(هل الدهر مدينني اليكم فبرد
(كفى حزناً أني بشيراز مفرد
(وشوقاً لو اسنجلي سناء اخوالدجي
(أحن فلا ألقى سوى هاتف الضحى
(يكاد اذا هنّ الجناح فخانه
(خلا انه ذورقة فتى دعا
(يشن عليّ البعد غارات جورده
(له القلب فليثن الاعنة مبقياً
(سقى جدّ حفص الفيت سكاوهمي
(ولا زال خفاق النسيم اذا سرى
(بلاد اقام القلب فيها فلم يزل
(هل الله مستبق ذماي بعودة
أخا النأي ان ضاقت عليه مناوحه)
لهيب اشتياق يزمرض القلب لافحه)
اباكر ما يضني الحشا وأراوحه)
لاغناه عن ضوء المصابيح قاده)
يطارحني شكوى النوى وأطارحه)
نقض بترجيع الحنين جوائحه)
تجبه على قرب المكان صواده)
وتهنف بي من كل فج صوائحه)
عليّ فما غندي جنود تكافحه)
لها الدمع اغناها عن الفيت راشحه)
عليلاً يماسي جوها وبصايحه)
وان طمحت بالجسم عنها طوامحه)
اليها يرني الدمع قد هس كالحه)

ان هذا الشعر ليفيض شعوراً ولو ترجم الى اية لغة اجنبية لشارك الفرنسي الشاعر في حزنه وأشجانه وبكى لغربه وبعده عن أوطانه ، واما حينئذ الى اهله وولده فيحاكي به حنين شاعر الفرنجة فكتور هوغو الى ولده وولع شاعرنا بولم شاعرهم أشبه من الجمره بالجرمة قال ابو البحر :

- (ان يصيني ذكر الديار فانه
(وجدي الصغير بها لا صغر صيبي
(وكرمة الطرفين جرّ على النقي
(ومنهف زرت غلائله على
(رشاً جراحاتي جبار عنده
(ضاحي الجبين وانه ليريك من
(انا اسعد الثقلين ان اذنام
(لأجشمن الناجيات اليهم
لاناث أصيبة بها وذكور)
وكبير أشواقى بها الكبير)
والدين قاضل ذيلها المجرور)
غصن يميل به النسيم نصير)
ابداً وكسري ليس بالمجبور)
تحت الخمار شمائل المخمور)
مني رواحي في نجوم وبكوري)
والسفن قطع مفاوز وبحوري)

(ولالقبين بحر وجهي نخوم
(ففسى ابتذال الصون يفضي لي الي
(فأبيت قد القيت اعباء السرى
(ان كان ذاك فيا سعادة طالعي
(يا من اسير كل يوم نخوم
(لا تحسبوها انها كتبت لكم
(من لا يطيق فراق يوم واحد
(آم ، وقل على أوال تأوهي
(ما كنت مبناعاً ازقة فارس
(هيهات ما شيراز وافية بما
(بلد تعادل صيفها وشتاؤها
(يتصكأءد الرزق العباد وانه
(سيان عبثه كادح ومرفه
(ان طبق المحل البلاد فاننا
(حرين حر هوى وحر هجير
(من صين تحت اكلية وستور
(وارحت ظهر مطيني وبعيري
(ونجاح آمالي وئمن ظيوري
(كتي اذا اعبا على مسيري
(بسواد حبري بل سواد نظيري
(لكم فكيف يكون بعد شهور
(فاذا جنت بها فغير كثير
(بالفج من عرصاتها والدور
(في تلك لي من نعمة وحبور
(في الطيب للقرور والمحرور
(فيها على باغيه غير عسير
(فيها ونعمة موسم وفقر
(في روضة من خصبها وعبير

الى ان يقول :

(لا عيب فيها غير ان حياضها
(هي جنة لو ميزت نعمائها
(يا جادها الهن الملت فاصبحت
(شرع لورد الليث والخنزير
(ما بين عبد مؤمن وكفور
(فرضاً لحلول النطاق غنير

انا قرأنا في اللغة الفرنسية كثيراً من قصائد الحنين الى الاوطان والاهل والاخذان
مما يحل الحليم له الحبوة ، وننشأ له في قلب الخلي الصبوة ، واقسم لو قرأنا هذا الشعر في
اية لغة فرنجية كانت او مايساميه ادبا ، لخرجنا من جلودنا طربا ، ولا اقول هنا لطربي
لو قال : بلد تعادل صيفه وشتاؤه لأصاب شاكلة الصواب وتظهر منزلة هذا الشعر ، وممو
مرتبه ، اذا نظر الى العصر الذي قيلت فيه وهو عصر الانحطاط الادبي في العالم العربي .
ومن ظرائف ابي اليجر المستملحة انه بلغه عن بعض فتيان القطيف انه يقول الشعر

فاستنشد فأنشده ما لم يرزق لديه حظوة وتقدشعره فوقع فيه ذلك الشعرور فقال ابو البحر هازلاً ومؤدياً ما ينطبق على كثير من مستعجلة شعرائنا ومنقرنجة أدبائنا :

(يا خليلي من ذؤابة شيبا نر وبدعي لما ينوب الخليل)

(ان هذا الفتى الذي وسم الشعر - رَ بعار ما انت نراه يزهل)

(قد نضى مديدة الجهالة يفري وديج الفضل فهو منه قتيل)

(يا حماة القريض هبوا لاخذ ال - ثار فالخطب لو علمت جليل)

(وخذوا بالتبرات من قاتل الشعر - بر فما الحزم ان تضاع الذحول)

(لالك في فيه شحمة الشعر من لم يدّر ما فاعل ولا مفعول)

(وادعي رتبة البلاغة في القو - ل غي لم بدر ايش بقول !)

وقال فيه ايضاً وبني قصيدته على مطلع لآخيه الغنوي وهو هذا :

(اعمل نفسك مثقالاً ومعبيراً واسرر اباك بان يلقاك عطاراً)

فقال ابو البحر ما يشبه قول الشاعر الفرنسي الكبير بوالو (Boileau) في

قصيدته (صناعة الشعر ^(١)) : « كن بالحري بناءً ان كان ذاك استعدادك »

(Soyez plutôt maçon, si c'est votre talent) وقد نظمت هذا

المعنى على البحر والقافية :

(كن بالحري انت بناءً ومعماراً ان كان طبعك هذا او فنجاراً)

ابو البحر :

(او فاتخذ لك سنداناً ومطرقة واعمل متى شئت مكيناً ومسماراً)

(او فاتخذ لك منشاراً وقشرة وكن كنوح نبي الله فنجاراً)

(او صائغاً يسبك العقيان يبرز من ابريزه للنسا صفاً وديناراً)

(او فاتخذ لك مزماراً ودبدبة وعش لك الخير طبسلاً وزماراً)

(او كن فدبتك صفاراً فليس على عليك بأس اذا أصبحت صفاراً)

(او كن كصاحبك الادنى ابا حسن أعني طلياً ^(٢) فني عمران زراراً)

(١) L'art poétique . (٢) علي بن عمران من آل عبد المحسن من القطيف

كان بينه وبين المتشاعر ألفة وحرفته صنعة الازرار .

- (او فاتبع ابن مهنى ^(١) سيف بزازته
 (او فاسأل ابن مهنى علم صنعته
 (او عالج الأتّن في أدوائهن وكن
 (او فاقلمع من رشالا ^(٢) الطين متخذاً
 (او فاقتن الأتّن واحمل فوقها حطباً
 (او فاحمل الفخ واذهب حيث شئت تصد
 (وان سمعت مقالي فامض متكللاً
 (وان ترفعت عن هذا فخي على
 (وقبها في بيوت الله تسمعن
 (او منشداً مدح خير الناس !!! حيدرة
 (ولا تلم بربع الشعر ان له
 (قد حاقّت بنفيس الشعر طائره
 (وما كها كشواظ النار لاخفة
 (او فامش خلف فتى شنصوه ^(٣) قصارا)
 (مما يفيدك بالدينار قنطارا)
 (شروى خميس بن خضّاموه ^(٤) بيطارا)
 (منه الجرار وعش في الخط جرارا)
 (تخير شيء اذا أصبحت حمرا)
 (به لصيبة أهل الخط اطيّارا)
 (على الهك سيف الالبوام ^(٥) بجمارا)
 (استغفار ربك تلقى الله غفارا)
 (أذاذك العذب أصالاً واسجارا)
 (او قارئاً في نواحي السوق اخبارا)
 (ظعننا تأخرت عن مسراه اذ سارا)
 (عنقاء مغرب فاقعد عنه اذ طارا)
 (أثناء قلبك لا تألوه اسعارا)

وبهذه الأهمية العجيبة حاكي ابو البحر مهرة السحرة من الفرنجة ، وانظر ما أوجع
 تهكمه بقوله ناصحاً : وان سمعت مقالي فامض متكللاً على الهك الخ . وما اكثر ادعياء
 الأدب فينا ممن لو شعروا بنقصهم وتخلّفهم لما شعروا ، ولما عدوا من المفاخر ، ما باتونا
 به كل يوم من المساخر ، فنسأل الرحمن الرحيم ان يلهمنا رشدنا ويهدينا السراط
 المستقيم .

ابو قيس
 عن الدين آل علم الدين

(١) محمد بن مهنى الحسيني من باعة البر في القطيف ومن أشرف البحرين له فضل
 وأدب أكب على علم الصنعة الالهية اي الكيمياء . (٢) سليمان بن محمد شنصوه كان قصاراً في
 البحرين . (٣) كان مشهوراً في القطيف بمعالجة الحمير والرفق بهم جزى خيراً . (٤) مقلع
 للطين . (٥) جمع يوم وهو السفينة الكبيرة ويعرف بهذا الاسم في خليج البصرة .

عدة الكاتب

- ٣ -

الوَصْرُ السَّجْلُ والجمع اَوْصَارٌ . والوَصْرُ الوَصِيرَةُ والوَصْرَةُ والأَوْصَرُ الصَّكُّ
والوَصْرُ كتابُ الشراء والاصل اِصْرٌ لانَّ الاِصْرَ العهد وفي اللسان الوَصْرُ الصَّكُّ
وكتابُ العهد .

السِّفَرُ الكتاب . وقيل هو الكتاب الكبير والجمع اسفار والسافر الكاتب لانه
يبين الشيء ويوضحه والجمع سفرة .

الصَّكُّ الكتاب والذي يكتب للعهد معرب چك وجمعه صكاك وصكوك
وكانت الارزاق تسمى صكاً لانها كانت تُخْرَج مكتوبة ومنه الحديث سبغ النهي
عن شراء الصكاك والقطوط وفي حديث ابي هريرة قال لمروان احملت بيع الصكاك
هي جمع صك وهو الكتاب . وذلك ان الامراء كانوا يكتبون للناس بارزاقهم
واعطيتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل ان يقبضوها ممجلاً ويعطون المشتري الصك
ليمضي ويقبضه فنهوا عن ذلك لانه يبيع ما لم يقبض . وبغية المصباح الصك الكتاب
الذي يكتب في المعاملات والاقارير وجمعه صكوك وأصك وصكاك . وصك
الرجل للمشتري صكاً من باب قتل اذا كتب الصك .

القِرْطُ الصك بالجائزة . وكتاب المحاسبة . قال في اللسان والقِرْطُ في كلام العرب
الصك وهو الحظ والنصيب . واصله الصحيفة للانسان بصلة يوصل بها .

الاِضْبَارَةُ الحزمة من الصحف وهي الاِضْمَامَةُ يقال جاء باِضْبَارَةٍ من كتب
واِضْمَامَةٍ من كتب وهي الاِضَابِيرُ والاضاميم .

وَضَبَرُ الْكُتُبِ يَضْبُرُهَا ضَبْرًا جَعَلَهَا إِضْبَارَةً . وَضَبَرُهَا تَضْبِيرًا جَمَعَهَا وَالضُّبَارُ
الْكُتُبُ لَا وَاحِدَ لَهَا ^(١) .

(١) والضَّبَرُ جلد يغشي خشباً فيها رجال يقربون الى الحصون لقتال اهلها والجمع
ضبور . ومنه قولهم انا لا نأمن ان يأتي بضبور هي الدبابات التي تقرب للحصون لشغب
من تحتها الواحدة ضبورة . والضَّبَرُ الجماعة يغزون على ارجلها . والرجالة .

الدقتر بفتح الدال وكسرهما جماعة الصحف وقال الجوهري الدقتر واحد الدفاتر وهي الكوارييس .

الآبرناج . الورقة الجامعة للحساب .

الراءناج . كتاب الطريق يسلك به الربانية البحر يهتدون به في معرفة المرامي وغيرها وهو معرب .

الفهرس بكسر الفاء والراء وسكون الهاء الكتاب الذي تجمع فيه الكتب . وهو معرب . وقال الخوارزمي هو كتاب ودفاتر تذكر فيه الاعمال ويكون في الديوان وقد يكتب فيه اسماء الاشياء . وفي شفاء الغليل ان هذه اللفظة فارسية وفارسيته بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين مهملة ساكنة ثم مشناة فوقية ساكنة ايضاً [فـهـر سـنـت] ومعناها اجمال الاشياء لتعدد اسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب . ثم انهم عربوه فقالوا فهرس يفهرس فهرسة كدحرج . وفي التاج وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا فهرس كتابه .

البطاقة . الورقة وقيل رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه ان كان عيناً فوزنه او عدده وان كان متاعاً فقيمه . وقيل الرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها رقم ثمنه .
الرُقعة واحدة الرقاع التي تكتب .

المنشور من كتب السلطات ما كان غير مختوم .

الطامور والطومار الصحيفة قيل هو دخيل وقال ابن سيده اراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتده في الابنية فقال هو ملحقي بنسقاط .
الاولك والاولكة والمألك والمألكة . الرسالة .

القائمة الورقة من الكتاب وقد تطلق على جميع البرناج .

الزفيعة القصة يبلغها الرجل ويرفعها على العامل يقال لي عليه زفيعة ورفائع وهو مجاز .

الرقم الكتاب يقال رقت الكتاب اذا كتبت فيه فهو رقم ومرقوم ورقم الكتاب يرقمه رقماً أعجميه وبينه وكتاب مرقوم اي قد بينت حروفه بعلاماتها من النقيط .
ورقة الشيء أعلمه بعلامة تميزه كالكتابة ونحوها . والتاجر يرقم ثوبه بسمته .

ورق الكتاب ترفيناً زينه - والمرقن الكاتب وقيل المرقن الذي يحاقي حلقاً بين السطور كترقين الخضاب .

ويقال رقن الكتاب اذا قارب بين سطوره وقيل رقنه نقطه وأعجمه لينين والترقين في كتاب الحسابات تسويد الموضع لثلاثين يوم انه يبيض كيلا يقع فيه حساب . وفي التاج والترقيم والترقين بالميم والنون علامة لاهل ديوان الخراج من اصطلاحاتهم وذلك بان يحمل على الرقاع والتوقيعات والحسابات لثلاثين يوم انه يبيض كيلا يقع فيه حساب .

ويقال يرقن الكتاب اذا جوده وجمعه .

ونبقى الكتاب سطره وكتبه . ونبقى الكتاب لغة في بقعه والذبقى مثل الذبقى الكتابة . يقال نبقى الكتاب بنمقه نمقاً كتبته ونمقه حسنه وجوده . ونبقى الجلد ونمقه نقشه وزينه بالكتابة . والذبقى الكتاب الذي يكتب فيه .

واحقى الشيء يلحمه كتبه . ولحمه محاء وهر من الاضداد يقال لحمه بعدما نمقه اي محاء بعدما كتبه .

الرقش الخط الحسن . والرقش والترقيش الكتابة والتثقيط والترقيش التسطير في الصحف .

الخرشة افساد العمل والكتاب يقال كتب كتاباً خرشاً . وكتاب خرش اي مفسد . وكانت كتاب فلان خرشاً اي فاسداً . والخرشة افساد العمل والكتاب . وقد خرشه . والخرشة والخرشة الافساد والتشويش^(١) .

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندري

(١) هكذا جاءت لفظة التشويش في كتب اللغة فنقلناها على ما فيها .

فصح وشوارد

• حَبِيتَ وَسَعِدْتَ ، لاشقيت في عيشك ولا بعديت . فمن انتم تخالد عليكم النعم .
 رموم عن قوس العداوة واضمروا لهم صغن الشنان . من فُرَص اللص ضجة السوق .
 يقال فهو يُغلي وربما مرت له الايات مفسولة ليس فيها بيت رائع اي يعمل الايات
 ولا تضيب فيها بيتاً نادراً كما ان الراي اذا رمى برشقه فلم يضرب منه بشيء قيل اخال .
 امدء الناس ابصارهم واسماعهم متوقعين لما يتم به . ضحك الناس به وصار شهرة .
 نقول العرب مَدَجَّجٌ ومُدَجَّجٌ وعبد مكاتب ومكاتب وشاد مغرب ومغرب
 ومكان عامر ومعمور وأهل ومأهول ونفست المرأة ونفست وعُنيتُ بالشئ وعُنيت به
 وسعد فلان وسعد وزهني علينا وزها . اي ان هذه الالفاظ كما قال الثعالبي تأتي بلفظ
 المفعول مرة ولفظ الفاعل مرة والمعنى واحد .

• يقال سر كاتم اي مكتوم . يقال ظلمه اذا نسبه للظلم وجهله اذا نسبه للجهل .
 ما رأيت احداً أشد بدخاً بالكفر من فلان . نقول اكربت الدار مشاهرة ومسانهة
 ومياومة ومناهرة وملايلة ومساوغة من الساعات . وما امنع ان يكون . . . وما ادفع
 ان تكون . . . فلان مضى محقق اي متضابق من الدين متألم . شمل البلى ابلادها
 (آثارها) . يقال امرأة ذكورة اذا تشبهت بالذكور . ليس يحل لاحد قره به
 (ائيمانه) . كما وصفت بدياً (اي باديء بدء) . انه لحبيب الي ان اوفر اموالهم .
 استيقظ فرحاً وقد يشع بهم اي ضاق بهم ذرعاً . وايم الله لو اردت غير هذا من رخاء
 او غصارة تغيش لكان اللسان به مني ذلولاً . فكان اذا صُنع له طعامه هي على شيء
 وغطى حتى اذا دخل اجتنبه فأكل . لم يأل حتى تملاً . حسن الجسم ممثلي البضة .
 والعمرى انت هذا للجور خق الجور . نحن في ايام الفصل (Demi - saison)
 لاشتاء ولا صيف . هن في الجمال والبزاة وحسن الحياة كما شاء ربك . ضاهوا العامة
 في بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعى افلامهم .

[قال الثعالبي : كلمة واحدة من الالفاظ تختلف معانيها باختلاف مصدرها وليس
 للعرب كلمة مثلها هي قولهم وجد ، كلمة مبهمة فاذا صُرِّفت قيل في ضد العدم وجوداً

وفي المال وَجَدًا وفي الغضب موجدة وفي الضالة وجداناً وفي الحزن وَجَدًا . وقال :
فصل في الفرق بين خدين بحرف او حركة ذلك من سنن العرب . كقولهم دَوِيَّ من
الداء وتداوى من الدواء واخفر اذ أجار وخفر اذا تقض العهد وقسط اذا جار واقسط
اذا عدل واقضى عينه اذا اتى فيها القذى وقذاها اذا نزع عنها القذى وما كان
فرقه بحركة كما يقال رجل أَمَنَّة اذا كان كثير اللعن وأَمَنَّة اذا كان يُلعن
وكذلك ضُحْكَة وضُحْكَة في أشباه ذلك] .

حدوة لم على استعمال الامانة — اي سوق لم وحث . استوبلوا عواقب الامور
— استوبل الشيء اذا تركه لوخامته وان كان محباً له . الناس فيه أسوة — سواء —
اياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، او التسهل (التهاون) فيها عند امكانها . لقد تبست
فيها وثيس مالك — تبس ثيساً رده عنه ومنه حديث علي لا تبسهم عن ذلك اي
لا بطلن قولهم . فلان هرة الباس اذا كرموا ناحيته . تطنفت نفسه الى المحقرات —
اشفت واثرقت عليه . ولا ينتجى الاذنين فيما يحاول — يقال اتجاء اذا افضى اليه
بصره وخصه به .

للؤمل بن اميل مات في حدود سنة ١٩٠ .

لا تغضبني على قوم تحبهم	فليس منك عليهم بنعم الغضب
ولا تخاصمهم يوماً وانت ظلوا	ان لولاة اذا ما خوصموا غلبوا
يا جائرين علينا في حكومتهم	والجور أقيج ما يوتي ويرتكب
لسنا الى غيركم منكم نفرًا اذا	جرتكم ولكن اليكم منكم الحرب

محمد كرب علي



الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٦ =

ويقول دانتي في أغنيته الاولى من جهنم انه سأل فيرجيل كيف كان حضوره اليه في الغابة المهلكة وفي ذلك المقام المخيف ، فيجيبه فيرجيل ان بياتريس (وهو اسم معشوقته كما تعلم) قد استدعته من مقره واستخلفته ان يذهب وينجد محبوبها ويسعف ملتمسه ، وان شفقتها على محبوبها هي عذرها في التماسها هذا منه ، وانها وعدته بالثناء عليه عند عودتها الى سيدها (ربيها) . الاغنية الثانية من جهنم .

وفي الاغنية الثالثة يقول : ولما وصلنا (هو وفيرجيل) الى ساحل ذلك البحر البهيمي ظهر لنا شيخ معم (عمه الشيب) على سفينة وصاح بنا الويل لكن ابتهالا تنفس الشريرة لا تترجبن البتة في الرجوع الى رؤية السماء ، ها انا آت لاحملكن الى الشط الآخر في منطقة الظلمات والى وسط النيران المضطربة والجليد الابدي ، وانت ايها الانسان الحي من هم الذين اتوا بك الى هنا ؟ ابعد عن الاموات انك حينئذ قال له قائدني (اي فيرجيل) باكارون لا تدافع ، : هكذا يريدون هناك حيث بقدرت على كل ما يريدون فلا تسأل شيئاً فوق هذا :

اما هي قصة ابن القارح مع رضوان والزهراء وجاريتها بعينها ؟ هذه في الفردوس ودانتي في جهنم والاسماء مختلفة فقط . وكما اجتمع ابن القارح في الفردوس مع جماعة من الشعراء الزنادقة ، فان دانتي يجتمع في جهنم مع أعظم الشعراء الوثنيين وهم هوميروس وهوراس واوفيد ولوكان (اولوكانس) ، ولكن لم يجتمع بهم ليدألم ان ينشده اشعارهم للتحقيق عما نقل عنهم في الادب التاريخي ، بل ليعترفوا له بالفخر الذي هو به جدير ، وبعده سادسهم ، (وان لم يذكر اسم الخامس فهو قائده ومرشده فيرجيل)

وانه مشى معهم حينئذ نحو ذلك النور الساطع (سفي ظلمات جهنم) وانهم قد تحدثوا بما يحسن السكوت عنه في هذا الوقت . . . وقد وجدنا انفسنا قرب قصر منيف محاط بسبعة اسوار يجري تحته نهر سلسيل غير عميق ، قطعناه بسهولة ، ثم دخلنا الى ذلك القصر من سبعة أبواب (حكاية عدد السبعة) حتى وصلنا الى روضة رحمتها نبت نضير رطب . . . ثم يجتمع بطائفة من فلاسفة اليونان والرومان يذكر اسماءهم ، ويذكر اسم الرئيس ابن سينا وابن رشد واسماء بعض القياصرة وبينهم اسم صلاح الدين الايوبي . (الاغنية الرابعة من جهنم) .

يبد ان هذا الاجتماع وان حصل في جهنم ، فقد كان في قصر نغم منيف تحف حوله رياض وانهار . . . (وتترك الكلام الآن على أمثال هذا الخلط الى الخاتمة) .
وكما صوّر المعري تلاعن ابن القارح والشياطين وثناشد ابليس الزبانية ان يجذبوا ابن القارح الى اعماق جهنم وجوابهم له ليس لنا يا ابا زوبعة على اهل الجنة سبيل . . . فان داني يقول في الاغنية السابعة :

. . . وصاح بلوتوس بصوت أجش - يابث ابليس ، يابث ابليس اجذبه ، ولكن قائدني الكريم قال لي لكي بعيد الشجاعة الى نفسي لا تخف شيئاً ، فانه . . . بلغ سلطانه لن يمنعك عن النزول الى هذه المنطقة ، ثم التفت فنحو هذا الشيطان وصاح به ، اخرس يا ذئب اللعنة ، وانشق انت نفسك من غيظك فانتا لسان دخل دون عرض الى جهنم ، فانه هكذا يراد هناك ، حيث ميخائيل جازى الكبرياء القبيحة الخ الخ . . .

وقد أورد مثل هذا في الاغنية الثانية والعشرين ولعلنا نلح اليها في الخاتمة . وفي الاغنية الثامنة عشرة يذكر جسراً قديماً (سفي جهنم) وقف عليه مع مرشده ورأى عدداً عظيماً من اهل النار يتبعهم الزبانية مسلحين باسواط لامعة وهم يجلدونهم بها جلداً مشاهياً في القساوة والغضب وبينهم شيخ عظيم الهيكل لا يظهر عليه اثر للآل . . .

فكأنه بعيد لنا ما ذكره المعري عن بشار بن برد بلفظ مختلف واسماء اعجمية .

وفي الاغنية الرابعة والعشرين يذكر وصوله وقائده الى جسر ساقط متهدد وان قائده رفعه الى قمة صخرة وقال له تعلق شديداً بهذه البقية الباقية ولكن تحقق اولاً من

قوتها الخ الخ . وهي حكاية الصراط في رسالة الغفران ، لكنها هنا مسرودة بصورة فقيرة واسلوب غثيث .

« في المطهر »

يجد عند باب المطهر شيئاً هو بواب المطهر يمنع الدخول (قصة رضوان) ويعيد فيرجيل له القول عن امرأة نزلت من السماء وطلبت منه ان يأخذ دانتني في ظل حمايته . . . ثم يقول له البواب ان كان ثمت امرأة سموية تحبك وتشجعك فلا حاجة بي الى مجاملتك ومديحك بل يكفيني ان تكلمي باسم المرأة التي ارسلتك .
وكان دانتني اعاد قراءة رسالة الغفران ووجد انه لم بشر في المعية الى حكاية قصيدة ابن القارح في مدح رضوان عند دخوله مع فيرجيل الى الجحيم ومخاطبتهما البواب هناك ، فاستدرك ذكر ذلك مع بواب المطهر وجوابه له لاحاجة بي الى مديحك ومجاملتك . أو لا يقول الناقد المنصف عند هذا البرهان الناصم وأمثاله مما تقدم ذكره ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد برح الخفاء بالحجة الواضحة .

« في الفردوس »

في الاغنية الخامسة وقد انتقل الى الطبقة الثانية من طبقات الفردوس او السماء يرى نفسه مع بياتريس مع نسوة حسان نورانيات يدرن حوله وحول بياتريس راقصات يعنينه حتى تكاد بياتريس تسكر معه من انوارهن وغنائهن . وكأنه يعيد لنا بهذا المشهد عودة ابن القارح الى قصره في الجنة وقد حفت الحور بسريره الخ .
وفي الاغنية العاشرة وما بعدها تسأله بياتريس اوروح أخرى (وتلك الأرواح لا تظهر له الا بصور نساء حسان نورانيات) أتريد ان تعلم ماهي الازهار التي تزين هذه الهالة التي تراها حول المرأة النورانية (بياتريس) ؟ ثم تبدأ فتسمي له علماء ورهباناً وقديسين وشهداء باسمائهم ، وتقول له هذا استحق الفردوس بكتابه كذا ، وذلك برسالته كذا ، والاخر بمؤلفه التأملات كذا ، كتوما الاكوييني واغوستينوس وكرانيانوس ، ودومينيكوس وغيرهم كثيرين . . . وهو عين ما ذكر في رسالة الغفران ، باختلاف في الاسماء والالفاظ عن شعراء الجاهلية . وفيما يأتي بعدها من الاغاني الفردوسية يذكر شجرة تحبي بثمارها وثمر دائماً ، ولا يسقط ورقها ، اما اثمارها فأرواح سعيدة كان لها

شهرة عظيمة على الارض قبل ان ترتفع الى السماء وهي بعينها شجرة ابن القارح
 في الفردوس تنفض من الجوز عدداً لا يحصىه الا الله ، تنشق كل جوزة عن اربع
 جوار يرقصن على ابيات الخليل فتهتز ارجاء الجنة ويخاطب النسر في الفردوس
 والنسر يجاوبه ، كما هو الشأن مع ابن القارح في مخاطبته الاسد وركوبه بعض دواب
 الجنة ، الى كثير من أمثاله . وآخر ما يسمعون في فردوسه صورة ايمانه ، وليست من
 الشعر في شيء ، ولا من عجائب السماء ، ولا من الحوادث النادرة .
 « خاتمة »

فاذا نظر الناقد المنصف بعين لا يطرفها ثوب العصيبة ، وروح تجردت من درن
 الشعوبية ، فيما بسطناه في هذه الموازنة من البراهين ، وأجملناه من الادلة الناصعة ،
 حكم معنا حكماً لا مردود له ان الالعبوة الالهية هي بنت رسالة القرآن ، لا يسترها
 ما ألقاه عليها دائني من جلايب الظلمات ، وما لحقها به من السحب الكثاف المدهشات ،
 ولا يواربها عن الاعين النقادة كثرة المنخفضات والمترجات ، ولا الاقواس الهندسية
 والاشارات الفلكية ولا ما أدبج فيها من كثرة الاسماء الاعجمية والآلهة اليونانية ،
 ولا الحلة الشعرية . والله در القائل :

(من رام طمس الشمس عمداً خطا الشمس بالتطهين لا تغطي)

وكان الأجدد به لو أنصف ، ان يسمي ابا العلاء قائده ومرشده ، لا فيرجيل
 فهذا لا يد له في هذه الحكاية ، وان قيل ان ابا العلاء كان غريباً عنه في اللغة
 والدين ، قلنا ان فيرجيل لم يكن أقرب فيها اليه . ولكن انى له ان يشير الى اسم
 المعري وفي ذكره اسرع تنبيه الى فضيحة الالعبوة ، وهي التي كانت يرى في نشرها
 اعلاء شأنه وخلود اسمه ، على انه ان كانت قد فاته المجد في حياته ، فقد نال خلود
 الاسم كما توقع بعد وفاته . ثم ان شهرة فيرجيل وهو ابن أمته ، كانت كما هو معلوم
 قد طبقت الخافقين ، فرأى ان يستظل باسمه ، وفي ذلك له غاية الشرف وابعد مجال
 التضليل في اصل الالعبوة . ومع هذا فلعل دائني كان اكثر انصافاً من كثير من علماء
 زمانه وقد كانوا ينسبون الى انفسهم اكثر كتب علومنا التي ترجمت الى لغتهم اللاتينية
 كما مر بك قبل هذا .

بقي ان نشير في هذه الخاتمة الى ما يعرض للناقد من الحيرة والدهشة بل من الدوار عقب مطالعة الالعبية الالهية والتبصر في ما اشتملت عليه من شتى الاغراض ، وتباعد مناحيها عن الموضوع الذي قصد له المؤلف حتى بات كل واحد من هذه الاغراض غريباً في مكانه بعيداً عن بيئته ، وحتى باتت الالعبية الالهية جديزة بان تسمى كناشة حكايات بيتية ، واخبار بلدية ، او مجموعة من شتى الأحداث ، او كشكولاً حوى معجماً غييراً من الاسماء المشهورة والمجهولة ومبادي بعض العلوم ومنازعات قومية وآراء سياسية وفلسفية وشرعية ودينية وتاريخية وعلمية وشرعية ولغوية وشيئاً من علمي النبات والحيوان ومن عجائب المخلوقات بل اوهاماً وتخييلات وحماسة ، وكله متداخل بعضه في بعض بتنظم شعري .

وقد يقول بعض فطيري الرأي ، انها لم تثل ما نالته من الشهرة البعيدة ، ولم يبعد مؤلفها ثالث شعراء الافرنج ، الا لما نعهده هنا عيباً ونحن نقول في الجواب على هذا ، ان الموازنة لتفاضلات تشفع الاعتراض بالبرهان والتقد بالحجة المنطقية واليك اليات . « للكلام بقية »

عضو المجمع العلمي

قسطنطين الحمصي



مطبوعات حديثة

كتاب بادية العرب (١)

تأليف المستشرق التشكوسلوفاكى ألويز موزيل (Aloes Musil) أستاذ

الدروس الشرقية في جامعة شارلس بهراغ وعضو الجمع العلمي العربي

لم يكذبوا حتى العلماء من تسخير الحكومات في الحرب العظمى . فالحكومة وان جازت العالم على عمله ، كانت تسخر علمه لاغراضها السياسية والحربية . ومن العلوم المسخرة في تلك الايام المشرقيات . ومن المسخرين — مأجورين كانوا او متطوعين — ثلاثة معروفون اليوم لاث اقلامهم نمت عليهم . ثلاثة من الاوربيين هم الكرنل لورنس وهو اكثرهم شهرة واقلهم علماً ، ومؤلف هذا الكتاب وهو اكثرهم علماً واقلهم شهرة ، والمستر فلي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة .

على انه لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غير واحد وهو لورنس . ولم يفز من الثلاثة ، من وجهة علمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل . اما من الوجهة الادبية المحضة فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المساكين ؟ في حلقة الفن . كتب لورنس كتاباً كله طعن وضرب ونسف وتدمير — كتاباً هو قصة عنبرة الانكليزي ولكنه خلط من الشعر . وكتب فلي رحلته في مجلدين فحاول في أسلوبه ان يقلد الرحالة الشهير هنري دوفلي فخرج عن البساطة المحمودة ولم يدرك الصناعة المنشودة . وألف الاستاذ موزيل كتاباً ضخمة بأسلوب عادي ممل لا يستغوي من القراء غير من له غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية . قد رحل هذا المستشرق المعروف بين العرب بالشيخ موسى الرويلي ، بضع رحلات

(١) 'طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Stani tiskana, Prague)

للجمعية الجغرافية الاميركية بنيويورك (American Geographical Society ,

ew York) بعناية الجمع العلمي التشكوسلوفاكى والمستر كراين الاميركي المشهور

• مجلد العرب •

في القسم الشمالي من هذه البلاد ، فكانت الرحلة الاولى في البتراء وأطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحماة والاراضي الواقعة بين الجوف جنوباً والميادين على انقراة (١٩٠٨ — ١٩٠٩) ، والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) ، والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) ، هي الرحلة السياسية من اجل الدول الوسطى في الحرب العظمى .

وقد كتب رحلاته باللغة الالمانية ونشرها في بضعة مجلدات . ثم تعاون على ما يظهر المهندات التشكوسلوفاكى والاميركي ، ابي المعهد العلمي ببغداد والجمعية الجغرافية بنيويورك (وكان المستر كراين اساس هذا التعاون) في طبع الرحلات باللغة الانكليزية . فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها « البتراء وشمالي الحجاز » وبين يدينا الآن المجلد الثاني « بادية العرب » وسيتبعها الثالث والرابع .

يقسم هذا الكتاب المطبوع طبعاً جميلاً ، المزين بالرسوم ، المشفوع بعدة خرائط ، الى ثلاثة اقسام : وله ملحق طويل هو كتاب بنفسه . اما الاقسام الثلاثة فأولها وأكبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال . وثانيها حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الاخضر فالنجف . وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزبيبات (في قلب الحماة) ومنها الى الجوف ، فحائل ، فالمشهد (النجف) .

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة منها نبذة طريفة في عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري . ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده . وأخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة . والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق التي سلكها خالد بن الوليد من العراق الى الشام بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم .

في هذا الكتاب إذن يجر من العلوم التي تهتم علماء المشرقيات وثقيد المتأدبين من ابناء العرب . وقد برز لنا في ما يؤثر منه امران اولهما العذاب الذي يقاسيه الرحالة المستعرب في طلب العلم ، وثانيهما التدقيق الذي يشجراه في نقده ثم في تسجيله للناس . وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا يتعدى المحسوس في مثل

هذه الرحلات ، ولما تسمع للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى —
ان تعاون الضمير الذي لا يهمه غير الحقيقة الحسابية .

— ٢ —

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب اخبارها . فجاءها
الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عندما أصبح الدستور ساطوراً لضرب
أعناق أعداء الاتحاديين (١٩١٣) ثم جاءها في نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أمست الدولة
العثمانية سيفاً بيد الالمان ، فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الاخيرة
سياسياً او مستخراً للدعاية الالمانية . ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي
الجغرافي . و يعود الفضل الاكبر في تمهيد سبيله و حمايته في البادية الى صدقه الصدوق
الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الرولا . على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية
فعالة . ومن اين لها ان تكون كذلك واعداً النوري يومئذ كثيرون في بادية الشمال
وفي الجنوب ، فلم يكن للرولا من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات
وولد علي والهارات .

رحل الاستاذ موزيل — الشيخ موسى الرويلي — في خريف سنة ١٩٠٨ الى
المياذين على الفرات ، ومنها نزل الحماة ، ورحل منها الى وادي سرحان ، فالجوف ،
فالهوجا حيث كان الامير نوري الشعلان مخبئاً ، ومن الهوجا عاذ شمالاً فوصل الى
اللاهة^(١) قرب جبل عنيز (عنزي)^(٢) جنوباً بشرق منه . ثم رجع جنوباً الى مسكاكه
وقاره ، فاجتمع بنوري ثانية هناك ورافقه شمالاً فعرج على قصر الازرق وقصر
الحلابات وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها .

سبعة اشهر في البادية وفي ايام لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب
اذا كانت الاسفار مخوفة بالاعطار . فقد كانت قافلة الشيخ موسى عرضة للصوم

(١) لاهه — وقد جاءت في معجم البلدان الاله — كانت قديماً الحد الفاصل بين
عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وبين عرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان .
(٢) جبل عنزي هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة التجديية .

والغزاة ، فوقعت بأيديهم صراراً ، ونجت بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الأمير نوري وابنه نواف والشيخ رشيد بن سمير من مشايخ ولد علي . ولم يكن الشيخ موسى موقفاً ينجده وأدلائه فسلبه اخدم ماله ، وخانه الآخر ، وهجره الثالث ، وكان الصالح منهم « بصلي وبقلي نفسه » فسرت الى الشيخ « يركاته » والعياذ بالله . ثم أسروا هين في سكاكه ، ومرض ورفيقه بالحمى . هي المشتقات في يادية العرب بعضها بنسبك بعضاً ، ويلزمك بعضها لزام الظل ، فيوماً ترشف الماء من المرحلات في قعور الآبار ، ويوماً تكاد تهلك من الظماء ، تخرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتئنم في الليل من شدة البرد وانت لا تأذن ربك بشب النار خوف ان يهتدي اليك الموص .

سبعة أشهر من هذه الاخطار والمشتقات . ثم عاد الشيخ موسى (موزيل) الى الشام ظافراً بما كان ينشده من العلم — والفتية الكبرى السلامة .

وقد ألم هذا العالم بالعلوم التي تختص بما كن المياه التي نزها والتي سمع بها ، ومن نزها من الاقدمين ، ومن ينزها اليوم ، وبالطرق اليها القديمة والحديثة — طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً بأقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء وبما اكتشف في بابل من آثار الاشوريين في أواخر القرن الماضي — ومصححاً في بعض الاماكن أغلاط ياقوت الجغرافية وأغلاط الطبري وغيره التاريخية .

اما وصفه للبلاد ، جبالها وتلولها وأوديتها وشعابها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخيرانها وبراكينها وآثار البراكين والفلوع المكونة من الحم ، فوصف علمي تام اية وصف جيولوجي جغرافي . وهو مع ذلك لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال كوصف الحماد عند الغروب (صفحة ٧٣) والخبرة (صفحة ٧٦) والقرت او القرث بالنسكين كما يلفظها البدو (صفحة ٤٦٦) والسراب (صفحة ٢٢٧) وشجر النضى في النفود (صفحة ١٤٩) وقد قال ان نار النضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لا غير . ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لم أشغال معها ، ماجاء فيه عن عرب الرولا والمارات والندطان وولد علي . فقد ذكر المؤلف أنفذاً كل قبيلة

وبطونها وشيوخها ومضاربها والاماكن التي تصيف وتربيع وتشتي فيها . وأهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصليب الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمؤرخين . ونقسم الصليب الى اقسام تدعى بآل كآل ماجد في جوار الكوبت ، وآل جميل في القصيم ، وآل بذاق في جوار حائل ، وآل وذبح وآل راضي في الحماة الخ . وعددنا بأسرهم ثمانية عشر بطناً وعدد خيامهم كلها ١٤٦٠ خيمة . والصليب تدفع الخوة للبدو المجاورة لم مقابل الحماية . ولكل قبيلة كبيرة شيخ خاص بذلك ، هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصليب المقيمين في ديارها او جوارها .

كأن هؤلاء العربان من غير العرب اصلاً . وقد قيل في ذلك أقوال هي كلها من باب التخمين . فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد . او كما قيل للاستاذ مؤز يل وقيل لنا — وهو الأرجح — قد دخلوا البلاد العربية من الحساء ف يرجع إذن ان يكونوا من بقايا الصابئين والله أعلم .

ومن محاسن هذا الكتاب ان اسماء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر ما يستطيع الاجنبي ضبطها ، فيمكن القاري العربي — اذا ما عرف القاعدة ان يردّها الى اصلها دون ان تلبس عليه السين والصاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد . على انه من وجهة انكليزية ، يُنقَد على المؤلف انه في الطبعة الانكليزية لم يتبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الآسيوية ، والتي أصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في المواضيع الشرفية . ومن اكبر شواذه في هذا الباب انه عبر عن الياء بالميم (J) وهي بالانكليزية لا تؤدي معناها بالالمانية . فالقاري الاميركي او الانكليزي الذي يقرأ (Dmejr to Al-Mijadin) لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ويقول في الثانية : المجادين لا المياذين . فكان ينبغي للمؤلف والمحرر ان يستعاض عن هذه الميم (J) بالـ (Y) فيكتب (Jamama) لا (Yamama) و (Zabibiyat) لا (Zabibijjat) .

ومما يزيد في حجم الكتاب ويضجر القاري التدقيق في بعض الامور التي لا تنيد ولا شهم احداً ، مثال ذلك بما لا تكاد تخلو صفحة منه : « من الساعة ١١/٠٨ الى الساعة ١١/٢٢ استرحنا . وفي الساعة ٢٤٥ بعد الظهر وصلنا الى شعيب الفرعي »

شمالي آبار الشُّبَّةِ شنة» . « رعت جمالنا من الساعة ٩/٥٦ الى الساعة ١١/٤٢ » .
 وهل ينقص الكتاب او العلم شي ؟ نافع اذا أهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة
 والرحيل . وفي مرعي الابعار ؟ .

— ٣ —

بفي الرحلة الثالثة (١٩١٤ — ١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى
 الرويلي) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير ، فتوسط لدى الحكومة
 من دجلة ؟ فأطلقت الحكومة سراح الامير بعد ان تفاهمت واياهم على محاربة الانكليز
 وعدها النوري وعداً كان الشوق الى البادية ، بل الى الفرج ، اكبر مافيه ، وأسرع
 بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى .

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ شيوخ الرولا . راح يفش عليه في البادية ،
 وظل يطوف عشرين يوماً قبل ان ظفربه في مخيمه بخبرة الهجتم جنوبي الالهة
 في قلب الصحراء . وقد كانت أوفر حظاً في هذه الرحلة منه في الرحلة الاولى .
 كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب الدول الوسطى في الحرب العظمى ؟
 كيف لا وقافته هي ضعفا ما كانت في السفر الاولى وفي أحمالها الهدايا لشيوخ
 البدو ؟ رحلة علمية خيرا تجزى لا يرافقها غير الشقاء . ورحلة سياسية لا خير فيها
 لاحد ترافقها التجارة والكرامة . هي الحياة حتى في البادية .

وما أجمل ما كان من استقباله في مخيم النوري بخبرة الهجتم . جلس اخو
 العرب الشيخ موسى الفلاحي (Gzech) الى يمين الامير ، وكان في سلامه ، وفي
 شوقه ، وفي استلته كواحد من العرب ، بل كواحد من بيت الشعلان . وقد حزن
 حزن واحد منهم عندما سأل عن بعض اصدقائه الغائبين ومبهم الجواب .

— « وممدوح بن سظام ، وعذوب بن مجول ، وسعود (ابن الامير نوري)
 اين هم ؟ » فأجاب الامير بكلمة واحدة : « راحوا » .

ثم أخبر أخاه الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو . « عادت فرسه وحدها
 ملطخة بالدم » وكيف قُتل ممدوح في غزوه بعض عربان شمر . « غزاهم بالنفود
 فقتل جمالم وغرب هادياً ورجاله . فكمن له العدو ، ووقع ممدوح بيد الشامرة في

شعيب العام . جانا بنجبره من نجوا و « حنا » بآل العامود . وابنه سعود ؟
ذهب فريسة الغدر . « قتله كلاب بن غازي عند ملثقي وادي النعيم بوادي سرحان
شمال قراقر . جاءوه غادرين يقولون انهم بأمر عودة ابي تايه — وعربان بن غازي
يلبسون مثل عربان عودة — فصدقهم سعود وأزلم عليه فغدروا به . « ثوروا »
البنادق مفاجأة على سعود ورجاله فقتلوه وقتلوا اربعة معه ، وشردوا . ولكن الباقين
من رجالنا لحقوا بهم ، فأدركهم صباح اليوم الثاني ، وساقوهم الى المكان الذي سال
فيه دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم .

هي حياة البدو . وقد جاء الشيخ موسى من « ديرة الفلاخ باوربا » بتصغير
بان « يثوروا » بصادقهم على الانكليز بدل ان « يثوروا » بعضهم على بعض . جاء
يوفق بين القبائل المتعادية و يستمضهم في مناصرة الدولة العلية وحليفاتها المائيا
والنمسا . وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انه سيدي والشيخ
موسى لا ينجح المشروع . ولكن الحكومات لا ترحم بالغيث ، وقلم بفتح البدو قلوبهم
في غير البادية .

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستها الاولى السياسية : « انت يا اخي
تعلم ما بقاي . انت تعلم اني لا أثق بالحكومة ولا الحكومة تثق بي . لولاك لكنت
لا ازال اسيراً في الغوطة وهذه الحكومة تطلب مني ان أساعدها في محاربة
الانكليز . تطلب مني انا النوري الذي حاولت مرة ان تشقه ، النوري الذي ظل
سنتين في سجنها ، النوري الذي خلصته انت يا شيخ موسى من المشقة ، تطلب منه
هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان يستنفر العربان لمحاربة الانكليز وهذه الحكومة
والله يا اخي ، تضرنا اذا أرادت وتضر اهلنا وعشائنا . يلزمنا ثياب . ويلزمنا قمح
ويلزمنا شعير نخيلنا . وهذه لا ينجدنا اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعوننا
اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا ويساعدونها علينا . فهل
تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة . « سأعطيهما » الوعود بالكلام والكتابة
وكنتي أدفع الميرة والله . أساعد الحكومة بمالي . أطعم الملعونة الوالدين من الذهب .
سامي باشا (المشير يومئذ) اكل أرطالاً من ذهبي وعندما لجأت اليه حكم علي

بالشئ ٠٠٠٠ هي تبني الرجال والجمال للحرب . ونقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد . والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها .

عند هذا قطع نواف عليه الحديث قائلاً : « هي تكذب يا ابي » وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ وهذا الانور هو الذي صالح ابن سعود واعطاه « النباشين » ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال لمحاربه ٠٠٠٠ ولولا هذا الانور لما نكت ابن الرشيد عهد الصلح بيننا وبينه وبينه وبين ابن سعود ٠٠٠ اعلم يا شيخ موسى ان ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بماله ما يلزمه من السلاح والذخيرة ليحمي عشائره ويحمي رعايا الحكومة في القرى المجاورة للبادية . اما ابن الرشيد فالحكومة « تنطيه » كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية و « تنطيه » كل ما يبني من السلاح والذخيرة ، فنقوبه علينا ، فبسلب « طروشنا » ويقتل رجالنا .

الامير توري : « وما العمل يا ابي نواف ؟ هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ واين سلاحنا من سلاحه ؟ اربعة آلاف بنديق على خمسة عشر الف موزر . وخرطوشنا ما ينفع . لا ياوليد . خيره لنا ان نطيع الحكومة وننتظر . لننتظر الى ان تنتهي الحرب . الحكومة تبني السلم بين العشائر . و « حنا » الرولا تبني السلم — فنحتاج الى السلم . »

الشيخ موسى : « الحق مع والدك يا نواف . اتجدوا فيخافكم ابن الرشيد وتخافكم الدولة ٠٠٠٠ وانا الكفيل ان عشائر القديعان يصلحونكم ٠٠٠ ويجب ان تصالحوا ابن الرشيد . وكان عودة ابوتابه حاضراً فافهم عما في صدره وكان في ذلك اصرح من النوري وابلغ من النواف . قال عودة : « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ نقول لنا : السلم . وهي تبغينا للحرب . هي لا تثق بنصاري سوزية ولا تثق بدروز حوران ، ويلزمها جمال لتمشي الى مصر . وهي تعرف ان مازالت القبائل متعادية تعتذر كل قبيلة وتقبلها على عدوها . اقول انا ابوتابه للدولة : دونك وعبطان ^(١) . » ويقول

(١) وعبطان بن غازي شيخ الحويطات الذين كانوا يومئذ معاونين لحويطات

عودة ابوتابه .

لها النوري : دونك والقدسات . ويقول لها النواف : دونك وابن الرشيد . وم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا . النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا . . . اي بالله يلزمنا السلم . يلزمنا لمصلحتنا للمصلحة الحكومة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اتنا نمشي معها بشرط ان تردع اعدائنا وم في الظاهر اصحابها .

الشيخ موسى : « وهل تمشي وعربانك مع الجيش الى مصر » .

عودة : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات ولكن اذا صالحت عبطان وابن الرشيد واعطيتي الحكومة السلاح والذهب — يلزمي ذهب وسلاح — امشي والله ، امشي الى مصر » . وكان في مخيم الامير بعض شيوخ العمارات فقال احدم نجيبا على كلمة للشيخ موسى في الجهاد : « الجهاد هو ان نحبي خيامنا وطروشنا » .

وفي لغة المتدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية فيقول الانكليزي مثلاً : الجهاد هو ان نحبي برطانيا العظمى وممتلكاتها . لا فرق إذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي . فلما ذا بكرم هذا في جهاده ويتهم ذلك بالوحشية ؟ .

« واعلم يا شيخ موسى » — الكلام لشيخ آخر من شيوخ العمارات — « اتنا لا نكره الانكليز ولا نجيبهم . ولكن اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم . هم الآن يجاربون الدولة فلتجاربهم الدولة يجيشها » .

الامير نوري : « كلامك زين . ولكن يجب ان نطيع الحكومة . الله ينصر الدولة » . ثم قال للشيخ موسى وهو عائد وإياه الى خيمته : « لا بد من الكلام السياسي . فلا يسود وجهي احد مع الحكومة » .

وظل النوري يتدرع بالسياسة — ظل يداوي ويتلون — الى ان ظهر في العجاز بعد سنة الكرنل لورنس فغلب الخيال الانكليزي النسر الالماني .

اجل ، قد ظهر لورنس بما لم يظفر به الشيخ موسى فجمع شمل العربات وسيف مقدمتهم الرولا والحويطات وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان النفل الاكبر في فوزه للذهب الانكليزي .

ومعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غراماً .

ومعلوم - اليوم ! - ان عقلية اولئك الاحلاف مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال : « الجهاد هو ان نحمي نيامنا وظروشنا » .

فهل بلام العرب اذا هم فضلوا لورنس وانشريف على موسى والجمال ؟ هل يلامون في ما تقاضونه للدفاع عن الانكليز والفرنسيين ونحن نرى اليوم ما يتقاضانا الاجنبي في دفاع اسمي عنا ؟ ! .

قد كشفت لنا الايام بعد تسع سنوات من الهدنة ، عن بواطن الاحلاف ونياتهم فصرنا نعذر العرب لانهم باعوا الدولة العليا بل الدول الوسطى بعشرين فضة . بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومئذ من المزايدة ، والا لا تقلبت الآية ولباع العرب لورنس والشريف ودول الاحلاف جمعا بعشرة لا بعشرين فضة .

عضو المجمع العلمي العربي

امين ريجاني

عصر المأمون

« للدكتور احمد فريد رفاعي المجلد الاول ٤٧٢ المجلد الثاني ٤٣٩ المجلد الثالث »

« ٣١٧ طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »

هذا كتاب مفيد جوده ، مؤلفه فنال به لقب « دكتور » من الجامعة المصرية بدرجة ممتازة جداً وقد تفضل المؤلف فأطلعني عليه وهاك ما كتبت من الملاحظات بحرفه :
أدخلت السرور على نفسي لتفضلك باطلاعي على كتابك « عصر المأمون » وهو في المخطوطة وذلك لجلالة الموضوع في ذاته ، ولان المأمون نسيج وحده في الخلفاء ، وخير خليفة جمع العلم والعمل ، يحبه ويحب عصره كل من كان له حظ من تاريخ العرب ، وكانت سيرته اجمل صيرة في الملوك الذين عثمت الايام ان تلد شبيها لم ، وحق لكل جيل ان ينفي بمنافيه ، وينقل بمنامده ، وهي القدوة وهي العبرة ، ما دام يدرس تاريخ الخوالف .

أعجبت بتنسيق كتابك وفيه من الامتاع والابداع شيء كثير ، وراقنتني سلامة

عبارتك ، ودقة تصرفك ، وحسن مأتاك في البحث ، وصحة حكمك على معظم الحوادث ولقد قربت بهذه العناية منال الاستفادة على الطالبين ، ونفذت الى ظلمات التاريخ فخرجت منها بشهاب قبس ، أثار ناحية كبرى من نواحي عظمنا الفائرة ، قرأت الوفا من الصفحات فكتبتها في بضع مئات ، مشفوعة بحميل استقرائك وصحيح استنتاجك ، وصورت للناس مدينة عصرنا الذهبي حتى كادوا يلمسونه ويمسونه ، فكان حقاً على المنصفين ان يمدحوا غناءك ، ويحمدوا دؤوبك وعناءك .

لا جرم ان هذه الصفحة الكبيرة من تاريخ العرب بخليقة بالدرس والتأمل كل حين ، لانها ثمرة نضج العقل الاسلامي الذي ينادي على وجه الدهر ، بلسان الحال والمقال ، ان الامة التي استطاعت منذ اكثر من الف عام ان تعمل للحضارة هذه الاعمال الجسام ، مستعدة في كل زمن ان تأتي بمثلها او احسن منها .

وما رأيت شهد الله في كتابك يحمله وتفصيله ، ما يصح ان تؤاخذ عليه ، الا تصويرك بعض ادوار الامويين في صورة باهتة استندت في اخذ بعض خطوطها وأشكالها على مؤلفين متعصبين ، كاليعقوبي وابن الطقطقي والمسعودي والاصفهاني ممن لم تكذ تسلم نفوسهم من الشيوعية وكانت التشيع غالباً عليهم . فكتبوا ما كتبوا مدفوعين بعوامل سياسية ، وجوزوا بث دعوتهم بانواع من التحيل والتلفيق .

وان من يسبون الشيعين وابنيهما الطاهرتين سباً قبيحاً ، ويعبدون الخالق بذلك ، ويعتدون الخليفتين الاولين « بصني قريش » وهما ما هما من المكنة المجمع عليها في الاسلام ، يغضون ولا يبالون من بني أمية . وهناك الدماء المطولة ، والطوائل البائسة والملك المستأثر به ، والاهواء التي جعلوا من اركانها الانحاء على كل من لم يشابعهم . وان من تجنوا بنشر نحلهم ، والدافع اليها الدنيا لا الدين ، جنوا واي جنابة على الدين والدنيا . ومن أشنع أعمال المخرفين عن بني أمية وضع الاحاديث الملفقة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن خلقوا ما قالوا على الدين وصاحبه ، كيف يجدون حرجاً في اختلاق الاكاذيب على الامويين ؟ وفي يقيني اننا لو حاسبنا الامويين والعلويين حساباً تاريخياً دقيقاً ، لاثبتنا بكل منهم حسنات وسيئات ، وما خرجوا كلهم عن البشرية ، يعشقون الدنيا وبقاؤون منافسهم عليها ، والتفاوت بين البريقين

في الاثر الذي اثره كل منهم في كيان الامة ، اما العصمة فالشرع والعقل لم يثبتاها لاحد من الناس ، على نحو ما يحاول الطالبون ان يثبتوها لأئمتهم ، ويقولون في غيرهم ما قاله مالك في الخمر .

لا يحكم التاريخ على الناس الا باعمالهم ، واعمال الأئمة التي اعتر بها الاسلام والعرب ماثلة للبيان على الزمان ، فإني ياترى أعمال من سودوا صحيفتهم ظلماً وعدواناً ، وبالفراغ قيام بسبيله حتى خرجوا عما يقول العدو في عدوه ، فأخرجوهم عن الملة ، وقضوا بان شيعتهم المنحرفة الحق ، المثلوبة التراث ، من عنصر الملائكة الكروبيين او اعلى من ذلك . وأرى يا صاح ان لا تغتر ايضاً بما نسب لبعض المشاهير مما فيه تنقيص بني أمية . فرسالة الجاحظ التي استشهدت بها وانت شاك في نسبتها اليه ، قد تضمنت افذاحاً يختلفاتهم ، لا تثبت بالنقد الصحيح انها من تأليفه ، وهو امام العقل والعلم ، فقد نسبوا للجاحظ عدة رسائل ومنها رسالة الاخلاق التي نشرتها منذ مدة ، وترجع بعد حين انها ليعبي بن عدي . وقد اتعلمها ايضاً محيي الدين بن عربي في فتوحاته .

ومما نخلوه لابي عثمان رسالة مناظرة الريح والجريف المطبوعة في مطبعة الجوائب بفروق وبأقل تأمل تعرف انها من كتابة القرن الحادي عشر او الثاني عشر للهجرة . وكم من رسالة او كتاب فحلت للشهورين من سلف الامة ، ولكم نسبت اليهم اقوال ماخطرت لهم يبال . ان رسالة الجاحظ هذه التي وضعها من دسوا كثيراً من الجمل في نهج البلاغة تأييداً لسياستهم قد قصدوا بها شيئين ، ترويح النعمة التي يضرهون على أوتارها ليهزوا بها أوتار قلوب الموافقين والمخالفين ، ثم الخط من مرتبة الجاحظ في نظر العقلاء .

وما قلته في بعض المصادر الشعبية الشعبية أجهر به ، ولا دمان في الحق ولا هوادة ، عند الحكم على بعض الكتب التي اعتمدت ، وكان الاولى الرجوع الى الاصول المنقولة منها مثل « تاريخ التمدن الاسلامي » و « مجاتي الادب » و « مشاهير الخطباء » ثم ان روايات « الاغاني » و « حلبة الكيت » و « المستطرف » ليست مما يعتمد عليه في تحليل اخلاق خليفة ، ذلك لان العقل يرد الاقاصيص الموضوعة على يد بن عبد الملك واستهتاره بفراغ سلامة وحبابة ممارواه الاصفهاني ليسلي قراءه بالغرائب كما روي خبر

تشيب عبد الرحمن بن حسان يرملة بنت معاوية وما إلى ذلك . والعقل يرد كل الرد ما اتهم به الوليد بن يزيد في خمرياته التي فاقته كما قلت خمريات يزيد بن معاوية . وقولهم ان يزيد حمل معه كلاباً في الصناديق لما ولي الحجاج هشام ، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها عليها ، وحمل معه الخمر وأراد ان ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر . ولعمري كيف يجزأ الوليد الثاني ، على ما فيه من مجون واستهتار بالشعائر ، ان يأتي مثل هذه المنكرات ، لم يكن هشام بالغراً المحقق حتى يوليه الحجاج ، وهو على هذه الصورة من الاخلاق . اللهم ان هذه التهمة وثمة يزيد بن معاوية في تعامله الشراب الى آخر ما اتهموه به ومنها عشقه عمته ، بما اختلقه من اخلاق لم . ولو كان يزيد بن معاوية على ما ذكرنا ماسكت رجال الدين عنه ، وفيهم بقايا الصحابة والتابعين ، وقد شهدنا الوليد قتل في أقل من هذا ثم نقولوا عليه كثيراً وتزيدوا .

وقولك (ج ١ ص ٧٠) ان دولة بني أمية كانت مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة ، مستهترة بالمعاصي والقبايح فيه مبالغة وغلو ، وليت شعري اذا كانت دولة بني أمية مكروهة مذمومة اما كانت ذلك عند اعدائها فقط ممن طادوا القباكين ولعنوم ايضاً « راجع رسالة ابي بكر الخوارزمي الى شيعته » ، ثم اي دولة رضي الناس كلهم عنها ، وقد شهدنا ثلاثة من الخلفاء الراشدين قتلوا لاختلاف السياسة ، فكيف بعد هذا نستغرب من استمزاز بعض الناقمين على الامويين ، حتى رموم بجام منه براء ، وهل ننكر محل العناية من تأسيس الدول وقيام الممالك ، فاستهتار الامويين بالمعاصي والقبايح والحكم على دولتهم كلها - كما عاماً لا يسلم به العقل السليم ، ولا النقل الصحيح .

ومن الروايات المدخولة قصة عريب جارية المأمون وعشقها جعفر بن حامد (ص ٤١١) فانها لا يصح وقوع مثلها من سفة الناس وناهيك بصيانة المأمون واخلاقه الطاهرة وكرامة بيته ، ولا أدنى نظر ندرك انها موضوعة كل الوضع ، وكان الاولى تحليلها او نبذها بدون تحليل .

هذا وان الكلام على لاسفار غير المعتمدة لا يصدق على كتب أخرى من تأليف المعاصرين ، كالبنستاني في مقدمة الالبانة ومبور في كتاب الخلافة ، والمؤازرين في

المجلة الإسلامية ، وكتابات نلليو و براون وامثالهما ، ممن كتبوا للعلم على الاغلب وهضموا مادونوا . واذا غلطوا سيفي بعض أحكامهم فلا يكون غلطهم عن قصد ، و يبرؤهم من الملامة اذا عرفنا ان ما كتبوه لم يكن العامل فيه التجارة على اختلاف ألوانها . وقد نطمئن النفس لما كتب هؤلاء في العرب والمسلمين ، أكثر من اطمئنانها الى غيرهم من المعاصرين والفايزين ، ممن مزجوا العلم بالاهواء فارتفعت الثقة من جر و يائهم ، و حار البصير في أحكامهم فلا يميزها الا نظر النقزز ، وتسرب الشك الى مصنفاتهم فلم تعد الايدي تتناولها الا بحذر ، لان اهلها أثبتوا في كل عصر انهم من أكثر الاهواء ضراوة على الاسلام والعرب على ما فعل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة . وليتك أوجزت في اخبار بني أمية ، وفي ايراد بعض القصائد المطولة ، وفي نماذج الشخصيات البارزة في عصر المأمون وتوسعت في مقومات الحضارة في القرن الثاني والثالث من مثل الكلام على مجالس العلم والنقل وبيت الحكمة واثر سهل بن هرون فيها ، فان هذا العظيم لم توفه حقه من الوصف ، وهو الجاحظ فرسا رهان ، وكذلك عمرو ابن مسعدة واثره في البلاغة والسياسة ، لا يقل عن احمد بن يوسف الكاتب .

اما وصف ميور للمأمون بانه لا يستطيع مع اعترافه بمدله ان ينزهه من الجنوح في بعض الاحابين الى الجور واستعمال القسوة من غير مبرر ، وانه تصرف في بعض الحوادث تصرف الجبابة والعتاة من أسلافه ، فقول فيه نظر . لانا رأينا المأمون عفا حتى عن كثير ممن نزعوا الى نزع خلافته وسلطانه ، وما عرفت عنه القسوة ولا الجور . واذا ووبت روايات مدخولة في بعض كتب المحاضرات قد تكون قرينة لتأييد هذه النظرية ولو من بعض الوجوه ، فلا يكون منشؤها الا اولئك الذين حلفوا ان لا يمسكوا الأقلام الا اذا نالوا من سلطان الراشدين وبني أمية ، وبني هاشم معا لانهم استأثروا بالملك دونهم ، وذهبوا بالفضل في نشر كلمة الاسلام وبث العروبة في الشرق والغرب ، فكان جزاؤهم عند من خالفهم ان يطعنوا في كل كبير ، ليقولوا لخصومهم اما من تطهرت نفوسهم من كل عيب فهم جماعة ليس الا .

واعل فيما عزي الى المأمون من الاعمال ، وعده بعضهم قسوة وجوراً ، هو عند كثير غيرهم حلم وعدل . وما كان لرجل سيفي مثل ملك المأمون الضخم ان يدبر شؤون

أتمه زمناً ولا يهفو هفوة ، وفي الحق ان من العنت ان يقال لمن يعدل مئة الف مرة ،
ويحلم مئة الف مرة ، ثم يغلظ مرة واحدة ، انك يا هذا قاسر جائر . ولجست للقسوة
والجور في فطرته ولا فيما ثبت من هديه . ونحن في الواقع لم نستثبت الدواعي التي أدت
الى امور لم تتفق مع عقليتنا ، ولا عرفنا مترج المنتقد عليه ومرماه فيما انكرناه . فقد
قال غستان لوبون : اذا كان من الصعب على الفرد ان يكتشف الاسباب الحقيقية
التي قدرت عليه افعاله الخاصة ، الا يكون من الصعب ايضاً على مؤرخ ان يدرك الاسباب
السرية المستورة بضياب الدهر من الوقائع التي يجهل أصحابها انفسهم مبادئها .

هذا رأيي الخاص في سفرك النفيس الذي صنعته وجودته ، فخدمت الآداب
العربية بما انتجت خدمة نافعة ، بقي عليّ ان أحمس في أذنك قائلاً ان هذه الهفوات
المعدودة في كتابك لا تقدر فيه بل ترفع من شأنه ، وكل عامل يكبر جهادك وعملك ،
ولذلك ادعوك يحسن التوفيق الى اخراج أمثال «عصر المأمون» للناس ، فنشر
بينهم مادة جيدة منتقاة ، لنير العقل ، وتهذب الروح ، وتسلي الفؤاد ، وتذكروا ما ضيأ
زاهراً نحن متصلون به على كل حال ، ولا نقنأ وأحفاد أحفادنا على أكمل سلكه .
والرجاء معقود في هذا الباب على الاستكثار من وضع الكتب المنقحة المحررة على
أسلوب العصر ، المشبعة بروح التحقيق ، الحالية بالرشاقة وجمال الفن ، لتخطو الامة
العربية خطوة واسعة في سبيل المجد والمدنية ، هذا ومني عليك وعلى ارض طيبة
أنتنك الف تحية وسلام .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

- (١) المجموعة الاقتصادية لغرفة تجارة حلب . السنة الثامنة لسنة ١٩٢٦
طبعت بالمطبعة المارونية بحلب باللغتين العربية والفرنسية .
- (٢) مكابد الحب في قصور الملوك تأليف ثورتن هال وترجمة الاستاذ السيد
اسعد خليل داغر عني بنشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية
بمصر ص ٢٦٧ .

(٣) قصة للدكتور أحمد زكي أبو شادي بك اسمها «احسان مأساة مصرية تلحينية» طبعت في المطبعة السلفية بمصر في ١٣٨ صفحة .



هدايا كتب

أهدى البنا الاستاذ الشيخ ابراهيم المنذر كتابه الذي سماه (كتاب المنذر) وهو طبعة ثالثة للكتاب المذكور منقحة ومزبدة . وقد طبع في مطبعة الاجتهاد ببيروت سنة ١٩٢٧ وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة .

وأهدى ايضا الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالقاهرة كتاب (رمل وزيد) للاستاذ جبران خليل جبران ألفه بالانكليزية وترجمه الارشمندريت انطونيوس بشير ثم نشره الشيخ يوسف . وموضوع الكتاب حكمة وفلسفة مفرغتان في القالب التي اعتاد الاستاذ جبران افراغ حكمة فيها . وصفحاته ٨٦ صفحة .

وأهدى البنا (ديوان ابن سهل الاندلسي) جمعه وشرحه وضبطه السيد احمد حسنين القرني وقد طبع سنة ١٩٢٦ على نفقة المكتبة العربية بشارع درب الجمايز بمصر . وكذلك أهدى البنا (ديوان بشار بن برد) جمعه وشرحه وذيله بالمواشيخ والتعليق السيد احمد حسنين المذكور وهو مطبوع على نفقة (المكتبة العربية) ايضا .

وكتاب (عظة وذكرى) وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه وقد ضمنه خواطر اجتماعية صحية طيبة في ١٣٨ صفحة حسنة الطبع والورق مزينة بالرسوم وقد التزم طبع الكتاب ونشره السيد نجيب مئري صاحب مطبعة المعارف بمصر .

(سمير الاطفال) هو عنوان كتبات صغيرة فيها الاستاذ السيد محمد الهراوي الشاعر المصري المشهور وأودعها من الشعر الرشيقي والصور الجميلة ما يلد للصغار ويسهل عليهم مبادئ الآداب والأخلاق . وقد أهدى البنا بضعة من تلك الكتب فاذا هي غابة في افان الطبع والتصوير والتجليد . وقد تولت نشرها (لجنة التأليف والترجمة) بمصر .



ملحق لكتابي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٨ م الموافق شوال وذى القعدة سنة ١٣٤٦ هـ

محمد والمرأة (١)

مواضيع الخطابة كثيرة . والحفلات الخطابية ايضا كثيرة . ولكن الحفلة الممتازة بسيداتنا وساداتنا ، ينبغي ان تكون خطبتها ممتازة بموضوعها ولطيف اشاراتها . فن لي ياسادتي بموضوع ممتاز كتمتياز حفلتكم هذه ؟
حقا ان مراعاة التناسب بين الموضوع والحفلة هو موضع الصعوبة في الامر . فشرت يوما كلمة «النفس» أمام فتاة متعلمة وقلت ان معناها الطرد والابعاد والتأخير . ومنه سميت «المنساء» — وهي العسا — «منساء» لان الراعي يطرد بها غنمه . فاحتدمت الفتاة غيظا وقالت :

إذن سمى العرب النساء نساء لانهن مبعدرات مطرودات ؟ !!
فجبت من استنابها ، وتموذت بالله من لجأها ، واجبتها على اعتراضها بما ارضاها في الجملة .

ولما دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة رأيت الفتاة المذكورة يوما مهممة بمطالعة كتاب . فسألتها ما هذا الكتاب ؟
قالت الزبيدي .

والزبيدي ايها السادة كتاب ديني اختصر فيه مؤلفه احاديث البخاري كلها .

(١) خطاب ألقاه الاستاذ المغربي في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية سيفه ببيروت مساء الاربعاء ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ .

فشجعتها على قراءته ، وأثبتت عليها لاختيارها هذا الكتاب للمطالعة ، بدل تلك الكتب التي تولع بها الفتيات عادة .

أكملت الفتاة مطالعة « الزبيدي » ولم تكد تلقيه من يدها حتى التفت الى من حولها وقالت : « انني لم أجد في جميع الاحاديث التي قرأتها في هذا الكتاب ما يشمر بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحقر المرأة ، بل على العكس رأيت يكرمها ويسوي بينها وبين الرجال في التكليف والاحكام فمن اين جاءت تهمة شارعنا الاسلامي بانه يحقر المرأة او يعلم بالخط من كرامتها ؟ !! » .

فلا اكتمكم ايها السادة ان سروري باستنتاجها هذه المرة أبتاني اغتنامي باستنتاجها في المرة الاولى . وسررت بالاكثر مذ ظفرت بموضوع الخطاب الذي أرغبه لحفلتكم هذه ، وناديت : وجدته وجدته . كما نادى أرخميدس : وجدتها وجدتها .

نعم وجدت الموضوع أيها السادة لكنني لم أجد الوقت اللازم لتوفيته حقه ، لان جمعية التهذيب — والشكر لها على كل حال — لم تعطني وقتا للكلام في حفلة ، وانما أعطيتني وقتا للخبرة في تلفون . فاعذروني اذا أمرعت او اذا اختصرت .

كان العرب بمقتضى طبيعة بلادهم ، وتركيب امزجتهم يرون في المرأة هناءم وراحة نفوسهم ، فأحبوها وكادوا يعبدونها . كما انهم بمقتضى طبيعة اجتماعهم ونظام الغارات والسبي المتعارف بينهم ، كانوا يرون في المرأة سببا لمذاقتهم ، ولحقوق العار بهم . فتشاءموا بها الى حد ان وأدوها .

فكان العرب بين جاذبين : جاذب من طبيعة اقليمهم وأمزجتهم يجذبهم الى المرأة ، وجاذب من نظام اجتماعهم وحروبهم يبعدهم عنها .

وقد ولد محمد (ص) في جزيرة العرب وأهلها على ما وصفنا من الحالتين : فأقر الحالة الاولى حالة حب المرأة ، وباركها هائفا . « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وفي الحالة الثانية — حالة التشاؤم بالمرأة فرفع قدرها وأرجعها الى عرش سيادتها ونادي قائلا : المرأة سيدة بيتها . المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته ؟

فالفرض من نبوة محمد إذن ليس توحيد الله فقط بل والتبشير بالمرأة والاحتفال
بارجاعها الى عرش سيادتها .

قال عمر بن الخطاب : (والله كنا في الجاهلية ما نعد النساء شيئا ، حتي انزل
الله فيهن ما أنزل . وفسم لهن ما قسم) .

ومن تتبع سيرة النبي (ص) في أدوار حياته أدرك الاسباب التي جعلت نفسه
الشريفة مستعدة لقبول هذا الوحي النسائي . مات ابوه ثم أمه وعمره بضع سنوات
فتولت حضائه فتاة حبشية اسمها (بركة) وتكنى (ام ايمن) . وقد عكفت هذه الفتاة
على تربيته وخدمته حتي بلغ الخامسة والعشرين من عمره . فكانت قرير العين بما
كان يراه في حاضنته هذه من العطف والمهابة .

وشعر باول وظيفة من وظائف المرأة في هذا الوجود : المرأة من حيث هي امرأة ،
حتي ولو كانت حبشية ومملوكة ، ولم تنتم الى عرق في العرب . اوشرف في النسب .
ثم شاءت العناية الالهية ان تنقل محمداً (ص) الى العيش . بقرب أشرف امرأة
في قريش . فتزوج (السيدة خديجة بنت خويلد) .

شيء جديد في حياة محمد : انتقل الى طور آخر من معرفة المرأة واختبار
وظائفها . ولم يعد ذلك الشاب الذي تخدمه حاضنة متواضعة فيكرمها . بل الشاب
الذي تحبه امرأة شريفة ويحبها . هو شاب في الخامسة والعشرين ، وهي كهلة في
الاربعين . كأن العناية الالهية رأت انه مازال في شبابه محتاجا الى عطف امرأة
ذات سن وتجربة وثروة فيسرت له الاقتران بخديجة .

مات زوجها الاول فخطبها أشرف قريش فامتنعت وفضلت الاستقلال بنفسها . والعكوف
على اعمال تجارتها . وكانت تبحث عن ثقة من الرجال تكل اليه اشغالها . فالبثت ان امتدت
الى محمد . فلم تره أمينا على مالها فقط ، بل وعلى قلبها ايضا ، فأودعته ذلك جميعه .
كل من رأى محمد (ص) وسمع كلامه شعر بانه سيكون له شأن في نهضة العرب .
واقادهم من جاهليتهم . ولم يكن هذا ليقتنى على خديجة . فكانت تعتقد ان خطيبها
سيكون من عظماء الرجال ومرابي الام والأجيال ، فزادت ولوعا به وحرصا على محبته .

قال انس : كان النبي (ص) عند عمه ابي طالب . فاستأذنه سيفه ان يتوجه الى خطيبته خديجة فأذن له ، وبعث سيفه اثره جارية له تسمى نبعة وقال لها : انظري ما تقول خديجة لابن اخي محمد .

قالت نبعة : قرأت عجبا : ما هو الا انت سمعت به خديجة تخرجت الى الباب فأخذت يده فضمتها الى صدرها ونحرتها . ثم قالت له : يا بني وأمي لا أفعل هذا الشيء (الذي نهيتني عنه) ولكنني ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فأعرف حتي ومنزلي وادع الاله الذي يبعثك ان يبعثك لي .

قالت نبعة : فأجابت محمد : والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا انساه ابداً . وان يكن غيري فان الآله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابداً . لم يكن محمد ذا حظ من مال ونسب . ولم تكن اسباب رغد العيش متوفرة لديه في ماخي حياته وقد توفرت لديه الآن مذ تزوج بخديجة .

فما هو صانع ؟

أيتخذ من مال زوجته ونعمتها وسيلة الى اللهو والدعة والنعيم ؟

كلا . وانما يتخذ محمد الشاب من مال زوجته وسيلة الى فراغ قلبه من هم العائلة . كما يتخذ من حبها وطاعتها له وسيلة الى التفرغ لعبادة خالقه ، والى القيام بالعمل العظيم الذي يشغل باله .

ما هو محمد قد اعتزل الناس ، والتجأ الى غار في جبل حراء . يناجي ربه ، ويسأله ان يهدي شعبه .

وما هي خديجة امرأته تشجعه وتبث الثقة والصبر والثبات في نفسه .

ما هي نعي له الزاد ليتقوت به في اثناء عزلته الطويلة .

ما هي مجدية محمد في سنج الجبل مشرئة الى الغار الذي اعتزل فيه زوجها ، وقلبا منم بالرجاء والايمان والثقة بالمستقبل . وهكذا ترى النبوة ولدت على يد المرأة « خديجة » بينما لم يشهد ولادتها احد من الرجال لا ابوبكر ولا عمر ، ولم يسم بذكرها علي ولا معاوية . ثم ماتت خديجة ، فشاء ابوبكر اكبر صحابة محمد (صلي الله عليه وسلم) ان يتشرف بمصاهرة زوجته ابنته « عائشة » .

لم تكن عاتشة زوجة فقط بل وتليذة ايضاً .

وهذا هو الطور الثالث من أطوار محمد مع المرأة : بركة الحبشية تسهر عليه في طفولته . وخديجة الكبرى تحوطه وتشجعه في شبابه . وعاتشة الصديقة تسره وتكون تليذة له في كهولته .

اختير محمد (ص) المرأة في جميع ادوار حياته وامتزجت عاطفته بعاطفتها . طفلاً وشاباً وكهلاً . وكان لها من التأثير في حياته ما جعله يرفع منزلتها ويعلم حرمتها ويسوي بينها وبين الرجال .

ومن أعجب المصادفات ان يتعقد جمع « ما كون » في زمن محمد اي في سنة ٨٦ هـ للميلاد ويبحث في هل المرأة انسان ؟ ثم قرر انها انسان لكنها خلقت لخدمة الرجل . ولم يكذب صدر قراره هذا في فرنسا حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلاً : « انما النساء شقائق الرجال » ، بل قال للرجال : ألسنم حر يصن على دخول الجنة ؟ هذه الجنة التي تخرسون عليها هي « تحت أقدام الامهات » . وكل امرأة أم ، ان لم يكن بالفعل فبالقوة . ولم يقل احد في تكريم المرأة مثل هذا القول الذي قاله محمد . واذا كان قوم يحسبون المرأة شيطاناً فان محمد كان يراها تعويذة من الشيطان .

سأل فتى من صحابته وهو « معاذ بن جبل » :

— ألك زوجة يا معاذ ؟

— كلا !

— انت اذن من اخوان الشياطين . (يعني وكان الواجب عليك ان تلعوذ من

الشياطين بامرأة تزوجها) .

وقد أراد محمد (ص) بتكريم المرأة ، ورفع شأنها في عيوش الرجال على هذه الصورة ، إفهامهم ان نهضته الجديدة انما تقوم على سواعد الجنسين معاً ، الرجال والنساء ، شأن النهضات العالمية الكبرى . ولما رأى النساء العربيات هذه النهضة التي نهضها بين محمد اغتبطن بها ، ونشطن الى الازدياد منها ، حتى انهن لما رأين انفسهن مغفونات في بعض حقوقهن عقدن اجتماعاً منهن ، وقررن فيه ان يرفعوا الى النبي (ص) مطالبهن . فرفعنها بواسطة مندوب منهن واسم مندوبهن « اسماء بنت يزيد » الانبارية .

جاءت اسماء النبي (ص) وقالت له : « اني رسول من ورأي من جماعة النساء وكلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي » .
 ثم عرضت على النبي مطالب النساء اللواتي ارسلنها فأجابها النبي عليها بما ارضاها وأعلن مروره بمحدثها وجرأتها والثقت الى من حوله من الصحابة وقال :
 « هل نسمع مقالة امرأة احسن سؤالاً عن دينها من هذه المرأة ؟ » .
 وكفى بقوله هذا تنشيطاً للمرأة وتنويعاً بقدرها .

وكان النبي (ص) يحب ان لا يُسند على المرأة في امر زواجها ، فهو يعطيها الحق في ان تتزوج من تختاره ، ويطلب لها العيش معه بشرط ان لا يحيط هذا الزواج من كرامة عشيرتها . هذه الفتاة (بريرة) كانت مملوكة للسيدة «عائشة» فأعتقتها . وكانت (اي بريرة) متزوجة بوجع اسمه (مغيث) فلما ملكت حريتها ملكت حق الاختيار في ان تبقى زوجة لمغيث او لا . ويظهر ان (بريرة) لما كانت في راحة من العيش مع (مغيث) فأعلنت انها لم تعد تريد زواجها . فصعب الامر على مغيث وكان يحبها حباً جماً فاسترضاها فلم ترض . ها هي (بريرة) تمشي في سكك المدينة ، ومغيث المسكين يمشي وراءها ودموعه تتحدر على وجنتيه ، والناس ينظرون اليه . وقد أخذتهم الشفقة عليه ، وبريرة لاترق ولا ترحم : ارحمه يا بريرة ، ارثي لحاله ، اعطني عليه .
 — كلا لا أريده .

اخبروا النبي (ص) بخبر بريرة ومغيث فدعاها اليه وكلها بشأته . فقالت له :

— أنا امرأتى يا رسول الله ؟

— لا وإنما انا اشفع .

— لا حاجة لي فيه .

فلم يعارضها النبي ولم يلها في استعمال حريتها مع انها عتيقة زوجته ، وإنما التفت الى عمه العباس وقال له : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة لمغيث ؟ »
 وكما كان النبي (ص) يعترف للمرأة بحقها في الاستقلال بمصالحها الخاصة كان يرى لها الحق ايضاً في ان تشارك الرجال في خدمة المصالح العامة . واهم تلك المصالح في

ذلك العهد مسألة تأييد الدعوة الإسلامية ومقاومة الذين يعارضونها . فكان للمرأة المساعي الحسنة في هذا السبيل . وقد توفرت طائفة من نساء الصحابة على مرافقة الجيش وخدمة المحاربين :

قالت أم عطية : كنت أصنع للمحاربين طعامهم واحفظ لهم خيامهم وأداويهم جرحهم وأقوم على مرضاهم .

وقالت أم سنان : لما أراد النبي الذهاب الى خيبر جثته فقلت له : — أأخرج معك في سفرك هذا الخرز السقاء وأداوي المريض والجريح وأحافظ على الرجال — أخرجني على بركة الله فان لك صواحب سألتني الخروج معي فأذنت لهن . فكوني مع زوجتي أم سلمة .

أما أم كبشة فلما استأذنته في الخروج معه قال لها لا : فقالت له :

— اني أدوي الجريح واقوم على المريض .

— اجلسي لا يتحدث الناس ان محمداً يغزو بامرأة .

فانظروا ايها السادة كيف ان النبي (ص) علل عدم اخذها معه بالخوف ! ان يشيع بين القبائل ان محمداً لا رجال عنده ولا ابطال . فهو يحارب يربات التجال . ولم يقل لها اجلسي فليس الخروج مع الجنود من شأنك .

وقال انس : انني في وقعة أحد رأيت زوجة النبي عائشة ومعها أمي (أم سليم) مشمرتين ادي خلاخيلهما وهما تقفزان قفزاً وعلى ظهورهما قرب الماء نفوغانها في أفواه العطاش ثم ترجعان فتملأنها ثم تحيان نفوغانها في افواههم .

وهنا امرأة أخرى هي « رفيدة » الإسلامية ما كانت ترافق الجيش وانما نصبت خيمة في مسجد النبي (ص) وجعلت تدوي فيها الجرحى وتعالج المرضى .

ولما جرح سيد الانصار (سعد بن معاذ) في وقعة الخندق قال لم النبي (ص) اجعلوه في خيمة رفيدة . هذه وظيفة (رفيدة) في زمن الحرب اما في زمن السلم فكانت تأتي بالعجزة والباثسين الى خيمتها فتخدمهم وتخفف آلامهم . فتمت الخيمة خيمة « رفيدة » كانت مستشفى عسكرياً وقت الحرب . وملجأ للعجزة ايام السلم .

وجاء رجل من المشركين المحاربين الى السيدة (أم هاني) واستجار بها فأجارته .

فعارضها بعض الصحابة وأراد أن لا يمتدح جوارها فاعتاضت منه وشكته إلى النبي فقال لها «قد أجرنا من أجرنا يا أم هاني» . وهذا من أم هاني مداخلته في أمور سياسية عسكرية . وقد رأى النبي (ص) أن لها الحق فيما فعلت . ولم يقل لها : إنه ليس من شأنك فعليك بالطبخ والزينة وتربية الأولاد فقط .

ولكن مع هذا ايثما السيدات كان محمد يرى أن الزينة وإدارة المنزل هما أكبر وظائف المرأة . فكما كان يباهي بالمرأة القرشية التي تحفظ مال زوجها وتعكف على تربية أولادها — كان في الوقت نفسه يحجب أن لا تنسى المرأة انوثتها ، ولا تهجر زينتها ، ولا تعطل بخال من الأحوال أمومتها ، حتى أنه كان يكره أن لا يرى أثر الخضاب في كني المرأة (وكان الخضاب أجمل زينة للنساء في العصور الماضية) .

قالت أم سنان بآمت النبي على الإسلام فنظر إلى يدي وليس فيها أثر للخضاب فقال : « ما على أحداكن أن تغير أظفارها وتعصب يدها ولو بسير » فهو يحضها على الخضاب وأن يكون في معصمها سوار . ولو سيرا من جلد .

عرف محمد (ص) تقسية المرأة وغرائرها الخاصة بنفسها . فكان يعاملها بمقتضى ما عرفه منها فيكثر من تأنيبها والرفق بها ، والألوة القول لها . وأن كثيراً مما كان يعامل به نساء نراه اليوم غير لائق ولا مناسب . من ذلك أنه كان يخرجهن معه في أسفاره . وكانت أحدهن إذا أرادت الركوب بسط لها ركبتها لتدوس عليها إلى هودجها . وإذا كان معها في الفلاة سابقها أشواطاً لأجل الرياضة وإدخال المسرة عليها . وأدخل الحبشة يوم عيد إلى المسجد لترى لعبيهم بالحرايب كما يلعبون اليوم بالسيف والثرس . وكان للنبي (ص) جار من بلاد فارس فدعا هذا الفارسي النبي إلى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة . فلم يقبل النبي الدعوة ما لم تكن معه عائشة . فدعاها . وكان النبي يرى أن ترك دعوتها إهانة لها ولذا رفض الدعوة ما لم تدع هي أيضاً . ونهى الرجل عن ضرب زوجته ونبيه إلى أن ضربها إلا بلاثم طيبة ما يبينها من العلاقة الزوجية : يضربها المعسر ثم لا يلبث في العشي أن يتملقها وبلع في استرضائها فما اغناه عن الحاليتين .

وما زالت الشرائع الانكليزية الى عهد قريب تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعضا لا تزيد شخانتها على الاصبع .

وكان النبي (ص) بكرم حاضنته (بركة الحبشية) ويقول للصحابة هذه أمي بعد أمي . وكان يمازحها أحيانا .

طلبت منه جملاً تركبه فوعدها بان يهدي اليها ابن الناقة . فصاحت : وما ذا اصنع بابن الناقة هل يطيق ان يحملني ؟ أريد جملاً .

فضحك الصحابة وقالوا لها ويحك يا بركة وهل الجمال الا ابن الناقة .

ورأى النبي (ص) في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من غرس ومعهن صبيانهم فوقف لمن هنف قائلاً « اللهم انتم من احب الناس الي » . اللهم انتم من احب الناس الي » .

نعم ايها السادة هو يحب النساء ! . لانهم يربون الرجال كما ربه بركة في يمه ويساعدن الرجال في النهضات الكبرى كما ساعدته خديجة في نهضته . وينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت عائشة مذحمت عنه ثقافته وبلغت أمته سنن شريعته .

تبشير محمد (ص) بالمرأة وتحريره لها من عبوديتها القديمة لم يخف امره على العلماء من كتبة اوربا حتى غير المنصفين منهم .

فقد قال المستشرق « اندره سرفيه » في كتابه الذي سماه (الاسلام ونفسية المسلمين) مانصه :

يتحرى محمد (ص) الاسباب التي تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها الا بكل لطف . ويجتهد في ان يحسن احوالها . وكان النساء والاولاد قبله لا يرثون . بل الاسوأ من ذلك ان الاقرب نسباً للميت هو الذي كان يرث نساء الميت في جملة ما يرث من مال ورقيق . وعندما نهض محمد (ص) اعطى المرأة حق الارث واوجب كل ما كان حسناً في حقها .

ثم قال : « ومن اراد التحقق من عناية محمد (ص) بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة التي اوصى فيها بالنساء . فمحمد لا يجهل ان المرأة اذا كانت اسيرة في النهار فهي سيده في الليل . وان تفوذها ابداً عظيم ؟ » .

هذا ما قاله « اندره سرفيه » وهو ، بالرغم من طعنه في محمد لم يتمالك عن التصريح بانه حرر المرأة . بل ان العالم الالماني دريسمان صرح بان اعطاء محمد المرأة

جربتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدينتهم . ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انخطوا واضمحلت مدينتهم .
وقول (اندره مرفيه) « ان محمداً لا يحمل ان المرأة اسيرة في النهار » فيه لمز وتشنيع بالاسلام يحق لنا ان نعانه عليه :

لا نعلم ما هذه الامور التي جعلت « اندره مرفيه » واضرابه بلهجون بان المرأة المسلمة اسيرة او في حكم الاسير .

أيريدون بتلك الامور ياترى الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وتصفيف الارث وتصفيف الشهادة ؟

لا يمكننا ان نتكلم على هذه الامور الخمسة او الكليات الخمس بالتطويل وذلك لضيق الوقت من جهة ولان هذه « الكليات » طال فيها الجدل بين المسلمين وغيرهم بحيث اصبح الحديث مملاً . ومع هذا فسأقول فيها كلمات تلفونية .

اول هذه الامور (الحجاب) وكنتي فيه ان البشر من يوم اخذوا هذا التطور الاجتماعي وجد فيهم طبقات ارسوقراطية يرون من مصلحتهم او تميزهم ان يحتجبوا او يقللوا مخالطة غيرهم من الطبقات . وهذا كما يفعل الملوك والملكات بل عظماء الناس ونسأؤم الى يومنا هذا .

ونبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) ليست من الارستوقراطية في شيء . فلم يضرب بينه وبين عامة الناس حجاباً . فكانوا يدخلون بيته لتلقي العلم كما يدخل التلاميذ مدرسة اسانذتهم .

لكن بعض هؤلاء التلاميذ كانوا ثقلاء في حديثهم . ثقلاء في طول زياراتهم . فأشار عمر على النبي (ص) بمنع الناس من دخول بيته ، فلم يوافقه النبي احتفاظاً بما نسميه اليوم (ديمقراطية) . وتجنباً للمظاهر الملوكية .

ثم اشتدت ثقالة الثقلاء فنزل الوحي بحجاب نساء النبي (ص) وعدم دخول الناس بيته الا في احوال خاصة . هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر الارستوقراطية الذي اضطر اليه النبي محمد (ص) بسائق الحاجة الماسة .

ثم اخذ المسلمون يقلدون نبيهم عملاً بقاعدة (الناس على دين ملوكهم) فحجبوا نساءهم حتى أصبحت كل امرأة مسلمة ملكة محجبة . وكل بيت لمسلم بلاطاً ملوكياً . ولكن ما أسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات . وانما كل نساؤها ملكات محجبات ! فالعجاب الاسلامي يا سيداتي وسادتي انما هو اثر من آثار استنوافظية المرأة وملكيته في الاسلام . وليس هو اثر من آثار احتقارها او عبوديتها كما يظنه بعض الاقوام .

انتهت كلمتي في العجاب وانتقل الى الكلمة الثانية في «توريث البنت نصف ارث اخيها» هذا الحكم الشرعي الاسلامي يجيب عليه الشارع الانكليزي الذي لم يورث البنت بل حصر ثروة الاب في اكبر الابناء . وذلك لان البكر عميد الاسرة ، وحامل لقبها . والمحافظ على تراث مجدها .

وكذلك شأن الابناء الذكور بالنسبة الى الاسرة في نظر الشارع الاسلامي : فان الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون اباؤهم في أسرته كانوا في حاجة الى المال اكثر من اخواتهم البنات اللواتي يندجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة . فالمسألة إذن ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة وانما هي مسألة اجتماعية اقتصادية . على انه قد ظهر اخيراً لمديري المعامل الصناعية ان متوسط قوة المرأة اقل من نصف متوسط قوة الرجل ومن اجل ذلك ضاعفوا أجرته .

والامر الثالث من الامور الخمسة « شهادة المرأة نصف شهادة الرجل » وكلمتي في الجواب عليه ان سر الشرع فيه ليس لكون محمد (ص) يعتقد في المرأة الحقارة او انها تكذب في شهادتها وانما هو يرى ان المرأة بعيدة عن معتوك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والمخادعات مما هي عليه من ضعف ثقةها بنفسها وقلة ضبطها وسرعة انخداعها . حتى انهم قد يخذعونها بقولهم لما يا حسناء . فما بالك بغيرها من كلمات التمليق والثناء ؟ !

هذه هي نفسية المرأة التي تحققها محمد (ص) فرأى ان تبرز عند تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منهما صاحبتهما وتعاونان على التثبت من الامر

الذي تشهدان فيه . فننصف الشهادة إذن هو اثر من آثار اعتقاد السذاجة الملائكية في المرأة لا اعتقاد الحقارة او خراب الذمة فيها .

على ان محمد (صلى الله عليه وسلم) ميز المرأة على الرجل في بعض مواطن الشهادة : الرجل لا تقبل شهادته وحده اما هي فتقبل شهادتها وحدها في الامور الخاصة بالنساء كالنفاس وما شاكل ذلك . وكفى بهذا دلالة على ثقة الشارع بالمرأة واعتقاد سلامة وجدانها .

ومن الامور التي يشنع بها العالم المتمدن على محمد (صلى الله عليه وسلم) شريعة الطلاق ، لكن هذه الشناعة عادية فشاركونا فيها بمقياس ادسم .

محمد يعلم اننا مهما قمنا ان يكون الزوجان متلائمين في اخلاقهما وطباعهما لا بد ان يقع (سوء استعمال) في هذا التحري ، حتى يؤدي تباین الطباع بين الزوجين احيانا كثيرة الى فساد الحب الزوجي وتغيص الهناء العائلي . فيضطر اذ ذاك الى التفريق وكثيرا ما كانت هذه التفريق في مصلحة الزوجة فتخلص من زوجها الشرير . ومع هذا فان محمداً يكره الطلاق . ويأمر بالصبر . ففي القرآن : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

فالوحي المحمدي كابر الرجل في حسه مراعاة للمرأة حتى قال للرجل : انك وان شعرت بكره لامرأتك ما يدريك ان يكون في هذا الكره الخير فاصبر عليها إذن . الى هذا الحد حض محمد (ص) على تجنب الطلاق . لكن اتباعه خالفوا ناموس شريعته فنزل بهم البلاء .

وهذا لا ترجع تبعته عليه . الا ترون ان النواميس الطبيعية نفسها كنواميس الصحة والمرض مثلاً يخالفها الناس فيحل بهم الشقاء . وليس الذنب في ذلك على الاطباء . ولا على العناية الآلهية التي خلقت تلك النواميس . وانما الذنب على الذين خالفوها . قال شيشرون : (من كان غير سعيد فالذنب ذنبه) .

افرط المسلمون في الطلاق فطلقوا من دون قيد ولا شرط وفرط النصارى فلم يطلقوا حتى عند وجود الضرورة . ثم في آخر الامر احس الفريقان بالشقاء . فعاد المسلمون في تركيا الى تضييق دائرة الطلاق . وعاد النصارى في اميركا والمانيا وانكلترا

الى توسيع تلك الدائرة وستكون النتيجة الاعتدال والتوسط ومراعاة الحكمة .
وهو ما اراده محمد في تشريع الطلاق .

وآخر الامور الخمسة التي يعيرون بها المسلمين « تعدد الزوجات » ولكنني في هذا الموضوع تحتاج الى شيء من الجرأة في التصريح . ولكنني مع هذا سأعمل جهدي في العدول عنه الى الاشارة والتلميح .

واقول اولاً ان محمداً (ص) لم يخاطب بشرعه طبقة واحدة من مجموعة البشر كما خاطبها غيره من المشرعين وانما هو كان يخاطب الطبقات كلها او الامم كلها . وفيهم أمة متوحشة . وأمة نصف متدنة . وأمة متدنة .

فمحمد (ص) في تعدد الزوجات يقول لكل أمة : خذي من شريعتي المنة ما يناسب محيطك وحالة اجتماعك ، فاذا قالت طبقة من البشر انا لا أعدد قال لها محمد : تحسنين صنعا ، لان التعدد في شريعتي مباح لا واجب . لكن هناك طائفة أخرى في إفريقية او الصين مثلاً تضطرها حالة اجتماعها او امرجة طباعها الى التعدد . فمحمد اذا دعا هؤلاء الى دينه لا يقصر طباعهم على ما يريد . ولا يكلفهم ترك التعدد . خشية ان يدخل عليهم العنت والمشقة ماداموا في هذا الطور من اطوارهم الاجتماعية . ومن ثم اباح لهم التعدد ولا سيما اذا كان احد الزوجين عقيماً . او كثر عدد النساء بسبب اجتياح الحروب للرجال كما هو واقع اليوم في اوربا او لغير ذلك من الاسباب . بل نعود فنقول : مالنا ولللام التي يبيع لها محمد (ص) التعدد بسائق من امرجتها او حالة اجتماعها .

هذه الامم المتدنة نفسها ، تعدد بالفعل . ونكر بالقول . وتسب الذين يعددون ! !
عرف محمد امرجة البشر . ودرس طبيعة رجولتهم درسا عميقا ، فهو يكافح هذه الطبيعة وجهاً لوجه ويقول لاصحابها :

« ألسنم بالفعل لا تصبرون على طعام واحد ؟ ألسنم مدفوعين بسائق من طبيعتكم او امرجتكم او اسباب أخرى الى ان تعرفوا امرأة ثانية غير امراةكم الشرعية ؟ امحوا هذه الطبيعة من نفوسكم حتى امحوا انا التعدد من شريعتي . وماذا ينفع الانكار

او تجدي المكايمة في هذه المسألة ؟ ان كنا لا نرى أليس لنا آذان نسمع ؟ هؤلاء الرجال الذين يريدون ان يعرفوا نساء غير زوجاتهم الشرعيات لا يقول لهم محمد اعرفوهن بالحرام . واحشروا سلالكم الى . لاجيء اللقطا والايام . بل يقول لهم : اذا كنتم ولا بد فاعلين . فاعرفوا المرأة الثانية عن طريق نساء الدين . اعرفوها عن يد الشيخ والقسيس . ولا تعرفوها عند يد الشيطان او ابليس .

فإباحة الزوجة الثانية في شرع محمد (ص) إذن انما هو سد لحاجة الطبيعة البشرية المشردة ، التي لا تقاوم في بعض الاشخاص . على ان كل خطر على العائلة تنوقه من وراء التعدد ينبغي ان تنوق مثله من وراء اتخاذ الخلائل . فالعائلة إذن معرضة للخطر في الاوساط غير الاسلامية . كما هي معرضة للخطر في الاوساط الاسلامية .

وقد بلغنا لهذا العهد ان المشرعين في اوربا اخذوا بفكرودن في وضع قانون للتعدد الحصري يضيق دائرة شره . وبتقذ العائلات من الشقاء الذي يلحقها بسببه .

هذا هو ايها السيدات والسادة ما أردت ان اقله في موضوع «محمد (ص) والمرأة» . وقد تحققت منه ان محمداً (ص) انما جاء للتبشير بالمرأة ومنحها حريتها . وان الطلاق وبقيّة الامور الخمسة لا تشوه تلك الحرية بحال . ولكن اذا كان محمد (ص) يريد للمرأة ان تكون حرة بالمعنى الحقوقي . فهو في مقابل ذلك يريد منها ان تكون حرة بالمعنى الاخلاقي .

فالحرّة غير الحرّة . تجعل الحياة مرة .

اما الحرّة الحرّة ، فهي التي تكون للفرد قرة ، وفي جيد المحافل درة ، وفي جبين وطنها شرة .

المصري

ابو حيان التوحيدي

- ٢ -

نموذج من كتاب المحاضرات

اقتبس ياقوت في ترجمة ابي سعيد السيرافي « شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل » شيخ ابي حيان - المناظرة البديعة التي جرت بين ابي بشر متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي تأخذ بعض فقراتها . قال ابو حيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام ، فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النيه ، وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ، ينبغي ان ينتم سماعه ، ونوعى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . وكان في جملة من حضر ذلك المجلس الذي انعقد سنة عشرين وثلثمائة : الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمر وقدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان . قال التوحيدي فقال لي الوزير : اين ابو سعيد من ابي علي ، واين علي بن عيسى منهما ، واين ابن المراغي ايضا من الجماعة . وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن جوييه فكان بنو الجواب : ابو سعيد اجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج عن كل طريق ، والزم للجماعة الوسطى في الدين والخلق ، واروى للحديث ، واقضى في الأحكام ، وافقه في الفتوى . واحضر يركة على المختلفين واظهر اثرآ في المكتبة .

وبما جاء في هذه المناظرة في اللغات والترجمة : ان لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بخدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدتها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها ومجملها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره . . . فمن اين يجب ان نشق شيء

ترجم لك على هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى تعرف المعاني اليونانية على ان المعاني لا تكون يونانية ولا هندية كما ان اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية . . . ومن فقرها قال ابو سعيد : فانت (اي متى) اذا لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لا تعرف لغة يونان ، فكيف صرت تدعونا الى لغة لا نقي بها وقد عفت منذ زمان طويل ، وباد اهلها ، وانقرض القوم الذين كانوا يتفارضون بها ، ويتفاهمون اغراضهم بتصرفها ، على انك لنقل من السريانية ، فما نقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه الى لغة أخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض ، وادت المعاني ، واخضت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرفت ، ووزنت وما جزفت ، وانها ما التثايت ، ولا حافت ولا تقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا اخرت ، ولا اخلت بمعنى الخاص والعام ، ولا باخص اخص ولا باعم العام . وان كان هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ، ولا في مقادير المعاني . فكأنك تقول بغد هذا لا حجة الا عقول يونان ، ولا برهان الا ما وضعوه . ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به ، ويتفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر ، وانتشر ما انتشر ونشأ ما نشأ من انواع العلم واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم مبثوث في العالم . ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة . ومع هذا فانما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والقطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم

والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والنفسائل لصقت باصولهم وفروعهم . والردائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن بدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيدون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون سيفى امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيثون في احوال

قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ صالح باملائه وكان ابو سعيد روى لهما من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على تفصي كل ما قلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الراح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختلف كثير منه . قال علي بن عيسى : ونقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهايل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : حين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقمرت عيوناً وبهضت وجوهاً وحكت طرازاً لانبييه الايام ولا يتطرقة الحدثان قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه ^(١) .

نموذج من كتاب الامتاع

نقل القزويني ان السبب في تأليف التوحيدى كتاب الامتاع والمؤانسة ان اباسليمان المنطقي أستاذ التوحيدى في الفلسفة — وكانت داره في دار السلام مقبل اصحاب العلوم القديمة — كان لا تقطعه عن الناس ، ولزومه مجلسه ، يشتهي الاطلاع على اخبار الدولة ، وعلم ما يحدث فيها ، بمكان من ينشاء من الاجلاء ، ينقل اليه بعض اخبارها ، وكان ابو حيان من بعض المعتمدين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الاخبار ومعا علمه من ذلك نقله اليه ، وحاضره به ، ولأجله صنف كتاب الامتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس ابي الفضل عبدالله بن العارض الشيرازي عندما تولى وزارة مصمما الدولة بن عضد الدولة . قال : وهو كتاب ممتع على التحقيق ، لمن له مشاركة في فنون العلم ، فانه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة . قال القزويني : وما احسن

(١) لهازم ج يلزمه وهما عظيمان قاتلان في المحبين تحت الاذنين .

مارأته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتداء
ابو حيان كتابه صوفياً ، وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحقاً اهـ . وفي الكلام الأخير
صورة صغيرة مما كانت يعاب على اخلاق أبي حيان وقد لا يجد المدافع معذرة
يعتذر بها عنه .

واليك نموذجاً آخر من كتاب الإمتاع قال ابو حيان وقد ذكر طائفة من متكلي
زمانه ثم قال : واما مسكويه فقير بين اغنياء وغني بين ايتناء ، لانه شاذ وانما اعطيته
في هذه الايام صفوا الشرح لا يساغوجي وقاطيفورياس من تهنيف صديقنا بالري .
وقال الوزير ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصحبه
معي وهو الآن لائد بابن الخمار ، وربما شاهد اباسليمان المنطقي ، وليس له فراغ ، لكنه
مغيب في هذا الوقت للحسرة التي لحقت به مما فاتته من قبل فقال : يا عجبا لرجل محب ابن
العميد واما الفضل ورأى ما عنده وهذا حظه قلت : قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً
بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيمائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبه ، والحرص على
اصابه ، مفتوناً بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه
في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير
والساعات طائفة ، والحركات دائمة ، والفرص يروق تأتلق ، والامطار في عرضها
يتجمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتتحرق ، ولقد قطن العامري الري
نمى ستين ، ودرس واملئ ، وصنف وروى ، فما اخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ،
ولا وعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد . ولقد يخرج على هذا التوالي الصاب
والعلم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع باذنه قوارع الندامة من اصدقائه ،
حين ما ينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو زكي حسن . . . في النظم وان بقي عساه يتوسط
هذا الحديث ، وما ارى ذلك مع كلف الكيمياء واتفاق زمانه ، وكذا بدنه وقلبه في
خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالذائق والقيراط والكسرة والخرقة ، نعوذ بالله
من مدح الجود باللسان ، واشار الشم بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ، ومفارقته بالعمل .
قلنا وهذا الحكم على ابن مسكويه وهو من الفلاسفة ايضا فيه من القسوة ما فيه ، بل
هذا الحكم على معاصريه ، وان كان اكثره صحيحاً يوغر ولا شك الصدور ويوفر الاحقاد

والطوائل ، والنفوس البشرية قد تئاذى بكشف حقائقها . اما هو فتمزعه واحد وهو ما قاله في آخر كتاب اخلاق الوزيرين « ولكن النقص ممن يدعي التمام اشنع ، والحرمان من السعيد المأمول فاقرة ، والجهل من العالم منكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب » . ومن الانصاف ان نقول ان التوحيدى اجاد كل الاجادة في التعريف بالرجال ووقفنا على تقسياتهم ونزائهم ، وليس هذا بالامر السهل ، وما كل من كتبوا في العرب نظروا الى هذه المظاهر من الناس .

مثال آخر من كتاب الامتناع

جماعة اخوان الصفا

سأل الوزير خضام الدولة بن عضد الدولة ابا حيان التوحيدى في حدود سنة ٣٧٢ سأل عن اخوان الصفا بقوله : اني لا ازال اسمع من زيد بن رفاعه قولاً يربيني ، ومذهباً لا عهد لي به ، وكناية عمالاً أحققه ، واسارة الى ما لا يتوضح شيء منه ، يذكر الحروف ويذكر النقط . ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الالسبب . والتاء لم تنقط من فوق اثنين الالة والالف لم تجمع الا لغرض واشياء هذا . واشهد منه في عرض ذلك دعوى يتعاطى بها وينتفع بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغني يا ابا حيان انك تنشأ وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وامكن اطلاعه على مستكن رأيه وخافي مذهبه . فقلت ايها الوزير : انت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالاختبار والاستخدام وله منك الامصرة القديمة والنسبة المعروفة فقال : دع هذا وصرفه لي فقلت : هناك ذكائك غالب وذهن وقاد ومتسع في قول النظم والنثر مع الكتابة البارة في الحساب والبلاغة وحفظ ايام الناس وسماع المقالات . وتبصر في الآراء والديانات وتصرف في كل فن اما بالشدو الموم واما بالتوسط المفهم واما بالنهاهي المفهم . قال : فعلى هذا ما مذهبه قلت : لا ينسب الى شيء ولا يعرف يرهط لجيشانه بكل شيء وجليانه بكل باب ولاختلاف ما يبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد اقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدمي

وابوالحسن علي بن هرون الزنجاني وابو احمد الميزجاني والعوفي وغيرهم فصحيهم وخدمهم .
وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتضافت بالصدقة واجتمعت على القدس
والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان
الله وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دُفِنت بالجهالات واختلطت بالضلالات
ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة
الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل
الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميها وعمليها وافردوا لها فهرساً
وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتبوا فيها اسماءهم وبشوها في الوراقين ووهبوا
لناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والاشارات الشرعية والحروف المحتملة
والطرق الممومة .

قال الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل قلت : قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة من كل
فن بلا اشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات وتزيينات . وحملت عدة منها
الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها اياماً وتبهرها
طويلاً ثم ردّها عليّ وقال : تعبوا وما اغنوا وتصيبوا وما اجدوا وحاموا وما وردوا
وغتوا وما اطربوا ونسجوا فلهلوا ومشطوا فلفلوا ظنوا . الا يكون ولا يمكن ولا استطاع
ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار
الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والابقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي
هو اعتبار الاثوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في
الفلسفة وهذا امرام دونه حدّد (ممنوع باطل) وقد تورد على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا
احد انبياء واحضر اسباباً واعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوى وادشق عرى
فلم يتم ما ارادوه ولا بلغوا منه مآلهم وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات واخيمة موحشة
وعواقب مخزية فقال له البخاري ابن العباس : ولم ذلك ايها الشيخ فقال : ان الشريعة
مأخوذة عن الله عز وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب
المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي اثنائها مالا سبيل الى البحث عنه والغوص
فيه ولا بد من التسليم المدعوالي والمذنب عليه وهناك يسقط « يلم » ويطل « كيف »

ويزول «هلا» ويذهب «لولى» في الريح الخ (عن تراجم الحكماء) . هذه حقيقة جمعية اخوان الصفا . وصفها التوحيدي اجمل وصف وابلغ في كلامه على زيد بن رفاعه وكانت شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما قال ان زيد بن رفاعه والخليل بن احمد وابا الاسود الدؤلي كانوا من افراد الدنيا وما احلى قول التوحيدي في ابن رفاعه انه تصرف في كل فن اما بالشدة الموم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفهم .

كتاب تقيظ الجاحظ

هذا الكتاب ينقل عنه ياقوت احياناً ونقل عنه الجرجاني في كنيات الادباء كما نقل ايضاً عن كتاب الذخائر او النظائر قال : قرأت بخط ابي حيان التوحيدي في كتابه الذي الفه في تقيظ الجاحظ وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم ير مثله قط بلا نقية ولا تماش ولا استيماش علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للموبص وايضاحاً للمشكل مع تأله ونزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة .

ونقل ياقوت ايضاً جملة من هذا الكتاب فقال : ومنهم (اي من الذين قدمهم التوحيدي على الجاحظ وفضلهم) ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة . افنى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فمأجده له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيوبه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السلياني فمأجراه فيه احد ولا سبقه الى اتمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله .

وهذا الكتاب من عجائب التوحيدي ايضاً فانه على ماظهر من هذين النموذجين فيما نرى في وصف السيرافي والرماني انه فضلها على الجاحظ في هذا الاختصاص وهذا موضع نظر ايضاً مثال آخر من هذا الكتاب عن طبقات الادباء ياقوت : قال ابو حيان في كتاب تقيظ الجاحظ ومن خطه الذي لا ارتاب فيه نقلت قال : قلت لابي محمد الاندلسي يعني

عبدالله بن حمود الزبيدي وكانت من عدد اصحاب السيراني وله في هذا الكتاب ذكر .
 قد اختلف اصحابنا في مجلس ابي سعيد السيراني في بلاغة الجاحظ وابي حنيفة صاحب النبات
 ووقع الرضى يحكمك فما قولك ؟ فقال : انا احقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما فقال :
 لا بد من قول . قال : ابو حنيفة اكثر ندارة وابو عثمان اكثر حلاوة ومعاني ابي عثمان
 لائقة بالنفس سهلة في السمع ولفظ ابي حنيفة اعذب واعرب وادخل في اساليب العرب
 قال ابو حيان : والذي اقول واعتقده واخذه واستهام عليه اني لم اجد في جميع من تقدم
 وتأخر ثلاثة لواجمع الثقلان على تقريرهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم
 ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزيوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل
 واحد منهم . هذا الشيخ الذي انشأنا له هذه الرسالة وبسببه جئنا هذه الكلفة اعني
 ابا عثمان عمرو بن بحر والثاني ابو حنيفة الدينوري فانه من نوادر الرجال جمع بين حكمة
 الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن حاق وقدم ورؤاء وحكم وهذا كلامه في الانواء
 يدل على حظ وافر من علم النجوم وامرار الفلك فاما كتابه في النبات فكلامه فيه في
 عروض كلام ابدى بدوي وعلى طباع افصح عربي . ولقد قيل لي ان له في القرآن
 كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيت وانه ما سبق الى ذلك النمط هذا مع ورعه وزهده
 وجلالة قدره . وقد وقف الموفق عليه وسأله وتحنى به . والثالث ابو زيد احمد بن سهل
 البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في الاعصار الأول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف
 الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي كتاب اخلاق الامم وفي كتاب
 نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه
 ويده به علم انه بحر الجهور وانه عالم العلماء وماروي في الناس من جمع بين الحكمة
 والشرعة سواء وان القول فيه لكثير ولوثنا صرت اليها اخبارهما لكننا نحب ان نورد
 لكل واحد منهما تقريباً مقصوداً عليه وكتاباً منسوباً اليه كما فعلت بابي عثمان اه .

مثال من مثالب الوزيرين

قال ابو حيان : حدثنا ابو بكر الصميري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن
 محارب قال : سمعت احمد بن الطيب يقول ان صديقاً لابن ثوابة لكان ابي العباس

بكنتي ابا عبيدة قال له ذات يوم : انك بحمد الله ومَنه ذو أدب وفصاحة وبراعة فلو اكملت فضائلك بان تضيف اليها معرفة البرهان القياسي وعلم الاشكال الهندسية الدالة على حقائق الاشياء وقرأت اقليدس وتدبرته . فقال له ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو قال : رجل من علماء الروم يسمى بهذا الاسم وضع كتاباً فيه اشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الاشياء المعلومة والمغيبية بشحذ الذهن وبدقق الفهم وبإلطف المعرفة ويعني الحاسة ويثبت الروية ومنه افتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم قال له ابو العباس بن ثوابة : وكيف ذلك قال : لانعلم كيف هو حتى نشاهد الاشكال وتعاين البرهان فقال : فافعل ما بدالك . فأتاه برجل يقال له قويري مشهور ولم يعد اليه بعد ذلك . قال احمد بن الطيب : فاستظرفت ذلك وعجبت منه فكتبت الى ابن ثوابة رقعة نسختها . بسم الله الرحمن الرحيم اتصل بي جعلت فداك ان رجلاً من اخوانك اشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك اليه وانك أصغيت الى قوله . وأذنت له فاحضرك رجلاً كان غاية في سوء الادب معدناً من معادن الكفر واماماً من أئمة الشرك لاسفرارك واستغوائك يخادعك عن عقلك الرصين وينازلك في ثقافة فعمك المبين فأبى الله العزيز الا جميل عوائده الحسنة قبلك ومنته السوابق لديك وفضله الدائم عندك بان تأتي على قواعد برهانه من ذروته وتحط عوالي اركانها من اقصى معاند أسه فأحببت استعماله ذلك على كنهه من جهتك ليكون شكرك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه ولأننا في الفارط في ذلك بتدبير المشيئة ان شاء الله تعالى .

قال فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فخواها وتدبرت متضمنها والخبر كما اتصل بك والامر كما بلغك وقد خلصته وبينته حتى كأنك معنا وشاهدنا واول ما اقول الحمد لله مولى النعم والمتوحد بالقسم اليه يرد علم الساعة واليه المصير وانا اسأل ايزاع الشكر على ذلك وعلى ما منحنا من ودك واتمامه بيننا بمنه .

وهنا ذكر ما وقع له واظهر تأفقه من علم الهندسة ولعن الوسيط له الى معلها على صورة مضحكة يخرج بنا ان اقتبسناها عن الغرض الذي قصدنا . وقد عقب عليها باقوت

بعد ان نعلمها بمرمتها في ترجمة احمد بن محمد بن ثوابه بقوله : لاشك ان اكثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزور وما اظن برجل مثل ابن ثوابه وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى اليه مقاليد الخلافة فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني و يرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه نولى كتابة الانشاء السنين الكثيرة ان يكون منه هذا كله . ولكن عسى ان يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق ابو حيان خبر ابن ثوابه لاجله وهو ان قال كان ابن عباد يسب اصحاب الهندسة ويقول جاءني بعض هؤلاء الحمقى ورغبني في الهندسة فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين وخط خطأ ووضع شكلاً وطول وزعم انه يعمل برهاناً على ذلك فقلت له : كنت اعرف ان هذا خمسة وعشرون ضرورة وقد شككت الآن فأنا مجتهد حتى اعلم بالاستدلال وهذا هو الخصار . قال يا قوت ومثل هذا لا يبعد ان يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فاما ما تقدم من حديث ابن ثوابه فهو غاية في التجلف والرجل كان اجل من ذلك وانما اتى اما من جهة احمد بن الطيب لانه كان فيلسوفاً وكان ابن ثوابه متبحراً كما ذكرنا فأخذ يستخر منه ليضحك المعتضد فان احمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد واما ان يكون ابو حيان جرى على عادته في وضع ما اكثر من وضعه من مثل ذلك والله اعلم . وعندنا ان التوجيه الاول اوجه اي حمل هذا الكتاب على اختراع احمد بن الطيب للاضحاك والمزوء والتوجيه الثاني اورد الرسالتين على علانها كأن لسان حاله لم أمر بها ولم نسؤني .

مثال من كتابه الصداقة والصديق

قال في مقدمة هذا الكتاب « اللهم خذ بأيدينا فقد عثرنا واسترعلينا فقد اعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقى الجيوب حتي نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين آخذين باطراف المروءة آتقين من ملامة ما يقدح في ذات البين متزودين للعافية التي لا بد من الشخوص اليها ولا يحيد عن الاطلاع عليها انك تؤتي من تشاء ما تشاء .

« سمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة

وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم مما قد ارتفع رسمه بين الناس وعنى اثره عند العام والخاص وسئلت اثباته ففعلت ووصلت ذلك بجملة مما قال اهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد . وسمعت الخوارزمي ابا بكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول : اللهم تهنى سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ، ولا تجتني حتى يبور الجهل ، كما بار العقل ، ويموت النقص كما مات القهم . وأقول : اللهم اسمع واستجب ، فقد برح الخفاء ، وغلب الجفاء ، وطال الانتظار ، ووقع اليأس ، ومرض الامل ، واشقى الرجاء ، والفرج معدوم ، وأظن ان الداء في هذا الباب قديم ، والبلوى فيه مشهورة ، والعجيج منه معتاد .

« فأول ذلك اني قلت لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني اني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، وموابة خُلقية . فن اين هذا وكيف هو ؟ فقال : يا بني اختلطت ثقتي به بثقتي بي ، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر ، ولا يجوران بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب ، مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة ، حتى انا نلتقي كثيراً في الارادات والاختيارات ، والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد اتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لي في ذلك الاوان ، حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأنني هو فيها او هو انا ؛ وربما حدثته برؤيا فيحدثني باختياها ، فتراها في ذلك الوقت او قبله بقليل او بعده بقليل . قال : ورأيتك قد ملكك التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بما انتقاسه من قوى الفلك ، وان سهامنا واحدة ، وأنصابتنا منها متساوية ، او قرينة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في اخلاص الصداقة ، وتوكيد العلاقة . فقلت لابي سليمان كيف يصح هذا ، وانت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وقُتَيْبَتُكَ^(١) مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذلك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلائس ، ومخاضة(?) الظاهر

(١) القُتَيْبَةُ تصغير القنبة وهي الامعاء .

الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السواد الاعظم . فقال : هذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابدأ مخالف للفرع ، لاختلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكان مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاء ، وكان المشتري لي مقتبساً من زحل ، فظهرت بما ترى ، فجمعنا المشكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن .

قلت : هذا والله ظريف ، وما يزيد في طرائفه انك من مخجئات وهو من الصيحة فقال : الامكنة في الفلك أشد تضاماً من الخاتم في اصبعك ، وليس لما هناك هذا البعد الذي يجده بالمسافة الارضية ، من بلد الى بلد ، بفراخنة طلع ، وجبال تعلو ، ويحار تحرق ، فقلت : هل تجد عليه في شيء او يجد عليك في شيء فقال : وجدني به في الاول ، قد حجيتني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكنني مني فيما خالف هواي بالصحة الضئيلة ، واكنني انا ايضاً منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة . وربما تعاتبنا على حال تعرض على طريق الكناية عن غيرنا ، كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذاك مقنع ، واليه منزع . ولما تجتمع الا ويحدثني عني بأسرار ما سافرت عن ضميري الى شفني ، ولا نددت عن صدري الى لفتني ، وذاك للصفاء الذي تتسامه ، والوفاء الذي تتقاسمه ، والباطن الذي تتفق عليه ، والظاهر الذي ترجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حذر النعم ، ولا أجدها ينجياتي ما جدد ينجياتي لي واذا كنت اعشق الحياة لاني بها احيا كذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة وجني لي ثمرتها وجلب الي روحها وخط بي طيبتها وحلاوتها . وكان ابوسليمان يحدثني عن ابن سيار بمجائب واما انا فما عرفته الا قاضياً جليلاً صاحب جد ونفخيم وتوفير وتعظيم وكانت مع ذلك بسيط اللسان شريف اللفظ واسع التصرف لطيف المعاني بعيد المرامي يذهب مذهب ابي حنيفة .

تعريف للصداقة وضروب للاصدقاء

« ثم قال ابوسليمان : الصداقة التي تدور بين الرغبة والرغبة شديدة الاستحالة وصاحبها من صاحبه في غرور والزلة فيها غير مأمونة وكسرها غير مجبور . قال :

فأما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ولذلك لا تصح لهم أحكامها ولا توفي يهودها وإنما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائقي والاستعلاء والاستيغاف وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم . ونهاية المشاكلة لم لانتسابهم بهم (انتسب فيه اعتلق) وانتسابهم اليهم وولوع طورهم بما يصدر عنهم ويرد عليهم . وأما الثناء وأصحاب الفباغ فليسوا من هذا الحديث في غير ولا تقير . وأما التجار فكسب الدوايق سد بينهم وبين كل صرورة وحاجز لم عن كل ما يتعلق بالفتوة . وأما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم ربما خلصت لم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وطلب سلامة العقبي . وأما الكتاب وأهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتاري والتحاك فربما صححت لم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل . وأما أصحاب المذاب والتطيف^(١) فانها رجة^(٢) بين الناس . لا محاسن لم فتذكر ولا مساعي فتشتر ولذلك قيل لم مخرج ورعاع وأوباش وأوتاش^(٣) ولغيف^(٤) وزعانف وداسة^(٥) ومطاط وانزال وغوغاء لانهم من دقة العم وخسامة النفوس ولوم الطباع على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين وعصابة المشهورين . فلهذه الامور الحائلة عن مقارها الزائفة الى غير جهاتها علل واسباب لوتة من الزمان قليلاً لكننا ننشط لشرحها وذكر ما قد اتى النسيان عليه وعن أثره الاهمال وشغل عنه طلب القوت ومن أين يظفر بالفداء من كان عاجزاً عن الحاجة وبالعشاء من كان قاصراً عن الكفاية وكيف يخال في حصول طمرين للستر لا لتجمل وكيف يهرب من الشر المقبل وكيف يهرول وراء الخير المدير وكيف يستعان بمن لا يعين ويشكي

(١) التطيف نقص يخون به صاحبه في كيل او وزن والمطفون الذين ينقصون المكيال والميزان والمذاب جمع مذبة بكسر الميم ما يذب به الدباب وهي هنة تسوى من حلب الفرس ويقال أذناها مذاها وهو مجاز . (٢) الرجة بقية ماء مختلط بطين في أسفل الحوض ويطلق على الحمى والمهازيل . (٣) الوتش القليل من كل شيء ورذال الناس ولعلها الأوتاش وهم الأوباش . (٤) اللغيف من يأكل مع اللصوص ويخرس ثيابهم ولا يسرق معهم . (٥) جمع دائس وهو اللص او من يتبع الولاة .

الى غير رحيم ولكن حال الجربض دون القريض^(١) .
 ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف
 والحسرة والغيظ والكمد والومد وكأني بفيرك اذا قرأها ثقبضت نفسه عنها وامر
 تقده عليها وانكر علي التطويل والتهويل بها . وانما اشترت بهذا الى غيرك لانك
 تبسط من العذر ما لا يجوز به سواك وذاك لئلا يكبحالي وإطلاعتك على دخلي واستمراري
 على هذا الانقراض والعوز الذين قد تقضا قوتي ونكثا صرتي وأفسدا حياتي وقرناني
 بالأمس وجباني عن الأمس لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ومرفق مشفق والله لربما
 صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال او عصار او نداد
 او قصاب ومن اذا وقف الى جانبي أسدني^(٢) بصنائه وأسكرني بنشته . فقد أمسبت غريب
 الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخلق مستأنسا بالوحشة قانعا بالوحدة معتادا
 للصمت ملازما للغيرة محتملا للاذى يائسا من جميع من تري متوقعا لما لا بد من
 حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب ونجم العيش الى افول وظل
 التلبث الى قلوب اه» .

سبب تأليف الصداقة والصديق ومرمى التوحيد في صنعة الرسائل

وقال التوحيد بعد ذكر هذه المقدمة ان سبب انشائه هذه الرسالة في الصداقة
 والصديق انه ذكر « شيئا منها لزيد بن رفاعه ابي الخير فتاه الى ابن سعدان الوزير
 ابي عبدالله سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله اعباء الدولة وتديره امر الوزارة
 حين كانت الاشغال خفيفة والاحوال على أذلالها^(٣) جارية » فأشار عليه ابن سعدان

(١) الجربض الفصاة من الجرض وهو الريق والقريض الشعر واصل المثل ان
 رجلا كان له ابن نبغ في الشعر فنهاء ابوه عن ذلك فجاش به صدره ومريض حتى
 أشرف على الهلاك فأذن له ابوه في قول الشعر فقال هذا القول - (٢) أسدني حيرني
 ولم نجد هذا الفعل في الكتب التي بين ايدينا - (٣) في المثل : أجر الاموز على أذلالها
 اي على وجوها التي تصلح وتسهل وتيسر ويقال جار به على أذلاله اي على وجهه
 وواحد الأذلال ذل بالكسر .

ان يدونه فجمع هذه الرسالة وابطأ عن تحريرها فلما مر على ذلك بعض سنين عثر على المسودة وببعضها .

وقد قال في مكان آخر : « قد امت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق وما يتصل بالوفاق والخلاف والمجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرياء والنفاق والحيلة والخداع والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار . ولو امكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه واجرى الى الناية في ذم الشيء الى شكله وحبسه في قلبه فكان روثه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم . ولو أردنا ايضاً ان نجمع ما قاله كل ناظم في شعره وكل ناثر من لفظه لكان ذلك عسراً بل متعذراً فان أنقاس الناس في هذا الباب طويلة . وما من احد الا وله في هذا الفن حصة لانه لا يخلو احد من جار او معامل او حميم او صاحب او رفيق او سكن او حبيب او صديق او أليف او قريب او بعيد او ولي او خليف . كما لا يخلو ايضاً من عدو او كاشح او مداح او مكاشف او حاسد او شامت او منافق او مؤذ او منابذ او معاند او منزل او مفضل او مغل . وقد قال الاوائل الانسان مدني بالطبع . وبيان هذا انه لا بد له من الاعانة والاستعانة لانه لا يكمل وحده لجميع مصالحه ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهر . واذا كان مدنياً بالطبع كما قيل فبالواجب ما يمرض في أضعاف ذلك من الاخذ والعطاء والمجاورة والمخالوة والمعاشرة ما يكون سبباً لنظام الحال او يكون سبباً لانتشار الامر . ولا محالة ان هذه وأشباهها مفضية بالناس الى جملة ما نعتة هؤلاء الذين روينا نظمهم وشعرهم وكتبنا جورهم وانصافهم وذلك اعلى فنون ما قالوه ونظروه وحيون ما ذكروه وتشروه . وتروي في هذا الموضع بقية أبيات وان عن شيء لا حكيناه ونغلق الرسالة فانها اذا طالت أبغضت واذا أبغضت هجرت اه . وهذا النموذج الضئيل الذي أوردناه من الصداقة والصديق كاف في الحكم على أسلوبها والروح الذي يتزع اليه في تأليفها . وملاحظة التوحيدى على ائلاف المتضادين في العلم والتمثيل بصداقة أستاذه ابي سليمان المتطني وصديقه ابن سيار القاضي ووصف ابي سليمان وصفاً دقيقاً للصلات التي عقدت بين قلبهما ثم ابدانه في وصف طبقات الاصدقاء كل ذلك من جميل الوصف والى اليوم ما اختل هذا التقسيم وان رأيت

الوفاء والصداقة في النادر الشاذ . ومن أبدع الصفحات وصف غُرْبته في أمته
غريبة الفكر والاجتماع والتخلة والخُمُاتى والعادة . ولا بدع فهو من جيد الوصف في
نفسه اهل عصره ومنزلة العالم بين جمهور الغاية والغوغاء . ومن أجل الاعذار
اعتذاره عن طول هذه الرسالة علماً منه ان مكانة الكتاب بمادته لا بسعته ولكن اذا
قضت الحال بالتطويل اضطر المؤلف الى اطلاق عنان بيانه .

مثال من مجالسهم

في كتاب الصداقة والصديق قوله : رأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد انكر شيئاً
من بعض الندماء .

عدو راح في ثوب الصديق شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهراً ويسوء سرّاً كذاك تكون ابناء الطريق

وانا أسمى لك ندماء ، وأروي كلاماً له وصفهم به . منهم ابو علي عيسى بن زرعة
النصراني المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج الشاعر ، وابو الوفاء المهندس ،
وابن بكر ، ومسكوبه ، وابو القاسم الاهوازي ، وابو سعد بهرام بن ازدشير . وكان
أوزنهم عنده ، وألصقهم بقلبه ، وابن شاهويه . هؤلاء اهل المجلس سوى الطارئین
من اهل الدولة لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفاعه وكأث قريباً له من جهة
الخوف له (?) : رأيت الوزير اليوم يصف ندماء بكلام يصلح ان يكتب على الاحداق ،
ويعرض على اهل الآفاق ، ليستفيد الصغير والكبير . قال : اصحابي طرائق قدد ، كما
قال عبد الحميد الكاتب : الناس أخياف مختلفون ، وأصناف متباينون ، فمنهم علق
مضنة لا يباع ، ومنهم غُلّ مظنة لا يُبتاع . وكما قال الآخر :

الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

فأما ابن زرعة فكبره بالحكمة ، وخيلاؤه بالثروة قد قدحا في حاق^(١) عقله ،
وهو لا يحس بذلك القدح ، فليس لنا منه اذا جالسنا الا النفخ والنظم والتهويل

بارسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تتيافى
عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلون عن مجالس الشراب ، يانائم ياغافل ياساهي ، واين انت من
هؤلاء الحكماء القدماء أسيرتك سيرتهم ، أحالك حالهم ، انما تدعي عقائدهم باللسان ،
وتنخل اشيائهم باللفظ فاذا جاءت الحقيقة كنت على الشط تلعب بالرمل ولولا انه
يكدر هنل جدنا يخذ هنله لكاتب محمولا مقبولا . واكنه بأبى الا مألفه وأفاد
لمرات عليه .

واما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والنصاحة فد طرحه في عمن
الج لا مطعم في انتقاده منه ولا طريق الى صرفه عنه هذا مع حركات غير متناسبة
وشمائل غير دمثة ومناظرة مخلوطة بذلة اهل الذمة ودالة اصحاب الحجة .

واما ابن الحجاج فقد جمع بين حد القاضي ابي عمر سيف جلسته وحديثه وقيامه
وتخطئه مع حياء كأنه مستعار من الغاية الشريفة وبين مخف شعره الذي لا يجوز
ان يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله فخر اذا نظرنا اليه تخيلنا صورة مخف
شوءاء في صورة عقل حسناء ولا تغاوص هذه من هذه ولا جرم استماعنا به
قاصر عن مرادنا منه ودنوه من اناب عن مراده له . اما الوفاء فهو والله ما يقعد به
عن الموائسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكة اللذيذة والمواتاة الشبيهة الا ان
لنظهِ خراساني واشارته ناقصة هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد والبغدادى
اذا «تخرسن» كان أحلى وأظرف من الخراساني اذا «تبغدد» . وان شئت فضع
الاعتبار على من أردت فانك تجد هذا القول حقاً وهذه الدعوى مسموعة .

واما مسكويه فانه يسترد بدعامة تخلفه ما يتكلفه من تهذيب خُلقه واكره له
المشاغبة في كل ما يجري لا يجد في نفسه من المكانة والقرار ما يعلم معه ان مضاه سيف
فن هو فيه طويل الذيل مديد السيل لا بأذن له في تعاطي فن آخر هو فيه قصير
الباع بليد الطباع وصاحب هذا الرأي بمكوره مصاب يبيد رأيه وقد أفسده .
قال المهلبى قال ابن العميد وفعل ابن العميد : وما ذكره لذين الا استطالة على
الحاضرين والتشيع بذكر الرجال واضع من قدر الرجال .

واما ابن بكر فهو تيمة المجلس ولا بد للدار وان كانت قوراء من مخرج وهو

بجهله مع خفة روحه وقبح وجهه أدخل سيف العين وألصق بالقلب من غيره مع عمله وثقل روحه وحسن ظاهره .

واما الأهوازي أبو القاسم فلا حلاوة ولا مرارة ولا حموضة ولا ملوحة وانما هو كالبصل في القدر وكالاصبع الزائد في اليد على انا نرعى فيه حقاً قديماً ونرحمه الآن رحمة حديثة .

واما سيدي أبو سعد فوالله اني لأجده وجداً اتهم فيه نفسي وما وجدت ألم سهر معه قط واني ارى حديثه آتق من المني اذا أدركت ومن الدنيا اذا ملكت . وإن تمازجنا بالعقل والروح والرأي والتدبير والنظر والارادة والاختيار والعادة ليزيد على حال توأمن تراكضا في رحم وتراضعا من ثدي ونوغيا في مهد وما أخوفني ان يؤتى من جهني او أوتى من جهته وان عاقبته موصولة بعاقبتي لاني مأمنه وهو مأمني وما أكثر ما يؤتى الانسان من مأمنه والله المستعان .

واما ابن شاهوبه فشيخ لبس لنا فيه فائدة الا ما يلقي البنا من تجاربه ومشاهداته ولولا زيادته التي تصنع بها من نفسه وبعض من خطراته لكان هذك (نعم) من رجل ولكن من لك بالمهذب ألم يقل الاول : اي الرجال المهذب .

قال زيد بن رفاعه : قلت ايها الوزير ان طلوعك في خبايا ضماثرهم وعملك بحتايا سرائرهم يطالبانك بالافراج عنهم وقلة الاكثراث بهم قال : لا نفعل والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير وانهم لاعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل واذا خلا للعراق منهم فرقن^(١) على الحكمة المروية والادب المتهادي أنظن ان جميع ندماء المهلي يفون بواحد من هؤلاء او تقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم . قال : قلت هذا ابن عباد بالري وهو من يعرف ويسمع . قال : ويحك وهل عند ابن عباد الا اصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم يصيح ويقول قال شيخنا ابو علي وابوهاشم دعنا من حديثه وغثائه وشعبته فما احب ان أزيد في وصفه على ما أشرت اليه والله لو تصدى انسان متوسط في العلم والادب

(١) البرقين مواضع في العُصَبَات لثلاث جوم انها يهضت كي لا يقع فيها حساب .

والحنكة والانصاف لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكي كل غريبة ،
واتى بكل أعجوبة . الرجل مجتهد ، وفي زمرة اهل الفضل معدود .
قال : رويت هذا الخبر على ما اتفق وكنت أطلب له مكاناً منذ زمان فلم اجد
الا هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق اه . .

عرفنا بهذا الضرب من التدوين طبقة راقية من العلماء في عصر التوحيدي
وما يغمرهم به الغامزون ، وأنى يغتابهم المغتابون ، ولو كتب لنا الاطلاع على جميع
ما كتبه ابو حيان في كتبه : المحاضرات والامتناع والبصائر وما تخلل المجالس التي روى
أخبارها مما شهد به بنفسه او نقله اليه معاصروه الثقات — لجاءت السلسلة تامة من كل
وجه في الحكم على اهل القرن الرابع في بغداد ولتبدل الحكم عليهم وناقضت أحكامه
أحكام بعض من نقلوا تراجمهم كأنها حكم مسط لا ينقض .

« للبحث صلة »

محمد كرد علي



الموازنة

بين الألحان والآلة ورسالة الغفران

— او —

بين أبي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= V =

من المعلوم ان الشعر ليس هو ألفاظ مجموعة ، تُركَّب على أوزان موضوعة وقواف مصنوعة ، ولكنه صناعة كصناعة الاوتار والالحان ، لا تنال حفظها في الأذان ، ما لم تستكمل شروطها من حسن التدرج والنقل في الابرار بحيث لا يقع بينها تناقض او تناكر ، وان يكون النغم على الأوتار ، او النغم في الزمار ، تسبب اي موقفاً ومقطعاً توفيقاً ونقطياً يناسبان المقام ، فليست موسيقى الحرب وتحريك الشجاعة في نفوس الجنود ، كموسيقى الصفو والمناجاة بين أحباب قد عكفوا على الراح ، ونبادلوا عتيقها بالطاسات والأقداح ، في روضة قد فُتحت أزهارها ، وتفرق ماء سواقيها وأنهارها ، كما ان حسن الصوت وحده لا يستلذه السمع ، ما لم يصحبه احسان الصناعة في التلحين ، وهذا لا يتجمع شروط الاجادة ما لم يستكمل حسن اللفظ وفصاحة الالقاء واختيار الشعر العالي الذي يناسب مقام الغناء كما هو معلوم ، وبعد ذلك فاذا اجتمع هذا كله لمغنٍ ، نغماط النهاوند بالسيفكاه والمراق بالدوكاه والحجاز بالنوى والعجم بالرصد والعبا ، لاستنكرت الأذان غناءه ولو سمي ابراهيم او اسحق النديم .

فاذا كان هذا هو الشأن في فن الموسيقى او الغناء وركنهما حسن الصوت ، فما القول في الشعر وركنه الاول الخيال ؟

ومما تقدم ومما سيأتي ، يتضح لك ان الخلط في الألحان والآلة هو عيب من الخش عيوبها ولا يمدّه حسنة الا من قصر باده في فن الشعر ، وقل بصره في فن النقد .
واذا نقرر ان الخيال أعظم أركان الشعر ، وان أعذب الخيال ما اجتمع فيه الحسن والجمال ، اذ كان فيهما سرور النفس وملاذها ، او تسليها وعزائوها ، فأني سرور لها

في ذكر الوحوش والاحناش ووصف أشكالها القبيحة ومراقبة اقتراسها ونهشها الاجساد البشرية على ضروب لم تمر في بال عاقل ؟ واي تسلية او عزاء في وصف النيران والسموم ولواذع الجليد وثن الرياح الهوج وتصوير أناس قطع نصف جسمهم طولاً وبانت أمعاؤهم وقلوبهم وأكبادهم ، تسيل دماؤهم . وسوام وفد كسبت أجسادهم ثياباً من القروح يكشطونها باظافر نارية ليلاً نهاراً ؟ انخ انخ .

لعمري أن هذا الباب من أبواب الشعر لم يخطر في مخيلة شاعر عربي ، ولا أحسبه يدخل في أبواب الشعر الاعجمية ، وحسبنا برهاناً على ذلك ان لألياذة المنسوبة الى هوميروس وهو الممدود باجماعهم شيخ شعراء الدنيا لم تعد في الطبقة الاولى من الشعر عندهم ، الا لما اشتملت عليه من وصف الونائع الحربية وآلاتها ، وما أثر السلف واخبارهم في سلمهم وحروبهم ، وما بداخل ذلك من مصارع الغرام ، واكرام الضيف الى مثلها من الحالات التي تكاد تلمس في وصفها حقيقة أحوالهم الفطرية .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل وكله شعور لطيف واحساس مثالي في الرقة قد بلغ غاية التمام من الاحسان ، حتى لتكاد تشربه الاذان ولا تغل من النظر اليه الأعيان .

فاذا علم هذا نفرع عنه ان التبويب شرط اساسي من شروط التأليف والانشاء لا في النثر فقط بل في الشعر ايضا كما أشرنا الى ذلك في منهل الورد^(١) ولذلك عدوا ملحمة هوميروس في رأس الشعر عندهم لانها اشتملت على عموم حادثة تاريخية مبردة فيها كل ما يتعلق بتلك الحادثة وهي سيف الشعر من باب الشعر القصصي ، تثقل فيها من واقعة الى واقعة ومن بلد الى بلد فتشهد الحوادث مصورة باللفظ ولبس فيها للشاعر غير الرواية اي سبك الجمل واختيار الالفاظ وإجادة النظم والتجامة اي خلوه من التعقيد ، وتصوير المعاني في قوالب من اللفظ بحيث تبدل أشخاص القصة للبيان وتخل أرواحها في ذلك البيان ، وتسيغ النظم في ذهن القاري او السامع سوغ الماء الزلال في فم الظلمات .

(١) منهل الورد في علم الانتقاد (كتاب) .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل فإنه لا يتباعد عن موضوعه الا بمقدار ما يلجئه التشبيه او الوصف ، بحيث لا يتيه ذهن المطالع في صحاري الاشارات والالغاز ، او يفرق في بخار من قواعد المألوم المختلفة والمسائل المتباينة كتسمية آله النصارى بجوبيتر آله اليونانيين ، فيضل الغرض الاصيل وهو موضوع القصة .

ومن العيوب التي عدّها تقادروا الانرج على الشعر العربي ، ان الشاعر الجاهلي هو بطل روايته ، فلا يكاد يخرج عن نفسه ، وهو في ذلك على تقيض مما ذكرناه عن حسنات الباذة هوميروس ، ولعلهم في ذلك على هدى ، فما بالهم تناضوا عن عدّه هذا العيب الواضح في العوبة دانتى عليه ؟ فإنه جعل نفسه بطل روايته الطويلة المملة واكثر فيها من مدح ذاته والمفاخرة بنظمها وهو مما عنبناه نحن ايضاً على شاعرنا المتنبي وقد كان بفاخر مزاحمه عند سيف الدولة ملك حلب من شعراء عصره ولعل له عذراً في ذلك انه كان يحرص على تلك المنزلة الرفيعة وعلى ما كان يناله من صلات الملك المتناهية في الكرم ، ولم يكن دانتى في مثل تلك الحال عند مباداته في غير موضع من الاعوبة .

وقال المتنبي مفاخرأ :

ما نال اهل الجاهلية كأهم شعري ولا سمعت بسحري بابل

وهو في شعره هذا ينطق بلغتهم ، وقد جاء بالرشيق من اللفظ والسهل الممتنع في الغزل والنسيب والمدح والوصف والقصة والحكمة والفخر بما لم يأت بمثله شاعر قبله ، اما دانتى فقد جاء بالاعوبة الالهية التي فاخر بها وعدّها معجزة المعجزات ، وهي اول ما ينعى عليها انها لم تكن باللغة اللاتينية الفصحى لغة من تقدمه بل كانت يومئذ لغة عامية لغة الاغاني وفيها من الكشفات ما نحن في تقدمه وتعداده ، وما يفرض على الناقد المنصف ان لا يفقي عليه ، ولنا نرى وجهاً لتسامح الشراح والنقادين في تعييبه بما يعاب عليه سواء .

ومن عيوب الانشاء الفاضحة تكرار الالفاظ والمعاني ، وقد أجمع على ذلك علماء الفصاحة والبيان في اللغات الاعجمية كعلماء اللغة العربية وتشددوا في ذلك على الشعراء فوق تشددهم على الكتاب لما هو مطلوب فيه صناعة الشعر من البلاغة والجزالة ،

ولا استقلال بيت الشعر بالمعنى ، وإن تجاوزته فإلى بيتين والعرب بمحاسن الشعر أبصر
الأم بلا مدافع .

فالتكرار في العوبة دانتى مما هبى بالسأم وهو غير قاصر على الالفاظ بل المعنى هو
هو في كل أغنية من الاربع والثلاثين أغنية في جهنم ومثل ذلك في المطهر والسماء
لا يختلف الا بوصف السرداب او الدرج او القوس المتخفية او المضلعة او الوحش الناري
الغريب او الشيطان ذي الرؤوس ، او الافواه المتعددة او اسم رجل مجهول من جيرانه
او بعض معارفه وكم من ذلك ؟ او حادثة مكانية تافهة ، او قال لي ابي ، وقلت لابي
وابي لي ، وانا لابي الى غير ذلك من الحقير المبرم المضجر .

ومن عيوبها الواضحة انها لم تنجرد عن السفليات ، ولم يظهر لنا صاحبها في مظهر
من الاخلاص ، وانما هي مشبعة بالانانية ، فالخائن فيها من لا يرى رأي دانتى
او من خالف مذهب ، وعدو الوطن من قومه من لم يكن من حزبه ، وعدو الدين
من لم يقل بقوله السياسي ولو كان مطراناً بل البابا نفسه ، ساقطو المروءة اولئك
الذين لم يعاونوه على نيل مطامعهم ، بل يتجاوز الى الطعن على أمة باجمعها وشتمها لان
ملكها لم يسعف مطلب اميره او حزبه ، كما شتم الامة الفرنسية في غير موضع من
العوبة ، وهو لا يأبى اغراء ملك غريب على اكتساح بلاده وانزال أشد العقوبات
باهل وطنه .

ومن عيوبها الاثيمة ذهاب صاحبها الى أبعد ما يتصوره الفكر الانساني من الحقد
والتصفينة وحب الانتقام ، فانه لم يكثف باغراء امبراطور المانيا على اكتساح بلاده
وصب البلاء على اهل وطنه ، بل تتبعهم في جهنم ، ولم يرو غليله احتراقهم بتلك
النيران وما كانوا يقاسونه من نهش الافاعي وضرب المقامع النارية على ما وصفها
كما ترعد الفرائص من ذكره ، بل كان يثلث بشاهدتهم (او تصور مشاهدتهم) في
تلك العذابات ، ويقول لا بالسليم ز بدوم حرقاً وتعذيباً ، بل يخاطبهم قائلاً ذوقوا
لذائذ هذه الجحيم فانكم فيها خالدون .

ومن أشد عيوبه انه يقذف في جحيمه بكل من يمر في باله او تحت رأس
قلبه من مخالفه في الرأي او في الدين كما ذكرنا ، حتى انه يقذف بني دعا الوثنيين

وهدام الى عبادة اله داني نفسه ، وليست دعواه بالنبوة دوت دعاوي سواء من الانبياء .

بقي القول ان داني أراد ان يحول رسالة الغفران من رسالة دعاء كما فهمها من ظاهر لفظها العربي او من ترجمتها اللاتينية الى افكوهة شعرية او العربة تمثيلية ولذلك دعاها بالالعوبة .

غير ان تسميتها بالالعوبة (Comedia) لا يعني انه وضعها كما وضع بعده شكسبير وموليبار وراسين وغيرهم العو بانهم للتشخيص في دور التمثيل والملاعب لان مراده منها بنافي هذا الغرض كل المنافاة لاسباب :

منها انها مما لا يمكن تمثيلها في ليلة واحدة بل ولا ليلتين وهذه الطريقة اي التشخيص المتتابع على عدة ليال او على ليلتين لتتم حادثة التشخيص ليست مألوقة عند الفرانجة وان كانت اليوم مألوقة عند اليابات .

ومنها ان كل ما صورته في جسيمه ومظهره — وهو الجزء الاعظم من العربة — مصور في الظلمات المدلمات والرياح المنفنة وذلك مما يستحيل مشاهدته او تصويره بغير اللفظ ولا يمكن احتمال شمه في مكان محدود .

ومنها وهو الام ان داني لم يكن ليرضى بتمثيل الفردوس وأرواج القديسين والقديسات والملائكة ، بل الله ذاته ، على مسرح في ملعب ، وقد ذكرنا فرط تحمسه الديني غير مرة فيما تقدم . « للكلام صلة » عضو المجمع العلمي

قسطنطين الحمصي



الاستاذ الاب لويس شيخو

الناعت الآداب العربية لفقد احدها كبراً حفاً دتها ، والواقفين حبانهم على نصرتها ، صديقنا وعضو مجمعنا العلمي العربي الاستاذ المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، منشي مجلة المشرق الغراء في بيروت ، وصاحب التأليف الكثيرة . ولد في الخامس من شهر شباط سنة ١٨٥٩ في ماردين من الجزيرة ، وجاء الشام يافعاً فاتصل بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في غزير من جبل لبنان ، فدرس العلوم الدينية والمدنية والآداب العربية والفرنسية ، وتذوق غيرها من الآداب الميثة والحية ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب الحياة ومنه . والأُسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما اخذ النفس به من خدمة الدين . ولم يلبث ان ظهرت امارات أدبه وثمرات تربيته فعدّ مفخرة لمن انضم الى جملتهم وساعدوه فننقل في فرنسا وانكلترا والمانيا واطاليا وغيرها من مراكز العلم في اوربا . فتنبأ له درس طريقة الغربين في البحث والتأليف ، واطلع على ماني خزائنها من كتب العرب واستنسخ أهماتها النادرة لحساب كلية بيروت اليسوعية . وحضر في اوقات مختلفة بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب ، وساج كثيراً في أقطار الشرق .

انصرف الاستاذ لاول امره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها مجاني الادب في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ، ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحبها بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي يجذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلاحظ عليه العارفون ولا سيما علماء المشرقيات هذا العمل فاضطر الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحيها بعد من أسفار السلف .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب العزم وكتاب المطر للإنصاري ،

وكتاب الكتاب لابن درستويه ، وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحامسة البختري ، وطبقات الامم لصاعد ، وديوان الخفساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق اخت طرفة ، وديوان السميراء ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كلية ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراغب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفصائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لارسطو ، والآلات المنعمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لابي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ومجموعة اربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من اهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح والخواشي .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتيبة النصرانية » و « معرض المخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائله وكتبه في تزيف الماسونية والحيلة على رجالها وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية وتاريخ الرهبانية البسوعية وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبيروت وآثارها وتاريخها وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية في مجلة المشرق عدا خطبه الدينية ومواظمه الروحية . وقد كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها اولاً أهماته تأليفه ثم استخرجها منها وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الاقلية أشبه بكتب الدعايات المذهبية ، منها بكتب عمليّة مشتركة ، وهو معذور في مشربه لاعقاده بان عمله هذا قربي الى ربه ، وما خالف قط طريقته الدينية الى ما يسمونه الطريقة العلمانية ، ولذلك تستنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيه ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى آخريات ايامه

كما كانت لأول عهده نمطاً واحداً لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وعلوم العصر . اي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب ان يظل بعد درس ستين سنة في الانشاء عند حد نظرياته ، على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الاولى في الاداء تتناوشه أحياناً ، ولا يتطال الا الى الاخذ من الينبوع الذي استقى منه في مدرسته الاولى ، ولعل كثرة دراسته للغة الفرنسية وغيرها من لغات الاجانب أدخل الضعف على ملكته العربية . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لادعياء القريض ، كان الاولى ان تطوى على غيرها ، والف كتاب «أطرب الشعر وأطرب النثر» مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكركم ، على حين ترام فيما يخطون أحط مما ينظم او يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما ندري ان كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط او انه مقتنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة أطرب الشعر والنثر ، يجب تخليده وتأبيده في بطون الصحف ، حرصاً على بلاغته وفصاحته .

وقضت عليه الصنعة او البيئته على ما يظهر ان يغمط حتى العرب في مدينتهم وكان على الاغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعبوية بافكاره وتصريحاته ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم . وآخر أثر له من هذا القبيل انه ذكر جملة من ادباء المسلمين — وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين — في الربع الاول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدم العشرات في الامة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتأليف ولم مكانة في الشعر والادب لهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل اعتذر بجهله اسماءهم . مع ان من اشتهرت بين قراء العربية مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم ويستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم .

وبالنظر الى إكثار مترجمنا من التأليف والنشر قد يضطر في الاحابين الى العجلة فيدون ما يعرض له بادي الرأي فيجيء خداجاً . ولو كان المقروض عليه عمله أقل مما كان ، وكان له من الوقت ما لنضج به موضوعاته ، لعدت كتبه كلها سلسلة جميلة

من البحث والدرس شاهدة على الايام بفضلها وجده . ومع هذا قل من يساميه في المتأخرين بكثرة التواليف وتنوع الموضوعات التي عالجها فعد في المؤلفين من المكثرين . لاجرم انه مثال المجد العامل ليله ونهاره على نشر العلم والادب على طريقة خاصة لا يعتقد في غيرها الخير ، ولا يحفل اذا وافقت الغرض الذي نذر له نفسه خطأ ام اصاب . ونذر مثله في المعاصرين من مؤلفي العرب الذين جمعوا الى العلوم الدنيوية علوم الدين ومنهج الطريقتين وخدمهما كليهما بحسب رأيه واجتهاده ، ونظر الى ما عداهما شزراً لم يعره عند الحاجة الا نظر التقزز والكراهية لا نظر عطف وفضل ثقة . وصرف شطراً من حياته وهو واقف بالمرصاد لا تأخذه هواة في رد الشبه التي ترد على النصرانية ولا سيما مذهب الروم الملوكيين ، وتقدم ما يرى انه يمس روحه وجوهره ، وتدوين كل نافع وتافه من آثار لبنان وسكانه من الموارنة والكاثوليك فقط .

كان الاب شيخو مثال الراهب المثبت المتمسك بدينه الداعي اليه ، الداب عن حياضه ، مثلاً واي مثال في جده ودؤوبه ، جمع من مخطوطات الشام والعراق والعجم والهند مجموعة من الكتب العربية والسريانية والفارسية والتركية ، واخذ بالتصوير الشمسي عن نوادر الكتب المحفوظة في خزائن الغرب ، مئات من المجلدات جعلها في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت ودون غزائنها الشرقية فهارس ، ووصف الكتب العربية وصف عالم عارف بالعربية والفرنسية ، وساعده على اظهار فضله رهبانيته المنظمة القوية ، ومطبعتها المتقنة التي طبعت له كل ما أراد ، فجاءت جريدة كتبه وما أحياء من تراث الأقدمين وافرة العدد ، دالة على فضل علم ووفرة حزم وعزم . والحق نقول انه صاحب القدر المعلي بين رجال رهبانيته من ابناء العرب ، اخذ بأيدي تلاميذه وقرائه في السبيل التي اعتقد فيها اخلاص فأشربهم حب الدين وعلمهم من علوم الدنيا . وقد اشتهر بتأليفه بين قراء العربية في الشرق والغرب ، ومن الناس من يقتنون كتبه لجمال طبعها وتنسيقها ، وسرعة الوصول الى الاخذ منها ، لانه هذا حذر المستعربين من الغربيين في طريقتهم يوم نشر التأليف القديمة والحديثة . وبعد الفقيه في الدرجة الاولى بين طبقات الرجال الذين اثروا في الافكار ونشروا طائفتهم من مآل الجهالة ، واعلوا في البلاد كليهما ، ولذلك عظمت الرزية به على

جامعته وجماعته وجميعته خاصة والادب عامة . هذا الى ما كانت عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في مضلاتهم . رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه .
محمد كرو علي .

آراء وافكار

تعاليق رحلة البطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها بجنازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت نقل ائقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش^(١) وان يتوجهوا منه الى آذنة وبنظروهم بها فكان معهم في الحل والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الضرة الذي كان يرافق دكب النجج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكانت وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ ماعرف به : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاعتلت بالبابية بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والحجارة .

المفكرات التي تدون باختصار دون بحث واستقصاء ولم نعلم اسم كاتبها الا اننا استدللنا
ببيت من الشعر له قال فيه انه الشامي العطار وعلمنا من حديثه انه كان في دمشق
يحترف التجارة وانه جاء بيت المقدس مرة بعد أخرى لهذا الغرض . وفهمنا من تعليق
له في بعض صحف الرحلة انه حفيد او سبط السيد الشيخ محمد العطار المتوفى في شبان
سنة ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م ولكننا لم نعدم وسيلة للتعرف اليه مما كتبه بنفسه . فقد ذكر
لنا في أواخر رحلته اسم الشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد الغني النابلسي الذي كان يقيم
في مدرسة جورلبي علي باشا^(١) وقد ترجم السيد محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
١٧٩١ م للشيخ عبد الوهاب هذا وقال ان ابنه دمشق كانوا يجتمعون عنده على
مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك على ذكر الفاضل الاديب السيد محمد العطار
الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وارسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي^(٢) فأجابه عبد الوهاب
بقصيدة جاء فيها :

(ولا عجب اذا أنت في الفضل سيدك ذي التحقيق في الشرق والغرب)
(أتيت بلاد الروم ضيقاً وطارقاً من الشام من ارض مقدسة الترب)

وقد نقلنا عبارة الكاتب الذي لا نشك بعد هذا في انه محمد العطار في آخر هذا
البحث لعلاقته في الموضوع .

ولم يذكر السيد محمد العطار جد الكاتب بين تراجم المرادي بل ان الذي ترجم

(١) علي باشا الجورلبي من الوزراء الذين ارتقوا مسند الصدارة في القرن الثاني
عشر وبعد احرازها صاهر السلطان مصطفى فتزوج من ابنته سنة ١١١٨ هـ ١٧٠٦ م
وبعد ان ظل فيها اربع سنين يدير امور الدولة على أحسن ما يكون وثني به بعض من
لاخلاق لهم فأقيل وأمر بالخروج الى جزيرة مدالي «متلين» من جزائر البحر المتوسط
وقُتل عند قدومه اليها وله في القسطنطينية عدة جوامع ومدارس ومعاهد ودور كتب
وغيرها من الخيرات والمبرات الخالدة وترجمته في قاموس الاعلام جزء ٣ صفحة ١٨٨٦ .
(٢) ترجمته في سلك الدرر « ج ١ ص ٢٧ » وفيها انه توفي سنة ١١٩٠ هـ

له وذكره في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر هو الشيخ محمد بن عبيد
ابن عبد الله بن عسكر القاري الاصل الدمشقي الشهير بالطرار المتوفى سنة ١١٥٧ هـ
١٢٤٤ م^(١).

وقد قصد الكاتب الى عاصمة الملك ليرفع عقيرته بالشكوى على قاضي بيت المقدس
الذي لم ينصفه على شريكه النابلسي الذي لم يذكر اسمه ايضاً بل مالا عليه ولم يصل
بنا في رحلته الى ماتم معه لانه وقف فيها في العاصمة او ان بعض اوراقها سقطت
فسقطت معها اخباره .

والذي اهمنا من امر الرحلة هو بعض ما فيها من التعاليق التاريخية التي قد
نفيد معرفتها فتقلنا فيها يلي :

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد الطرار جد الفقير في ٣ شعبان
سنة ١١٧٦ هـ^(٢).

(٢) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٨ هـ^(٣) حضر عندي من اخبرني ان من البدع
التي حدثت في هذه الايام انه صار على كل مولود ذكر يولد خمسين فضة وعلى البنت
خمسين وانه صار على الجاموس على كل رأس عشرة قروش في السنة وعلى البقر خمسة
قروش تؤخذ في كل سنة .

(٣) تاريخ وفاة علامة زمانه وزاهد الملا الياس . ومات الياس النبي الزاهد
وفي ثبت شيخنا المتبني ان وفاته كانت بعد صلاة عصر الاربعاء لاربع عشرة ليلة
بقين من شعبان سنة ١١٣٨ هـ^(٤).

(٤) وفاة شيخنا بل شيخ الدنيا سيدي عبد الغني في اواخر شعبان سنة ١١٤٣ هـ

(١) سلك الدرر جزء ٤ صفحة ٦١ - (٢) سنة ١١٧٦ هـ يقابلها سنة ١٧٦٣ م .

(٣) سنة ١٢٠٨ هـ يقابلها سنة ١٧٩٤ م - (٤) لعلمه الياس بن ابراهيم بن داود بن
خضر الكردي تزيل دمشق الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر في اعيان القرن
الثاني عشر « ج ١ ص ٢٧٢ » وقال انه توفي ليلة الثلاثاء في ١٦ شعبان سنة
١١٣٨ هـ ١٧٢٦ م وقد قارب المئة او جاوزها .

عن ثلاث وتسعين سنة قدس سره ولشيخنا ومحبنا عبد الرحمن الشهير بالبهلول التركماني وكان حضرة الشيخ سماه قيم الأبد قصيدة طويلة في رثاء الشيخ ارتخ فيها وفاته بتاريخين في بيت وهو :

(قد أصبنا بشمس هدى التجلي أوحى القوم قطب هذا الزمان ^(١))

(٥) توفي الشيخ عبد الرحمن المجلد سنة ١١٤٤ عن أكثر من مئة سنة ودفن بمرج الدحداح ^(٢) .

(٦) الشيخ محمد الخليلي دخل دمشق عام ١١٢٩ ومات في بيت المقدس ودفن لصيق داره في المدرسة القائنبكية من خارجها وهي لصيق الحرم سنة ١١٤٨ ^(٣)

(١) ترجم للشيخ عبد الغني النابلسي في سلك الدرر « ج ٣ ص ٣٠ » وذكر بان وفاته كانت عصر يوم الأحد في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م . أما عبد الرحمن البهلول ولم نجد في نسبه التركماني بل قيل النحلاوي فقد توفي سنة ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م على ما ذكره المرادي في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣١٠ » وقال ان له قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني مؤلفة من تسعة وثمانين بيتا احتوى كل بيت منها على تاريخين وذلك سنة ١١٣٦ هـ ١٧٢٣ م . (٢) ترجم له في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣٢٧ » وذكرت وفاته ليلة الجمعة ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٨ م وبين التاريخين فرق كبير قدره اربع سنوات فلعلها سقطت من السلك اثناء النسخ او الطبع . (٣) ترجم له المرادي « ج ٤ ص ٩٥ » وقال ان وفاته كانت سنة ١١٤٧ هـ ١٧٣٤ م ودفن في المدرسة البلدية قلنا وهذه المدرسة كان أنشأها نائب السلطنة بالمحاكمة الحلبية منكلي بغا وهي اليوم دار لآل الخليلي وفيها مكتبتهم وتقع شمالي المدرسة الاشرفية التي بناها السلطان الملك الاشرف قايتباي التي يكتبها بعضهم وقليل ما هم قايت بك او قايد بك وقد رأيت ان صاحب التعاليق كتبها القائنبكية . اما مكتبة آل الخليلي ففيها الكتب الخطية النادرة وقد كان احد رجالهم بنى لها غرفة خاصة بجوار قبّة الصخرة قبل اربعين عاما لينقلها اليها ويقفها على طلاب العلم ففاجأته المنية قبل اتمام العمل فبقيت المكتبة مكانها نأكلها الرطوبة وتقرضها الارضة كما كثر خزائن الكتب الخاصة في هذا الشرق النعس .

« وعام ١١٢٩ هـ يقابله ١٧١٦ م و١١٤٨ هـ يقابله ١٧٣٥ م » .

(٧) وفاة سيدي عبد الله بن سالم البصري شيخ شيوخنا بمكة عام ١١٣٤^(١)

« يقابله عام ١٧٢١ م » .

(٨) وفاة شيخ شيوخنا احمد النخلي قدس سره بمكة سنة ١١٣٠ عن نحو تسعين

سنة وهو احمد بن محمد بن احمد بن علي^(٢) « وسنة ١١٣٠ هـ يقابلها سنة ١٧١٧ م » .

(٩) وفاة شيخنا صاحب المواهب الجزيلة سيدي محمد بن احمد بن سعيد عقيلة

بمكة سنة ١١٥٠^(٣) « يقابلها سنة ١٧٣٧ م » .

وجاء في اصل الرحلة — وهو ما اشرنا اليه في اول الكلام لاثبات ان الرحلة
لمحمد العطار الدمشقي — وصف لزلزال القسطنطينية الذي حدث في ١٣ ذي الحجة
« لعله في سنة ١١٧٩ المذكورة » في الساعة العاشرة والدقيقة عشرين بعد طلوع
الشمس ويقول عنه انه كان عظيماً وخوفاً وشديداً « قال وكنت تلك الليلة عند
اخينا الشيخ محمد جار الله زاده في خان تجاه خانة الوالدة فخرجنا جميعاً من الغرفة
وخرج الناس من اماكنهم يستغيثون الى ان سكنت فتوجهت انا واباء ومعنا الشيخ
خليل الضريبر الترياق فحالما صرنا في السوق رأينا الهدم والخراب شيئاً يصير معه
الذهاب فتذكرنا اخينا الشيخ عبد الوهاب في مدرسة علي باشا^(٤) فسرنا اليه واذا
للشيخ خليل بالرجوع فلما وصلنا المدرسة رأينا قد هدم اكثرها وسقط من ابنتها على
أناس فماتوا بها فدخلنا الى الشيخ عبد الوهاب فرأينا في الغرفة مائتي وقد كان خرج
ليفتر فسقط عليه بعض الهدم فكسر رجله وهو في حالة شديدة فحملناه لرجل وحمل
رجل آخر متاعه واخذناه الى غرفة الشيخ خليل الترياق ثم مرنا ننظر ما حصل من

(١) لم يترجم المرادي له في سلك الدرر بل ذكره في ترجمة عيد النورسي « ج ٣

ص ٢٧٣ » وفي ترجمة ابراهيم بن مصطفى الحلبي « ج ١ ص ٣٨ » ولم يعين تاريخ وفاته

(٢) ترجم له المرادي وقال انه توفي اوائل السنة المذكورة « ج ١ ص ١٧١ » .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر « ج ٤ ص ٣٠ » .

(٤) في مدرسة چورليلي علي باشا التي مر ذكرها .

الهدم فوجدناه كثيراً لا يمكن حصره وحاصله ان أكثر ابنية اسلامبول التي بنيت من الحجر سقطت مع سقوط أبنية قليلة من الخشب واما المنارات فقد سقطت الا القليل منها ثم صارت الزلزلة تتكرر ساعة بعد أخرى ويوماً بعد يوم ولكن امرها يتلطف حتى صارت في كل عشرة ايام مرة وربما لا تدرك فأمن الناس وجلسوا في اماكنهم الى نهار الثلاثاء ٢٨ صفر في الساعة الخامسة فحصلت زلزلة أخرى بمقدار الاولى زماناً ولكنها أخف حركة فسقط كذلك بها أبنية كثيرة وسقط أكثر ما كان بني من هدم الاولى وصار بها هلاك كثير ثم بعد ايام يسيرة وردت الأخبار من جهات ارض الروم بهدم وخسف كثير حتى سمعنا ان في بعض الأماكن ارتجت الارض وخسفت باهلها وخرج محلها ماء اسود متين وصارت الزلزلة تتكرر كثيراً في كل يوم ولبلة حتى انه كان ليلة الاثنين اثنا عشر شهر ربيع الاول وكان من عادة آل عثمان ان يصنعوا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم في جامع السلطان احمد فشاع ان في نهار الاثنين يحصل زلزلة عظيمة فأخروا المولد الى نهار الثلاثاء وعملوه في جامع الوالدة برأي شيخ الاسلام ولم يحصل بحمد الله نهار الاثنين شيء ثم في ساعة اجتماعهم نهار الثلاثاء في الجامع حصل حركة خفيفة لم يدركها أكثر الناس .

ومن اجتمع بهم وذكرهم في رحلته الحاج عبد اللطيف تقيب الاشراف^(١) وبدر الدين بن جماعة مفتي الدبار القدسية ورئيس خطبائها وامام الصخرة^(٢) واحمد ابن احمد الموقت^(٣) والشيخ محمد التافلاقي^(٤) في بيت المقدس والشيخ محيي الدين

- (١) هو عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدسي وترجمته في سلك الدور « ج ٣ ص ١٣٢ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .
 (٢) هو بدر الدين بن محمد بن بدر الدين بن جماعة الكنافي الحنفي القدسي وترجمته في السلك « ج ٢ ص ٢ » وتوفي سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٣ م . (٣) جاء في ترجمة والده احمد في السلك « ج ١ ص ١٧٥ » ان ابنه هذا كان من اعيان القدس وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٤) هو محمد بن محمد الطيب المالكي الحنفي التافلاقي المغربي مفتي القدس وترجمته في السلك « ج ٤ ص ١٠٢ » وتوفي سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

الخبري مفتي الرملة ^(١) والحاج مصطفى النجار من أجواد التجار بيافا ^(٢) والشيخ ضاهر العمر الزيداني شيخ عكا ^(٣) والشيخ صادق المفتي بعكا ^(٤) والشيخ عبدالحسن السعدي الدمشقي في صيدا ^(٥) والسيد عبدالقادر نقيب الاشراف في طرابلس الشام ^(٦) وحسين افندي مفتي آذنة ^(٧) والسيد عبداللطيف ^(٨) وبدر علي اغا ^(٩) والسيد حسين القواس الدمشقي ^(١٠) والشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد للفتي النابلسي بمدرسة الشورلي

(٢١) لم يترجم لها المرادي ولعل وفاتها تأخرت عن القرن الثاني عشر .

(٣) ترجم له المرادي في السلك ومما عمر بن صالح الملقب بالظاهر ج ٣ ص ١٨٤ وقال بوفاته سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م وفي هذه التسمية خطأ فان اسمه ضاهر بن عمر الزيداني وان كان اكثر المؤرخين على انه ظاهر بن عمر وكذلك ذكر في حجة شرعية صادرة من محكمة عكا بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م وبذيلها « وشهد الشيخ ظاهر بن عمر » . ولكن الرجل نفسه كان يوقع على كتبه بخط يده « ضاهر عمر » وفي دير الكرمل بحيفا كتاب منه أرسله الى رئيسه بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م وقع عليه كذلك . وفي مجموعة منسوبة الى ميخائيل الصباغ المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م — وهو حفيد ابراهيم الصباغ طبيب الضاهر ومستشاره الذي اورد مورده الملاك — موجودة في خزانة كتب اسقفية الروم الكاثوليك في عكا ذكر اسمه الضاهر اما صالح الذي اعتبره المرادي والد الضاهر فهو احد اولاده .

(٤) لعله صادق بن مصطفى بن عبدالحسن بن احمد بن محمد بن بطحيش الحنفي العكي مفتي عكا المترجم له في السلك ج ٢ ص ١٩٢ وفيها انه توفي سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م . (٥ و ٦ و ٧) لم يترجم المرادي في السلك لهؤلاء الثلاثة ولعل وفاتهم تأخرت عن القرن الثاني عشر وكذلك لم نجد ترجمة حسين افندي مفتي آذنة في قاموس الاعلام .

(٨) لعله السيد عبد اللطيف بن فتح الله المعروف بالكيلاني الحنفي الحلبي نزيل القسطنطينية واحد المدرسين بها الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٣ ص ١٣٢ توفي ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

(٩ و ١٠) لم يترجم لها في السلك .

علي باشا^(١١) والشيخ محمد جار الله^(١٢) والشيخ خليل الترياقى الضرير^(١٣) في
القسطنطينية .
عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله مخلص

(١١) ترجم المرادي في السالك ج ٣ ص ١٤٤ للشيخ عبد الوهاب بن مصطفى بن
ابراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي المشتهر بتلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي وذكر انه كان
مقيماً في مدرسة علي باشا المعروف بالجورلي وفي الهامش جورليلي وهو الصواب وقال
عنه انه توفي سنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م .

(١٢) لعله السيد محمد بن عبد الرحيم ابي اللطف المقدسي الذي ترجم له المرادي
في السالك ج ٤ ص ٥٢ وص ٥٨ وفي الترجمة لم يذكر تاريخ وفاته لانه لم يتحققه
وابناء ابي اللطف ينسبون الى جار الله ايضاً وهو لقبهم المعروف اليوم « راجع ما كتبناه
عن ابي اللطف وابنائهم في مجلة الزهراء بالقاهرة » م ٢ ص ٥٤٨ .

(١٣) ليس له ترجمة .

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد لويز ماسنيون طبع في باريس طبعة ثانية سنة ١٩٢٥ »
« في نحو ٤٠٠ صفحة »

Annuaire du Monde Musulman, par M. L. Massignon.
Seconde édition (1925) Paris Editions Ernest Leroux, 28,
rue Bonaparte.

توسع المؤلف في هذه الطبعة الثانية من كتابه السنوي وزاد كلامه على بلاد
الاسلام — احصاءاتها وتاريخها واجتماعياتها واقتصادياتها — تحقيقاً وإمتاعاً. وتعرض
لكل بلديه ولوحفنة من المسلمين وعرض لاحوالهم ومنازعتهم وكل ما يفيد القاري باللغة
الفرنسية ورأى ان عدد المسلمين ربما تجاوز في الوقت الحاضر المائتين والاربعين مليوناً.
ونحن لا نزال على رأينا في ان في هذا العدد نظراً، لان المؤلف يستند فقط على الاحصاءات
الرسمية والاحصاءات على الاكثر بقوتها العدد الحقيقي. وهذه مصر وهي في الغاية
من النظام كانت في احصائها الاخير اربعة عشر مليوناً ونحو ربع مليون مع ان جميع
من ذاكرناهم في ذلك قالوا انه دون الحقيقة لان البدء هناك يتشاءمون من الاحصاء
وربما لم يسجل نصفهم وهم يبلغون نحو مليون ونصف وكذلك الفلاحون لا بد ان يكتم
كل رب عائلة ولداً او ولدين من ابنته وعلى هذا فتكون مصر اليوم على التحقيق نحو ستة
عشر مليون نسمة مع ان المؤلف لم يسجل لها سوى احد عشر مليوناً.

وفي هذه الطبعة فصل جميل ذكر فيه المؤلف جريدة باسماء مراكز الدروس الغريبة
والتهذيبية الخاصة بالشعوب الاسلامية مشفوعة باسماء المشاهير من المشغولين بها، فكان
عددها في اوربا واميركا اكثر من عددها في مهد الاسلام آسيا وافريقية وعدد المراكز
التي تقام فيها أسواق الدروس الاسلامية ٢٠ في الهند و٢٣ في المانيا و١٧ في انكلترا
و٨ في فرنسا عدا المستعمرات و٨ في الولايات المتحدة الى آخر ما ذكره وعدد المراكز
كلها ١٥٥ مركزاً في القارات الخمس فيؤلف الكتاب الشكر على عنايته. م. ك.

في المرأة

(مختار المزايا التي نشرت في « السياسة الاسبوعية » وطائفة من القطع)

(الادبية الاخرى جرى بها قلم محرر المرأة)

الطبعة الاولى في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ص ١٩٥

سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٢ م

صدر المؤلف كتابه هذا بيت من الشعر لشاعر النيل حافظ ابراهيم وهو قوله :
 تريك المزايا الخاق فيهن مائلا وهذي تريك الخلق والنفس والطبع
 وقد حوى هذا الكتاب جماع ما في هذا السفر الممتع من المزايا ، وهو في تصوير ٢٩
 رجلاً وامراًة من ارباب الشخصيات الكبرى في مصر ترجم لهم بأسلوب جديد مزج
 فيه الجدل بالهزل فأبدع ما شاء الابداع ، وأعطاه البيان العربي قياده ، فنقل في قرائه
 بين السهل الممتع والصعب الممتع ، بأسلوب طريف قل من يستطيع من كتاب العصر
 ان يدانيه فيه ، صور مترجميه اولاً صورة هزلية بالريشة ، ثم صورهم بقلمه فوصف
 خلقهم وخلقهم ، وعلمهم وعملهم ، وأبرزهم في خلوتهم وجلوتهم ، كأنك تراهم بعينك
 وتسمع كلامهم بأذنك ، بلسان كأنه لسان كتاب العهد العباسي الاول مجنوناً بروح
 العصر ومعرفة خفايا مصر . والكتاب جدير بكل اديب ان يقرأه بامعان فهو متحف
 أدب وأخلاق من الطراز الاول . م . ك

رحلة الاندلس

« تأليف السيد محمد لبيب البتوني طبع في مطبعة الكشكول سنة ١٩٢٧ »

« بمصر ص ١٦٧ »

مؤلف هذا السفر من المولعين بالسياحة من مصر بين دوتن بعض رحلاته ومنها
 رحلته البديعة الى الحجاز . وآخر رحلاته هذه الرحلة الاندلسية ذكر فيها وصف
 أمهات مدن الاندلس اليوم وشيئا من تاريخها مشفوعاً بالعظة التاريخية التي تستخرج
 منها مربيًا برسوم آثارها الجميلة وقد اقتبس اشياء من رحلاته الى الاندلس قبله من

المعاصرين ، ومنها ما عزاه إليهم ومنها ما سكت عن نسبته لأصحابه ولعله لا يقوته ذلك في الطبقات التالية فان بركة العلم اسناده ونثني على همه الرحالة الاديب المقتن .
م . ك

مجموعة خطب

« محمد طلعت حرب بك »

طبع في مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٢٥٦

صاحب هذه الخطب من اكبر علماء الاقتصاد والمالية في وادي النيل وهو صاحب الفكرة الاولى في انشاء مصرف مصر الذي بلغ في سبع سنين منزلة سامية بين المصارف وحفظ لمصر جزءاً من ثروتها . وهذه المجموعة هي مما ألقاه المؤلف في العهد الاخير في تعليم المصر بين قيمة الاعمال المالية ، نفن فيها ما شاء علمه واختصاصه . والكتاب مزين بصور جميع من أسسوا بنك مصر من رجال ائال والاعمال ومعلى بغير ذلك من الصور .
م . ك

تاريخ اليمن

« المسعى فرجة الموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، تأليف الشيخ »

« عبد الواسع بن يحيى الواسعي الياني ، طبع في المطبعة السلفية بمصر »

« سنة ١٣٤٦ ص ٤٠٠ »

طبع مؤلف هذا الكتاب عدة أسفار منها عجالات ألفها ، ومنها كتب لبعضهم نشرها ، وآخر مؤلفاته هذا السفر ، تكلم فيه عن اليمن وأئمتها وتقويمها وصنائعها ورجالها ومعادنها وتجارتها وما الى ذلك من أحوالها الاخيرة وسياستها ، وانبع كل ذلك بفهرس المواد ثم بفهرس أسماء الموضع والبلدان وأسماء الصحابة والتابعين ورجال هذا القرن . وقد استفدنا منه ان الامام يحيى ايده الله بنى سنة ١٣٤٤ مكتبة عظمى بالجامع الكبير بصنعاء وجمع لها من الكتب النفيسة من كل فن وجمع خزائن كتب

الوقف القديمة التي في صنعاء . وكننا نود لو يعرى هذا الكتاب النافع من القوائد المطولة التي ليست من جيد الشعر ولا تفيد التاريخ ، وان يقلل المؤلف من ذكر الكرامات مثل كرامات الامام يحيى بن حمزة من اهل القرن السابع (ص ٣٦) وقوله انه منذ دفن في ذمار فقدت منها الحيات والهوام وان التراب الذي فوق قبره اذا وضع في محل لم يبق فيه حية ولا ثعبان الخ . فمثل هذه الامور تضعف الثقة بالكتاب . وللمؤلف الشكر على نشاطه في خدمة الآداب .

م . ك



تاريخ مساجد بغداد وآثارها

« تأليف السيد محمود شكري الألومي ويهذيب الشيخ محمد بهجة الاثري ، »
« طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٣٤٦ بنفقة امين عالي بك العباسي »
« وزير الاوقاف ص ١٥٧ »

وهذا ايضا من الكتب التي أخرجها للناس الاستاذ الاثري الذي عودنا منذ سنين ان يؤلف ويهذب كل نافع من كتب العلم والأدب ويبحث بحث المحقق المجيد . والكتاب كما عرف من اسمه في وصف المساجد رتبة مهذبه ترتيباً مقبولا لان المؤلف العلامة الألومي كان لا يتكلف في املآاته وتآليفه ، وقد علق تليذه مهذب الكتاب تعاليق جميلة أبانت عن مقدرة في فهم تاريخ أمته واخلاص في تحديثها بمحققته . وقد شفعه بفهارس للاعلام على عادته في معظم ما نشره ، فالشكر له على خدمه الخالصة للآداب والعلم .



منتخبات التواريخ لدمشق (؟)

« للسيد محمد اديب آل نقي الدين الحصري — الجزء الاول طبع في المطبعة »
« الحديثة بدمشق عام ١٣٤٦ ١٩٢٧ م ص ٤٠٠ »

دعا جامع هذا الكتاب كتابه في الصفحة الاولى « منتخبات التواريخ لدمشق » وفي المقدمة « غاية المرام في منتخبات تواريخ دمشق الشام » فلم بدر القاري على اي

التسميتين يعتمد . والاولى ان يقال في الاول « منتخبات تواريج دمشق » فيصح التركيب ويناسب الكتاب . كانت موضوعات هذا الجزء في اختصار الكتب والطباعة ومبدا بناء دمشق وسكانها ودخولها في حوزة العرب وما تعاقب عليها الى ساعة طبع الكتاب واستطرد جامعه استطرادات تخرج عن التساريج وذكر الأبدال والأبطال ! وكنا نود لو عزا صاحب الكتاب كل قول الى قائله ليكون سفره ادنى الى الثقة وأبعث على الطمانينة .

م . ك

خلاصة احصاءات

« وزارة المعارف العامة »

أهدت البنا وزارة معارف الدولة السورية كراسة تتضمن خلاصة الاحصاءات المتعلقة بمدارسها وبسائر المدارس السورية لسنة ١٩٢٦-١٩٢٧ م الدراسية . وقد أدركنا طرفنا في جنبات تلك الاحصاءات فتبين لنا منها ان عدد الطلاب والطالبات المقيدين في المدارس الاميرية عام ١٩٢٦-١٩٢٧ المدرسي بلغ ٢٣١١٧ وهو يفوق عددهم في عام ١٩٢٥-١٩٢٦ الذي لم يتجاوز ٢١٧١٥ ويرجع السبب في ذلك الى زيادة عدد الاناث وشدة اقبالهن على الدرس في كل انحاء البلاد . وكان عدد الطالبات المسلمات عام ١٩٢٥-١٩٢٦ : ٣١١١ فبلغ في عام ١٩٢٦-١٩٢٧ ٤٧٦٢ فتكون الزيادة ١٦٥١ طالبة وعلى ذلك القياس في سائر الطوائف غير المسلمة التي يتألف منها سواد الامة . وكان مجموع مدارس الذكور الاميرية عام ١٩٢٥-١٩٢٦ : ٢٤٤ مدرسة ومجموع مدارس الاناث ٦١ مدرسة فأصبح في عام ١٩٢٦-١٩٢٧ ٢٥٠ مدرسة للذكور و ٥٩ للاناث فتكون مدارس الذكور قد زادت ستا ومدارس الاناث نقصت مدرستين وكان هذا النقص من نصيب لواء دمشق كما ان الزيادة في مدارس الذكور نتجت عن تأسيس خمس مدارس للحضانة في ولاية حلب .

وبلغ عدد المدارس الاهلية - في المملكة عام ١٩٢٦-١٩٢٧ من حضانة ابتدائية وتجهيزية ١٣٥ مدرسة منها ١٠٢ للذكور و ٣٣ للاناث وبلغ مجموع طلابها

المقيدين ٣٩٢٩ طالباً من الذكور و٦٤٥٣ من الإناث . وبلغ مجموع معلمي المدارس الابتدائية العامة والخاصة في السنة المذكورة ٩٨٣ معلماً و٤٠٦ معلمات . وكانت مجموع طلاب وطالبات الصفوف الثانوية في مدارس التجهيز والمعلمين والمعلمات ١١٣٠ طالباً وطالبة كما كان مجموع هيئة التعليم في المدارس المذكورة ٦٢ معلماً ومعلمة . وبلغ طلاب فرعي الجامعة السورية (الحقوق والطب) في السنة المذكورة ٢٩٩ طالباً و١٢ طالبة منهم ١٨٦ في معهد الحقوق والباقي في شعب الطب المختلفة . ونال شهادة الجامعة في العام المذكور ٥٢ طالباً منهم ٣٤ من الحقوق والباقيون من شعب الطب المختلفة . ووافدت وزارة المعارف الى فرنسا عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي ثمانية طلاب للاختصاص في الفنون المختلفة . وأرسلت ايضاً طالبين الى بيروت للدخول في دار الهندسة . هذا عدا الطلاب الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا في العام الماضي والذي قبله للتخصص في الآداب والفنون .

المعربي

الروائع

اسم سلسلة من الأبحاث الأدبية يصدر تباعاً بشكل مجلة لطيفة الحجم حسنة الشكل لصاحبها (فؤاد افرايم البستاني) أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت وطريقته في هذه السلسلة الأدبية انه يعتمد الى أدب مشهور في العرب فيذكر موجزاً من ترجمته وشخصيته الأدبية ثم يخص بالذكر أشهر مصنفاته وآثاره المطبوعة فيحملها ويعلق عليها عند لزوم . مثال ذلك : امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكتابه نهج البلاغة . والمنبي . وديوان أشعاره . وابن بطوطة وكتاب رحلته وهكذا . وبظهر للمتنصحين لهذه الاجزاء ان المؤلف يرمي من وراء تأليفه الى غرض شريف الا وهو افادة الناشئة العربية الذين يصعب عليهم تناول هذه المباحث الأدبية من معادنها فهو يتناولها لم يتم تناولها بما يحث تفكيرها فهمهم وتعضيها عقولهم ويكون لها الأثر البين في تربيتهم الادبية وما يكتبونه من المقالات والمحاضرات العلمية والتاريخية .

كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية

وضعه الدكتور طه حسين بالفرنسية في ختام درسه في جامعة السربوث في باريس ليستحق إجازة الدكتوراه فحازها سنة ١٩١٧ ، ونقله الى العربية المحامي محمد عبد الله عنان سنة ١٩٢٥ ، وفيها طبع بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٥ وخمس وستين صفحة ، وقد أضيف اليه ترجمة رسالة (فون وسندنك) عن الألمانية المسماة : (ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية في القرن الرابع عشر) للترجم أيضاً ، وهي رسالة قيمة في بضع عشرة صفحة .

للفيلسوف ابن خلدون وللاستاذ طه حسين من الشهرة ما يكفي كلاهما عن التعريف ، وهذا الكتاب موضوعه تحليل وتقد لفلسفة ابن خلدون ، فهو إذن فلسفة فلسفة ، لذلك يكون المتوسع في الكلام عليه قد زاد السلسلة حلقة أخرى فجاء بفلسفة فلسفة الفلسفة ، وهذا يتجاوز شأن مجلثنا فيما نكتبه عما يهدى اليها من الكتب ، فنحن ندع ذلك الى ارباب هذا الشأن من مؤيدي مذهب ابن خلدون او نقادي مؤلفات الدكتور طه حسين الذين نثق بانه لا يفوتهم ، ونكتفي هنا بالألماع الى ان في هذا الكتاب انظاراً جديدة بالاعضاء ، ومباحث دقيقة لم يطرقها احد ممن تكلم عن ابن خلدون ، وهي مما اقتضاه مذهب الدكتور المعروف في الشكوك ، حتى ان في رسالة (وسندنك) المارة الذكر ما يخالف نظر الدكتور .

وعلى كل المؤلف الفضل في فتح هذا الباب ليلجحه المحصون فيوفوا ابن خلدون حقه من تحليل وتقد هو بما جدير لما له من الشأن الخطير .

عضو المجمع العلمي العربي

مسعود الكواكبي

كتاب الزراعة الجافة

« ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل يقع في ٢٦٨ صفحة »
« من القطع المتوسط »

الأرض اليابسة هي التي لا يمكن اسقاؤها والتي يهطل عليها في السنة مطر لا يزيد ارتفاعه على ٥٠٠ مليمتر ولا ينقص عن ٢٥٠ مليمتر لأنه اذا نقص عن ذلك المقدار تعذر استغلالها اقتصادياً بلا ري . وزراعة الارض اليابسة فن يبحث عن خزن أمطار السنة في الارض ، والاحتفاظ بهذه الأمطار ، ومنع انطلاق الماء من التراب على شكل بخار بقدر الإمكان ، ومص النبات المزروع للماء المحتزن في جوف التراب وانتضاجه اي اخراج الماء ترحاً او عرفاً ، ثم انتقاء النباتات الصالحة للارض اليابسة وبيان طرائق زرعها الى غير ذلك من أبحاث زراعية وملحوظات مختصة بالبلع من الأرض التي لا تروىها أمطار كافية .

أشهر من ألفوا في هذه الأبحاث أستاذ اميركي يدعى (ودسو) وهو مدير مدرسة زراعية في احدى الولايات المتحدة الاميركية . وقد ترجم كتابه بالفرنسية ولدي نسخة من طبعة الترجمة الثانية طبعت سنة ١٩١٢ . وقد كنت خلصتها وأضفت اليها ملحوظاتي في بلاد الشام ودرستها قبل تسع سنين في مدرسة الفوطة الزراعية ثم ذكرت موجزاً في هذا الفن في « كتاب الزراعة العملية الحديثة » المطبوع سنة ١٩٢٢ . وما كان يفول في خلدي ان يقوم الاستاذ السيد نجيب نصار في سنة ١٩٢٧ وهو غير اخصائي بالزراعة فيترجم كتاب ودسو او بعضه لانه يستحيل على من لم يتعلم الفنون الزراعية وما يتعلق بها من العلوم ان يبرز لنا ترجمة مفيدة لكتاب كهذا ، والدليل على ذلك انني كنت أفتح بعض صفحاته بدون تعيين فأكاد ارى في كل منها أغلاطاً فنية اولغوية مثاله انه لم يفرق البرسيم (*Trifolium Alexandrinum*) من النصفصة (*Medicago sativa*) (صفحة ١٦١) وانه جعل غاز الكربون مركباً من مواد نباتية وحيوانية ٠٠٠ (صفحة ٢٧) . وقد سمى نباتات الفصيلة القطانية (قرنية ، بقالية) خضراً (صفحة ١٦٣) فهل الحمص والعدس والكرمنة من الخضراوات

او البقول ٠٠٠ ؟ ولم يهتد الى الاسماء التي اصطلح عليها أسانذة الزراعة في ترجمة كثير من الآلات فسمي المحراث ذا القلب « محراثاً أعقف » والمحراث ذا الصفايح « محراثاً ذا دوائر » والملمسة او الملائسة « مدحلة » ومعزق الخيل « محركاً » الخ . وتكلم على سنابل الشعير فسمي سناها « شوارب ولحي ٠٠٠ » كما سمي عصانها « غلفا » (صفحة ١٦٠) .

وقال في الصفحة (١٥) انه لا يوجد في البلاد العربية ومنها بلاد الشام مقاييس للمطر الا في بعض المدن وانه لا يمكنه تعيين مقادير المطر في تلك البلاد عن علم حقيقي الخ ٠٠ ولو كان الاستاذ ممن يتابعون هذه الامور لعلم انني أرصد الأحداث الجوية بدمشق منذ عشر سنين متتابعة وان لدينا في حكومة سورية منذ خمس سنين مقاييس للمطر في أهم الأقاليم الزراعية كحوران وسهل حمص وجبل الشومرية وعلبة وشاطيء الفرات وجبل الأحص الخ تدا ان اللبوعيين مرصداً شهيراً في البقاع وآخر في بيروت ناهيك بمرصد الأمير كمين وات لليهود مقاييس للأقطار في ام قرايم في فلسطين .

ولم أعلم لما ذا سمي كتابه « الزراعة الجافة » مع علمه بان الزراعة حرفة وان الحرفة لا تكون جافة او رطبة . وقد ترجم الفرنسيون لفظ (Dry - Farming) بقولهم (Culture des terres sèches) اي زراعة الارض اليابسة وهكذا كنت ترجمته . ولو اطلع على ما كنت كتبه وكتبه غيري في هذا الصدد لرأى ان اجدادنا العرب القدماء كانوا عليمين بكثير من قواعد هذا الفن كما يتضح من جمل كثيرة في كتاب ابن العوام الاشبيلي . وبعد ان للاستاذ السيد نجيب نصار فضلاً كبيراً ولكن في غير الفنون الزراعية فحبذا لو وقف كل امرئ في التأليف عند حد اختصاصه .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى السراجي

كتاب البقول

« لمؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

ما يرح زميلنا الامير مصطفى الشهابي بخدمة زراعة البلاد العربية عامة والشامية خاصة باهدائها لطريف الأبحاث التي تمس الحاجة اليها وليس عندنا ما يملأ فراغها .
ففي سنة ١٩٢٢ أخرج (كتاب الزراعة العملية الحديثة) وفي سنة ١٩٢٣ رسالة (مسك الدفاتر الزراعية) وفي سنة ١٩٢٤ (كتاب الأشجار والانجم المثمرة) واليوم (كتاب البقول) الذي يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها .
هذا عدا مقالاته الزراعية في (المقتطف) والزراعية اللغوية في (مجلة المجمع العلمي العربي) .

يذهب بعض من ليس لهم إلمام ببسائط الفنون الزراعية الى ان الكتب الزراعية الصادرة في مصر لني مجاجتنا وتفتينا عن معاناة التأليف والنشر . وقد فاتهم ان لكل قطر أقاليم وأتربة وحاجات اقتصادية تختلف عما في غيره ولا مندوحة عن تنويع العمل الزراعي وتسييره حسب هذا الاختلاف . فالكتب الزراعية المصرية تحصر مباحثها بما يناسب إقليم وادي النيل وحاجاته وهي تتمد كل البعد عما يمكن إتيانه في بلاد الشام ذات الأقاليم والأتربة المتنوعة . ولذا لا يمكن للزراعين الشاميين ان يشفوا بالكتب المصرية غلبهم .

فصاحب (كتاب البقول) قد سد في مؤلفه هذا حاجة المشتغلين بزراعة الخضر في بلادنا فاستحق بذلك شكرهم كما شكره من قبل المشتغلون بالزراعة الواسعة ثم المرتزقون بتربية الأشجار وتصدير الثمار .

يقع (كتاب البقول) في ٢١٣ صفحة ويحتوي على ٤٦ شكلاً . ويتناول البحث في قسمه الاول (تعريف وتقسيم البقول وأشكال بساين البقول واحداها والآلات والادوات اللازمة لها والأتربة والأسمدة والمصلحات والاسقاء وكيفية تكاثر البقول) ، وفي قسمه الثاني خمسين بقلًا من البقول الثمرية كالبازنجان والبنادوري والبامية والفليفلة والخيار . . . الخ والبقول الخضراء كالكرات والخرشوف

والسلق والاسباناخ والملفوف والقنبيط ٠٠٠ الخ والبقول المسقولة كالبطاطا والقلناس والكرنب والشوندر والجزر واللفت ٠٠٠ الخ .

وهو يذكر فيه بحث كل بقل أصله وتحليلته واء نافع الشامية والافرنجية وقلية وتربيته وزمن زراعته وطريقة الزرع وتعمده ومحصوله واستعماله . والكتاب محبوب نبويًا جيدًا ، مثقن الطبع ، حسن الرسوم والأشكال ، صحيح العبارة ، يدل على ما عانى واضعه من الجهد في تأليفه . فقد استعان بام الكتب الفرنسية الباحثة في زرع الخضر ودون فيه اختبارات الشخصية . وانتقى من معاجم اللغة أصح الكلمات العربية لأسماء البقول المعروفة وتحرى منشأها فأرجده قديمًا معروفًا لدى أسلافنا ذكره وعني بضبط الحركات في تلفظها وكتابتها فقال مثلاً : ان (اللوباء) كانت تسمى التامر والداجر والدجر و (الكزبرة) الكسبرة والثقرة وان (النعنع) يلفظ بضم النون الأولى والثانية وهو أيضاً النعناع بفتحها ، وان الباذنجان له بضعة أسماء عربية منها الأنب والحصل والمغد والوغد . ونقل عن كتاب «شفاء الغليل» للخناجي ان الملوخيا لم تكن معروفة قبلاً وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعز باني القاهرة فأكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا ٠٠٠ وسمى ما يستعمله الفرنسيون (Légumes tubéreux) بقولاً مسقولة تبعاً للطبيب العالم امين المعلوم الذي استعار كلمة المسقول وهو الكم للساق الجذري او العرق الذي يسمى (Tuber) وجمع مؤلف (كتاب البقول) تحت عنوان (البقول المسقولة) البطاطا والقلناس والشوندر والجزر والكرنب والفجل واللفت والبصل والثوم .

وبما أعجبني استعماله كلمة (الحاء) لما يسميه الفرنسيون (Culture intercalaire) فقال في (الصفحة ٦٩) : « ان من أصناف الخضرة ما يقم بين نباتات أصناف أخرى كما يقم فلاحو كفرسوسة (من قرى دمشق) صفار نباتات الملفوف بين نباتات التبغ الكبار » . غير ان الكتاب مع غزارة مادته وجودة مباحثه لم يحل من بعض نواقص رأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل اليها . فقد سها عن بحث (الاعمال التي تجري في البساتين) كالحرث وأنواعه لاسيما عملية «النقب» التي لها مكانتها الكبرى في البساتين وكالعزق والتليس (الحدل) وإبادة الأعشاب وتخطيط المساكب . ولا يكفي ان يقال

انه مر ذكرها في كتاب الزراعة العملية الحديثة . لان هذه الأعمال تختلف في البساتين عما هي عليه في الحقول اختلافاً يئس يدعو المصنفين في زراعة الخضر الى بيانها وشرح طرائق القيام بها . وكنت أتمنى لو أضاف على أبحاث الكتاب نبذة عن (تجارة البقول في بلاد الشام) ليطلع القراء — ولو تقريباً — على أنواع ومقادير البقول التي تصدر من هذه البلاد الى الاقطار المجاورة وما يرد اليها وعلى الطرائق التي يجب اتباعها لتزويد هذه التجارة وتوفير واردها .

وقد جاء في (صفحة ٩) ان الأسرة في سلية وحماة تستغل نحو ثلاثة هكتارات وفي بساتين المريج (مرج القوطة) خمسة هكتارات او أكثر . وصحيفة ان فدان البساتين في سلية وحماة ذو مساحة قدرها ثلاثة هكتارات تقسم بين أسرتين فيصيب الواحدة هكتار ونصف فقط . اما اهل (المريج) فلا تظن انهم يشتغلون بزراعة الخضر واحداث البساتين وهم لتوالي الحميات والوبالة عليهم ينوئون تحت اعباء المحاصيل الشتوية فما بالك بالخضر التي تحتاج الى تعهد وعناء وفيرين . وجاء في (صفحة ١٤) ان الاوربيين يفرسون حول البساتين لائقاء الارباح صفوفاً من اشجار السرو او الصنوبر او الاوكالبتوس . فاستعمال السرو لاجل الغاية التي ذكرها صحيح . اما استعمال الصنوبر والاوكالبتوس فلم يسمع به . لان انواع الصنوبر كثيرة لبس منها ما تملي سيقانه من تحت الى فوق باغصان مشبكة تحجز الرياح كالسرو . والمعروف عن الاوكالبتوس انه من اشد الاشجار شرهاً لجذب الرطوبة وتخفيف الاراضي المستنقعة فهو اذن مضر جداً لبساتين الخضر المحتاجة الى الرطوبة والري أكثر من جميع النباتات . وجاء في (ص ٥٧) عند البحث عن طريقة (البذر ثراً باليد) ان البستاني (يمد يده الى الوراء وينثرها على شكل قوس دائرة ٠٠) وعندني ان هذا الوصف ينطبق على بذر الحبوب كالحنطة والشعير في الحقول الواسعة لا على بزور الخضرة وجلها ذات حجم صغير ووزن خفيف ففي ثر بذور الخضرة لا يحتاج البستاني الى مد يده الى الوراء ولا الى تأليف قوس دائرة بل تراه منحنياً بعض الانحناء لا يبعد يده عن صدره الا قليلاً وهو يثابر رويداً رويداً على النثر من بين الايدي والشاهدة على مساحة لا تتجاوز المتر او المترين في كل شجرة . وجاء في (ص ٢٠٤) ان الأعشاب تقنع من بين النباتات الحاصلة من زرع بزور البصل بالمنكاش بواسطة نساء يستأجرن لهذا الغرض .

وصحيحه ان هذه النباتات المعروفة في الديار الحوية باسم (الصمدة) تخرج متأصرة جداً كشعر الفرشاة لا يمكن للتكاش ان ينفذ بينها ويعمل عمله . وإذن لا ننتقي الاعشاب الا باليد . وجاء في (ص ١٩٣) ان نبات الشوندر تقطع عندما يصير طولها نحو متر . وصحيحه ٢٠ متر وهي هفوة مطبعية .

هذا والكتاب متبرع بالفوائد الجليلة وبعد من خير ما وضع في هذا الفن لخريجي المدارس الزراعية وطلابها وللمستغلين بزراعة الخضر وإحداث البساتين . مما يحملنا على تقدير العمل المجيد الذي قام به مؤلفه الفاضل ويدفعنا الى تهنئته بيزور هذه الحلقة من سلسلته الزراعية التي يخرجها الى عالم العربية بهذه الحلة القشبية .

المهندس الزراعي

وصفي زكريا

كتب ورسائل مختلفة

- (١) « مرعاة الترجمة » للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية تأليف الأب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٦٧ .
- (٢) مرعاة الترجمة ايضاً للاب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) كتاب المعلم طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٩٢ .
- (٣) التقرير السنوي عن سير المعارف بالعراق لسنة ١٩٢٦-١٩٢٧ طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٣٦ .
- (٤) « الروضة الطبية » لعبدالله بن جبرائيل بن يحنثشوع عني بتصحيحها القس بولس سباط طبع في المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٧ ص ٧٣ .
- (٥) « الندى الهتان على منظومة روضة الاحسان في بيان مكي ومدني القرآن » لمؤلفه الشيخ محمد سعيد حسن السعيد اللاذقي طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ ص ١٠٤ .

(٦) تقويم جامعة ادنبرغ عن سنة ١٩٢٧—١٩٢٨ طبع في ادنبرغ سنة ١٩٢٧
Edinburgh University Calendar 1927 - 1928

(٧) الفتيات قصة للسيد انور فوق العادة طبعت في مطبعة فتي العرب بدمشق
(١٦ ص) .

(٨) روضة الناظر وجنة المناظر في اصول الفقه الحنفي لمؤلفي الدين ابي محمد عبد بن
احمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ، معها شرحها « نزهة الخاطر العاطر » للشيخ عبد القادر
بدران الدويمي الدمشقي امر بطبعه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
آل سعود طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٢ بالمطبعة السلفية الجزء الاول ص ٤٢٤ والجزء
الثاني في ٤٨٠ ص .

(٩) نصوص عربية في اللغة العامية في وادي الشحرور نشرها بالفرنسية والعربية
في المجلة الآسيوية الفرنسية المنسنيور ميخائيل فغالي من اساتذة جامعة بوردو .
(١٠) جريدة مطبوعات مكتبة ومطبعة المعارف بمصر لسنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨
طبعت بمطبعة المعارف .

(١١) بيان اعمال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٢٩٦ هـ
لعامها الثامن والاربعين طبع بمطبعة المصباح في بيروت ص ٥٤ .
(١٢) رسالة في اسماء الريح لابن خالويه النحوي نشرها السيد كراتشكوفسكي
في لينينغراد .

(١٣) لماذا انا مسيحي « تأليف الدكتور فرانك كراين » عربيه بتصرف قليل
الارشمندريت انطونيوس بشير وعني بنشره السيد يوسف توما البستاني صاحب
مكتبة النجالة بمصر ص ٣٤٦ .

(١٤) نزهة الطرف في قراءة الكف تأليف السيد حنا اسعد فهمي تطلب من
مكتبة العرب بمصر ص ٦٩ .

مجمع اللغة العربية

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٨ م الموافق وذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ

حياة الألفاظ (١)

إذا طرحك النوى مطارحها ، فكذب لك أن تزور باريز استطعت أن تذوق
حلاوة الدنيا ، وتشعر بنضارة الحياة ، ومن محاسن باريز الفتيات العاملات اللواتي
ينصرفن في الصباح إلى العمل ، انصرف النخل إلى اجتذاء الزهر ، ثم يفرغن من عملهن ،
فيلهون ولا هو العنادل على ملئف الاغصان ، أطلق الفرنسيون على هذه الفتيات اسم
(Midinettes) فالاسم مشتق من كلمة (Midi) ومعناها الظهيرة ، لانهن يقطن في
الظهيرة كما نفلت الطير من الانفاص ، فيخرجن من الخازن والمعامل ، فيسرحن كما يسرح
سرب المها ، فاذا سمعت احاديثهن على الطريق فكأنك قد سمعت دوي النخل ، قترهن
ذاهبات من الاوبرا إلى ساحة الناندوم ، ومن المادلين إلى الشان — البره ، وتزري
الشوارع والمطاعم والمقاهي والملاهي مكشظة بهن ، فاذا رأيتن رأيت الألوان على
مختلفها ، وعرفت كيف تكون الانسامات على الثغور ، وكيف تكون التخييلات في
الخواطر ، شعر قصير ، وشباب ناعم ، وقامة رشيقة ، وخلقة فتانة ، فهن نضارة
باريز وغضارتهن ، ولولاهن لما كانت لباريز رونق وبهجة فكلمة (Midinette)
العذبة نرد بطبيعتها على شق القلم وطرف اللسان ، أدبها كبار الكتاب في رواياتهم ،
فتأصلت في اللغة إلا انها عرضت يوم الخميس الماضي على قاعة باريز الفتانة ، أي على

(١) محاضرة الأستاذ السيد شفيق جبري القاها في ردهة المجمع العلمي في ١٧

شباط سنة ١٩٢٨ .

الاكاديمية الفرنسية وليدة ريشوليو ، وكان لها امل ان تحثي الاكاديمية بها لعزيمتها ونعومة صباها ، ولكن الاكاديمية لم تمهد لها سبيلاً في مجمعها فقطبت في وجهها واطزحتها .

هذه خلاصة ما لرأته في مقال وقع عليه النظر في جريدة الطان في ٢٩ آذار المنصرم وقد أسف صاحب المقال الأسف كله على أطراح هذه الكلمة ، مبدئاً انه ليس من شأن الاكاديمية قلب الألفاظ المصطلح عليها واحتقارها وانما مهمتها المحافظة على المصطلحات الكثيرة الدلالة وقد أضاف الكاتب الى كلامه ان من الواجب الاقتداء بالرب ومولير في المساحة والاستئناس بالمصطلحات المديضة في طبقات الشعب ثم ختم مقاله بما يلي :

« اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتضطرب ، وقد كان كتابنا في عصر التجدد لا يفهمون ذلك فكانوا يفتشون عن أسلوب فيه حياة وخفة وله طعم ولون وبقية يسون استعاراتهم عن مصطلحات الصيادين ، وعن كلام امراء البحر ونماير اصحاب المطابع ، فكانوا يجدون انه من الضروري ان ينشأ على الجذع اللغوي القديم طعم على شرط ان يكون هذا الطعم سهلاً ، دالاً على شيء قد أبداه الاصطلاح ، فلم لا نتحرر فحوم » .

مالنا ولغتيات باريز ، فالمقصد من هذه المقدمة الموجزة كلمة الكاتب التي أشرت اليها وهذه هي « اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتضطرب » .

هل ينسبر لي قبل ان أخوض في موضوع من اجل الموضوعات اللغوية ، هل ينسبر لي قبل ان أبين كيف تنحى اللغة وكيف تفقر ، ان أذكر شيئاً من نشوء اللغة واصولها وما هو مذهب المحافظين على أوضاعها ، والمجددين لأساليبها وما هي علل المحافظة والتجديد واي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في عاملين يتنازعان اللغة . عامل المحافظة وعامل التجديد ، اذا تهيأ لي ان أذكر شيئاً من ذلك كله في محاضرتي هذه استطعت في محاضرة أخرى ان أوضح على قدر الامكان كيف تولد الألفاظ ، وكيف تنحى ، وكيف تموت .

يقول عنتره في معلقته :

(هل غادر الشعراء من متردم)

و يقول امرؤ القيس :

(عوجا على الطل القديم لعلنا نبيكي الدبار كما بكى ابن حزام)

و يقول زهير :

(ما ارانا نقول — الا معارا او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستلزم من كلام عنتره وامري القيس وزهير انه جاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال ، وحاتوا في سمائه كل محقق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين ابرثوا عنتره وامراً القيس وزهيراً وأمثالهم نتائج الخواطر وثمرات القرائح ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقدمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في انها قد سبقتها أسقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور وتدرجت الى الكمال حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فامصور التي انتقلت اللغة في خلالها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الأسرار وهذه ثلثة في تاريخ ادب العرب لاننا لا نعرف كيف تدرجت اللغة العربية تدرجها الطبيعي ، ولا بد في الاحاطة بذلك من الرجوع الى اللغات السامية والنقيب عن الكتابات القديمة ، على ان لغة العرب لم تكن اليانسا بجذائرها فان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير وكثير من الكلام ذهب بذهاب امله ، قال ابن فارس : « ذهب علاننا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الياننا من كلام العرب هو الأقل ولو جاءنا جميع ما قالود لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

فالذين يظنون ان لغة العرب قد تكاملت فجأة يخالفون في ظنهم اصول العلم الحديث قال رنان (Renan) :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سبره انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة بادي بدء غير معروفة ، فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غني ، كاملة حتى انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم تعدل اقل تعديل ذي

شأن ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول امرها تامة ولا أدري اذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في أطوار مختلفة .
 نقول رنان هذا مخالف لتواعد العلم ، لا شيء بكل فجأة على وجه الارض ، مثل اللغات كمثال المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات ، فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت ، فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات .
 ما هو اصل اللغة ، وهل هي توقيف وزجي او اصطلاح وتواطؤ ، وما هو رأي العلماء في ذلك ؟ .

قال الاستاذ (دارمستتر — Darmesteter) في كتابه « حياة الألفاظ الذي سأشير اليه في هذه المحاضرة :

« ما هو اصل اللغة ، لم تخرج هذه المسألة الدقيقة عن حد الفرض ، فالعلماء لا يزالون يحدسون فيها ويخمنون ، فقولم فيها من باب حدس الظن ، فالعلم لا يزال في هذا الموضوع فطيراً ، حتى انك لا تجد في اللغات التي انتقلت اليها آثارها القديمة ، (اللغات المصرية والسامية والهندية — الأوروبية) الا صيغاً جديدة وراءها ماض مديد ، جرت فيه تطورات شتى لا يصل تحققي المحققين بها أمعنوا فيها الا الى مصادر مشتقة من مصادر اولية ضاعت آثارها ، فاللغة البشرية وحدها لا تمهد سبيلاً الى معرفة اصلها فلا بد من تجاوز أفقها حتى نصل الى معرفة الاصل وربما أدت المقابلة بين لغة البشر ولغة الانواع الحيوانية الى نتائج حديثة في بحث لا يزال من مباحث ما وراء الطبيعة » .

وقال ابو الحسين احمد بن فارس في فقه اللغة وكان من اهل السنة : ان لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » وقد ذهب هذا المذهب الكاتب الفيلسوف الفرنسي بونالد (Bonald) فهو يرى ان الرجل يعجز عن انشاء لغة له فأوحى الله اليه لغة تامة كاملة وايد مذهبه بهذه الحجج :

(١) لا يستطيع الرجل ان يفكر من دون الكلام .

(٢) اللغات القديمة هي اكل اللغات .

(٣) اللغات كلها مشتقة من لغة اولية .

يبد ان هذه الآراء قد تقضها العلم الحديث .

وقال ابن جني في الخصائص وهو من المعتزلة :

ان اكثر اهل النظر على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، وذلك بان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الايابة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا بكل واحد منها ممة ولفظاً اذا ذكر عرف به مسماء ليمتاز عن غيره ، وهذا هو رأي الفيلسوف اليوناني ديموقريطس (Démocrite) فهو يقول بان اصل اللغة انما هو اصطلاح ونواظؤ فقد اخترع اللغة رجل ماهر ثم ترواطأ الناس بعده على قبولها ، ولكن هذا المذهب لا أنصار له اليوم .

اما علماء التحول فانهم يرون ان اللغة انما هي نتيجة تطور القوى الحيوانية .

وقد نسب كل من الياسوف ريد (Reid) والفيلسوف جوفروا (Jouffroy)

اللفظ الى غريزة خاصة .

والمستشرق الانكليزي مولر (Müller) يقول بان البشرية كان لها في الاصل

قوة تمكئها من انشاء المصادر ، ثم اضمحلت هذه القوة على الياام .

ويرى رنان (Renan) ان من طبيعة الرجل الكلام كما ان من طبيعته

التفكير .

يمتد معظم علماء النفس في هذا العصر ان الكلام انما هو نتيجة عمل بطيء تكامل على التدريج ، وهم يعملون للغة اصلاً طبيعياً ، والظاهر ان تقدم علماء اللغات يؤيد هذا المذهب فقد كانت اللغات القديمة على ما يقولون غير كاملة ثم تكاملت شيئاً فشيئاً بنمو قوى الرجل الطبيعية ، وفي استطاعتنا ان نقول ان الرجل قد وهبت له الطبيعة عضواً مرناً ، واذناً دقيقة ، وعقلاً قادراً على التجريد والتعميم ، فاستطاع ان يخترع اللغة ، بدأ قبل كل شيء باللغة الطبيعية ثم استعمل حكاية الاصوات وأدوات التعجب والتأوه ثم تمكن بفضل التجريد والتعميم من استعمال الاشارات ، وقد أشار السيوطي الى شيء من هذا المذهب اشارة خفية فقال :

« وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي

الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، وتزيب الظبي . ونحو ذلك ثم وأدت اللغات عن ذلك فيما بعد » .

وقد بين ألكيا المراسي في تعليقه في أصول الفقه الحكمة الداعية الى وضع اللغة فقال : ان الانسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معاشه ومقبات معاشه لم يكن له بد من ان يستترفد المعاون من غيره ولهذا اتخذ الناس المدن ليجمعوا ويتعاونوا ، وقيل : ان الانسان هو المتمكن بالطبع والتوحش دأب السباع ولهذا المعنى توزعت الصناعات وانقسمت الحرف على الخلق ، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشغل بها ، لا ت كل واحد من الخلق لا يمكنه ان يقوم بحملة مقاصده ، فحينئذ لا يخلو من ان تكون حاجته حاضرة عنده ، او غائبة بعيدة عنه ، فان كانت حاضرة بين يديه أمكنه الاشارة اليها . وان كانت غائبة فلا بد له من ان يدل على محل حاجته ، وعلى مقصوده وغرضه ، فوضعوا الكلام دلالة ووجدوا اللسان أسرع الاعضاء حركة وقبولاً للترداد ، وهذا الكلام انما هو حرف وصوت .

هذا السير من آراء العلماء في أصل اللغة ولعل البحث عن لغة الطفل أهون امراً ، يألم الطفل وهو يعلم انه اذا صاح وصرخ حملاً امله وعطفوا عليه فيصيح ويصرخ ليحمله فهذا مبدأ اللغة ، ثم يشعر بحاجته الى الافصاح عما يشعر به ، فيلجأ قبل كل شيء الى اللغة الطبيعية . الاشارات والاصوات ، فاذا أراد الدلالة على الحاجات الحاضرة أشار اليها ، واذا أراد الابانة عن الحاجات الغائبة قلّد أصواتها . وهذه هي حكاية الصوت ثم يردد أداة التعجب التي يفصح بها عن هاتجة من هوائجه ، او مائجة من موائبجه ، وعلى هذا يشتق الكلام شيئاً نسباً من الصوت غير المنفوخ ثم يدرك الطفل ان بين الحاجات مناسبات شتى في تلاصقها وتشابهها فيطبق الألفاظ المختصرة على حاجات حديثة ، وأضف الى هذا كله التعليم . فعلى هذا الوجه نشأ لغة الأطفال .

اما وقد بينت على سبيل الايجاز أصل اللغات وأشارت الى السير من آراء العلماء في نشوء اللغة . فلنبحث عن مذهب المحافظين والمجددين في اللغة ، وما هي عوامل المحافظة والتجديد .

اقتنيت من زمن قريب كتاباً اسمه (حياة الالفاظ) وضعه دارمستر

(Darmesteter) استاذ الادب الفرنسي في القرون الوسطى ، ومدرس تاريخ اللغة الفرنسية في معهد الآداب في باريس ، يشتمل هذا المؤلف الجليل على خمسة دروس قررها (Darmesteter) في السوربون في أواخر سنة ١٨٨٥ بحث فيها عن خصائص الحياة التي تجعلها أزماننا الالفاظ في الافصاح عن المعاني ، فهو يبحث فلسفي عن الطرائق المنطقية والعلل النفسية واللغوية التي ينطوي عليها تطور المعاني ، الا ان الكاتب لم يتعرض في كتابه الا للغة الفرنسية دون غيرها من اللغات ، وكان مقصده تحريك العقول للتطلع وترغيب قومه في التعمق في درس لغتهم وتبني لغتها ، والاحاطة بعقريتها ، لقد قرأت هذا المؤلف فأبقي في نفسي اثراً بليغاً ، فأحببت ان انقل شيئاً من هذا الاثر الى غيري محتزناً بالاجمال دون التفصيل ، ومكتفياً بالايجاز من غير تطويل .

ابي على العلماء حين من الدهر كانوا في خلافه يدرسون اللغة اليونانية واللغة اللاتينية باعتبارهما لغتين ميتين ، فكانوا يتعلمونها حتى تنفذ مداركهم الى الآيات البديئات التي تشتمل عليها هاتان اللغتان ، كانوا يتعلمونها حتى يتأملوا هذه الآيات ويتدبروا على فن الكتابة الصعب بتقليدهم صوراً من الانشاء منقطعة النظير فكانوا يجمعون في اظهار أسرار المخطوطات ويبحثون في مبانيها النادرة حتى يتكامل فهمهم للغة النسخ الاصلية .

ولما اكتشف (السانسكريت) نشأ علم اللغات فنفرغ العلماء لدرس اللغات درساً مجرداً ، وأصبح تاريخ اللغات غاية يسعى اليها المنقبون فلم يعد اللغوي يقتصر على درس لغات شيشرون ، وفيرجيل ، وسوفوكل ، وديموستين الجميلة فانه جاوز هذه اللغات الى درس اللغة اللاتينية القديمة واللاتينية في عهد الانقراض واللغات الابطالية المشوهة ، ويونانية هوميروس ، واليونانية البيزنطية ، واللغات العامية المنتشرة في بلاد اليونان ، فأصبح العلماء يهتمون بدرس اللغات على مختلفها من أرقاها الى أدناها فيملقون عليها ويمعنون في دراستها ، وهم الآن يتنبعون التتبع حتى يضعوا فهرساً كاملاً يشتمل على كل اللغات التي يتكلم بها البشر اليوم في جميع الارض ، ويعنون بتحديد

اصولها وتبيين نموها وايفاح الصيغ التي تعاقبت على الفاظها ومفرداتها وحرفها ونحوها ويجدون على قدر الامكان في ان يكتشفوا من وراء تاريخها تاريخ الحضارات .
لا تزال اللغات تثقل من طور الى طور وتندرج من أفق الى أفق على تعاقب السنين ، واذا استعرضتها في اي عصر من عصورها وجدتتها يتنازعها حزبان من أبنائها : حزب يحاول ابقائها على حالتها ، وحزب يذهب بها مذهباً جديداً .

فالطائفة التي تحرص على ابقاء اللغة في حالة ثابتة لا تغير ولا تتبدل تعجج بحجج شتى ، منها تعلقها بمذاهب حضارتها وحرصها على ثقافتها ، واعتمادها بتلفظ اولادها ورغبتها الغريزية في ان يكون لها لغة مصطفاة ثم اذا نعمت في الاسباب التي من أجلها يحافظ المحافظون على لغتهم وجدت لكتب الدين تأثيراً عظيماً كالشريعة والقرآن ، واذا جاوزت هذا الأفق الى أفق أعلى تجلت لك شدة استمساك المحافظين بلغتهم بسبب الكتب الأدبية التي أولعوا بها لجمالها وحسنها فهذه هي أعظم الاسباب التي تدفع المحافظين الى التمسك بمحافظتهم ، فهم يريدون صفاء اللغة وقد تجمع هذه الاسباب كلمة واحدة وهي « ثقافة الفكر » .

والحزب الآخر اسى الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً فانه يتوسل الى ذلك بثلاث وسائل : اما بقلب اللفظ واما بقلب الصرف والنحو واما بقلب المفردات .
(١) الخروج على وحدة اللغة بطريق التلفظ .

تغير التلفظ منشؤه الطفل ، فالطفل بسبب اعضاءه الصوتية الدقيقة يفسد الكلمات التي لا يسهل عليه لفظها ، وفي الاغلب فان اهله واساتذته يصلحون خلل لفظه وفي بعض الأحيان فهو الذي يتولى اصلاح هذا الخطأ ولكنه في الاكثر اذا كبر هذا الطفل وترعرع فانه يحفظ بما يب اللفظ التي وقع فيها في حادثة سنة فيبلغ سن الرجولية ولفظه مشوه ، فيمتد هذا الفساد من الزد الى الأسرة المعاصرين او القرية او المقاطعة فيتمكن هذا الفساد في اللغة وبعمر امره فيحدث حينئذ حادثان : اما ان يمتد تغير اللفظ الى البيئة التي نشأ فيها فيمتد الى القرية والى جماعة من الناس تربطهم روابط الحياة وفي هذه الحال فان الفساد اللفظي تدرج عليه الجماعة من دون شعور والناس الذين نسوا اللفظ الاول يستعملون اللفظ الثاني المشوه ، واما ان لا يعم امر

التغيير اللفظي الا في قسم من الجماعة و يرفضه القسم الآخر فيحدث حينئذ اختلاف اللهجات وقد حدث هذا الاختلاف في لغات العرب . قال الفراء « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية ، وقرش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبجع الألفاظ ، من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر والكسكة والعننة وهي في كثير من العرب في لغة قبس وتميم ، ومن ذلك التحفجة في لغة هذيل ، والوكم في لغة ربيعة ، والوهم في لغة كلب ، والعجيجة في لغة قضاة ، والاسنطا في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقبس ، والوتم في لغة اليمن ، والشنشنة ايضاً . ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجمبة يريد (الكعبة) ومن ذلك الخزم ، وذكر الثعالبي في فقه اللغة « من ذلك الخلخانية تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان والطمطمانية تعرض في لغة حمير الى غير ذلك من مختلف لغات العرب ولهجاتها ومن أراد الاستيزادة فليرجع الى المزمع .

قلنا ان الخروج على اللغة يكون بالتلفظ ويكون ايضاً بتغيير النحو والصرف وهذا السبب هو أبلغ اثرآ لانه يتناول لب اللغة اي النحو والصرف ، وانك لتشهد في هذا الحادث قوة جديدة بسببولوجية تنازعها قوة أخرى فيسيولوجية اي قوة التشويه الصوتي وهذا التنازع يوضح لك ان في كل لغة خاصيتين طبيعيتين ومعنويتان فان اللغة باعتبارها أصواتاً تتعلق بالعالم الطبيعي ، وباعتبارها الفاظاً مفصحة عن الفكر تتعلق بالعالم المعنوي . انك لتصادف مثلاً في اللغة صيغة من الصيغ النحوية او كلمات أو اخرها متشابهة واحدة فتأتي بالقياس فتطبق هذه الصيغة على سلسلة من الكلمات فتتزع عن هذه صيغها وأواخرها الخاصة وتفرغها كلها في قالب واحد فتحدث صيغة واحدة بدلاً من صيغ مختلفة فمرة يحصر القياس في نمط واحد الصيغ الكثيرة فيوحد بهذا العمل قواعد النحو والصرف فالصيغة النحوية التي تكون لطائفة كبيرة من الكلمات المتشابهة بعم امرها ويطلق سلطانها فتذهب بالشذوذ وتقضي عليها .

ومرة يخلق القياس صيغاً جديدة فتستخدم اللغة القياس لظهار صيغ حديثة فاذا كان مدار الامر على إنشاء صيغة حديثة في النحو والتركيب فان اللغة تسلب كلمة

او كلمات خصائص لا توجد الا في هذه الكلمة او الكلمات وتطبقها على مجموع من الكلمات من طبيعة واحدة وأضف الى هذه العوامل كلها عامل الدخيل . فان الامة تكتسب كل يوم اموراً وأفكاراً حديثةً وانماطاً في الفهم والحس جديدة ، فلا بد من إيجاد اسماء جديدة لمسميات جديدة وهذه الاسماء تؤدي في الأغلب الى انقراض كلمات قديمة لان الافكار الحديثة والألفاظ الدالة عليها تعني على آثار الألفاظ القديمة .

فاذا عمل حزب من الحزبين على حدة وأعرض عن الحزب الآخر فماذا يحدث ؟ اذا انحصرت اللغة في مركز واحد بطلت حركتها وحلكت ولا ريب في ان الشعوب التي ليس لحضارتها تبدل تستطيع ان تحتفظ لغتها على وجه الدهر من دون ان يمس هذه اللغة شيء ؟ فاذا كان الفكر ثابتاً لا يتغير فاللفظ الذي يدل على هذا الفكر يثبت ولا يتغير ، ولكن اذا بلغ الحرص على التقاليد مبلغاً يمنع اللغة عن تتبع مذاهب الافكار والمعاني واستحكم التنافس بين أفكار الامة وبين القوالب التي تفرغ فيها هذه الافكار ، فقدت مادة اللغة فكالت وحلكت واليك مثلاً شهيراً في اللغة اللاتينية المدرسية اي لغة الكتاب الرومانيين والطبقات العالية فان هذه اللغة امتنعت عن تتبع اللغة العامية في نموها وتشدت في المحافظة على أسلوب مقدس وفي آخر الامبراطورية حلكت هذه اللغة وتركت المجال للغة العامية الحية القوية التي انبعثت من آفاقها لغات شتى ولهجات مختلفة مستعدة للاستيلاء على الميراث الذي خلفته اللغة الفصحى .

واذا عمل الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً على حدة دون الاستعانة بمذهب المحافظين فان اللغة تقذف مقاذف مختلفة فتتحول سريعاً فرة لتعاقب عليها عدة بطون فتصل الى حالة مختلفة كثيراً عن الحالة السالفة حتى تكاد تكون لغة جديدة وأحياناً تتشعب الى طائفة من اللغات وهذه اللغات تتشعب ايضاً الى ما لا حدة له ، فقد قيل ان في جملة اللغات المتوحشة بطناً من الناس يشهد انما تولد ثم تموت لتولد على شكل آخر الا ان هذا التغير المستمر قد جاوز الحد حتى أصبح مخالفاً لغرض اللغة وغايتها وأضاع على اللغة قسماً من فائدتها ومنفعتها طالما انك سمعت ان في بعض لغات المتوحشين التي ألفت عليها لا يفهم الشيوخ معاني كلام الأحداث فان في هذا الامر شيئاً غير طبيعي يشبه في علم اللغات عجائب المخلوقات في علم التاريخ الطبيعي . ثم ما هو السبب

الاول في هذا التطور الذي لا نهاية له ان هو الا جهل المتوحشين الذين يتكلمون بهذه اللغات وضعف عقولهم لان اللغة تثايد بالحضارة .

يقولون الآثار الادبية تفسد خصائص اللغات الطبيعية ، ولكنك اذا قبلت هذه الآراء فانك انت تقدم الحضارة التي تنشأ عنها آداب اللغة وأساليلها الفنية انما هو حركة طبيعية لها أسباب مثل أسباب سائر مظاهر أعمال البشر كالفن والدين والاخلاق والمعاهد الاجتماعية والسياسية الخ

يقولون ان العوامل التي تعمل في نمو لغات المتوحشين ولهجاتهم هي أبسط فيسهل تعيينها ، ولكن العوامل التي تعمل العمل نفسه في اللغات الأدبية وان كانت مركبة فانها طبيعية ايضاً ومتى كان تركيب الحوادث علة للحط من العلم الذي ينظر في هذه الحوادث فقد استعمار علماء بعض الشعوب المصرية طائفة من الكلمات اللاتينية واليونانية وأدجوها في اللغة من دون تغيير فوآدوا بذلك في لب مفردات اللغة الطبيعية مفردات حديثة ولكن هذه الاستعارة كانت مطابقة لعلل طبيعية يحددها التاريخ وقد أدى تمازج مفردات العلماء ومفردات العامة الى حوادث جديدة يظهر فيها على وجود مستحدثة نشاط اللغة الذي لا يفتقر فاذا كانت اللغة آلة يستعملها الناس لينفي بعضهم الى بعض بخواجه ولواعجه فكما انبسط أفق الفكر بسبب الحضارة وامتدت أفاؤه استفادت اللغة في التعبير عن المعاني الجديدة وازداد شرفها وعظمتها .

اي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في المحافظة والتجديد ، أفتبالح في المحافظة مبالغة ليس فيها شيء من الروية والحكمة على حين تجدد الحضارة في كل يوم تخرج من أفق ضيق الى أفق أوسع وينبسط العلم انبساطاً يستلزم استحداث مصطلحات لا عهد اللغة بها وابتكار أساليب فنية تستوعب مخترعات الحضارة والعلم ام نسير في التجديد سيراً تصيح فيه اللغة كريمة في مهبط الريح فتستفيض فيها القوضى فلا يعرف لما اصل يرجع اليه ، لا ريب في ان وقوف اللغة عند حد لا يتجاوزها يقضي بها الى انقطاع مادتها ونضوب معينها وان الذهاب بها كل مذهب في التبديل والتغيير يقضي عليها على ان لغة العرب لم تجدد في عصر من عصورها اللهم الا في عصر نقاص فيه ظل العرب عن ديارهم ، فقد كانت اللغة تثقل من حال الى حال ، وتخرج من طور الى طور

في جاهليتها واسلامها وفي أموبيتها وعباسيتها ، فكثير مما نراه قديماً في هذا العصر كان حديثاً في عصره ، وكثير مما نجد حديثاً في هذا الزمن أصبح قديماً في غير زمننا سنة التطور في الخلق ، نظرة في تاريخ أدب العرب تطلعك على شيء من هذا التطور ، أفلم يكن امرؤ القيس مؤسس الاساس في زمنه كانوا يقولون : أسيلة الخد حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون : طوبلة القامة وجيداء ونامة العنق وأشباء هذا حتى قال : بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون في الفرس السابق : يلحق الغزال ويسبق الظلام وأمثال هذا حتى قال بمنجرد قيدالواابد هيكل ومثل هذا له كثير .

أفلم يأت الاسلام بمصطلحات لا عهد للجاهلية بها ، هل كانت في الجاهلية للحج والصلاة والزكاة وأمثال ذلك المعاني التي كانت لها في الاسلام ، أفلم يأخذ كلمات كثيرة عن غير العرب .

أفلم يكن بشار بن برد اول المولدين ، أفلم يكن ابو نواس اول الناس في صرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى وجعل الجدة هنلاً والصعب سهلاً .

نظرة في تاريخ أدب العرب توفقك على مذاهب الألفاظ والمعاني في كل عصر من عصور اللغة فيتحقق عندك ان اللغة لم تقف في يوم من ايامها ، انها سارت في القديم وانها تسير في الحديث سيراً مطابقاً للدلل الطبيعية والاسباب الاجتماعية ، لم تقف اللغة ولا ينبغي لها ان تقف في عصر استنحل فيه العمران وانبسطت مذاهب الحضارة وامتدت أفياء العلم فلا بد من مصطلحات حديثة لمعان حديثة ، فحياة اللغة متوقفة على تتبع روح العصر بقدر ما يكون من التمثل ، على ان يكون للغة صلة متينة بماضيها وما يشتمل عليه هذا الماضي من حضارة وتقاليد وآثار فنية وأدبية : لا غلو في المحافظة ولا غلو في التجديد ، هذه هي حياة اللغة .

قد مضى القول في اصل اللغة ومذهب المحافظين والمجددين وسأنتفرغ في محاضرة ثانية اذا أمكنت منا هنر الفرص للكلام عن حياة الألفاظ فأبين كيف تولد هذه الألفاظ وكيف تنحيا وكيف تموت اه .

ابو حيان التوحيدي

- ٣ -

كتابه ثمرات العلوم

قال ابو حيان في مقدمة هذا الكتاب : « أطل الله بقاءكم وأدام كرامتكم ، وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وفوائده الكريمة ، وجعل حظ الغريب السلامة بينكم ، اذا فائده الغنية منكم . وقد كان يقال من لم يغضب لنفسه ناصراً ، لم يغضب لبني جنسه مناصراً ، ومن لم يخف (اهلها يقف) عند العظيمة منصفاً ، لم يرج عند الذوايب مسعفاً ، ومن لم يألف من القذع في عرضه آيهاً ، لم يبت على الخسف الا راضياً ، والغضب وان كان مذموماً عند بعض الخلال ، فانه محمود في بعض الأحوال ، وكما ان استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك ايضاً الرضا في جميع الامور ، ضرب من ضرور النفاق . ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما انه لا بد من التردد بين الراحة والتعب .

« وقد كنت أحب لصدقي وجليسي ، ومن بأنس بمكاني ، ان لا يجعل اللجاج مطيته ، والمكر طويته ، فان ذلك أحسن له عند الله ، وأزين له عند الناس ، ومن بعد ذلك فاني لم أرد بلادكم من العراق مباحياً لكم ، ولا حضرت مجالسكم طاعناً فيكم ، ولا تأخرت عنكم متطاولاً عليكم ، ولا تثبت مساويكم شامتاً بكم ، بل وردت مستفيداً ومفيداً ، ومباحثاً ومستزيداً ، فما هذا الذي بلغني عن بعضكم على حسن توفري على صغيركم وكبيركم ، اما انه لو أنصف لعلم اني الى تسخيه ، أحوج مني الى تصفحه ، وهو بمجاملته اسعد مني بمجادلته ، وانا لاحسانه اشكر مني لامتناعه ، وهذا باب باطنه ظاهر ، وشاهده حاضر ، وخفيه جلي ، ولكن ما اصنع والشاعر يقول : « انما للعبد مارزقا » .

« ولعمري ما زال الناس يعتادون التقاذف والتقارف ولكن كانوا يروون التساعف والتناصف ولا يتناسون بينهم التعاون والتوازر والترادف والتناصر

والذي هاجني لهذه الشكوى وأحوجني الى هذه العدوى قول قائل منكم : ليس للمنطق مدخل في الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير في الأحكام وهذا كلام من لو اتم النظر واستقصى الحال لوقف على ما عليه فيه وعرف ماله منه . فكان يستبدل بالخلاف وفاقا وبالمنازعة سخلا تا عاب هذا الرجل المنطق وهجر طريقة الأوائل وزرى على الحكمة وفيل رأي الناظر فيها وقبح اختيار الباحث عنها وهذا كله ان لم يكن قلبه سوء تحصيل فانه يوشك ان يكون ضيق عطن وخرج صدر ومجازفة في القول وانحرافاً عن الصواب وامناً من الاعتقابات الخ . وربما نيل من عرض صاحبها وأنهى باللائمة عليه من اجلها وهو فام لا يقصد الا الخير ولا اراد الا الرشاد وقد يؤتى الانسان من حيث لا يعلم ويرى من حيث لا يثقي كما يؤتى من حيث لا يحتسب وينجو وقد اثنى ويدرك وقد غلب الناس » .

وعاد في آخر الرسالة وختمها بقوله يعتذر عن طولها : قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة وكان ظني في اولها انها تكون لطيفة خفيفة يسهل انتساخها وقراءتها فهاجت بشجون الحديث وروادف من الطيب والخبيث فاقبل خاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته واعدته ونشرته وطويته على انك لو علمت في اي وقت ارتفعت هذه الرسالة وعلى اي حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها يكثُر في نفسك وما بصغر منها بتقذك بكبر بعقلك اه . . .

وفي الحق ان رسالته في الصداقة والصديق قد حملت من آراء الناس الى عصره كل ما رق وراق من المنظوم والمنثور في موضوعه ولم يقتصر على حكماء الاسلامين بل تعدى الى ايراد افوال فلاسفة يونان . وفي الرسالة من رسائل الكتاب في هذا الباب ما هو مفيد على غاير الاحقاب . وقد ذكر ابا سليمان الماطي وابا سعيد السيرافي غير مرة وروى عنهما ما دل على اعظامه لما شأنه في مقابساته . ولا سرا في ان رسالة الصداقة والصديق مرآة صادقة تمثلت فيها افكار اربعة قرون في هذا النوع الصغير من الأدب . ولغة حوت مثل هذه الافكار وهذه المعاني هي ولا شك أغنى اللغات باديها .

وهذه الرسالة على ما رأيناها كتبها يباعث لقوم لم يفهموا مقصده من العلم وتأولوا

كلامه فنجبههم بما كتب وأجاد . وجميع كتبه على ما ظهر من النظر في المعروف منها .
نمادعا الى وضعه دواع حافزة وامور جاش بها صدره . فهي معمولة بالمناسبات لامتعملة
ولذلك جاءت عليها هذه الطلاوة التي نحسها ونلمسها .

نموذج من كتاب المقابسات

والمجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع

من جملة كتب ابي حيان التي نجت من مخالب العدم وناقلها الناس الى عصرنا
كتاب المقابسات . واسمه صيغة تفاعل من قبسته او اقبسته علماً وخيراً اي ان كلاً
اقبس صاحبه علماً وصاحبه اقبسه من علمه . ذكر فيه ابو حيان واكثره من محفوظه
بعض ما وقع اليه من مفاوضات علماء مشهورين كانوا في بغداد يختلفون الى مجلس
صديقه وأستاذه ابي سليمان المنطقي محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وعنه اكثر
مروياته . فيتذاكرون في موضوعات شتى في الفلسفة او ما وراء الطبيعة والادب
واكثرها على طريقة السؤال والجواب لرجال جمعت بينهم كلمة العلم والحكمة وهذبت
نقوسهم الآداب العالية يتناجون بالافكار الصحيحة والشاذة ولم يفرق بينهم اختلاف
فصلهم ومذاهبهم .

والعلم هو الجامعة الكبرى بين البشر وكانت فيهم المجوسي والصائفي واليعقوبي
والنسطوري والملحد والمعتزلي والشافعي والشيعي أمثال ابي زكريا يحيى بن عدي وابي
الفتح البوشنجاني وابي محمد انقضي المروزي وابي بكر القومسي وعيسى بن ثقيف الرومي
وابن مقداد وابي القاسم الانطاكي وكان يعرف بالهتبي وابي محمد الاندلسي النحوي
وابي اسحق الصائفي والخوارزمي الكاتب ووهب بن يعيش الرقي وابن سوار ومالي المجوسي
وابي الحسن محمد بن يوسف العامري وعبيد الكاتب والبسدي وابي اسحق النصيبي
وابي علي عيسى بن زرعة المنطقي ومظهر الكاتب وابي الخطاب الكاتب وغيرهم « من
كل من هو واحد في شأنه وفرد في صناعته » وكان مذهبهم في الفلسفة على الارجح
مذهب ارسطاطاليس شأن معظم فلاسفة الاسلام أمثال ثابت بن قرة وحنين بن
اسحق ويعقوب بن اسحق واحمد بن سهل البلخي وابن مسكويه والهمي والسرخسي

والنيسابوري . يطلقون في جلساتهم الخاصة عنان أفكارهم ويخرجون عن القيود الكسبية قاصدين الى هدف واحد وهو معرفة حقائق الاشياء مجردة لا تشوبها المؤثرات شأن علماء العصور الاخيرة من اهل الحضارة الحاضرة . واذا احببت تعريف كتاب المقابسات بمصطلح اهل هذا العصر فقل هو محضر جلسات المجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع وكان لا يحضرها الا من يدعى اليها ويوافق من اكثر الوجوه على ما يلقى فيها .

وهذه الجماع مثال ناطق بافصح بيان بان النصرانية لم تكن مضطهدة في العهد العباسي كما زعم بعضهم بل ان الاسلام كان دين الدولة والبلاد لاهلها فكانت بحكم الطبيعة كلمة المسلمين هي العليا وقد ساووا عامة اهل المذاهب بانفسهم الا قليلاً على صيرة لم تصل اليها اكثر دول الحضارة الحديثة اليوم . وعلى ذكر هذه المجالس لا بأس بان نقول ان علماء العرب ما يرحوا منذ العصر المتطاول يتألفون ويتعاضون في أندية لهم خاصة تجتمعهم جامعة الاعمال العقلية فيتقاربون وان اختلفوا في مظاهرهم وقد لا يخليهم الزمن من موسم عليه من بينهم يفتح صدر مجلسه لهم يستطلع ظلع افكارهم ويأنس بهم ويأنسون به ويعطف عليهم ويعطفون عليه . وقد تكون مجالسهم ذات صبغة لها من اهل الدولة من يحميها او تكون للسر واللعب واللهو وتعاطي اللذائذ . ومعظم ما ناهى الينا من اخبارها مفيد جد مفيد .

غلطات الترجمة والفرق بين الشريعة والحكمة وكلام في التصوف

سئل ابوسليمان المنطقي لم لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال : انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة أقوال متقدميهم بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبين منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلاصان الحكمة وفرسان الصناعة . على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية

قد اخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلاقاً لا يخفى على احد . ولو كانت معاني يونان تهجس في انفس العرب مع بيانها الرائع ونصرفها الواسع واقتنائها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل اليها صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك مائضاً نافعاً للقليل وناجحاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهبولى والضعف الثابت في الطبيعة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم .

قال ابو حيان لابي سليمان : ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال : ما هو ظاهر لكل ذي تمهيز وعقل وفهم وطريقتهم موصفة على مكابلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منسوبة اليه والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس او يحكم به العيان او على ما يسبق به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والمادة والمنشأ وسائر الاعراض التي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق وإتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالسلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة نأله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بتحمله والفلسفة ادام الله ترفيقك محدودة بمحدود سنة كلها تدلك على انها بحث عن جميعها في العالم : من ظاهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملة وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف تغفر معه جنابة التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبياناً ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة بطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ انصفاً ما لها من حقايق في شرفها . ثم قال : وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول : اني لأعجب كثيراً من قول اصحابنا

إذا ضمنا وإياهم مجلس فمن المتكلمون ونحن إر باب الكلام والكلام لنا بتا كثر وانتشر
ومح وظهر كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل كلام لعلمهم عند المتكلمين
خرس وسكوت . أما يتكلم يا قوم الفقيه والتعري والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم
والطبيعي والالهي والحديثي والصوفي . قال وكان يلجج بهذا وكان يعلم أن القوم قد
أحدثوا لأنفسهم أصولا وجعلوا ما يدعونه محمولا عليها ومسؤولا عن عرفها وان
كانت المذاهب تجري عليهم ومن جهتهم بقصد صرة وبغير قصد أخرى .

قال أبو حيان رويت لأبي سليمان كلاما لبعض المتصوفة فلم ينكه ولم يهش عنده
ونال : لو قلت أنا في هذه الطريقة شيئا لقلت : الحواس مهالك والاهام مسالك
والعقول محالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن قوي على المسالك
أشرف على المهالك شرفاً يوم له إلى المالك . قال أبو الخطاب الكاتب : أيها الشيخ
هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلوزد ثنائه فقال : الحواس مضلة والاهام مزلة
والعقل مذلة . فمن اهتدى في الأول وثبته في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك
في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الأول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث
فبر من المذبح . واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستمعني قال : هذا حديث قوم
أبعد منا على بعض المشاكسة . . . إلى أن قال : فسبحان من له القدرة وهذه الخليفة
ولم يدر لا سرار في هذه الطريقة اه .

على هذا النحو كانوا يمشون في أحاديثهم فقد صرح أحدهم بما يراه في التصوف
لم يحط منه ولا من المنصرفين إليه وناول آخر المتكلمين شيء غير ما تدليس وتأديب
مهم والمتكلم غير مسلم وعلم الكلام خامس بالإسلام لكن العلم مشاع لأهل كل
مذهب ولم يحمل كلامه على غير محله وقال آخر في الفلسفة وامتنع من معاني
اليونان وقال لو كتبت بالبيان العربي لكأنت غيرها وهذه هي الحرية المطلقة ولولاها
ما عاش علم صالح ولا أبعث عقل راجع ولا كانت حضارة هذه الأمة مما ترتفع به
الرؤوس ويقال فيها على الدهر لا عطر بعد عروس .

كتابته الاشارات الالهية ومخاطبته النفس

قال سيّد مقدّمه هذا الكتاب : اللهم انا تسألُك ما يسأل ، لا عن ثقة بيباض وجوهنا عندك ، وانفالتنا معك ، وسوالف احساننا قبلك ، ولكن عن ثقة بكرمك الفاض ، وطمعنا في رحمتك الواسعة ، نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ، ومعرفة لا يخالطها إنكار ، وان كانت اعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة ، نسألُك ان لا ترد علينا هذه الثقة بك ، فشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة اليك ، يا حافظ الأسرار ، ويا مسبل الأستار ، ويا واهب الأعمار ، ويا منشي الاخبار ، ويا موج الليل في النهار ، ويا مصافي الأختيار ، ويا مداري الأشرار ، ويا منقذ الأبرار من النار والعار ، عذّ علينا بصفحك عن زلاتنا ، وانعشنا عند ثنابع صرعاننا ، وحطه حالنا معك في اختلاف شكراننا ومحمواننا ، وكن لنا وان لم تكن لانفسنا ، لانك اولى بنا ، واذا خفنا منك فابرح خوفنا منك برجائنا فيك ، واذا غلب علينا بأسنا منك فتلقه بالأمل فيك

ومن فصوله فيه : أيها المحاور ، والصديق المجاور ، كيف أنكلم والفؤاد هائم في كل راد ، والمخاطر خال من كل جاد وهاد ، ام كيف اشكو والسر ظاهر باد ، ام باي شيء أنعلل وكل أجدد مردد ومعاد ، ام على من أعتمد ، وكل احد اراد فهو لي ضد ومعاد ، انقامي محترقة بالحسرات ، ودموعي مترققة بين النغاث والزفرات ، وكبدي مشتملة على المناظر والهيئات ، ويقظتي جارية على الرسوم والمعادات ، واحلامي غاربة من كل ما له حاصل وثبات ، وتقسي رهينة بالسيئات ، مفتونة بالحسنات ، بسوانح والخطرات ، مخبونة عن الحسنات والصالحات ، الجهات دوني منسدة ، والوجوه أمامي مسودة ، ان قلت قيل هذا زور وبهتان ، وان أشرت قيل هذا غرور وعدوان ، وان سكت قيل هذا سهو ونسيان ، فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به ، رحمني مما لا غني لي عنه ، او ليت من طردني عن بابي ، اهمني لعتابه ، او ليت من جرت عني سرفاقه ، اخطر على بالي حلاوة لقائه ، او ليت من غمسي في بحر البلوى ، طرحني الى ساحل الهوى ، او ليت من حطني عن درجة المخدمين رقاني الى مقامات الخدم

وقال من رسالة أيضاً : حرام على قلب استنار بنور الله ، ان يفكر في غير عظمة الله ، حرام على لسان تعود ذكر الله ، ان يذكر غير الله ، حرام على نفس طيرت من أدناس الدنيا الله ، ان تدنس بشيء من مخالفة الله ، حرام على عين نظرت الى مملكة الله ، ان تحديق الى غير الله ، حرام على كبد ابتأت بالثقة بالله ، ان تطمئن الى غير الله ، حرام على من لم ير الخير الا من الله ، ان يحدد طمعاً في غير الله ، حرام على من شرف بخدمة الله ان يتضع بخدمة غير الله حرام على من الف فناء الله ان يعرج الى غير الله حرام على من تلذذ بمناجاة الله ان يساجي غير الله حرام على من رتع في فقه الله ان يعبد غير الله . . .

وأعجب من هذا ان يرمى من يقول هذا القول في العزة الالهية بالزندقة ويتهمة بالاروق كأن كل هذا الاحسان لا يكفر سيئة لا انسان وكل هذا التقديس والتوحيد لا ينجي صاحبه من الوعد والوعيد والبشر غريب باطواره في جميع أعصاره . وساق ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة فصولاً من كلام ابي حيان وعن لما يقوله « ومن الدعوات الفصيحة المستحسنة » وهاكم نموذجاً منها وهي برهان آخر على توحيده وان نفسه كادت تنجرد من المادة والكثافة البشرية وتلحق بالملكوت وتنزل منازل الأبرار . وهذا هو وجه الغرابة في حياة التوحيدي جمع كل صفات العلماء ولم يفته شيء من فضائل النفس والدرس . قال : « اللهم اني ابرأ من الثقة الا بك ، ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التفويض الا اليك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ومن الذل الا في طاعتك ومن الصبر الا على بلائك واسألك ان تجعل الإخلاص قرين عقيدتي والشكر على نعمك شعاري وديناري والنظر الى ملكوتك دأبي وديني والاعتقاد لك شأنني وشغلي والخوف منك أمني وإيماني واللياذ بذكرك بهجتي ومسروري اللهم ثاج برك وانصل خيرك وعظم رفدك ونشأ إحسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك وتمت نوافلك ولم تبق حاجة الا وقد قضيتها او تكفأت قضائها فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة انك اهل ذلك والقادر عليه والملي به . ومنها اللهم اني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق وعلاً برئاً من الجهل وعملاً

عرياً من الرياء وقولاً موشحاً بالصواب وحالاً دائرة مع الحق وفطنة عقل مضروبة في سلامة صدر وراحة جسم راجعة الى روح بال وسكون نفس موصولاً بثبات يقين وصحة حجة بعيدة عن مرض شبهة حتى تكون غايتي في هذه الدنيا موصولة بالأمثل فالأمثل وعاقبتني عندك محمودة بالأفضل فالأفضل من عياة طيبة انت الواعد بها ونعيم دائم انت المبلغ اليه اللهم لا تخيب رجاء هو منوط بك ولا تصرف كفاً في ممدودة اليك ولا تعذب عيناً فتحتها بنعمتك ولا تذلل نفساً هي عزيزة بمعرفتك ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك ولا تخرس لساناً عودته الشاء عليك فكما كنت اولاً بالفضل فكُنْ آخراً بالاحسان الناصية بيدك والوجه عان لك والخير متوقع منك والمصير على كل حال اليك ألبسني في هذه الحياة البائدة ثوب العصمة وحلني في تلك الدار الباقية بزيبة الامن واقطع نفسي عن طلب العاجلة الزائلة وأجرني على العادة الفاضلة ولا تجعلني ممن سها عن باطن مالك عليه بظواهر مالك عنده فالتقي من لم تأخذ بيده ولم تؤمنه من غده والسعيد من آوئته الى كنف نعمتك ونقلته حميداً الى منازل رحمتك غير مناقش في الحساب ولا سائق له الى العذاب فانك على ذلك قدير .

مثال من كتاب البصائر

من أهم ما حواه كتاب البصائر مناظرة ابي بكر الصديق مع علي ومبايعته اياه وقد اقتبس العلماء هذه الرسالة ومنهم من غمز التوحيدي واتهمه بانه هو واضعها مثل ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ومنهم من اکتفى بروايتها مثل محيي الدين بن عربي في المسامرات . وبعيد عن العقل عن ان يضع التوحيدي هذه الرسالة وهي بعيدة عن أسلوب كلامه وان أحب ابن ابي الحديد ان يشبهها به . اما التوحيدي فراهنا من رجل معروف كانت يحفظها فقال : سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر المرورودي ببغداد بدار ابي حبشان في شارع المازيان فتصرف الحديث بنا كل متصرف وكان ابو حامد معنا مفتاً مغلطاً مزبلاً^(١) غزير الرواية لطيف الدراية له في كل جو

(١) الممن الذي يتصرف في المعاني والممن الذي يتصرف في كل فن والمزبيل

منفس وفي كل نار مقتبس فخرى حديث السقيفة وشأن الخلافة فركب كل منا مركباً وقال قولاً وعرض بشي^١ ونزع الى فن فقال ابو حامد : هل فيكم من يحفظ رسالة ابي بكر الصديق الى علي وجواب علي له ومبايعته اياه عقيب تلك المناظرة فقالت الجماعة التي بين يديه : لا والله فقال : هي من درر الحقائق^(٢) المصونة ومخبات الصناديق في الخزائن المحوطة ومنذ حفظها مارويتها الا للمهلي ابي محمد في وزارته وكتبها عني في خطوة بيده وقال : لا اعرف على وجه الارض رسالة أعقل منها ولا أبين وانها لتدل على علم وحكم وفصاحة وقناعة ودعاء ودين وبعد غور وشدة غوص . فقال له ابو بكر المباداني : أنها القاضي فلو أتممت المنة علينا بروايتها وسمعتها ورويتها عنك فنحن أوعى لها من المهلي وأوجب ذماماً عليك الخ .

وبعد ان أورد التوحيد هذه الرسالة العجيبة قال : روى لنا هذا كله ابو حامد ثم أخرج لنا أصله فقابلنا به فما كانت غادر منه الا ما لا بال له فاما ما رواه لنا ابو منصور الكاتب فانه خالف في احرف في حواشي الكتاب كل حرف بازاء نظيره الذي هو مبدل منه وقد كان ابو منصور بلغة العرب أبصر وفي غرائبها انقد وانما قدمت رواية ابي حامد لانه بشأن الشريعة اعلم ولا عاجبها أحفظ وفيما أشكل منها أفقه . وبالجملة فالدلائل كلها قائلة بان الرسالة ليست من صنع ابي حيان وانها كانت معروفة قبله واذا ابى بعضهم الا ان يقول انها موضوعة كهماء فيكون ذلك قبل عصر التوحيد بكثير وهي على كل حال لا تخلو من اصل ربما زيد عليه بأبدي من أحبوا ان يقابلوا القوة بمثلاً من اهل السنة وأرادوا نكابة الشيعة في كثير مما صنعوه فزادوا اموراً في هذه الرسالة رقت بين الصحابة او تمثلوا وقوعها والبسوها ثياب العصر الذي نسبوها اليه .

والرسالة من جملة ما يجب على الأديب ان يستظهره ويعيه لانها حوت من أساليب

بكسر الميم الرجل الكبس اللطيف يقال هو مخطط مزبل كما يقال هو رائق فائق والمراد به انه كثير المخالطة للناس والمزايلة لهم . (٢) الحقائق جمع حقة وعاء يجلس فيه الطبيب والجوهر .

البلاغة كل جميل وفيها من الأمثال والحكم وضروب الدماء والخلابة ما يعجب منه ولا يزال عليه مسحة من الحلاوة والطلاوة . مما طال بها العهد . ولولا خشية الاملال لأوردتها برمتها وهي في بضع صفحات عارضتها على الاصول التي ظفرت بها مطبوعة كانت او مخطوطة وعلقت عليها حواشي لغوية لتجلى بها معانيها الدقيقة المعجبة .

وهاك جملة قليلة من الرسالة قال ابوبكر الى ابي عبيدة : امض الى علي واخض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم انه سلاله ابي طالب ، ومكانه بمن فقدنا وبالامس مكانه ، وقل له : البحر مفرقة والبر مفرقة ، والجو أكلف ، والليل أغدق ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متمذر ، والهبوط متمسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل نسوف عصوف ، والعجب مقدحة الشر ، والفتن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقب العداوة ، وهذا الشيطان متكي على شماله ، متجمل بينه ، نالج^(١) حقيقه لاهله ، ينظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الامة بالحناء والعداوة ، عناداً لله ولرسوله ولدينه ، يوسوس بالنجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني اهل الشرور ، ويوحى الى اوليائه زخرف القول بالباطل ، دأباً له منذ كان على عهد ابينا آدم ، وعادة له منذ اهانه الله عز وجل في سالف الدهر . . .

ولقد أرشدك من افاء ضالتك ، وصافاك من احيا مودته بمناياك ، واراد لك الخير من أثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسول لك نفسك ، ويدوي قلبك ، ويلتوي عليه رأبك ، ويتخادص دونه طرفك ، ويستشري به ضغفك ، ويراد منه تهتك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، أعججة بعد إفصاح ، أتليس بعد إفصاح ، أدين غير دين الله ، أخلق غير خلق القرائن ، أهدي غير هدي النبي

(١) الصلعاء لا نبات فيها والجلواء المسحية وأغدق الليل أظلم والأكلف لا غير والمفرقة من الفرق وهو الفزع والمفرقة يفرق فيه وللعصوف الريح الشديدة والتسوف الطويل الشاق الذي ينسف صاحبه ومن الجواز بيني وبينه عقبة نسوف طويلة الشاقة والشجار ككتاب خشبة توضع خلف الباب والضغن العداوة والثقب ما تشعل به النار من دقاق العيدان ونحوها والناج الرافع .

صلى الله عليه وسلم ، أمثلي يمشی له الضراء ويدب له الخمر ، أم مثلك يغص عليه
القضاء ، أو يكسف في عينه القمر ، ما هذه القعقة بالشنان^(١) ، وما هذه الوعوة
باللسان ...

والآن قد بلغ الله بك ، وأرخص الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن
علم أقول ما نسمع ، فارتقب زمالك ، وقلص أردانك ، ودع التجسس والتعسس ، لمن
لا يطلع لك إذا خطى ، ولا يتزحزح عنك إذا عطى ، فالامر غض ، والنفوس فيها
مض ، وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا ، وسيفها المضب فلا تذب اعوجاجا ،
وماؤها العذب فلا تحل أجاجا ، والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذا الامر فقال لي : يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه ويباحش عليه
ولمن يتضائل عنه لا لمن يشخ إليه ولان يقال هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد
شاورني رسول الله (ص) في الصهر فذكر فتياناً من قریش فقلت له اين انت من
علي فقال اني لأكره لفساطمة مبعة شبايه . وحدة منه . فقلت : متى كنته يدك
ورعته عينك حفت بها البركة وأسبغت عليها النعمة مع كلام كثير خاطبته به
رغبة فيك وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وانا
أرى مكان غيرك وأجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لي
ولئن كان عرض بك رسول الله (ص) فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك
فما سكت عن سواك وان يختلج^(٢) في نفسك شيء فإلم فالحكم مرضي والصواب
مسموع والحق مطاع ...

(١) افاء ارجع وتراد مثل تردد والتخاوص غص البصر مع الاحداق كأنه يقوم
سهماً وبدوي به قلبك اي يفسد من داء والصعداء النفس العالي سيف الغضب والهم
والضراء الشجر الملتف سيف الوادي والخمر الشجر الملتف ايضاً يقال للرجل اذا ختل
بصاحبه هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر والقعقة حكاية اصوات السلاح والجلود
البابسة وغيرها والشنان جمع الشن بالكسر وهو الجلد اليابس يحرك للبعير ليفزع وفي
المثل ما بقمع له بالشنان يضرب لمن لا يخدع ولا يروع . (٢) يقال رهصني في الامر

فذاك في حياة التوحيدي

أظننا بلغنا حاجة النفس في نقل صورة التوحيدي نقلاً ان لم يكن طابق الاصل فهو قريب منه بعد اقتباسنا درراً من كتبه ورسائله واستنتجنا منها ما انطوت عليه نفسه من الخواج وقلبه من النزوات وما ثقل فيه من البأساء والضراء وكيف لم نعتد به الهمة عن الاختلاف الى العطاء والاخذ عن العلماء فقتل المجتمع خبرة وعرف مكنونات الصدور . وعساكم بما سمعتم من كلامه قد تمثلت لكم سلامة الفكر والابداع فيه وسلاسة الانشاء وتجويده . أرايتم هذا الابداع الذي يقف عنده العقول حائرة يكتب صاحبه في العلوم المختلفة فلا تجونه لفظة وتتناسق الجمل في تركيبها لتتناسق العقد النفيس ويوائم بين الفاظه ومعانيه اي مؤاممة ويؤثر في قلب السامع فيستميله بما يملسه من مقوله على مسمعه . أرايتم كيف أضت اللغة في يد التوحيدي كالعجين يرسمه الرسم الذي يشاء او كالقرطاس في يد المصور الحاذق وعنده جماع الاصباغ يصوره بما تنهوا اليه نفسه من صور الارض والسماء .

اللغة في نظر التوحيدي واسطة تعبير وتصوير لا أداة لطافة وظرافة كانت على أسلة لسانه وقلمه غزيرة المائبة نضيرة الديباجة وكان بيانه الصافي البراق يسيل مطواعاً لبنانه يتصرف به تصرفاً غريباً . ويصرفه في ضروب الموضوعات العالية .

استعجلني فيه ومن الجواز أرمض الله فلاناً جعله الله معدناً للخير . يقال فلان يعنى الآثار اي يقتنها ويعنى الفجور يتبعه . وفلص اردانك شمر اكمالك . والمض الأثم والغض الجديد وظلع عرج وحليم الاديم والجلد اذا فسد في العمل ووقع فيه دود فتثقب وفي المثل كدابة وقد حليم الاديم بضرب لمن يسعى في اصلاح امر بعد ان اوصله الفساد الى حيث لا يرجي اصلاحه . جاحش حامى ودافع يقال جاحش عن خيط رقبته اي نفسه وهو مثل قال الميداني اصله من الجحش الذي هو سمج الجلد يقال اصابه شيء فجحش وجهه اي قشره فجحش شقه الأيمن . ميمة الشباب اوله . والحوجاء الحاجة ومنه ما كان في نفسه حوجاء ولا لوجاء ولا حويجاء ولا لويجاء اي حاجة . واختلج تلجلج .

وكانت اللغة في عصره أصبحت وقد استقرت علومها لغة حضارة باهرة اخذت الزيادة النافعة من الامم القديمة وزادت عليها تجارب قرنين فمرت الفاظها على التعبير عن كل معنى وصفا وصفها ونسجها فكانت من أجل صيغ الافهام والانسجام ولطفت مادتها فخرج منها الحوشي بقاعدة بقاء الانسب ودرجت بعد ذلك تقية لا شوب فيها ولا تعقيد كأنها خلقت منذ عرفت لغة فلسفة وطبيعة والحيات كما كانت لغة شعر وخطب منذ أقدم عصور الجاهلية .

ذاكر التوحيد في العلوم المختلفة طبقة عالية من أذكاء العلماء وكانوا في العلم جميعاً وفي مذاهم شتى فلم يحمد على نقل كلام اهل فن واحد ولا صحت أذنه عن سماع من خالفوه في معتقده فكان شأنه شأن عالم في عصرنا فتح بحثاً في مجلة وكتاب يؤلفه وانشأ يجمع في كناشيه وجزازاته افكار المتضادين ومراميمهم في العلم والتفكير وهذا كان على حصة موفورة في كتب التوحيد على ما رأينا نلخص لمعاصريه آراء المتقدمين وخلف لمن بعده صورة صحيحة من آراء من عاشرهم وعاصرهم ونقدمهم في الميلاذ فأدر كنا بما اسمعناه حقيقة عصره في أساليب التفكير ومبلغه من الحكمة .

ويحمد قصد التوحيد في نقل كل مجلس على حقيقته وان كان بعضهم لم يرقه التعرض لتدوين ما يخالف معتقدهم اما هو فما كان له ان ينقل كل كلام يرتضيه كل انسان لانه لا يحيط باهواء جميع الناس وتعدد الاهواء كتعدد الأنامي وهو مخالف في طريقته طريقة كثير من المؤلفين فكيف ينطق بلسان من لا يعتقد على صواب فيما يذهب اليه واذا رأى بعض المتخلفين في كلامه بعض العهدة فيجابون واي كلام خلا بما يتعلّق عليه بشيء . ان التوحيد لقي شيوخ العلم والحكمة فحمل عنهم وجود وصفهم واجمل طرازهم وكما نقل شيئاً لا يوافق نخلة ومذهباً قال خصوم فكره انه يصطنع ثقله ويزور على روايته فيزورون له . كان راوية المجالس العالية والرواية كما قيل العلم المستطيل ومخالفوه يسوءهم هذا وينوءهم حتى مرت احكامهم الجائرة عليه الى من عرفوا باعتدالهم من المؤرخين فأقروها وتابعوا على العمياء قائلها .

خالف التوحيد في طريقته العلمية مألوف كثير من العلماء فيمنه وبينهم بعد باعد وليس من الانصاف ان يأخذوا على النابغة خروجه عن مألوفهم .

الحق ابلج لا يُخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الاحلام
لا جرم ان التوحيدي حار في امره مع من وُسِموا بالعلم في عصره وهم محافظون
متشددون في تقاليدهم ومصطلحاتهم لا يبالون ان يرموا كل من ابدع طريقة وكشف
عن حقيقة بالنفسيق والتبديع والتفكير ومن اسهل الاعمال عليهم ان يتقربوا من
ذوي السلطان بضرب عنق من لا بدركون مغازبه ومعانيه بمن بذم واربي عليهم .
وباللبوس عالم لم يتخذ له بدءاً عند صاحب صولة في مثل ذلك المجتمع فان مجرد اتهام
بعض المعتقدين له بالتحلل العقيدة كاف في بتر حبل حياته ولا من يرحمه او يتشفع
به . اراد المؤمن « رضي الله عنه وارضاه » اول المئة الثالثة ان يُخرج الامة من
رقبة التقليد الاعمى الى ساحة العقل السليم فرأى ان يسيطر على الدين واللغة
والآداب والعلوم بتسامح وتعقل ليس بعدهما غاية ولكن معظم ما بناء تهدم بأفول
نجمه وباللاسف فلم ينشأ بعده للامة خليفة في وزنه وعيانه يحمي العقل ودعائه
ويفتح للباحثين مجال النقد والنظر .

ومن اعظم المصائب في تاريخ هذه الامة ان اقدار البلاد معلقة ابدأ على الرأس
الذي يدبر امرها خليفة كان او سلطاناً او اميراً متى زال نزول معه اوضاعه وتراثيمه
وقل ان بني الخلف على اساس السلف او سار المتأخر على قدم المتقدم خصوصاً
في المسائل الذهنية والمطالب الاجتماعية والمدنية ولذلك كانت حضارتنا في كل
عصر وقطر كالارض البقعة نباتها منقطع او كالواحاح المنفرقة في المهمة القفر
يختلف شكلها باختلاف البقعة التي نشأت فيها وتلبس ثوباً فُصل على عقل صاحب
السلطان الاكبر وكثرة بلائه وغنائه . فلما عهد ان سار الابن بسير ابيه وجده الا
على عهد اوائل العباسيين وفي بعض دور الأمويين في الشرق والأمويين في
الاندلس وما عدا ذلك فأفراد من اصحاب السلطان زانوا عصورهم بهمهم فأحالوا
القنار جناتنا وجعلوا من العلم لسلطانهم سلطاناً حتى اذا مضوا لسبيلهم عادت الامة
سيرتها الاولى تثبت ان الأمية اعلق بشغاف قلبها لاسيما واكثر الزعماء يعتقدون
ان الراحة في ترك العقول جامدة خامدة حتى لا يرتفع عقل عن عقل ولا يمتاز
فاضل بموم للفضل .

فالرجل الذي لم يأبه لما اعترضه من العقبات ومنزق حجب الوهم وحكم سلطان العقل واستعرض كالتوحيدي ما جادت به قرائح اعظم الملة في القرون الثلاثة قبله وكتب العلوم الحكيمة بهذا البيان الرائق حتى لا تلح فيه اثر الصنعة ولا بشاعة التكلف وتسيغه وتستطيعه على كدورة سيفه شرعته احياناً — فالرجل الذي كان كذلك حاله يعد النابغة المحمود حقاً وصدقا .

كتب التوحيدي فاكثر من الكتابة وتآليفه جمة كما علمت ومع هذا فانشاؤه طبقة واحدة لم يتمم فبما يكتب ولا عني بالتميق والتجدير والصقل والتطرية . وكان هدفه ابلاغ العقول ما يحول في الخواطر من أقصر الطرق واسهل المسالك تارة ومن اطولها تارة أخرى . اختص بوصف آراء المفكرين والنظار على وجه لم يؤثر عن غيره حاشا الجاحظ واضم هذه الطريقة في ايراد الحقائق وتمثيل طبقات المجتمع ولا سيما اهل الذكر والفكر تمثيلاً يقربه من كل ذهن فكأنه تلقى باليمن ذاك الاسلوب الذي كاد يموت بموت الجاحظ واتمه بما حدث بعد ابي عثمان من فنون القول وضروب المعارف . ولو كانت روح التوحيدي غيره معذبة بالاخفاق والاياملاق كروح الجاحظ الشفافة البراقة وسلم بما يكدر صفوه وصفاءه واطمان بما نطمئن به روح من تمنأ العيش لجاء التوحيدي كالجاحظ حذو القذة بالقذة . بيد ان اضطراب عصره كان منه اضطراب فكره وغفلة المظما عن تعبه وحمايته ادت الى اشتغال قلبه برزقه وجرايته فكأن في ذل الفقر وخوف القهر وقيد الأسر طول العمر . واذا قيل ان الجاحظ كان على دهاء لا ينكر محله فاننى يجرى به لذات حساده ومؤلمات مناظره . وان التوحيدي لم يعرف سياسة العلم ولم يستكمل في حلبة الجهاد العالمي تعاطي الاسباب الى الرزق وإحراز يخلص السبق فلا تأس ان الجاحظ كان الخلفاء يرعونه ويحيونه والوزراء يخادونونه ويخزيونه والناس يعجبون به ويمجدونه . والتوحيدي بضرب في حياته اضطراب الأرشية في الطوي البعيد كلما التفت يمنية جاءت الصدمة يسرة وكما قال يسراً قالت الايام عسراً عاش في شظف من العيش وعجف من المال وكلب من الزمان فكأن الموتور المفلوك الموجه القلب المذهب الفؤاد . وما المرء الا حيث وضعته يثته ومها أوثق من

عقل سليم لا يخرج عن كونه محصول مسكنه وهوائه ومدرسته واساتذته
واقرائه وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه وهو زبدة ما اخذه بالقطرة من
دم ابويه واكتنه من اتصاله باجداد قدماء قد لا يعرف اخبارهم على حين اورثوه
من حيث لا يشعروا اخلاقهم وأطوارهم .
محمد كرد علي

— ❦ —

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ اسعاف النشاشيبي

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

هناك ستة أقسام من الألفاظ :

- (القسم الاول) الألفاظ عرفت أصحاب المصاحم اللغوية فأوردوها معاجمهم .
 - (القسم الثاني) الألفاظ شردت عن أصحاب المصاحم وقد وردت في كلام العرب الموثوق بعربيته .
 - (القسم الثالث) الألفاظ المولدة واللغة لغة والناس ناس .
 - (القسم الرابع) الألفاظ المعربة في الازمنة الكريمة .
 - (القسم الخامس) الألفاظ العلمية في جميع ضروب العلم التي وضعها الاحتياج العلمي .
 - (القسم السادس) الألفاظ وضعها علماء اللغة في هذا الزمن واستجيدت واستعملت .
- كل ذلك يجب ان يودع المعجم العربي ويعد عربياً محضاً فالقسم الثاني اخو الاول من امه وابيه والاقسام الباقية هي نسل القسمين .
- واري ان يشار عند الكلمة في المعجم الى نوعها وان استطيع ان يذكر الاصل القديم لكل كلمة عربية فيقال هذه سنسكريتية وهذه اغريقية وهذه حميرية فهذا والله صنع جيد .

وأما الألفاظ المولدة في العصور السخيفة والألفاظ العامية فنبذها فرض . وفرض
أيضاً اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولا يهتدي إلى المقصود
القارئ ولكل لسان أسلوب والتسامح في هذا الشأن الآن فيه الهلاك ومبتغانا انت
نحيا والتركيب لا يدخل مبعجاً ثم هناك عند العرب وعند سائر الأمم لغتان أو أسلوبان
في الكتابة لغة علم ولغة أدب والاولى ذريعة والثانية عندي غاية ، فإساءة إلى العربية
وإساءة إلى الفن ألا يكون إلا أسلوب واحد والا تعد اللغة إلا ذريعة . وقد بينت
هذا الرأي في مقالتي في ردي على رسول الحربة والفكر في العرب الاستاذ امين
الريحاني وفي خطبتي في العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي . فأعظم بمجم يكون في
هذا الوقت وقد اشتمل على تلك الأقسام الستة وان وجوده اليوم لواجب . وواجب
وجوده قبل المعلة العربية التي بنوي القوم في مصر انشاءها فالمعلة اللغوية قبل المعلة
العلمية والاولى اكبر عدة للثانية .

وقد ذكرت هذا القول في شأن المعلمين لرئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
الشيخ احمد امين استاذ اللغة في الجامعة المصرية ولغيرة من الفضلاء في القاهرة
فما لاقيت الا الموافقة عليه .

عضو المجمع العلمي العربي

اسماء الساسي



الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— أو —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٨ =

اما تسميته إياما بالالعوبة (Comedia) فهو مأخوذ من الاشتقاق الاصلي اللاتيني لهذا اللفظ ومعناه أغنية أو أغان باليونانية ولعلمهم اشتقوا من هذا اللفظ ايضاً لفظ (Comique) مضحك أو مضحكات وهذا مشتق من الاصل اليوناني (Comus) وهو اسم اله الولائم عند اليونان .

ومن هذا الاشتقاق الأصلي يتضح لنا ان غرض دانتي لم يكن نظم العوبة للتنفك او التشخيص بل أغنيات يُغنى بها في البيوت والكنائس ايام الاحاد والاعياد على مثال تغنيهم بزبور داود او نشيد الانشاد وان يجعل اسم ناظمها وبعد في جماعة القديسين لانه عرج قبل موته (في دعواه) على جهنم والمطهر والفردوس وخاطب الله بل حلت فيه روح الله القدوس .

ومن أظهر عيوبها بعدما عن المعقولات اي مخالفتها للنطق ولا يفي ذلك ما قدمناه من ان اعظم اركان الشعر هو الخيال لاننا اذا جردنا الخيال من المعقول لا يبقى ثمت خيال ولا شيء يسمى بشيء مثال ذلك ان يتخيل الشاعر فيقول : ان جسم محبوبته او الحسناء الموصوفة شفافاً تركب من عنصر الهواء وحاز من المحاسن اشكالاً نيجز عن وصفها ألسن الشعراء فهذا التخيل لا يخرج عن المعقول بحملته وان خرج ببعضه اذ اول ما يتبادر الى ذهن السامع من هذا الوصف ان جسم هذه الحسناء بض لطيف ذو بشرة تحاكي الشمع الشفاف او اللؤلؤ المكنون وان اعطافها قد لانت حتى كادت تكون من الأوهام والظنون وان محاسن قسماها بما كان شاهده مرة في بعض الصور او عاين مثله في بعض الدمي من العاج او المرمر وان الناظر الى

جملة محاسنها ينادي حاشا لله ما هذا بشر وينصرف الفكر عن قوله تركب من عنصر الهواء لانت السامع او القاري يستطيع ان ينصور حال سمعه هذا الوصف صورةً وجسمًا وبعكس هذا ما في الالعبوبة فان كل ما فيها من التخييل يفر من المعقول البشري اذ انه اول ما يصور لنا حكايته بصورتها في ظلة مدلهمة ومن اين لنا ان نعين المنظورات في تلك الظلمات بل اني لنا ان نشاهد الموهومات ؟ كقوله بحيرات ذوات ميام نارية او نيران مائية قائمة ثم يصف لنا اناسًا عرفهم وعرفوه وآخرين ممن سمعنا باسمائهم في التواريخ ولكنه عاينهم ارواحًا لا أجسام لهم وذلك كله في تلك الظلمات الخائكات وانت لم تبصر حياتك كلها روحًا بل انت الروح التي يقال لك انها فيك لا تُنظر ولا تكيّف ولا تحدّد ولا تعرف وانما هي لفظ موضوع يردّد ولا يُدرّك ثم انه كان يحول في تلك النيران الجهنمية بلحمه وعظامه وثيابه بل تراه يقف مخاطبًا هذا ومحدثًا ذاك كأنه في رائعة النهار في شارع من شوارع بلدته ولا تطيل بهذا فالالعبوبة كلها على هذا النحو .

واذا نظرنا الى ما بين المعري ودانتي من التساين في التخييل نجد في تخيل المعري شيئًا من شبه الامكان وآخرًا من شبه المعقول واما في تخيل دانتي فاننا لا نستطيع له تصويرًا او تخييلًا مع انه يكتب منظومًا ولكننا نشعر انه يموت اكاذيب يلتقيها وغرائب لتنظمها فريخته ويصورها قلّه ليظهر براعة اختراع الموهومات .

وان قلت ان كليهما يصف اي يلتقي او هامًا وخيالات قلنا من شروط التصنيف ان لا يكون بعيداً عن المعقول كل البعد اي يمنع الادراك كقولنا زيد حد يد البصر شديد العمى او انه كان يذوب جسمه احتراقاً في الماء البارد او انه كان يفر من يردّه في اتون النار وهذا او نحوه عين ما ورد في اكثر الالعبوبة .

نعم قد جاء في كلام ابي العلاء شيء مما يخالف المعقول كقوله نثشق كل -وزة هن اربع جوارير . . . وامثال هذا الا انه في ذكره ذلك يردد ما كان شائعاً بين بعض اهل عصره لا انه يعتقد به وبقدره كقاعدة علمية او مسألة حسابية بل بالعكس من ذلك فان في معاريف كلامه بل في كل صفحة من رسالته ما يشعر

باستبعاده امكان ما يشير اليه من الغرائب بل في كثير من جملة ما لا يترك لدى القاري البصير سبيلاً للريب في منزله هذا ومما رآه .

واين دانتني منه فان اللعنات التي رشت بها خصومه واعداءه حتى بعض الاساقفة والباباوات لم تكن عقيدة من عقائد اهل عصره وان ما عقده في جهنم من الجسور والقناطر وما نطس بذكره من الزوايا والربعات الهندسية بل القصور ذوات الابواب السبعة لم يكن من معتقدات اهل عصره الى كثير جداً من مثله وانه طوف بجهنم ذلك التطواف وعرج على الفردوس ذلك التعرج ورأى ما ذكره وفصله لم يكن الا دعوى منه بل زعمه نروح الله حلت فيه كل ذلك بصفه لنا وصفاً دقيقاً وبذكره لا مكتهم او مستبعد امكان ذلك بل كواصف بروي حقائق لا يخاسرها منزع او شك .

وهب ان بعضها او اكثرها من معتقدات اهل عصره فهو يرويها على غلاتها شيقنا كل اليقين منها ويزيدها من عنده كما تقدم البيان تفاصيل واختراعات . وقد سبق لنا بيان شيء مما ذكرناه هنا للدلالة على مخالفته للخيال الشعري وافضنا هنا في ذكر ما تقدم للبرهان على مخالفته للعقول والمنطق واليك مقابلة تظهر لك البون الشاسع بين لطف تصور الأعمى وذكائه وبعد مداركه وبين خشونة تصور دانتني ونظره المحدود مع مخالفته للمنطق والعقول .

صوّر ابو العلاء جهنم صورة لا تتجاوز معقول القراء فجعل ابن القارح ينظر من على الى أسفل جهنم عند تلاعنه وابليس كما مر بك وقول الزبانية لابليس حينما امرهم يجذب ابن القارح — لا سبيل الى ذلك يا ابا زبنة — اي لا نستطيع الصعود الى مقام ابن القارح فانه المقام الاعلى مقام الصالحين في الفردوس وهو جواب مقبول معقول عند من يتصور ان جهنم هي في وادئ مناه في العمق وان الفردوس فوق ارفع ما تراه الابصار من الأفق وهو تصور الجمهور .

ثم انه لما صوّر لنا ابن القارح يتنادم في الفردوس مع جماعة من الشعراء قال بعد وصفه خمر الجنة وذكره الآنية الذهبية . . . ويمش ثقوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق . . . ثم انه لما ذكر عريضة النابغة والاعشى قال ويثب

نابغة بني جمدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول (الضمير لابن القارح)
أصلح الله به وعلى يديه لا عريضة في الجنات انما يُعرف ذلك في الدار القانية بين
السفلة والعجاج وانك يا ابا ليلى للترتع .

فاذا نظر الناقد البصير في لطف هذا الوصف يراه لا يخرج شيء عن
المشهور والمفهوم عند عامة الخلق فضلاً عن خاصتهم فانه لم يجعل شراب اهل الفردوس
شراباً موهوماً بل خمراً سائلاً ورحيقاً مشموماً وجعله أنهاراً لشغف العرب به
وأجراها في الفردوس أمام المتنادمين وذكر الطاسات والاكواز والاباريق وهي
مألوفة عند العرب ولا سيما عند وصف الشراب وصورها من الذهب وذلك لا يخرج
عن المألوف المعروف عند الامراء والأكابر في الدار العاجلة فلا بدع ان تكون في
الفردوس كذلك او أبهى وأغلى ولما ختم الوصف بعريضة النابغة على الشراب كعادته
المشهورة في حياته قال فضربه بكوز من ذهب . وكل ذلك معقول يشربه الدهن
دون تكلف او اجهاد .

اما داني فانه لما أثار على هذا الوصف وسرق معانيه عمد اول شيء الى التخليط
لاخفاء مواضع المسروق ومنابعه واقصاء نظر الناقد عن مشارعه ومطالعه . فصور
لمبة بين أناس من اهل لومبارديا وتوسكانا على بحيرة نارية وبينهم من يمسك بساعدي
احد الشياطين ليوقفه عن جلد رفيقه ثم يهرب من وجه الأبالسة فيلحقونه ثم يعترضهم
آخر ليحول بينهم وبين رفيقه الهارب الى آخر هذه القصة الغريبة . (الاغنية الثانية
والعشرون) .

أ يكون في جهنم لعب بين المفضوب عليهم والشياطين ؟ وتكون هناك بحيرة نارية
(مظلمة كريهة الرائحة ولا ريب) ويلعب حولها اهل النار او هي تلك الارواح (التي
تُرى ولا تُرى) واين اللعب من أناس يحترقون ويمتدّون على النحر الشنيع الفظيع
الذي يصفه لنا هو نفسه ؟ وكيف يقوى العذاب المحترق الضعيف على قوة الشيطان
الرجيم سلطان الجحيم فيمسك بساعديه ؟ وكيف يهرب من وجهه والى اين ؟ .

ان في الالعبنة كثيراً من امثال هذه الحكاية النافهة مما يخالف المعقول والمفهوم
فان قيل انها وضعت شعراً لانها للخاصة من الناس قلنا كيف تكون للخاصة مما لا يسلك

سيفي عقول صغار الاولاد فضلاً عن مخالفتها للمنطق من جميع وجوهها وان قيل انها للعامّة على ما كان شائعاً بينهم يومئذ قلنا انه لم يشع في عصر من عصور الجهل المظلمة أمثال هذه الخرافات التي أطال وأشبع فيها التفصيل والتدقيق وهي كما علمت من الشعر الذي انخنت لديه رؤس شعراء الامم الفرنجية لما اشتمل عليه من الفصاحة والتمثيق ومثل هذا لا يكون نظمه للعامّة على انه اذا تجرد من الفصاحة الشعرية عندهم وبعبارة اجلى اذا سلنا الى كلام وجدناه غير معقول ولا مفهوم وانما هو خلط موسوس او هذيان محوم .

وان قيل كيف تجتمع البلاغة الشعرية وبراعة الوصف اللتين ملك بهما دانتى ثالث عرش الملوك الشعر عند الامم الافرنجية مع ما اوصفناه هنا من عيوب الالعوبة فنجيب عن ذلك بمثال بل يبرهان يدفع عنا تهمة التمسب لفيلسوفنا العربي بالحط من منزلة دانتى العالية فما علو قدره بمنزل ابا العلماء عن مرتبته السامية عند عارفه ولاشمس المعري كاسفة أنوار دانتى عند أقوامه ومريدبه وماذا لله ان تقف غير موقف الانصاف في الموازنة والنقد او ان تكون خدمتنا غير الحقيقة ورائدنا غير الاخلاص في القصد .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي

فستاكى المحمدي

اعضاء المجمع العلمي

حياتي

ابي مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي وهو كردي ينسب الى امراء السليمانية البابان وهو لاء ينتمون الى خالد بن الوليد وشهرته بالزهاوي هي لان اياه الملا احمد هاجر الى زهاو وسكنها سنين وتزوج بسيدة زهاوية ولدت له ابي فلما رجع الى السليمانية مع فحله ابي اشتهر ابي بالزهاوي .

وامي السيدة فيروزج من أسرة وجيهة كردية . وقد ولدت في بغداد يوم الاربعاء آخر يوم ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ م . وكنت في صباي اسمي المكنون لحر كاتي غير المألوفة وفي شبابي الطائش خلفني واينالي في اللهور وفي كهولتي الجريئة لمقاومتي الاستبداد وفي شيخوختي الزنديق لجاهرتي بأرائي الفلسفية .

تعلمت كثيراً من علوم الاولين والآخرين اما الثانية فولعت بها ونشرت لي المجلات والصحف في مصر وبيروت وبغداد مقالات كثيرة وقصائد وطبعت لي ثلاث كتب اثنان منها فلسفيان والثالث في الرد على الوهابية وسبب تأليني لهذا سياسي . ونشرت لي في المجلات رسائل مختلفة معظمها فلسفي وطبع لي اول ديوان في بيروت باسم (الكلم المنظوم) وهو مغلوط فيه وقد هذبته اخيراً وحذفت منه ما لم أستجده وأدبجت الباقي في ديواني العام وجعلت مجموع ما نظمته اربعة أجزاء اسميت الثلاثة الاولى « ديوان الزهاوي » واسميت الرابع منها « رباعيات الزهاوي » وهو يحتوي على الف ومائتين من الرباعيات ومجموع ابيات دواويني الاربعة هو احد عشر الف بيت . ولي رسائل

(١) وافانا الاستاذ الزهاوي بترجمته هذه تلبية لنداء المجمع الذي طلب من أعضائه تراجهم باقلامهم فنشر بعضها . وها نحن اولاء ننشر الآن ترجمة الاستاذ الموما اليه .

لم تطبع بعد منها رسالتان في النور والبصر ورسالة في لعب الداما أودعتها الفاء وخمسة لعبة - الف منها من مستنطاتي - وسميتها « اشراك الداما » .
وعُينت في شبابي عضواً لمجلس المعارف في بغداد ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً عربياً للزوراء الرسمية ثم عضواً لمحكمة الاستئناف وسافرت في أوائل كهولتي الى الآستانة فأبلغ جلالته السلطان عبد الحميد الثاني ضد حكومته فبث عليّ جوابيسه ثم أرسلني صحيفة البعثة الاصلاحية واعظاً عاماً لبلاد اليمن ثم أرجعت بعد احد عشر شهراً الى الآستانة فأنعم عليّ جلالته برتبة « بلاد الخمس الموصلة » ووسام مجيدي من الدرجة الثالثة .

وانصلت باحرارها فزاد جلالته عدد الجوابيس عليّ ثم سجنحت وسفرت الى بغداد مخفوراً عليّ ان لا أبرحها وعين لي راتب شهري قدره خمس عشر ليرة واكثر الشعر في ديواني « الكلم المنظوم » هو ما نظمته في بغداد ايام انا . أمور بالاقامة فيها .
ولما أعلن الدستور عدت الى الآستانة فعينت بعد وصولي بقليل أستاذاً للفلسفة الاسلامية في الجامعة الملكية وأستاذاً للآداب العربية في دار الفنون وقد نشرت مجموعة دار الفنون درومي التي كنت البقيها في الجامعة الملكية باسم « حكمت اسلاميه . درسلمي » ثم اشتد مرضي الذي كان قد نشب بي أظفاره في شبابي فرجعت الى بغداد معلماً للمجلة في مدرسة الحقوق وأشر لي بعد برهة في المؤيد مقال دافعت فيه عن المرأة فأثار على الشعب بايقار اعدائي وأرادوا اهانتي او هلاكتي ولم أخرج من بيتي اسبوعاً وصعى اخدم الى ناظم باشا وهو يومئذ والي بغداد ليعزاني عن وظيفتي ففعل ودافع عني كبار الكتاب في مصر وسورية وأعادني جمال باشا « والي بغداد بعد ناظم باشا » الى وظيفتي ثم انتخبت نائباً عن المنتقى ثم عن بغداد فذهبت مراراً الى الآستانة وحضرت جلسات البرلمان العثماني وخطبت فيه مرات كثيرة : ولم أبرح يوم سقوطها في الحرب الكبرى وقدم عدو لي تقريراً الى السلطة المحتلة يحسن فيه ابعادي عن بغداد مع عدد من وجوهها ولكنني نجوت ساعة قبضوا عليّ باراءتي ايام بطاقة فيها اني مكاتب للتعليم اما الباقيون فأخذوا أمري الى بلاد الهند القاصية .
وكنت أجاهل الحكومة المحتلة في خطي واذا كرها بوعودها مطالباً باستقلال

البلاد فكانت مجامعتي تغضب الأهلين ومطالبتي ترضيهم . وعُينت في أشهر الاحتلال الأولى عضواً لمجلس المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين العثمانية فعربت سبعة عشر قانوناً بين صغير وكبير .

وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم أشارك فيها لعلّي بوخامة عاقبتها فساء ذلك الأهلين ثم لما استنحل الأمر جمع نخامة الحاكم العام السر ولسن مندوبي الشعب الذين انتخبهم في ثورته وجمع معهم نفراً من وجوه بغداد وكنيت أحدهم وسفي ختام المحاورة قمت وصرحت باشتراكهم مع مندوبي الشعب في طلب الاستقلال التام . ولم تنتج المحاورة وفاقاً . ثم قبض على قسم من المندوبين ونفوا وفر قسم منهم وبقي قسم مطمئناً في بغداد من غير أن تمسهم يد السيطرة وظن البعض نجاة هؤلاء لأن ضلعمهم معها .

وجاء نخامة المندوب السامي السري كوكس فوعد وأوعد وخطبت يوم استقبله فطلبت أن يرأف بالناس وقد أخذ نخامته الثورة بالقوة ووعد الاستقلال . وجمع نخامته النواب السابقين عن العراق مع عدد من وجوه العاصمة والف منهم لجنة لسن نظام انتخاب المؤتمر العراقي وكنيت عضواً فيها وصححت النظام بقلي . ثم الف وزارة برئاسة النقيب وهو الشيخ المحترم يتراوح سنه بين الثمانين والتسعين فما وسعه إلا أن يأتمر بما يشار إليه .

وبعد قدوم جلالة الملك فيصل ببغداد بشهرين ألغيت وظيفتي في العديسة وقطع راتبي وعلمت أن سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي وبقيت بلا راتب بعد أن كنت أنسأ سبع مائة وخمسين ربية في كل شهر . يالها من نكبة على من ليس له مال أو عقار واستدعيت حق التقاعد فطلبت دائرة الرواتب أن أوزر اوراق الرسمية المبينة لوظائفي السابقة فقدمتها وبعد ايام مضى على فحصها أفهمني ان ما استحققه هو مائة وخمسون ربية في الشهر فرفضتها لاني وجدتها دون استحقاقي .

واخذت جريدة العراق تنشر لي كل يوم في صدرها احد الرباعيات وفي كثير منها نقد لما كان يجري يومئذ .

وكنيت قبل قدوم جلالة الملك والقاء وظيفتي قد استدعيت ان يسمح لي بالذهاب الى مصر للتداوي مدة سنة فأقر مجلس الوزراء اعطاء رواتبي تماماً في المدة المذكورة

وصدق نخامة المندوب السامي قراره بعد ان اشار الى اضافة مئة وخمسين ربية في الشهر لمدة السنة في مقابلة مصروف الطريق ذهاباً واياباً فكان ما تعين اعطائي اياه لمدة سنة تسع مئة ربية في الشهر وقد بلغني سكرتير المجلس ذلك شفهاً وهناك كثير من اعضائه . ولكن فرحتي لم تدم فانهم لم يبلغوني شيئاً من ذلك رسمياً ثم جاء الملك والغيت رواتبي كما قدمت . وبعد أشهر من الغاء وظائفني وصلي مغلف من البلاط الملكي يبلغني في داخله رئيس الامناء ان قد صدرت ارادة جلالة الملك بتعييني شاعراً له براتب شهري قدره ستائة ربية أعطاه من صندوقه الخاص فكتبت اليه اني أرفض هذه الوظيفة فلا أريد ان اكون مداحاً تلقاء اجرة أعطاه واني اذا شاهدت ان جلالة يخدم بلادي امدحه على خدماته بدون اجرة وحينئذ يكون الحكائي تأثير اكبر مما اذا مدحته وانا اجبر . وأتذكر اني بعد التصريح بالرفض كتبت اليه مانعه : « ومع ذلك فاني لا ازال ذلك العصفور الذي يغرد بمآثر جلالة إعجاباً بها لا ظمناً بجبات تلقى اليه » .

وقابلني بعد شهر وجيهان من وجوه البلد يقولان اننا مرسلات من البلاط لمفاوضتك فان جلالة الملك يريد اذا وافقت ان يصدر ارادته هذه المرة بتعيينك شاعراً له ومؤرخاً للعراق معاً براتب شهري قدره ثمانمائة ربية على ان تدسّم هذا الراتب من تاريخ التكليف الاول « وكانت قد مضى عليه اكثر من ستة اشهر » فأجبتها اما المؤرخية فأقبلها واما الشاعرية لجلالته فلا . فقالا لا يريد جلالة فصلها واصراً وأوعدني احدهما فلم اخضع .

وصحمت الرحيل الى مصر ونهيات للسفر وعزمت على ان ابيع خربة لي اوارهنها فما تسر لي ذلك وكنت قد اقتصدت قدراً من الدراهم من راتبي لما كنت ذاراتب يكفيني الوصول الى مصر فراجعت دائرة البسابور وحصلت على جواز السفر وصدفته من القنصلية الفرنسية لاني كنت عازماً على الرحيل من طريق سورية أريد قضاء ايام الصيف الحارة في لبنان على ان اذهب في الخريف الى مصر التي طالما غنيت باسمها في شعري . غير ان الاضطرابات الاخيرة التي حدثت في سورية (سنة ١٩٢٢) قد صدت الطريق في وجهي فثبطت عزمي وما استطعت مضياً وبقيت الصيف كله في

بغداد مؤملاً أن تزول في الخريف فتنتفح الطرق فلما زالت وانفتح الطريق في الخريف قلت قد حان الوقت وإذا برجلي قد زلت وأنا أتمشي في داري فسقطت على الأجر المرصوف وكُسر عظامان من قدمي اليسرى فلزمت فراشي مدة خمسة أشهر لاستطيع الوقوف عليها .

وقد عاذني في مرضي هذا كثير من الأصدقاء والاعداً ، أما الأصدقاء فكانوا متألمين لمرضي يتمنون لي الشفاء العاجل والمشي على الرجل كالاول .

(وقد أحاول أن أسعى فتمنني رجل رمتها بد الأيام بالشلل)
وأما الأعداء فقد كنت أفراً في عيونهم الفرح لما أصابني ولم يكن يحبهم الي إلا ليعلموا درجة الكسر وهل أقوم بعده .

(انت الربيع كثيرة أوراده فاذا انقضى لم يبق من أوراد)
(ان مت تجزن في العراق أحبة حيناً وتفرح في العراق أعادي)

« رباعياتي »

أما رباعياتي التي جعلتها جزءاً رابعاً لديواني العام فعددتها ١٢٠٠ رباعي وقد نظمت أكثر من ألف منها في سنة ١٩٢٢ أيام نكبتني في شيخوختي ، أيام أشكو الحياة والعوز والأوجاع المبرحة ، أيام حرمت من خير بلادي التي خدمتها بصدق أكثر من ثلث عصر في وقت أنا في أشد الحاجة الى ذلك الخير ، أيام خيَّرت بين العوز والعار فرجعت العوز على العار .

(رب مال هو لو شئت اقتناء تحت لمسي)
(إنما تمنني عن نيله عزة نفسي)

(قد أرادوا أن يسيل الـ دمع من عيني فسالا)
(ولقد بنبت في تأريخهم دمعي سؤالا)

زعموا أنهم أن أجاعوني ذلت . ولكنني صبرت على الضيم . وما شكوت الى احد

ما بي . ولما رأوني اني لا أطأ طي رأسي أوعزوا الى بعض الجرائد ان تسبني وتحط من كرامتي .

(انما الشعر سيد ليس يغضي على القذى)
(حبذا ذلك الايبا . من الشعر حبذا)

(انت يا شعر خالد انا يا شعر هالك)
(انت يا شعر كل ما انا في الكون مالك)

(انا للشعر في العرا ق أدب مجدّد)
(انا في جنب دجلة عـديـب يغرد)

وقد كانت ما لحقني من الازى وحرمانى من الوظائف من الدواعي لنظم هذه الرباعيات وانك لتسمع فيها شكاتي صارخة ونقرأ دموعي مكتوبة وتري بؤمي وشقائي متمثلين . وما ليلى التي أغني باسمها في كثير من رباعياتي سوى وطني العزيز الذي احببته فوق كل حب وحاربت من اجله الاستبداد طول تلك السنين .

وقد نظمت كل رباعي مستقلاً بنفسه غير مرتبط بما قبله او ما بعده كما فعل عمر الخيام في رباعياته الفارسية الا بعض القطع تراها في خلالها على وزن واحد وقافية واحدة وهي مع ذلك لم تفقد مزبنة الاستقلال فمذه استخرجتها من دواويني الثلاثة وألحقتها بها . ثم حسنت لي بعض أصحابي ان اجمع الشيء الى ما يناسبه ففعلت في مدة مرضي وقسمتها الى عشرة اقسام الاول « مشاهد الغرام » والثاني « الراح البؤس والشقاء » والثالث « الشعر والشعراء » والرابع « الهز والايفاظ » والخامس « الاخلاق والسجايا » والسادس « السياسة والاجتماع » والسابع « الكون والحياة » والثامن « الوصف والخيال » والتاسع « الشك واليقين » والعاشر « الجد والهزل » .

وقد اخذت طرفاً من الدساتير الاجتماعية لجستاف لبون متصرفاً فيه تصرفاً بقربه من النظم وعدد هذا لا يتجاوز الاربعين رباعياً وهو متفرق في الاقسام .

وكررت بعض المضامين في أكثر من رباعي حرصاً مني عليه وزيادة إبقاء للشعب الذي غنيت له أو رغبة مني في صوغه في قالب أحسن مما صغته قبلاً وهل يضر بالحسناء إذا غيرت آونة بعد أخرى ثيابها للزينة ، أو بالروض إذا أنبت من الزهر قسماً يختلف لونه . ويتشابه عرقه .

وترى في رباعياتي هذه روجي الكثيرة وفلسفي بارزتين فتنهم منها عني ما لا تفهم من التراجم المطولة وعن بلادي ما لا تطالع عليه في تاريخها . ويسرني أني أموت ويموت الذين ضاموني وتبقى هي خالدة على كثر العصور تشهد بما لا قيته من ظلم الظالمين في حياتي . بغداد : جميل صديقي الزهاوي

آراء وافكار

قبعة و CHAPEAU

« ما هي النسبة بينهما »

سألني بعض الفضلاء عن كلمة (قبعة) هل هي عربية وان كلمة (chapeau) الفرنسية اخذت منها . او ان الامر على العكس ؟ وقد أحبت ان أجيب السائل القاضل بما يلي :

القبعة بتشديد الباء فسرهما علماء اللغة العربية بانها خرقة تخاط على شكل القلنسوة الطويلة بلبسها الصبيان . كذا قالوا في تفسيرها ولم يصرحوا بانها أعجمية الاصل . فقل ذلك على عروبتها . ولا سيما ان وزنها على وزن الكلمات العربية كسكرة وقبرة وبما يدل على عروبتها ايضاً مناسبة معناها لمعنى مادة (قبع) التي اشتقت منها : اذ يقال قبع الرجل اذا أدخل رأسه في ثوبه . و (القبيعة) قطعة من قضة يحاط بها مقبض السيف بحيث يدخل رأس المقبض اي طرفه الاعلى في تلك القطعة فهي له كالقبعة التي يدخل فيها رأس لابسها . وفي (التاج) « ان صاحب القبيع هو لقب الشريف عمر بن احمد الامد : لقب به لانه كان يلبس القبيع دائماً على رأسه والقبيع

(مصرفاً) مثل القلنسوة يُتخذ من خوص النخل اه . فلم تبق شبهة في ان مادة (قبع) تلقى جداً مع معنى (القبة) فالقبة إذن عربية لا شائبة للمجعة فيها . ويريد قوم ان يشككوا في كلمة (قبة) ويجعلوها من اصل أعجمي . وأذكر ان من هؤلاء المرحوم صاحب المقتطف فقد رجح انها عربية وانها دخلت الى لغتنا العربية في اثناء الحروب الصليبية . والذي روج هذه الدعوى وجود كلمات في اللغة اللاتينية تشبه بحروفها ومعناها حروف كلمة (قبة) ومعناها ثم قالوا ان كلمة (chapeau) الافرنسية مشتقة من الاصل اللاتيني وان عرب سوريا في العهد الصليبي او عرب اسبانيا في العهد الاندلسي اخذوا كلمة (قبة) منها اي من كلمة (chapcau) الافرنسية بعد ان أفرغوها في قوالب لغتهم .

ولكن (قبة) و (قبيعة) و (قبيع) وجدت في لغتنا قبل المهدين المذكورين بل ما يدرينا ان الصليبيين والاسبانيين هم الذين أخذوا كلهم (chapeau) من كلمة (قبة) العربية في خلال ذينك المهدين . ويؤيد هذا الاحتمال ما قاله لي بعض فضلاء شباننا المتعلمين نقلاً عن بعض الالمان فقد أثبت له هذا الفاضل الالمانى ان كلمة (chapeau) الادريية مضطربة الاصل بمجولة النسب وان المعول عليه اليوم لدى الباحثين الاوربيين انها من اصل عربي وان الافرنج اخذوها من عرب الاندلس من كلمة (قبة) .

ومن راجع (لاروس) وجد شيئاً من هذا الاضطراب والتردد في نسب كلمة (chapeau) فقد قال انها مأخوذة من (chape) و (chape) مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية ثم فسر (لاروس) معنى الكلمة اللاتينية الاصل بانه ضرب من الملابس التي تلبس من فوق الثياب (manteau) وهو لا يلبس الا في الاحتفالات الدينية .

فكيف يصح ان تكون (cappa) اللاتينية التي هي لبوس البدن كله هذا الرأس اصلاً لكلمة (chapeau) التي هي لبوس للرأس وحده عدا البدن ؟ ؟ . والحاصل ان اخذ كلمة (chapeau) من كلمة (قبة) العربية اقرب تعقلاً من ان تكون مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية .

ومن المستبعد جداً ان تكون (قبعة) العربية مأخوذة من الكلمة اللاتينية لما ذكرنا من أصلها في العروبة . نعم انها تشبه في حروفها ومعناها بعض الكلمات اللاتينية لكن هذا من قبيل توارد اللغات وتشابه ألفاظها . وله شواهد كثيرة .

وكان اهل الأماص الشامية والمصرية قديماً يستعملون كلمة (قبع) بضم فسكون ويطلقونها على نوع من لبوس الرأس ربما كان خاصاً بأولاد الامراء والعظماء : فقد ذكر صديقنا احمد تيمور باشا في مقال له نشره في مجلة الزهراء ان (جواداً اللخمي) كان حاذقاً في الخط وصناعة اليد وانه صنع زر قبع لابن الامير تنكز امير دمشق في اوائل القرن الثامن للهجرة . فالقبع هو القبعة التي قام مقامها (الطربوش) وزر القبع هو قطعة زينة توضع في وسطه . والزر هذا هو الذي خلفته الشراية او الطرة . وما زال بعض اهل بلادنا الى اليوم يسميها (زرّاً) فيقولون زر الطربوش كما يقولون شرايته وطرته . وعامة بلادنا اليوم حرفوا كلمة (قبعة) و (قبع) الى (قبوعة) . ومن مستحسن ما قرأته لبعض الكتاب المعاصرين ان (التقبيع) وهي اللفظة العامية التي كان يطلقها اهل بلادنا من عهد قريب على حلت شعر الولد الاقرع ثم معالجته بالدرورات وضروب الأدوية وان تسميتهم لهذه المعالجة والمداواة تقبيعاً — مأخوذ من كلمة (القبوعة) الخاصة التي كانوا يلزمون الأقرع بلبسها وقت ان كان داء القرع منقشاً بكثرة في بلادنا في القرن الماضي . فالتقبيع في اصل معناه إلباس القبوعة ثم توسعوا به فأطلقوه على المعالجة والمداواة التي يلزمها لبس القبوعة عادة . ويقول العامة في بعض البلاد العربية إقبع المسمار من الحائط وإقبع الحشيش من الارض فهل (إقبع) بهذا المعنى محرفة عن فعل (إقلم) ؟ او ان لها علاقة بتقبيع الاقرع من حيث ان شعره كان يُنثف تنثفاً أحياناً كما ينثف ويستخرج المسمار من الحائط والحشيش من الارض ؟ وانما قلنا ان (قبع) المسمار هو من هذا او ذاك لانه لا يوجد في اللغة العربية (قبع) بمعنى قَام الشيء واستخرجه بعنف من محله فقوله (إقبع المسمار) عامية محض .

المعري



اللاتوموبيل أو السيارة ؟

نشر الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في (السياسة الاسبوعية) مقالاً جاء فيه كلمة (اوتوموبيل) فكتب احد طلاب (الجامعة المصرية) اليه سؤالاً بغاتبه فيه على استعمال هذه الكلمة الأعجبية واهمال الكلمة العربية التي تقوم مقامها في استعمال كتاب هذا العصر وهي سيارة . فأجابه الاستاذ هيكل بما يلي نقلاً عن (السياسة الاسبوعية) :

فاما استعمال كلمة (اوتوموبيل) بدل كلمة (سيارة) التي درج العرف في الاعوام الاخيرة على وضعها مقابلاً للكلمة الأجنبية فلم يكن اعتباطاً ولا كان مجرد حرص على اللفظ الغربي . ولئن كنت أعلم ان كلمة سيارة قد سارت في أدبنا حتى استعملها امير الشعراء شوقي بك في بعض قصائده فاني ارى هذا الاستعمال يفسد الكلمة وبقضي على صورة معينة منها ترجع الى الماضي وما تزال لها مظاهرها في عصرنا الحاضر : فقد جاء في سورة يوسف قوله تعالى « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام » والسيارة هنا معناها الركب وهذا المعنى للكلمة ما يزال معروفاً لم ننكره الحياة الحاضرة ولم يندثر بعد . فالذين يعرفون شيئاً عن الحياة الصوفية يعرفون السيارة بمعنى الطائفة تسير وأمامها علمها . فاذا نحن أطلقنا لفظ السيارة على اللاتوموبيل جنينا على هذا المعنى وتخطينا الى معنى لا يؤديه لفظ السيارة العربي أداء صحيحاً . على انا لو استعملنا كلمة السيارة للاتوموبيل وكلمة الدراجة للدسكليت مما درج به التعبير في الأعوام الأخيرة فماذا عسى يكون اللفظ الذي نطلقه على (الموتوسيكل) مثلاً ؟ وهلا ترى يا صديقي الطالب انا اذا جننا الى اخراج الكلمات العربية عن معانيها المعروفة في المنجم الى معانٍ جديدة اضطررنا لاكرامها على ما لا نطبقه طبيعتها اللغوية فأفسدنا اللغة على حين ترى انا نحاول الاصلاح فيها .

ثم ان لي رأياً أريد ابداءه ليكون موضع المناقشة وبخاصة في هذه الفترة التي نتحرك فيها مسألة المنجم اللغوي . وذلك ان نوضع اسماء المكتشفات الغربية في اللغة العربية باسمائها او مع التحوير اللفظي الذي تقتضيه أوزان اللغة . وما أحسبني جئت

في هذا بجديد . وقد اخذ به العرب في لغتهم من قبل . والافرنج يأخذون به اليوم بوجه عام : اذ ترى اللفظ الواحد هو هو في الالمانية والانكليزية والفرنسية والابطالية مع تحويل فيه ليتناسق مع اللغة وانغامها . ويدفعني الى ابداء هذا الرأي سببان فضلاً عن انه الرأي الذي اخذ به العرب في الماضي والذي وجد من الانصار متطرفين ترام بين الذين ترجموا كتب اليونان في عصر المأمون يأخذون الالفاظ اليونانية كما هي من غير تحويل يسبق عليها الطابع العربي :- أشعر انا بان المكتشف او المخترع من الفضل على الانسانية بما يجعل اهل الامم المختلفة مدبنين له بما يقتضيه ان يضعوا الاسم الذي اختاره لاخترائه او اكتشافته - كما أشعر ان للاخذ بهذا الرأي خلا الاعتراف بالجميل لمن يجب الاعتراف بجميله - منزلة التقريب بين وسائل النفاذ الانساني في انحاء العالم كله مما يوجب ازدياد اتصال الامم بعضها ببعض في العصر الحاضر . هذه يا سيدي هي الاعتبارات التي أدت الى استعمال كلمة (الاتوميل) وتفضيلها على لفظ (السيارة) ولست ادعي انها جديدة بانعقاد الاجماع عليها لكنني أحسبها تستحق شيئاً من النظر والاعتبار اه .



نظرة في « الملاحظات اللغوية »

قرأت في الجزء الثاني من المجلد الثامن مقالاً للكاتب الفاضل السيد سالم خليل رزق عنوانه « ملاحظات لغوية » ذكر فيه ألقاظاً قال انها فائتني في المقالة الثالثة من سلسلة مقالاتي التي عنوانها « ألقاظ عربية لمعان زراعية » وقد رأيت من الضروري ان أبين لحضرة الكاتب وجه الفائدة من هذه المقالات بل الغاية من كتابتها . وأظن انني اكشف فيما سأقول عما في ضمير العالم الطيب السيد امين المعلوف لان الكاتب الموما اليه تناولته ايضاً في مقاله .

ليست الغاية مما اكتبه او يكتبه الطيب امين المعلوف سرد ألقاظ مترادفة لمسميات مألوفة او لمعان معجورة . واذا كان يفيد اللغة العربية ان يتاح لها افراد علميون باستخراج هذه المترادفات من كتب اللغة ورسائلها المعروفة فان أعظم ما هي بحاجة اليه

أناس من ابنائها حذقوا العلوم والفنون الحديثة واطلعوا على أسرار لغة العرب ثم واصلوا
 ينتقون أجود الألفاظ العربية للمعاني العلمية او الفنية المذكورة خصوصاً اذا كانت
 المعاجم العربية الأعجمية او الأعجمية العربية خيراً من هذه الألفاظ مع ما يقابلها .
 ورب كلمة واحدة سواء أكانت أصلية او مشتقة او منخوة او معربة اذا أحكم وضعها
 لمسمى حديث علمي او فني تكون اعظم فائدة من بضع صفحات في مترادفات لالتحجي اللغة
 العربية بأحيائها ولا تموت بامانتها . وان من يتخصص بعلم من علوم القرن العشرين
 وبقف على المثبات والالوف من الألفاظ العلمية التي أضافها الاوربيون الى لغاتهم يبي
 لشدة حاجتنا الى امثال هذه الألفاظ بالعربية ويضحك ممن لم يطلعوا على العلوم الحديثة
 بلغات الافرنج ويطنون ان الاقتصار على معرفة كتب اللغة العربية وسرد الألفاظ
 وما يرادفها هو شيء يذكر في سبيل إحياء هذه اللغة . نحن اذا أجلنا اللغويين
 المذكورين فلكونهم حفظة ثروتنا القديمة — وهم لهذا جديرون بالاحترام والجلال — اما الذين
 يمكنهم ان يحيوا هذه اللغة ويقربوها من مصاف اللغات الاوربية الحية فلا بد لكل
 منهم ان يجمع بين امور ثلاثة وهي الاختصاص بعلم او فن والتغلغل بسرار اللغة
 العربية وإتقان لغة واحدة على الأقل من لغات اوربا الفنية بالعلوم والفنون . واذا
 فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت معه معظم الفوائد التي ترجى ممن يود
 إصلاح لغة الضاد والعمل في إحيائها باضافة الألفاظ اللازمة للعلوم والفنون
 والمخترعات الحديثة .

أعود بعد هذه المقدمة الى ما ذكره الكاتب الفاضل خليل رزق في مقاله فأقول
 انني (مع الطيب معلوف) وضعنا كلمات عربية لمعان زراعية او نباتية وانتقينا لكل
 معنى أصح لفظة عربية في رأينا . وكثير مما وضعناه لا يوجد في المعاجم الأعجمية
 العربية المعروفة . فاذا كان السيد خليل رزق يريد ان يكون انتقاده مفيداً فعليه
 اولاً بان يتعلم التعريف العلمي المضبوط لكل معنى من المعاني المذكورة ثانياً ان يذكر
 ان اللفظة الفلانية هي أصح من التي وضعناها للمعنى الفلاني . مثاله انني استعملت لفظة
 المَطَط والسلاجم للدراجن (ومنها الخيل) التي سماها الفرنسيون (Longilignes)
 فمعنى ذلك ان هاتين اللفظتين هما أصح من غيرهما للدلالة على هذا المعنى وليس معناه

انه فائني وجود الفاظ أخرى عربية للغيل الطوال . ولو كان الكاتب يعرف تعريف اللفظة الفرنسية المذكورة علياً لرأى ان لفظي المطط والسلاجم ترجعان من كل وجه على الألفاظ التي ذكرها كالقوق والمنشدب والشفاصبة والمزلول والأشق والأشقي لأسباب بطول شرحها . وقد أصاب في لفظة واحدة وهي السلاهب لكونها مألوفة . ثم لو كانت الغاية مما أكتب ذكر مترادفات لا طائل تحتها لذكرت بضع لفظات نفيد الطول في الخيل مما يراه الانسان في كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة ولقلت ان لفظة العموش (عرموش) يرادفها الثفروق ايضاً مما فات حضرة المنتقد ، لكن الوقت أثمن من ان يضيع في أبحاث كهذه .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشربلجي



مختارات ابن الشجري

قرأت ما كتبتموه عن كتابي « مختارات ابن الشجري » في مجلة المجمع العلمي . غير اني ألاحظ بعض ملاحظات بسيطة على ما كتبتموه : ذلك هي انكم ذكرتم في رأس الكلمة هبة الله الشجري وهو هبة الله بن الشجري . وص ٤٠ وهو ص ١٤٠ باعتبار ان الكتاب ثلاثة اقسام في مجلد واحد كناية عن ١٨ ملزمة . وذكرتم انه طبع عن نسخة مخطوطة في دار الكتب والواقع انها نسخة ابن الشجري نفسه بخطه . ومطبعة الاتحاد وهي مطبعة الاعتماد . القاهرة : محمود حسن الزناتي

مطبوعات حديثة

ادب وتاريخ

« تأليف الامتاز محمد صبري بك أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم »
 « بمصر الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ »
 « ص ٣٤٠ »

اشتهر مؤلف هذا الكتاب بكتابه (تاريخ مصر الحديث) من محمد علي الى اليوم
 وكتاب (القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية وقابوليوت) وكتابه هذا قسمه الى
 قسمين : قسم الادب وهو يبحث في شعر شاعري مصر الكبارين المرحومين محمود سامي
 باشا واسماعيل صبري باشا . وقسم التاريخ تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر . وغير
 ذلك من المقالات . وقد جود في كلامه على الشعر المصري ومارزق الشاعران العظيمان
 من قريحة ونبوغ وتجديد في الشعر . ومقالات المؤلف كلها جيدة فيها روح جديد
 اقتبسه من ادب الافرنج وطبقه على ادب العرب . وعلى الجملة فان الكتاب من اجمل
 الأبحاث الطريفة يستحق ثناء الآداب على ابي عذره . م . ك

الجل

« للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ صححه وشرح أيبانه الامتاز الشيخ محمد بن »
 « ابي شنب وطبعته كلية الادب في الجزائر سنة ١٩٢٧ بمطبعة جول »
 « كربول ص ٤٠٢ »

يظهر الحين بعد الآخر اثر جديد او قديم للعلامة ابن ابي شنب عضو مجمعنا العلمي
 وأستاذ الآداب في جامعة الجزائر ولا يفتأ يكتب ويؤلف وينشر باللغتين العربية
 والفرنسية على أرقى أسلوب عرف للغرب في عهدنا . وهذا الكتاب آخر ما عني بنشره
 من آثار السلف وهو كتاب في النحو والتصريف والاملاء ، كعظم ما كتبه أئمة هذا
 الشأن من المتقدمين فيه السلامة والوضوح وجمال البيان ، بحيث يفهمه المبتدي إذا

قرأه . وحبذا لو وقع الاعتماد على مثل هذه المصنفات للأقدمين في تدريس قواعد لغتنا ، فانها لا تزعم ذهن الطالب وتقتصر له المسافات . وأحسن الطابع بطبعه في قطع صغير يحمل في الجيب ، وأجاد الناشر بتعليقاته اللغوية والتاريخية وفهارسه الجميلة .

م . ك



حوليات مصر السياسية

« تأليف الاستاذ احمد شفيق باشا ، الجزء الاول ص ٨٧٢ محلى برصوم »
« ومصورات طبع بمطبعة شفيق باشا بمصر سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٦ »

مؤلف هذا الكتاب من الذين استعدوا للعلوم السياسية وعانوها زمنا طويلا بالعلم والعمل وقد كتب مذكراته وهو واقف كل الوقوف على حالة السياسة والقائمين بها في مصر فجاءت كتاباته في هذه المفكرات مما يصح الاعتماد عليه وقد جرى في تدوينها على اصول غربي يدون فيه الحوادث الجديدة التي لا نعتي بها غير الجرائد لتكوين للتورخ مرجعا ، وقد افتتح كتابه بنبذة تاريخية في امتيلاء محمد علي الكبير على مصر وما تعاقب على القطر من الحوادث في ايام أخلافه الى يومنا هذا وأهم ما عني فيه حوادث سنة ١٩٢٤ وهو عهد انعقاد مجلس النواب المصري الاول ولا شك ان حوليات الامتاز المؤلف ستكون مرجعا لمن يكتب تاريخ مصر الحديث فانه كله مادة لا يكاد يفتقر عليها الا في متفرق الصحف ناهيك برأي المؤلف الذي يركن اليه متى ان نتم له أميته وأمنية التاريخ من إصدار مجلد في كل سنة على هذا الطراز بديع الذي سيخلد اسمه بحق في صفحات العاملين على نشر الحقائق التاريخية في هذا العصر .

م . ك

اصول الفلسفة

« تأليف الاستاذ امين بك واصف الطبعة الاولى وما بعدها بمطبعة »

« المعارف بمصر الجزء الاول والثاني والثالث والرابع »

هذا موجز في علوم الفلسفة الخمسة نشر منها المؤلف علم النفس وعلم الجمال وعلم المنطق وعلم الأدب وبقي عليه علم ما وراء الطبيعة . وقد كتب المؤلف كتابه بسلامة وحسن تنسيق دلا على علو كعبه في الفلسفة وجمعه بين القديم والحديث فان كانت أكثر مصادره عصرية فما غفل ايضاً عن الرجوع الى ممارضة أبحاثه بما قاله القدماء . وقد شفع المؤلف الجزء الرابع وهو في الأخلاق بمجمع في مصطلحات علوم الفلسفة التي وردت في كتابه . حوى مصطلحات الافرنج بالفرنسية او بالانكليزية او بكتيبهما مع وضع الاصطلاح العربي لكل لفظة ، وشرحه شرحاً خفيفاً بين المقصود منه فجاء هذا المجمع الصغير في ٤٦ صفحة وشهادة ناطقة بعناء المؤلف في نقل مصطلحات علم زهد المتأخرون منا فيه بعد ان كان من أجدادنا أعظم المشتغلين به . وانا نلت نظر قرائنا لاقتناء هذا الكتاب ومدارسته فهو يغنيهم عن المطولات في هذا الفن الجليل .

ويا حبذا لو جرد صديقنا المؤلف وهو من النابهين من رجال العلم والعمل في مصر هذا المجمع الصغير وأضاف اليه كل المصطلحات الفلسفية وطبعه على حدة ليكون متجماً جامعاً للمصطلحات الفلسفية فمثله من يضطلع بهذا الشأن . ونحن هنا لا يسعنا الا ان ندعوه له بدوام التوفيق لاخراج ما ينفع الناس من ثمرات عمله الناضج وبجته المستفيض .

م . ك

تذكرة ابن حمدون

« نشرتها مكتبة الخانجي بمصر طبعة اولى سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٧ »

« في مطبعة النهضة ص ١١٨ »

ابن حمدون بهاء الدين محمد بن ابي سعد البغدادي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ كان أدبياً كاتباً معدوداً في عصره ، كتب تذكرة اشتهرت في عصره وبعده جعلها في

خمسین باباً ، وهذه الرسالة هي الباب الثاني او القسم الثاني من تذكرته فهي اذا نموذج من هذا الكتاب النفيس ، وهذا الجزء في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملوك والرعية قسمها الى ستة اقسام وضمنها حكماً قديمة وحديثة وأشماراً جيدة تناسب المقام فهو كتاب أدب جميل لست تعثر فيه على ما لم يسطر في دواوين الأدب المطبوعة بل هو منسقى بمجموع بضعه الى بضعه وحيداً لوعني الأدياء انجال الخانجي طابو هذه الرسائل بالضبط أكثر من عنايتهم هذه . وان يكملوا طبع ما تفرق من هذه الرسائل مما هو محفوظ في دار الكتب المصرية وخزانة الفاضل نور الدين بك مصطفى ولو كان فيه نقص .

م . ك

ابو العلاء وما اليه

« تأليف الامتاز السيد عبد الميز الميمني الراجكوتي الاثري أستاذ »
 « جامعة علي كره في الهند وطبع على نفقة دار المصنفين في اعظم كره ، »
 « واشرف على طبعة الامتاز السيد محب الدين الخطيب وطبع في المطبعة »
 « السلفية ص ٣١٩ وألحق به رسالة الملائكة للمعري في ٣٠ ص ونبذة »
 « في فائت شعر المعري في ١٥ ص . القاهرة سنة ١٣٤٤ »

هذا كتاب ممتع حافل بكل ماله ضلة بتاريخ ابي العلاء الماري وحياته وكتبه ونثره ونظمه وعظمته جمع فيه الملامة مؤلفه أسلوب الرواية والدراسة على ارقى الاصول الغربية الحديثة . وحقق مسائل فانت غيره او كان فيها على رأي آخر ممن كتب على ابي العلاء مثل الاستاذين مرجليوث والدكتور طه حسين وقد صور ابا العلاء فأحسن صورته ، وجمع من المواد لهذه الصورة ما جاء تلمأ في الجملة الآن ودل في ذلك على براعة فائقة في معرفة اللغة العربية . وليس في كتابه البديع ما يلاحظ عليه غير ما لاحظته الامتاز الشيخ عبد الوهاب النجار وهو قوله في تقريب الكتاب : اما لغة الكتاب فنتية محكمة ولا آخذ عليه فيها الا انه يساوي ابا العلاء في أسلوبه ومنجمه . وفيه مجمع ابي العلاء بعض الصنعة والتعمل ولو ان المؤلف أطلق قلمه من ذلك القيد لكان اجمل

به . من ذلك قوله في صفحة ٦٥ « ولا يفتش من ذلك ولا يخرج وهو ممن على أقران خالويه تخرج » وفي صفحة ٩٩ « وفي من غرر المراثي وحسناتها ، ودرر التآيين لا خرزاتها » وعلى كل فان الاستاذ المؤلف من خير من حقق وابدع في التحقيق ، جمع بين طريقة المحدثين والاقدمين ، وهو من خير من يسكون القلم العربي من الغرباء عن العربية ويجودون كتابتها كابنائها الربيقيين فيها اكثر الله أمثال هذا المؤلف بالعربية من المحققين المبدعين .

م . ك



علم الاخلاق الى نيقوماخوس « تأليف اريسطوطاليس »

ترجمه عن اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتيلير) ونقله الى العربية احمد لطفي السيد جزؤان طبعا بمطبعة دارالكتب المصرية بالقاهرة (١٩٢٤)

مؤلف هذا الكتاب هو الفيلسوف اريسطوطاليس بن نيقوماخوس تلميذا افلاطون ومعلم الاسكندر . وقد نقله من اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتيلير) وترجمه عن الفرنسية (احمد لطفي السيد) بعبارة بليغة مطابقة للاصل ، قل ان يتأتى لغيره الا بيان بمثلها . وقد صدر الكتاب بمقدمة ضمه الى مقدمة المترجم الاول ، فجاء في مجلدين من القطع الكبير . والكتاب حسن الطبع جيد الورق لا يمل القاري من مطالعته . ولم يهمل المترجم نقل تعليقات المترجم الفرنسي فجاءت متممة لمعانيه . فالكتاب يحوي إذن على قسمين : كتاب اريسطو وتعليقات بارتلي سانتيلير عليه هذا فضلا عن المقدمة الطويلة التي صدر بها المترجم الفرنسي كتاب الأخلاق فنقد فيها آراء فيلسوف (اسطاجيرا) بعد ذكر مذهب افلاطون وقابل بينه وبين الرواقيين و (كانت) فضل فلسفة الاكاديميا على فلسفة المشائين .

ليت العرب كان يعرف اليونانية فينقل الينا كتاب الأخلاق عن اللغة التي كتب فيها ، فكان يغنيننا بذلك عن مقدمة (بارتلي سانتيلير) وترجمته للفرنسية ، فان آراء هذا الفيلسوف ليست عمدة في عالم الفلسفة اليوم ، أضف الى ذلك ان في

ترجمته شيئاً من الابهام الذي يشوش الفكر ، فاذا نقل ذلك من لغة الى لغة كانت باعثاً الى الاعتماد عن الأصل . وقد أسف العرب في تصديره لعدم معرفته اللغة اليونانية وبين ان الأخذ عن اليونانية « ادعى الى الضبط في النقل ، وادنى الى الوقوف على مرامي أريسطو » ونحن نكتفي هنا بترديد ذلك معه شاكرين للغة الفرنسية توسطها بيننا وبين اللغة اليونانية .

واللغة العربية اليوم أكثر اللغات حاجة الى الآثار الفلسفية ، فانك لا تجد فيها كتاباً جامعاً للفلسفة الحديثة كلها . ولعل السبب في ذلك عدم اهتمام البلاد العربية بهذه العلوم في المدارس الثانوية . وقد يكون السبب ايضاً حداثة النهضة العلمية في بلادنا ، وهذا ما يجعل للآثار المترجمة في هذا الدور قيمة خاصة .

واذا تذكرنا ان النهضة الاوربية في أواخر القرن الخامس عشر ، وفي القرن السادس عشر عمدت الى درس الفلسفة اليونانية لتقتبس منها حرية التفكير ، علماً قيمة تعريب كتب أريسطو وغيره من اساطين الحكمة . وقد عرف العرب كتب أريسطو في الأخلاق ولكنهم لم يهتموا بها اهتمامهم بكتبه الاخرى . فقد ذكر ابن النديم في جملة كتب أريسطو كتابه في الأخلاق ، نسخ من خط يحيى بن عدي وقسره فرفور يوس . وهو نقل اسحق بن حنين في اثنتي عشرة مقالة . (الفهرست ، المقالة السابعة ، ص ٢٥٢) وقد وضع الكندي ايضاً رسالة في الأخلاق وفسر الفارابي قطعة من كتاب الأخلاق لأريسطو ، على ان هذه الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كانت مبهمة كثيرة التعقيد ، لا يتوصل القاري فيها الى استنباط المعاني المقصودة الا بعد قراءتها مرات عديدة . فقد حكى عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لأريسطو مائتي مرة ، وكذلك ابن سينا فقد قال : « قرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته اربعين مرة ، وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيسر من نفسي ، وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا انا في يوم من الايام ، حضرت وقت العصر في الوراقين ويبد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبغى بثلاثة

دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه . فاشترته فاذا هو كتاب (ابي نصر الفارابي) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة . ورجعت الى بيتي ، وأسعرت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب ، بسبب انه كان لي محفوظاً على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء ، شكراً لله تعالى ^(١) » فاذا صح ما رواه ابن سينا وما نقل عن الفارابي فان السبب في عدم اطلاع فلاسفة العرب على أغراض أرسطو بسهولة ليس غموض مقاصده فقط بل سوء الترجمة ايضاً . انظر مثلاً الى كتاب قاطيغوريوس (Catégories) الذي ترجمه اسحق بن حنين ، تجد في فهم معانيه حاجة الى قراءته مرات عديدة . وقد يكون تعدد قراءة الفارابي لكتاب النفس منبعثاً عن شدة إعجابه به . ومن قابل بين هذه الترجمة الحديثة التي أتحفنا بها الاستاذ احمد لطفي السيد وبين لغة المترجمين القدماء شكر للمترجم الحديث اعتناؤه ومثانة أسلوبه .

اما مقدمة المعرب فهي طالحة بالآراء الثابتة والنظريات الصادقة ، فقد ذكر فيها حياة أرسطو وحلاها بنبذة عن تاريخ الفلسفة العربية واسباب انقراضها . وباليتسه بين اثر الغزالي في هذا الانقراض ، لان حجة الاسلام قضى على الفلسفة في الشرق بكتابه تنهايت الفلاسفة ، فانتقلت الى المغرب وانحطت بعد نكبة ابن رشد ، فأصبحت بعد ذلك منسية من العرب انفسهم ، حتى صار الغربيون اليوم يعرفون الفلسفة العربية اكثر مما نعرفه نحن . ولكنهم لا يدرسون هذه الفلسفة ليكتشفوا فيها بعض المبادئ التي يبنون عليها فلسفتهم الحديثة بل يقرأونها كما يقرأ التاريخ القديم منبعثين اليها بحب الاطلاع فقط .

قال المعرب : « اذا شئنا ان نكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنا ، وجب علينا ان نجدد الفلسفة العربية التي فقدت أعيانها ولم تبق الا آثارها ، او بطريقة أقرب ان ندرس فلسفة أرسطو طاليس ، فان الفلسفة العربية في مجموعها هي فلسفة أرسطو طاليس ^(٢) »

(١) نقلاً عن ابن ابي أصيبعة وابن خلكان . (٢) علم الاخلاق الى نيقوماخوس

لا جرم ان البلاد العربية محتاجة الى فلسفة تسير عليها في هذا العصر . ولا خلاف في ان هذه الفلسفة يجب ان تكون مبنية على حاجتنا وميولنا ، لان الحاضر كما قال (لايبنتز) مثل بالماضي وممتلي من المستقبل . على اننا نظن ان المنفعة من تجديد الفلسفة العربية القديمة تاريخية محضة ، وان تأسيس فلسفة عربية حديثة يجب ان لا يكتفى بآثار هذه الفلسفة القديمة ، بل يجب ان يأخذ من أفكار فلاسفة العصر الحاضر كديكارت ولوك ولايبنتز وسبينوزا وهوم وكانت وسبنسر ما يستطيع توفيقه مع شرائط المحيط . ولنا نظن حضرة الناقل مخالفاً لنا في ذلك . ولكننا نظن ان الفلسفة العربية بمجموعها ليست فلسفة أرسطو فقط . فقد بينا في كتابنا في ما وراء الطبيعة عند ابن سينا ما لأفلاطون من الأثر في فلسفة العرب وبين (غونيه) في كتابه على فلسفة ابن رشد ان التوفيق بين مبادئ أرسطو والعقائد الاسلامية كانت هم فلاسفة العرب جميعهم من ابن سينا الى ابن رشد . يظهر ذلك في نظرية العقل الفعال وفي نظرية الفيض التي اخذها العرب عن فلاسفة الاسكندرية ، يظهر ذلك ايضاً في كتاب ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) حيث بين ان الغرض من كتابه هو التخصص « على جهة النظر الشرعي » هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح ، ام محظور ، ام مأمور به . ان فلسفة ابن سينا ممتلئة من التصوف وكتاب حي بن يقظان الذي وضعه ابن طفيل يشهد بذلك . وهناك طائفة من الفلاسفة مثل علماء الكلام ، كانت على ضد رأي أرسطو لانها كانت تقول بنظرية الاجزاء الفردية التي لا تتجزأ ، فاذا أدخلنا هؤلاء في مجموع فلاسفة العرب ، كانت فلسفة العرب أعم من فلسفة أرسطو . وكل ما ينبغي ان يقال في ذلك هو ان فلسفة أرسطو جزء من فلسفة العرب لا غير .

وقد اجنب العرب في ترجمته الاشارة الى اصول الاصطلاحات التي اشتملها ، فلو فعل ذلك لأضاف الى كتاب أرسطوطاليس ميجاً في الاصطلاحات الفلسفية التي نحن في حاجة اليها اليوم .

اما كتاب الأخلاق فهو في عشرة كتب فخص فيها أرسطو نظرية الخير والسعادة ،

ونظرية الفضيلة ، وحال الفضائل المختلفة ، واتى على ذكر نظرية العدل ، ونظرية الفضائل العقلية ، ونظرية عدم الاعتدال واللذة ، ونظرية الصداقة ، وأرسطو في مذهبه الأخلاقي أقرب الى الحقيقة من معلمه ، لانه لا يعتمد عن العالم المحسوس . وقد كان سقراط قبل أفلاطون يقرر ان الفضيلة علم ، وانه لا فرق بين العلم والعمل ، لان العلم بالخير يدعو الى الرغبة فيه ، ولا تستطيع الارادة ان تعاكس العقل فيما يراه نافعاً ، واذا كان الخير هو النافع فغاية علم الأخلاق هي السعادة .

على ان أرسطو لا يخالف سقراط في ان الفضيلة علم ، ولكنه « لا يطلب التحقيق والضبط في كل نوع من الموضوعات الا بمقدار ما تقتضيه نفس طبيعة الشيء الذي يعالج » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٧) . وقد قسم أرسطو العقل الى قسمين : العقل النظري والعقل العملي ، فاذا صح انه يمكن الوصول الى الضبط التام في مواضيع العقل النظري فانه « لا ينبغي ان ينتهم الضبط في كل مؤلفات العقل بقدر سواء » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٤) « وبالنسبة للأشياء غير المعينة يجب ان يبقى القانون مثلها غير معين » (ك ٥ ، ب ١٠ ، ف ٧) . ومن قابل هذا الرأي برأي أوغوست كومت وجد فكرة فيلسوف اسطاجير غير بعيدة عن فكرة الفيلسوف الوضعي في تصانيف العلوم ، فان الشيء الذي يبعد العلوم الاجتماعية عن الضبط التام هو كثرة تعقدها وتركيبها . وفي كلام أوغوست كومت دليل على ما نقوله ، فانه وضع أرسطو في جملة الذين اخذ عنهم فقال في (دروس الفلسفة الوضعية جزؤ ٤ ص ٢٤٠) : « لكن أرى مع ذلك من الواجب علي ان أنوه باديء بدء باسم أرسطو طاليس العظيم ، فان « سياسته » الخالدة هي ، بلا شك احدى النتائج الباهرة للزمن القديم » . وقد اخذ أوغوست كومت عن مونتسكيو وكوندورسه وسن سيمون ، على انه كان شديد الإعجاب « بالتحليل المحكم الذي فند به أرسطو الأحلام التي قامت بأفلاطون ومقلديه فيما يتعلق بشيوعية الأموال » فأرسطو إذن من أقرب فلاسفة العهد القديم الى الوضعية لانه كان ميالاً الى المشاهدة اكثر من معلمه أفلاطون ، فقرر ان الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليعيش مع امثاله (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٢) وقال : « ان المبدأ الحق في كل شيء انما هو الواقع » (ك ١ ، ب ٢ ، ف ٩) . وان علم الأخلاق ينبع علم

السياسة — العلم العملي الأعلى ، الذي يستخدم جميع العلوم الاخرى (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٠ ، ٩) . فالسياسة بالنسبة الى أرسطو تنكلم على الخير الحقيقي الذي هو صيانة المملكة وسعادتها ، ولا غرو فان حياة الدولة اكبر شأنًا من حياة الشخص ، وإسعاد أمة أجمل من إسعاد فرد واحد ، أضف الى ذلك ان موضوع السياسة أسمى وأعلى من موضوع الأخلاق ، لان السياسة علم كلي به تمام فلسفة الاشياء الانسانية ، وقد انتقد المترجم الافرنسي هذا الرأي وقال ان أفلاطون في كتاب الجمهورية هو الذي دعا أرسطو الى هذا الخطأ ، لانه قال ان درس العدل في الممالك أسهل منه في الأفراد ، فانخدع أرسطو بظاهر رأي أستاذه وخفي عليه مقصده . على ان أرسطو لم يجعل حياة الامة اكبر مكانة من حياة الفرد الا لأن شروط الحياة الاجتماعية اليونانية كانت تقضي بذلك . فقد كان الفرد فيها تابعًا للدولة ولم تكن له قيمة شخصية ، فافلاطون بتعزّي بسعادة الدولة عند بؤس الافراد ، وأرسطو يجعل سعادة الامة اعظم من سعادة الشخص . وبديهي ان تقدم علم السياسة على علم الأخلاق ناشئ عن تعلق الحوادث الأخلاقية بالحوادث الاجتماعية ، لان البيئة تكيف الشخص وتؤثر فيه ، بذلك على ذلك اختلاف الحقائق الأخلاقية بحسب الزمان والمكان . وقد بين لنا دور كهيم ولني برول واصحابهما ان لعلم الاجتماع اثرًا في علم الاخلاق لا يقل شأنه عن اثر علم الاخلاق فيه ، لان العلة تؤثر في المعلول ، والمعلول يؤثر في العلة . يقول أرسطو في بداية الكتاب الاول ان جميع افعالنا ومقاصدنا تدل على ان غرضنا الاسمي في الوجود هو شيء من الخير نرغب في بلوغه . والخير في كل فعل هو الغاية التي ينتهيها الفاعل ، والخير الاعلى هو الكامل والتام والنهائي الذي لا يطلب الا لذاته ، وهو اسمي من تلك الخيرات المطلوبة لاجل خير آخر . ثم ان غاية الانسان الأخيرة هي السعادة ، وهي بلا معارض اكبر الخيرات ، الخير الأعلى ، لانها شيء نهائي كامل ، مكتف بنفسه . ولذلك فان السعادة هي « احسن ما يكون ، واجمل ما يكون ، والذّ ما يكون » .

لقد زعم بعض الناس ان اللذة هي الخير (ك ١٠ ، ب ١ ، ف ٢) وقال آخرون ايضا انها الخير الأعلى . ولكن كل ما ثبته أدلتهم هو ان اللذة شيء من الخير . ولقد

أجاد أفلاطون حين قال : « ان عيشة اللذة مرغوب فيها مع الحكمة أكثر منها بدون الحكمة ، ولكن اذا كان هذا المزيج من الحكمة ومن اللذة هو احسن من اللذة ننتج منه ان اللذة وحدها ليست هي الخير الحق » . اللذة ثم الفعل وتنضم اليه « كما ان زهرة الشباب تنضم الى السن السعيدة التي تنعشها » (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٤) والحياة كلها خرب من الفعل ، فاذا كان الانسان يحب الحياة فهو بالنتيجة يحب اللذة غير ان اللذة لا تقوم الفعل بل تنضم اليه .

على ان الخير او الكمال يختلف في كل شيء بالنسبة الى الفضيحة الخاصة به ، ولذلك فان خير الانسان الخاص او سعادته هو في فاعلية النفس المطابقة للفضيلة : « زد على ذلك ان هذه الشروط يجب ان تتحقق طول حياة تامة باسرها ، لان خطافة واحدة لا تدل على الربيع ، لا هي ولا يوم صحو واحد ، فلا يمكن ان يقال : ان يوم سعادة واحد ، بل ولا بعض زمن من السعادة يكفي لجعل الانسان سعيداً محظوظاً » (ك ١ ، ب ٤ ، ف ١٦) .

وقد اعاد أرسطو في الكتاب العاشر ذكر نظرية اللذة والسعادة الحققة ، وبين مكانتهما في الحياة والتربية ، وفند النظريات السابقة على طبيعة اللذة وأضاف الى ذلك قوله ان اللذة في الفعل وان لكل فعل لذة خاصة به . ولكن لما ذا لا تكون اللذة مستمرة ؟ ذلك لان جميع الملكات الانسانية عاجزة عن الفعل بالاستمرار (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٥) . ولو سألت أرسطو لما ذا تنقلب اللذة الى الألم بعد استمرار الفعل لقال لك ان اللذة تتراخي وتنتهي بانتهاء الفعل ، لان الفعل شيء والا فرط في الفعل شيء آخر . فاللذة هي كما قال هاميلتون وغروت وسبنسر في الفعل المعتدل . والانسان وحده بين جميع المخلوقات هو الذي يمكن ان يكون سعيداً ، لانه هو وحده جدير بالفضيلة « فلا نستطيع ان نقول سعيداً على حصان وعلى ثور ولا على حيوان آخر اياً كان ، لانه ولا واحد منها جدير بهذه الفاعلية الشريفة التي تخص بها الانسان » (ك ١ ، ب ٧ ، ف ٩) واذا كانت السعادة هي في الفعل المطابق للفضيلة فانه من الضروري ان تكون في الفعل المطابق للفضيلة العليا اي في فعل الذمير والتأمل . واللذات التي تجلبها الفلسفة عظيمة في طهارتها ، وهذا هو السبب في ان

العلم سعادة أكثر من طلب العلم . والاستقلال الذي تقتضيه السعادة يوجد في الحياة العقلية ، والحكيم هو أكثر الناس استقلالاً واشدهم اكتفاءً بنفسه . والنفكر والتأمل خاص بالإنسان والنطق هو الفصل الذي نتقوم به ذاته . وكذلك فإن حياة النعم هي ، كما يقول أرسطو « أسعد حياة يمكن المرء ان يجيها » (ك ١٠ ، ب ٧ ، ف ٩) ومع ذلك فإن المثل الأعلى والخير والغاية والفضيلة هي أشياء متقاربة متائلة ، والسعادة هي مبدأ الفعل وغايته لأنها تولد من اكمال وتتحقق مع الفضيلة . ولكن هل يستطيع الإنسان الفاضل ان يكون سعيداً اذا كان فاقداً للخيرات الخارجية ؟ ان السعيد هو ذلك الذي « يتمتع او سيتمتع » بجميع الخيرات التي نلها . فالحكمة لا تغني عن لذة الصداقة ومحبة العائلة والقوة والثروة ، لان هذه الامور زينة الحياة الدنيا وهي متممة للفضيلة في تحقيق السعادة .

ان نظرية الفضيلة تشغل في الأخلاق الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي النظرية التي تبنى عليها السعادة . وقد قسم أرسطو الفضائل في الكتاب الثاني الى فضائل عقلية وفضائل أخلاقية ، وبين ان الفضائل الأخلاقية لا تحصل فينا بالطبع وان الحال فيها كالحال في الفنون الأخرى اذ لا نصبح فضلاء الا بالاكتساب والعادة . والفضيلة أكثر استقلالاً من السعادة ، لان السعادة لا تستطيع ان تستغني عن الخيرات الخارجية (ك ١ ، ب ٦ ، ف ١٤) مع ان الفضيلة هي عادة مبدؤها الارادة وهي واسطة للوصول الى السعادة . ان الفضائل ليست بمعنى الكلمة انفعالات ولا خواص بل هي عادات وملكات . وقد عرفت في أرسطو بقوله انها نوع وسط بين الإفراط والتفريط ، والحال فيها كالحال بالنسبة الى صحة البدن ، فان الإفراط والتفريط في التمرينات البدنية كلاهما يودي بالقوة . وكذلك فان العفة والشجاعة اعدمان على السواء اما بالإفراط واما بالتفريط ولا تبقيان الا بالتوسط (ك ٢ ، ب ٢ ، ف ٧) . ومن هذه الجهة يكون الشر لانهائياً كما قال الفيشاغوريون ، وتكون الفضيلة منحصرة في هذا الحد الوسط . وعلى ذلك لا يمكن حسن السلوك الا بطريقة واحدة . فالشر سهل والخير صعب « لانه في الواقع من السهل ان تخطي الغرض ، ومن الصعب ان تصيبه » (ك ٣ ، ب ٦ ، ف ١٤) . ينتج من ذلك ان الفضائل بالنسبة الى أرسطو

خاضعة للظروف الخارجية ، لان الرجل لا يكون متخيلاً وجواريّاً الا اذا كان عنده من المال ما يستطيع انفاقه ، ولا يكون عادلاً الا اذا قابل الخير بالخير . على ان هذا النوع الوسط ليس واحداً بالنسبة الى جميع الناس فسته أرحطال من الغذاء قليلة جداً بالنسبة الى (ميلون) وكثيرة بالنسبة الى رجل مبتدئ في لعب الجباز . ولذلك فان اعتدال المرأة غير اعتدال الرجل والواجبات تختلف بالنسبة الى الجميع (السياسة : ١ ، ٥) . فمن الأفعال والأفعالات ما هو رذيلة بالذات ، لا ميل فيه الى حسن الفعل ، وليس يوجد فيه وسط ولا إفراط ولا تفريط ، والانسان دائماً مجرم بارتكابها .

ولسنا نستطيع في هذا المقام ان نذكر جميع الفضائل التي يعددها أرسطو ولكن نقول بالنسبة الى القسادة السابقة ان الشجاعة وسط بين الثور واللين ، والاعتدال وسط بين الفجور والحمود ، والسخاء وسط بين الإسراف والبخل ، والأريحية وسط بين الوقاحة والضعف ، والبشاشة وسط بين السخرية والمظاهرة .

وبدعي ان الفضائل لا تنمو الا في وسط اجتماعي — لان الانسان اجتماعي بالذات ، فلا يمكن تحقيق الفضائل العالية والتامة الا بالاضافة الى الغير . ولقد أجاد أرسطو في وصف العدل اذ قال : « فما شروق الشمس ولا غروبها احق منه بالاعجاب » (كه ، ب ١ ، ف ٥) . وتمثل بقول الشاعر (نيوغنيس) « ان كل فضيلة توجد في طي العدل » . فالعدل هو خير الأغيار ، والسلطان يحك الانسان . وقد قال ابن سينا في كتاب الشفاء (مقا ١٠ فصل ٥) « ان رؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد » . فالعدل التوزيعي او السيامي يشبه بالمساواة كنقسم الثروة بالاستحقاق بين الأشخاص ، والعدل القانوني والمعوض هو ايضاً نوع من المساواة ، كالحال في الجرائم فان القاضي يعامل الأشخاص كأنهم على أتم ما يكون من المساواة . على ان العدل التوزيعي يمكن تمثيله بنسبة هندسية مع ان العدل القانوني لا يمكن تمثيله الا بنسبة تنديدية .

ومن الفضائل الاجتماعية العالية التي حلها أرسطو في الكتاب الثامن فضيلة

الصداقة ، فإذا كانت العدل هو الذي يربط الممالك فالصداقة هي الباعثة الى وفاق الاهالي . وقد تمتد الصداقة لتشمل كل الناس فتسمى عند ذلك انسانية وتصبح أم من العدل ، لان الناس معاً عدلوا فانهم لا غنى لهم عن الصداقة ، وحتى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد حاجة الى العدل (ك ٨ ، ب ١ ، ف ٤) . وقد وجد أرسطو في هذه النظرية بين السياسة والأخلاق وبين الاجتماع والفضيلة على ان الصداقة تُنحصر في ان الانسان يجب ان يُحِب أكثر من ان يكون محبوباً . وقد تدعو هذه الحال الى الشعور باللذة ، الا ان الصداقة تبنى على الفضيلة لا على اللذة والمنفعة . والصديق المخلص هو الذي يريد باخلاص خير صديقه لاجل هذا الصديق نفسه ، لا يتغنى من وراء ذلك غاية فيذهب فضله . اما الصداقة المبنية على المنفعة فانها سريعة الزوال معرضة في الغالب الى الشكاوي والملازمات . والصداقة ضرورية للانسان في السعادة والشقاء معاً . قال أرسطو : « من السخف جعل الرجل السعيد منفرداً بهزل عن سائر الناس . من ذا الذي يريد ان يملك جميع خيرات الدنيا على شريطة ان لا يستعملها فيها الا لنفسه وحده ؟ الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليبعث مع أمثاله ، وهذا القانون ينطبق ايضاً على الانسان السعيد » (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٢) .

ان موضوع الحياة العملية هو شيء من الخير خاص بالانسان . مع ان الحياة الفكرية هي التي تجلب لنا السعادة وتجردنا من طبائنا الحسية . ولا قيمة للنضائل الاخلاقية الا اذا نسبت الى النضائل العقلية ، لان النفس التي تخضع للعقل دائماً تنصل بالآلهة . والحكيم كما ذكرنا مكثف بنفسه والسعادة العالية هي في تعاطي الحكمة والعلم . قال أرسطو : « لا ينبغي تصديق اولئك الذين ينصحون للانسان ان لا يفكر الا في اشياء انسانية ، وينصحون للكائن الفاني ان لا يفكر الا في اشياء فانية مثله ، والحق عن ذلك بعيد بل يلزم الانسان ان يخلد نفسه بقدر ما يمكن » (ك ١٠ ، ب ٧ ، ف ٨) وكأني به قد تذكر هنا تعاليم أستاذه افلاطون ، فقرر بانه يجب على الانسان ان يحيا بحسب اصله الشريف ولكن خلود النفس الذي ينوء به لا يدل على اعتقاده الصريح ببقاء النفس بعد الجسد ، بل هو يعتقد بان النفس صورة الجسد ، وان الخلود شيء

غير شخصي . والآلهة هي اسعد الكائنات وادفاها حظاً واذا كانت السعادة الكاملة هي في التأمل المحض فان فعل الآلهة هو اذنت فعل تأملي . وبقدر ما يكون التأمل عميقاً تكون السعادة عظيمة .

هذا بعض ما استطعنا تحليله من كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، فتارة تجده أرسطو يقول فيه ان الرجل الفاضل هو مقياس الفضيلة ، وتارة تجده يقول ان الفضيلة في التأمل وفي الاتصال بالارباب . على انه لا يوجد تناقض في هذا الرأي لان للعقل اثراً في جميع الفضائل . ونظرية أرسطو في الأخلاق مرتبطة بما ذكره في كتاب النفس عندما تكلم على العقل الباعل والعقل المنفعل ، وبين كيفية اتحاد الروح بالجسد . نعم انه يوجد في كل انسان اله وحيوان ولكن الحيوان يتبع الاله ويهتدي بنوره . فاللذة بالمحسوسات هي الشعور بالملائم واللذة بالأمعة ولات هي الشعور بالكمال . وعلى ذلك فان أرسطو قد جعل الخير الأعلى في السعادة . وقد اتبعه في ذلك ديكارت ومالبرانش ولايبنتز وسبينوزا الذين قرروا ايضاً ان الخير الأعلى والسعادة شيء واحد .

غير ان خطأ أرسطو في ذلك هو عدم تجرده في كثير من المواضع عن الاعتبار « المتافيزيكية » كالقوة والفعل والمادة والصورة وغير ذلك هذا فضلاً عن ان طريقته في الأخلاق لا تزال غير موضوعية . ومن قرأ هذا الكتاب فانه سيكون شديد الإعجاب بالتحليل المحكم الذي بين فيه أرسطو انواع الفضائل العملية . وسيكون ايضاً شديد الإعجاب بالمعرب . فان الإعجاب بالشيء يكون بقدر المشقة اللازمة لانجازه .

دكتور في الفلسفة والاجتماع من جامعة الضوربون

جميل صليبا

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير السنوي للجمعية التاريخية الاميركية عن سنة ١٩٢٢ الجزء الاول
طبع في واشنطن سنة ١٩٢٦ .

Annual report of the American Historical Association
for the year 1922 Washington

(٢) اخبار مجلس النواب في فرنسا عن سنة ١٩٢٦ ص ١٠٣٩ طبع في مطبعة
الصحف الرسمية بباريز سنة ١٩٢٧ .

Annales de la Chambre des députés 13^{me}
Législature . Session extraordinaire de 1926 . Paris

(٣) رواية احوال الاستبداد تأليف الكونت الكسي نولستوي الروسي وتعريب
الاستاذ خليل يهدس عني بنشرها السيد انطون الياس صاحب المطبعة المصرية بمصر
سنة ١٩٢٧ ص ٤٣١ .

(٤) رواية عشاق فينسيا تأليف الروائي ميشيل زيفاسكو وتعريب الاستاذ
طانيوس عبده عني بنشرها السيد الياس انطون الياس بمصر وتدخل في مجلدين
يقعان في ٥٨٣ صفحة .

(٥) علم الاقتصاد — الجزء الثاني — في الانتاج لجامعة الاستاذ عبد القادر بك
العظم طبع في مطبعة البطريكية الارثوذكسية في دمشق سنة ١٩٢٦ ص ١٦٣ .
(٦) فهرس المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبها السيد محب الدين الخطيب
وعبد الفتاح قنلان بالقاهرة ص ٢٠٨ طبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٦ .

(٧) الأدب الطبي وادب الطبيب وخمسة الدكتور محمد عبد الحميد بك طبع
بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ ص ١٩٦ .

(٨) «ماتراه الميون» للمرحوم محمد بك تيمورالطبعة الثانية نشرها شقيقه الاستاذ
محمود بك تيمور مصدره بحياة المؤلف ص ١٥٥ .

ملحق على العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٨م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٦هـ ومحرم سنة ١٣٤٧هـ

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

جاءني بعد نشر مقالتي الماضية كتاب من الدكتور داود بك الحلبي فيه بعض ما خطر له في شأن الألفاظ التي ذكرتها فرأيت ان انشر شيئاً من كتابه واعدته بما لا يخرج عن بحثنا قال :

« ان الاتيان بكلمة تصلح لان تكون مقابل كلمة انبريون قد شغل فكري كثيراً قبل الآن كما دفعكم في مقالكم الى الكتابة عنه وعن الفيتس مطوراً كثيرة . اما كون مقابل فيتس هو الجنين فما لا يتردد فيه احد واما اطلاق كلمة جنين على الفيتس والانبريون معا فليس مستحسنًا لان علماء الطب لم يفرقوا بينها عيشًا ولان تشكلات مهمة في الاعضاء تفرق بينها فاكتفاء . واني كتاب الطب الشرعي المصري بكلمة جنين لللاثين لا بعد حجة على الاستغناء عن كلمة للانبريون بل هو دليل على العجز عن الاتيان بكلمة صالحة . واري ان جميع الكلمات المقترحة او المستعملة حتى الآن غير صالحة للاسباب الآتية :

« العلقه » نحتاج اليها لاداء معنى الدم الجامد ولا يمكن استعمالها في النبات .
« والمضغة » لا تفيد الا معنى قطعة اللحم ولا يمكن استعمالها لانبريون النبات . « والفوف » هو القليل او القِطْمير وهو غلاف النواة وقد صرحت به جميع كتب اللغة بصورة واضحة ولم يقل انه انبريون النبات سوى الجوهري وحده ولا يمكن تسمية انبريون الحيوان به « والرثم والرثيم » شي آخر « والنورة » جنين الحيوان لا غير .

فهذه الكلمات لا تخلو من تقيصة أو نقائص من كل جهة والمطلوب لفظة تفيد معنى الانبريون في الحيوان والنبات معاً أو يمكن أن تستعمل بهذا المعنى . واظنني عثرت على كلمة صالحة لهذا الغرض وهي الملقوح أو الملقوحة جمعها ملاقيح كما يتضح من مراجعة مادة قمح في التاج ، وإن الانبريون في النبات والحيوان لا يحصل طبعاً إلا باللقاح فكلهما ملقوح . نعم إن الملقوح في كتب اللغة هو الجنين لا أكثر ولا أقل ، ولكن إذا قلنا الملقوح إلا نكون قد أخذنا معنى وقوع اللقاح حديثاً . ولم يمكن لأغويين القدماء أن يفرقوا بين الانبريون والجنين ولو أمكنهم لعبروا عن الأول بالملقوح وتركوا الثاني للفتيس . وما يزيد في استحسان كلمة ملقوح كونها هي والانبريون اليونانية تفيد المعنى عينه لأن الانبريون كما قلتم مشتقة من فعل معناه لَقِحت أو عَلِيت والي لا أرى أحسن من هذه الكلمة ولا أتوقع الاتيان بأحسن منها ونسبي الانبريولوجية إذ ذاك بعلم الملاقيح أو أن شئتم بعلم الملقوحات » .

قلت ولا أصح من الملقوح أو الملقوحة بمعنى الانبريون وعلم الملقوحات لعلم الأجنة وقد كنت أجهل ورود الملقوح بمعنى الجنين فاللفظة مستحسنة جداً لسد هذا النقص وأظن سائر الأطباء يوافقون عليها وبعموم استعملها . أما القوف فقد ذكرها غير الجوهري بهذا المعنى أي معنى ملقوح النبات ووردت بهذا المعنى في القاموس وفي المحكم ولعله نقلاً عن الجوهري .

وقال « إن خضُور ترجع نوعاً ما على خضُوب وخضير وخضير للكلوروفل » قلت قد يكون ذكرها الشيخ إبراهيم والاب انتاس فيما ذكره فإني اعتمدت على ذاكرتي في نقل هذه الالفاظ وقلت اني لا اذكر عددي المشرق والضياء اللذين ورد فيها ذكرها .

وقال كُمة التي ذكرتموها سماها الترك قلنسوة وأرجح كُمة . وقال جُذير ترجح تَشْ فهذه غير مأنوسة والجذير تطابق المعنى الافرنجي تماماً » .

وقال « ساق الشجر اما جذل لذوات الفلقتين او جذع لذوات الفلقة الواحدة » . قلت انه مصيب بعض الاصابة في هذا فالساق عامة لجميع النباتات (Stem . tige) ويطلق على ساق ذوات الفلقة الواحدة وذوات الفلقتين وذوات

الفلقات المتعددة على السواء ما الجندل فهو ما كان خشبياً (Trunk. Tronc)
 سواء كانت لذوات الفلقة الواحدة كالنخل او الفلقتين كالشجش او الفلقات المتعددة
 كالصنوبر . فالصح مثلاً من ذوات الفلقة الواحدة وله ساق ولكننا لا نقدر ان نسميها
 جذعاً بل قصبة او قلماً او يراعة والخس والرجلة مثلاً من ذوات الفلقتين فلا نقدر ان
 نسمي ساقها جذلاً بل نسميها ساقاً فقط . وقد فاني ذكر الجندل وانما ذكرت الجذع
 بهذا المعنى وعلى كل فان علماء النبات لم يفرقوا بين اسماء الساق بالنظر الى عدد الفلقات
 بل فرقوا في اسمائها بالنظر الى بنائها .

وقال لم تذكروا اليقطين وهو كل نبات مفترش على الارض كالقرع والبطيخ
 والخنظل واحسن كلمة هنا هي السطاح ولم تذكروها . قلت لم اذكر اليقطين لانه
 شاع استعماله لنبات خاص هو القرع وقد ذكرت المفترش واخوانها اما السطاح فعدم
 ذكرها سهو مني .

وقال « الرزوم » هو الساق الممتدة تحت الارض في اعلاء غصون واوراق تظهر
 فوق التراب وفي أسفله جذور تغوص في الارض ولا أعلم له اسماً عربياً ولكن يقتضي
 تفرقه عني عن العرق او الجذر فلا يمكن تسميته بالعرق وان خلطه الاقدمون بالعرق
 وقد سمته الترك الساق تحت التراب واني استحسن هذه التسمية .

قلت للافرنج معين لا ينضب وهم يستمدون منه الفاظهم العلمية كما شاؤوا فيستعمرون
 اللفظة من اليونانية او اللاتينية او ينحتون من لفظتين او اكثر كلمة واحدة فالجذر باللاتينية
 هورادكس و باليونانية رزوم فاستعملوا رادكس وما اشتق منها للتعبير عن الجذر وما اشتق
 منه واستعاروا الرزوم للساق التي تكون تحت الارض اما نحن فليس لنا هذا المورد ولكن
 لنا موارد أخرى منها لغات العرب والاشتقاق والاستعارة وربما التحت ايضاً وعندنا
 اللغة السريانية وهي اخت العربية والقبطية وهي على ما اجمع عليه المحققون شبيهة جداً
 بالعربية وعندنا الفارسية وهي جارنا وقد اخذ العرب كثيراً من هذه اللغات فما خرنا
 لو حذونا حذوهم ونحياً رنا من اللغات العربية ولا سيما الغريب والمهجور منها الفاظاً علمية
 تصلح لما زبد التعبير عنه ولذلك اخترت للرزوم العرق والارومة والجندمار والجندمور
 وربما كان الجندمور أصحها . اما العرق فكما يقول الزميل فان القدماء خلطوه بالجذر

وهو فضلاً عن ذلك شائع بيمانٍ أخرى . اما الساق تحت التراب فليست مستحسنة لانها ثلاثة الفاظ وهي غير عربية التركيب واذا عربناها يكون معناها شيئاً آخر غير الذي نريده .

وقال ما قولكم في درن عوضاً عن عسقل التي ذكرتموها وقد كثر استعمالها وان كانت لغة غلطاً . قلت فكرت كثيراً في هذه المسألة ولكنني لا اظن لفظة درن تصلح لهذا المعنى فهي بلغة العامة العقدة الصغيرة وقد استعمالها الاطباء لهذا المرض المعروف وشاعت بهذا المعنى . اما استعمالها للبَطَاطس والقلقاس فلا استحسنة لان البَطَاطس والقلقاس اكبر من الدرن كثيراً ولان الدرن في اللغة هو الوسخ وعند الاطباء هو الداء المعروف فما ضرنا لو استعمرنا لفظة العسقل او العسقول لهذا المعنى كما استعار الافرنج اللفظة اللاتينية التي هي بمعنى عسقل للمعنى عينه ولا سيما لان العسقل لفظة عربية واني اذكر ان اهل زحلة بلبنان يسمون البَطَاطس بالقلقاس لانهم لما رأوا البَطَاطس وكانوا يحملونه استعاروا له لفظة القلقاس وكانوا يعرفونه .

وقال ألا يمكن استعمال بَجْلة عوضاً عن جَنْبة كما فعل الترك واستعمال عشب عوضاً عن بقل وترك كلمة بقل لما يسمى (Légume) او (Herbe potagère) . أقول يمكن استعمال البجلة وانما الجنبه أصلح لانها تؤدي المعنى المطلوب كل التأدية اما البجلة ومثلها الجُدْءُادة فهي الشجرة الصغيرة مثل الشجيرة اي يحتمل ان يكون معناها الصغيرة في السن . اما الجنبه فلا تحتمل الا المعنى الذي يريده النباتيون ثم ان البَجَل او البَجْلة عند البياطرة داء معروف في الخيل وقد ذكره صاحب كامل الصناعتين وهو الحَمَاقى المسمى دورين (Durine) عند الافرنج واستعارها بعض العامة في الشام لمرض في الناس شبيه به . اما العشب فانه يمكن استعماله عوض البقل لكنني فضلت البقل لانه أصلح لهذا المعنى ولان العشب هو الكَلأ او الرَطَب منه كما ان الحشيش هو اليابس منه اما البقل فلا خلاف فيه ولا هو مقيد بالرطوبة او الجفاف وقد أجمع اللغويون على ان النباتات اما شجر او جنبه او بقل . واذا اردنا البقول التي تؤكل فلنا البقل والخُثْرة كما نقول العامة وهي فصيحة بهذا المعنى .

وقال قلت ان الخشب الحقيقي الصلب هو الجلب والجلبة ولم ار هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة .

قلت اخذت ذلك عن المخصص في السفر الحادي عشر الصفحة ٩٠ قال « اذا ما عسا العيضاء وصارت خضرته مظلمة ممي الجلبة كذلك اذا غلظت قصبته فصارت عوداً وغلظ شوكةا يقال جلبة من سمرة ويسمى العريخ والقة اذ جلبة ايضاً انتهى . ومن معاني الجلب في اللغة الرجل وخشبة فيه يعبر عنها بالخطب وسواد الليل . والجلبة السنة الشديدة وشدة الزمان والحجارة المتراكمة لم يبق فيها طريق . لذلك استنتجت ان الجلب او الجلبة يمكن استعارتها لهذا النوع من الخشب . وهو قول فيه تعسف ظاهر ولكنني لم اعثر على لفظة غيرها .

وقال قلب النخلة وجعّارها وكثرها القسم الرخو في اغلاها وليس طبقة بين خشبها وفشرها . قلت هذا صحيح وقد ذكرت لك فيما خسرنا لو استعرنا لفظة من هذه الالفاظ للكنييون ولا سيما القلب بضم اوله فانها كالكنييون لفظاً ومعنى . وقد مر ان الكنييون من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكليبو او الحوالة عند التجار . وقد فائني ان اقول قآب وقآب وثقآب فاذا حذفنا الزيادة في كنييون ورددناها الى اصلها صارت كنب او قنب ولا يخفى ان النون واللام تتبادلان فاذا ابدلنا اللام من النون بقي قلب . وهذا كثير في اللغات ولا أريد بذلك ان كنييون هي من قلب بالعربية او بالعكس ولكن اصلها واحد كما ان الشعري بالعربية وسيريوس باليونانية وهو نجم معروف اصلها من مادة سحر او شعر وكله يدل على الحرارة كما يتضح من مراجعة هاتين المادتين وما اشق منها . وليس لليونان ما يقابل العين فقالوا في شعري شيري ثم جعلوا الشين المعجمة سيناً معجمة لان ليس في لغتهم ما يقابل المعجمة فصارت سيري فأضافوا اليها حروف الاعراب عندهم فصارت سيريوس ولا بد ان اسمها عند قدماء المصريين شيبه بهذا . اما تسميتها بذلك فلانها تطلع في ايام الباحور المعروفة عند الافرنج بايام الشعري واليها أشار المنني في قوله « وثرزب احمى الشعري شكائها » ومثلها ابا وهو احد الثالوث عند البابليين ويقابلها عند العرب ابا وأباء وأياة اي ضوء الشمس (عن الاب انساس) وعند اليونان أپوس او آوس اي الفجر وربة الفجر

وقد نحت منها الجولوجيون ايوقين او ايوسين اي الحديث او الحيدثاني والكياويوز،
ايوسين ومعناها الصبغ الشّقيّ او الوردي . ومثل ذلك زفس وديانة ودادي ومعناه
يوم بالانكليزية وكلها من مادة ضياء (عن الاب انتاس) ومثل ذلك ادونيس اي
تموز ومعناها في الاصل السيد او الرب من مادة دان يدين ومنه ادوناي عندالبرانيين
ومعناها ربي ولما كانت هذه اللفظة متعلقة ببحثنا فلا بأس بذكر شيء عنها . فقد
زعموا ان تموز قتله خنزير وربما كان ذلك عند مغارة أفقة بلبسان فاحمر نهر ابراهيم
من دمه او في الحيرة في العراق فثبت من دمه الشقيق النعماني او دم النعمان لذلك
نسبوا الشقيق اليه وليس لان الملك النعمان كان يحميه . والنعمان عند العرب هو
تموز وفي اللغة اسم من أسماء الدم ولقب كل من ملك الحيرة . ثم ان الشقيق باليونانية
هو انيموتي ومثله بالفرنسية والانكليزية وهي من النعمان هذا ولا أظنها من أنيموس اي
الريح باليونانية . اما حكاية الغربين كما رواها العرب فهي أقدم كثيراً من النعمان
ونديميه ويوم البؤس هو ذكرى اليوم الذي قتل فيه النعمان اي الاله تموز لا الملك
النعمان ويوم النعيم هو ذكرى يوم بعثه او إحيائه او انتقله الى جنات النعيم . ولما كان
ملوك الحيرة على الوثنية فانهم كانوا يقيمون عيداً في هذين اليومين وكان الملك النعمان
وهو منهم يقيم يوماً للبؤس ويوماً للنعيم فدعاه حنظلة او نصراني آخر الى الصراينة
فأنصر وهدم الغربين . هذه حقيقة رواية الغربين على ما أظن .

* * *

ونعود الآن الى متابعة البحث في اصطلاحات النبات فأقول : وفي النبات الورق
وهو معروف . والورقة ثلاثة أجزاء الغمد او القاعدة ، والعلاقة او المعلق ، والصفحة
وهو الجزء العريض المنبسط . ويقال للعلاقة الرُجيلة اي الرجل الصغيرة وهي ترجمة
اسمها اللاتيني والذئيب والزند والعنق والعرجون والشمراخ والشمروخ وأظن أصلها
العلاقة جمعها علائق والمعلق جمعها معاليق وقد استعملها اللغويون كثيراً بهذا
المعنى لذلك فضلتها على الألفاظ الاخرى . ويقال للصفحة من الورقة الشفرة والنصل
وقال اللغويون الحاشية وأصلها بهذا المعنى الصفحة على ما أظن . واذا كانت الورقة
لا علاقة لها سميت لاطئة ولاصقة ومنسدة وأصلها اللاطئة وأظن اول من

استعملها بهذا المعنى الشيخ ابراهيم البازجي واذا كانت ذات علاقة قيل لها طَرُوح وهي من التخل الطويلة العراجلين ولا بأس باستعارتها للورق والزهر والثمر . وقد يكون للورقة أذنه او زَنَحُه او زَمَعُه على كل من جانبيها وأصلحها الاولى وهالك بعض هذه الأسماء بالانكليزية وما أظنه أصلح تعبير لها بالعربية :

Petiole	علاقة ومعلق
Sessile	لا طي
Petiolate	طَرُوح
Stipule	أذنة
Lamina	صفيحة

وقد تكون الورقة ملتفة على الساق او مثقوبة ويقال مخروبة وذلك اذا كانت الساق ثنفسا . او متحدة ويقال ملتجة اذا كان حول الساق ورقنات التجمت حواشيها . وقد تكون قنفاء اذا كان معلقا ملتصقا بالساق وهي على ما أظن من أوضاع المرحوم التجاري بك استعارها من الاذن القنفاء . وفي القمح ونحوه لسان او أَسَين في قاعدة شرفه فاذا كانت الورقة كذلك سميت كَسَنة . وقد يكون انتظام الاوراق لوليا او دَوَّاريا او متعاقبا او متقابلا او حلقيا او متقاطعا .

وفي الورق العروق او الاعصاب او الاوردة والاولى أصلحها في هذا المقام ويقال للمرق الناشز في وسط الورقة العَيزر والضلع . وما يأتي ترجمة بعض هذه الالفاظ :

Amplexicaul	ملتفة على الساق
Perpoliate	مثقوبة او مخروبة
Connate	متحدة او ملتجة
Decurrent	قنفاء
Peltate	درقية
Ligulate	كَسَنة . ذات لسان
Phyllotaxis	انتظام الاوراق

Spiral	لولي
Cyclic	دوّاري
Alternate	متعاقب
Opposite	متقابل
Verticillate	حائقي
Decussate	متقاطع
Unicostate	ذو عَيزر واحد • ذو ضلع واحدة
Multicostate	كثير الاعيار • كثير الضلوع

والورقة اما ضيقة صلبة نستدق من قاعدتها الى قمته كورق الشربين او الارز فيقال لها مخززية • او طويلة دقيقة حديدية الرأس كورق الصنوبر فيقال لها ابرية • او ضيقة كورق القمح فيقال لها خطية • او تكون هدية او فتلة او عجلة كورق الاثل والطفاء (المخصص ١٠ : ٢١٣) وهذه لا أعرف لها اسما خاصا بلغة الافرنج او مستطيلة مستدقة الطرفين كالخربة فيقال لها سنانية او حربية وأفضل الاولى • وقد تكون اهليجية او مستطيلة او بيضية ولا يقال لها بيضوية او يضاوية لانها منسوبة الى البيضة او تكون بيضية عكسا ، او مستديرة ، او قلبية ، او قلبية عكسا ، او كلوية كالكلية ، او مآوية ويقال ملعقية ، واسفينية وهذه يونانية ولا مناص من استعمالها فان وتدية لاتصلح لهذا المعنى ، او سممية ، او طبرز بنية وربما يصلح تسمية هذه بالصُّباحية والطبرزين هو الناس ذات الحدين يستعمل في الحرب والصُّباحي هو الرمح العربي قال ابن سيده لا أدري ما أصلها • وكانت عند الافرنج في العصور الوسطى جند يسمونهم هلبرديه وهم حملة مزاريق قصيرة عريضة ذات حدين كالخدأة وهي الناس ذات الحدين وكانوا يسمونها هلبرد ومعناها في الاصل فأس الخوذة اي الناس الفالقة للخوذة فنسبوا هذا الشكل من الورق اليها وأظنها الطبرزين او شبيهة به وكان بمصر في زمن المماليك غلمان يحملون الطبر يسمونهم الطبردارية ، ولعلمهم الهلبردية عند الافرنج • ثم ان الصُّباحي اي الرمح العربي محتمل انه من سباهي وهي فارسية الاصل والسباهية من فرسان الترك قديما • واني لم أعثر على لفظة أخرى يصاح استعمالها غير

هاتين اللفظتين وربما كانت لفظة طبرز بنية أصلحها . وقد قالوا رحيمة ومزراقبة وكلاهما على ما أظن لا يصلح لهذا المعنى .
وهاك بعض هذه الاسماء وترجمتها :

Subulate	مخززية
Acicular	ابرية
Linear	خطية او ضيقة
Lanceolate	سنانية
Oval	اهليجية
Oblong	مستطيلة
Ovale	بيضية
Obovate	بيضية منعكسة
Spalhulate	ملوئية
Cuneate	اسفينية
Sagittate	سهمية
Hastate	طبرز بنية

وقد تكون الحاشية صحيحة و يقال تامة او كاملة وأظن الاولى أصلح في هذا المقام . وقد تكون مفترضة او مخززة او مؤشرة وجميع هذه الألفاظ متشابهة المعنى والنباتيون يريدون بالمفترضة ما كان في تحزيزها استدارة وربما قيل مشرفة اي فيها شُرَف كشرفات القصر المعروفة في مصر بالشراريف واحدا شُرَافه . ويريد النباتيون بالمخززة ما كان تحزيزها مستقيماً وربما قيل مسننة على ان هذه لم ترد في اللغة بهذا المعنى في ما أعلم . وهم يريدون بالموشرة ما كان في تحزيزها ميل كاسنان المنشار او ككأشَر الجرادة وهو الشوك في ساقها وربما سميت المؤشرة بالمشاربة او المنشارية . وللنباتيين ثلاثة الفاظ مختلفة لتأدية هذه المعاني فينبغي تفريقها بالعربية . وقالوا المشرشرة في المعاني الثلاثة وأظن المشرشرة أصلح لمعنى آخر سيجيء .
وقد تكون الورقة متجعدة كورف الهندباء و يقال ايضاً متكرشة وجمعاء وقد

يكون في حاشيتها فروض مختلفة العمق كما في القرصنة وناب الاسد فيقال لها متلوية او متمتجة . وهالك ترجمة هذه الألفاظ :

Entire	صحيحة
Crenate	مفرخة . مشرفة
Dantate	محززة
Serrate	موشرة
Crisped	شجعة . جعداء . متكرشة
Sinuate	متلوية . متمتجة

والورقة ذبابها ويقال طرفها ورأسها وفتيحها فاذا استدف الذباب ممي محددأ وحادأ وحديدأ واذا كانت حدته قليلة سمي مؤنفاً . وقد يكون مقطوعاً بالعرض كالقلم فيسمي مقطوعاً وقد يكون رهايباً وذلك اذا كان كل رهايبه اي طرف القص وربما قيل رهايب نسبة الى الرهب وهو السهم الدقيق . واذا كانت في وسط الذباب انخفاض مستدير سمي مؤورا او مؤورا فاذا كان هذا الانخفاض حاداً سمي مؤورا اي مثل فوق السهم وقد قالوا في هذا مقورا ولكن أظن المقور هو ما قبله فان التقوير يقتضي الاستدارة وهذا قطعة حاد مثل فوق السهم .

وقد يكون في حاشية الورقة شقوق أعمق من التفريص او التحزير فاذا لم تبلغ الشقوق نصف المسافة الى العير سميت الورقة مخرمة واذا بلغت سميت مشرمة واذا بلغت العير او كادت سميت مفارقة وقد تكون في هذه الأحوال ريشية مخرمة او مشرمة او مفارقة او كفية مخرمة الخ .

واذا كانت الورقة ذات العير الواحد مشقة والجزء الاعلى منها مستديراً سميت ربابية او شأبافية وهي فارسية او أوربية وهي يونانية على ان النجمين ذكروا الاثنين وسموا بها النسر الواقع .

واذا كانت مشقة والجزء السفلي منها أصغر من أعلاها كورق القرصنة وناب الاسد سميت فارية نسبة الى فارة التجارين اي الزندج وان شئنا قلنا نسبة الى الفار المعروف فالتجارون سمو هذه الآلة فارة تشبيهاً لها بهذا الحيوان ولكنها عند النباتيين نسبة

الى فأرة التجارين اي الرندج . واذا كانت الورقة مشرّمة شروماً متفاوتة العمق فهي مشرشرة . واذا كانت مثل رجل الطائر سميت برثنّية وهاك ترجمة بعضها :

Acute	محدّد
Acuminate	مؤنّف
Truncate	مقطوط
Mucronate	رُهابي او رَهَبي
Retuse	مقوّر
Emarginate	مفوّق
Bifid, Trifid	ثنائية التخرّيم ثلاثية التخرّيم
Bipartite, Tri -	ثنائية التشرّيم ثلاثية التشرّيم
Lyrate	ربابيّة . شليافية . أوزريه
Runcinate	فأريه
Lacineate	مشرشره
Pedate	برثنّيه

و يقال للأوراق رقية او جلدية اذا كانت جافة كالرقّ . وأفضل الاولى في هذا المقام ، اورطبة و يقال مائية وريّانة وأفضلها الثالثة ، اوشحمية اي ثخينة ربانة . او منثرة اذا سقطت باكراً ، او مُعَيّلة اذا سقطت في الشتاء ، اودائمة اذا كانت لا تسقط في الشتاء . فاذا كان الشجر معبلاً قيل له عُروّة وأعروّات وخالع ودائم الخضرة وهاك ترجمة هذه الألفاظ :

Corcations	رقية
Succulate	ريّانة
Ileshy	شحمية
Caducons	منثرة
Deciduons	مُعَيّلة

Persistent	دائمة
Evergreen	ودائم الخضرة وعُروّة وأعرّوات وخالم
عضو المجمع العلمي العربي	
ابن العارف	



الاصطياف في ربوع الشام^(١)

توطئة

أيها السادة: لقد تطورت مسألة الاصطياف في الصيف المنصرم تطوراً غريباً في بلادنا السورية وخصوصاً في جبل لبنان وتألّفت لجنة خصوصية عضدتها المفوضية السامية للدولة المنتدبة وشدت أزرها، دأبت في العام الماضي دأباً جدياً واهتمت اهتماماً كلياً في امر توسيع منطقة الاصطياف في لبنان وسورية وجلب نظر العالم اليه، كما انها اجتهدت اجتهداً محموداً في تمهيد السبل لاستجلاب المصطافين المصريين والعراقيين الى ربوع بلادنا الطيبة المناخ، وسعت ولائزال تسعى السعي المشكور لدى الحكومات السورية من اجل تحسين الطرق وتأمين السلام ووضع الانظمة الملائمة ولدى الاهلين من اجل تشويقهم الى بناء المنازل والفنادق والماهي والمقاهي وكل ماله علاقة براحة هؤلاء الزوار المفيدون وحملهم على حسن معاملة المصطافين الغرباء والقناعة منهم بالاجور العادلة والارباح المشروعة، حتى يحسنوا الظن بهم ويعيدوا الكرة الى ربوعهم ويحملوا عنهم من جميل الاحدوثة ما يشجع سواهم على المجي معهم في المواسم الآتية . وفي ذلك ما به كما تعلمون من وسائل الريج ووسائل الرزق التي تغدق على اصحاب المصايف الفوائد الجزيلة وتحرك دولاب الاقتصاديات في عموم البلاد .

(١) المحاضرة التي ألقاها عضو المجمع العلمي العربي السيد عبد الله رعد في ردة المجمع بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ .

ولقد استفاد اخواننا اللبنانيون في موسم الصيف المنقضي من موارد الاصطياف فائدة تذكر عوضوا بها أضعاف الأضعاف عن محل جبلهم وقلة مزارعهم وضعف تجارتهم وصناعاتهم ، ولقد قدر الذين أموا لبنان من المصريين للاصطياف في ربوعه في هذا العام بخمسة وعشرين ألف نسمة ، وقدر المال الذي انتقوه في هذا السبيل على اقل تقديره فاذا به يبلغ مليوناً ونصف المليون من الدنانير وهو مبلغ والحق يقال لا يستهان به .

لم يتفرد لبنان ايها السادة بهذا المورد الجديد في الارتزاق بل كان لدمشق وارباغها وضواحيها نصيب يذكر وان صغر بالنسبة لوفرة حظ لبنان ، فقد أمها الكثيرون من المصطافين المراقبين وبعض المصريين ولعل الغيرة تأخذ المتمولين من سكان دمشق وضواحيها فيفتقوا من غفلتهم التقليدية ويعثموا بامر هذا المورد الجديد من الرزق ، بعد ان قضت موارد كثيرة كانت غزيرة من ذي قبل فيجتهدوا كما اجتهد جيرانهم اللبنانيون ولكل امرئ من دهره ما سعى . كما ان لنا املاً وطيداً يحكمونا الرشيدة ان ننظر الى هذا الامر بما يستحقه من الاعتبار وان نرى من مهمتها في تمهيد الطرق وتحسين المواصلات وتوطيد الامن وترويج المصالح ما رآه اخواننا اللبنانيون من مهمة حكومتهم قبل ادناكلها مصايف ومقاصف طبيعية خلابة ، مناخها طيب واديمها صاف وهواؤها عليل وماؤها سلسيل ، يكاد لبنان مع ما فيه من مناظر فتاة وهواء بلبل انه لا يجاريها فيها اذا هي نالت ما ناله من التحسين العملي لانها تفوقه بغزارة مياهها وكثرة بساتينها ووفرة خيراتها .

هذه ايها السادة نقطة جزيلة الأهمية ليس فقط من الوجهة الاقتصادية بل ومن الوجهة الصحية ايضاً كما سأبين لكم ذلك في لب المحاضرة . واذا ما نالت البلاد هذه الامنية كانت الفائدة للاهالي والحكومة على السواء لكل منها حظه فيها كما لا يتجهلون .

تلك هي الاعتبارات الاقتصادية في الاصطياف ، زد عليها ما رأته من اهتمام الحكومة ابان مرور البعثة الطبية المصرية في ربوعنا وزيارتها بعض مصايفنا الكائنة في إقليمي الزبداني والقلمون ، وما نشرته الجرائد البيروتية عن تقارير هذه البعثة الطبية ، حدث بي اليوم ان أحدثكم ايها السادة في هذه المحاضرة ببعض الشذرات

عن الاصطيفات وتاريخ المصايف عند الامم الغابرة . وقد خصصت فيها البحث عن إقليم الزبداني وتاريخه ووصف أشهر أمكنة الاصطيفات فيه ، راجياً من اخواني ان يتمموا هذا الموضوع في مصايف الاقاليم الاخرى كالقلمون ووادي العجم وسواهما من ملحقات دمشق .

(الاصطيفات) = الاصطيفات لغة الإقامة في فصل الصيف . وقد عم اليوم استعمال هذه الكلمة في الاصطلاح من اجل الدلالة على اقامة موقتة في القرى المرتفعة ابان فصل القيظ من اجل الراحة والتمتع بالهواء العليل والرجوع الى الطبيعة ، وفيه ضرب من الرياضة الجسمية والعقلية ، وإراحة الاعصاب من خوضاء المدن ومربكاتها والبعد عن كثرة انقاس الناس وغبار طرقات المدن ، وكلاهما مملوء بانواع الجراثيم المرضية ، وعن الهواء المشبع بالغازات المضرة الناتجة عن دخان المعامل والمطابخ والمواقف وسيارات النقل وغير ذلك . وقد أصبحت كلمة الاصطيفات في اصطلاح المدنية الحديثة وضعاً عربياً يدل تمام الدلالة على ما يعنيه الافرنج بكلمة (Villégiature) .

الاصطيفات ايها السادة عادة لم تأتأبها المدنية الحديثة بل هي عريقة في القدم فتاريخ المصايف — اي تصور الاصطيفات — عند الرومان والفرس والعرب وسواهم من الامم العظيمة الدائرة جلي واضح وفيه مؤلفات كثيرة . وقد كان المصيف يدعى عند الرومان (Villa) وهو لا يزال يدعى به عند الافرنج الى يومنا هذا . وقد زادوا عليها اليوم كلمة (palace) وهي تفيد نفس المعنى الا ان الكلمة اللاتينية الاولى (villa) لا تزال الاعم والافصح عندهم . وكان المصيف في عهدهم (اي الرومان) يقسم الى نوعين اولهما مصيف الارباح (villa urbana) وهي القصور التي كانت تشاد في أطراف المدن وفي ارباضها ، معرضة للهواء النقي ولأشعة الشمس . وثانيها مصيف المرتفعات او الصرود — اي الجرود (villa suburbana) وهي المصايف التي كانت تبني بعيداً عن المدن اي في القرى والجبال حيث المناخ الطيب البليل والهواء الناشف العليل والماء البارد السلسيل .

ومن مصايف الرومان ما ظلت شهرته التاريخية الى اليوم اذكر لكم بعضها كمصيف

ادريانوس الذي كان مبنياً قرب مدينة (Tivoli) وهو نموذج المصايف الفخمة ، ذات الأبنية الضخمة ، والجنات الواسعة ، والابراج الشاهقة ، والبوابات الفنية ، والحمامات الجميلة ، وأمكنة الألعاب الرياضية ، ومسارح قتال الوحوش البرية ، ومضامير عدو الخيل المظهمة ، وشتى أنواع الترف ، والزهو في النقوش والرسوم والنسبساء والدمى ، الى غير ذلك مما يرويه التاريخ عن وصف هذا المصيف القيصري من المحاسن والعظمة . ومنها مصيف سيبيون الافريقي الذي ابقى التاريخ ذكره كنموذج للمصايف المحصنة ذات الأبنية التي تشبه القلاع محاطة بالحنادق والاسوار المنيعه ، وفيها الحمامات المظلمة والدهاليز الضيقة ، كأنما أنشئت للدفاع والحصار لا للأفراح والانشراح . وبين هذا وذاك من الطرفين المتباينين يذكر التاريخ نماذج متوسطة من المصايف البسيطة البناء ومعظمها لطيف الهندسة معرض للنسيم الناعم ولاشعة الشمس ، يرتاح البصر منها الى مناظر خلابة كالجبال وأحراجها ، والسهول وبساتينها والأودية ورياضها ، والسفوح وكرومها ، والانهار وجداولها ، والبحار وأمواجهها . فمن هذه مصيف شيشرون الذي كان في بلد (Tusculum) والمصيف الذي اكتشفت آثاره على ابواب مدينة (Pompéi) التي كانت مدفونة بمرمتها تحت الارض . والمصيف الذي لا تزال بقاياه أطلالاً قائمة في مدينة روما العظمى على حافة نهر ال (Tibre) في حدائق (Farnésines) ومنها اخيراً مصايف جهات توسكانا (في ايطاليا) التي وصفها المؤرخ (Pline le yeune) - في كتابه وصفاً وافية ، والتي اكتفي بهذا القليل عن ايراد ذكر الكثير الذي بطول شرحه وهو شهير في تاريخ مصايف الرومان .

وقد اخذت العرب ايضاً عن الفرس والرومان عادة الاصطياف في المصايف واتبعوها في جميع أدوار ممالكهم مقلدين بذلك أكامرة العجم وبذخهم وقياسرة الرومان وترفهم . قال في ذلك ابو دلف الشاعر العربي :

واني امرؤ كسروي الفعالي أصيف الجبال واشتو العراق

وقال الاستاذ العلامة محمد افندي كرد علي رئيس مجمعنا العلمي في مخطوط له عن تاريخ الشام لم يفرغ بعد في قالب الطبع : « لما دخل العرب مصر والشام والعراق

ورأوا نعيمها وخيراتها عنّ عليهم ان تأخذ منهم وتزيل صفات الخشونة ونشأة البادية اخذوا يعمدون في الشتاء والصيف الى اما كن معينة ينزلونها . وهكذا كان شأن بني أمية فان اكثرهم استأثر بقوى معينة في غوطة دمشق ومنهم من نزل البلقاء وآخرون نزّلوا بارض تدمر وغيرهم صعدوا الى الجبال بحيث كانوا يختلفون الى المدن لقضاء مصالحهم ثم يفزعون الى خلواتهم في مصايفهم ومشاتيهم حتى لا تنزع المدن من نفوسهم قوة الاجسام و يبعدوا بهم ويذراريهم عن رطوبات المدن المشبوعة بأنوف الناس . ولو استقرينا تاريخ الشام لرأينا لكل خليفة وامير من امراء الدول العربية وخصوصاً الدولة الأموية مصيفاً ومشقياً . ومن أشهر مصايف الأمويين قصر الرصافة على الفرات وقصر الموقر في البلقاء اه .

ولقد عمّ ايها السادة الاصطياف في عصرنا طبقات الناس بعد ان كان محصوراً فيها سلف في الامراء والاكابر والمثريين . ذلك لما رأوا فيه من تجديد القوى واتجاع العافية . قال العالم الفرنسي رينغو (Rigault) « ان عادة الاصطياف أصبحت متأصلة فينا » . اما امكنة الاصطياف في عهدنا فكثيرة أشهرها بلاد سويسرا وإيطاليا في اوروبا وبلاد الشام وخصوصاً جبل لبنان في الشرق .

ومن أهم شروط مكان الاصطياف الصحية ان يكون مرتفعاً عن سطح البحر بحيث يكون فيه الهواء خفيفاً جافاً بارداً . وان يكون بعيداً عن المستنقعات الغيلية والبطائح الوبيلة . وان يكون مأوّه طبعياً لذيذ الطعم سهل الهضم . وان يتمتع النظر فيه بمناظر الطبيعة البهية . تزداد على ذلك شرائط اقتصادية لا بد منها واولها ان تتوفر فيه اسباب المعبشة وتسهل اليه طرق التنقل .

ولقد استوفت امكنة كثيرة من اراضي دولة دمشق شروط الاصطياف المطلوبة فهي بذلك مصايف فتانة ظبية المناخ ، جيدة المياه ، عذبة النسيم ، جميلة المناظر ، كثيرة الخيرات ، سهلة الطرقات ، قليلة الامراض . أذكر منها اولاً دمشقنا نفسها بما اليها من جميل المقاصف والمصايف الكائنة حوالها وفي ارباضها وأخص بالذكر منها مصايف المزة والربوة ودمر والحامة وقدسيا والجديدة والقابون . ولقد اقام دمشق في هذا العام الكثيرون من بغداد ومدن العراق قصد الاصطياف فطابت فيها نفوسهم

وانشروحت صدورهم وصمموا على العودة اليها بعد الاياب . ثم أذكر إقليم الزبداني بقراه ودساكره التامة الشروط كبلودان وبقين ومضايا وعين حور ويخفوقا ومنرغايا وعين الفيجة وغيرها ، وإقليم وادي العجم بقراه الجبلية القائمة على سفح حرمون كمرنة وبيت سابر وسحيتا وبيت جن وحينة ودربل (التي ينسب اليها الزبيب الدربلي الظائر الشهرة) وعين الشعرة وكفر حور وقلمة جندل . وجهات القلمون بقراها معربا والممرة وصيدنايا وتلفيتا ومنين والتل وحلبون ومعلولا وعين التينة وبيروود والنبك وعسال الورد . فكل هذه القرى مصايف حسنة وصحية بصطاف فيها الدمشقيون منذ زمن بعيد العهد . على اني ادع التفصيل عن هذه المصايف الاخيرة مكتفيا بذكرها لا بسط الكلام على لب المحاضرة وزبدتها أعني بذلك الاصطيفاف في ربوع إقليم الزبداني وهو الاشهر اليوم عند حضراتكم فأقول :

« إقليم الزبداني » = ويدعى بلسان الإدارة قضاء الزبداني وهذا التعريف تقسيم تركي بقي لنا في جملة ما بقي من تراث الاتراك . قلت تركيا وان تكن كلمة القضاء عربية محضة الا انها في غير وضعها . فالأتراك كانوا يسمون قضاء كل إقليم او جزء إقليم برأس ادارة الحكومة فيه قائم مقام ، ولعل السبب في ذلك وجود قاضي ومحكمة شرعية فيه . فإقليم الزبداني إذن من هذا النوع قائمة مقام مرتبطة اداريا بمركز دمشق وفيه قاض ومحكمة شرعية ومحاكم نظامية ابتدائية . وهذا الإقليم قائم في غرب دمشق يشقه خط سكة حديد « شام — حماة وتمديداتها » من شرقه الى غربه كما يشقه نهر بردى من قرب كورة الزبداني الى حدود دمشق .

« تاريخه » = أمهل المؤرخون العرب الجزء القديم من هذا الإقليم ولم يدونوا عنه في كتبهم الا ما كان من بعد الفتح الاسلامي ، اعدا ابن القلانسي الذي نوه بالقليل عما سبق ذلك العهد فقال عن وادي بردى الش (اسمه القديم ابلنة وكانت مملكة يحسب نعيم الاقدمين واقعة شمالي جددور وعربي دمشق وقاعدتها ابلنة وهي اليوم سوق وادي بردى) . وقال في موضع آخر عن الزبداني انه (في سنة ٥٢٠ هجرية أقطع ظهير الدين اتابك صاحب دمشق مقاطعة الزبداني واعمالها للخزائن بن عمار صاحب طرابلس) .

ولم يقل مشاهير مؤرخي الشام كابن عساكر وشيخ الربوة عن الزبداني في مؤلفاتهم
الا انها مدينة حسنة كثيرة الخيرات وانها لا حور لها .

اما ياقوت المؤرخ العربي الذي يؤمل عليه كثيراً في تاريخ الشام وجغرافيته
فالبيكم ما جاء في كتابه « معجم البلدان » عن الزبداني قال : « الزبداني كورة معروفة
بين دمشق وبعليك منها يخرج نهر دمشق واليهما ينسب العدل الزبداني الذي كان
يسترسل بين صلاح الدين الايوبي والفرنج فلم يكن محموداً في طريقه » وقد نقل
البستاني هذه العبارة عن ياقوت الى قاموسه المشهور بدائرة المعارف العربية وذلك في
المجلد التاسع بعد ان عرّف الزبداني تعريفاً قليلاً لا يروي غليلاً .

ولقد حملت عبارة ياقوت (واليهما ينسب العدل الزبداني الذي كان يسترسل
بين صلاح الدين الايوبي والافرنج) على غير محملها عند بعض المحدثين فقالوا ان
صلاح الدين بن ايوب الذي اشتهر بعدله بين رعيته الاعراب والدخيلين الاغراب
حتى لقب بالملك العادل عقد مع امراء الصليبيين في الزبداني ميثاق صلح تجلت فيه
آيات العدل بابي حللها . وما تلك الا حكاية ملفقة لا تقوم على أساس تاريخي .
فالعدل الذي قاله ياقوت انه ينسب الى الزبداني انما كان رجلاً من اهل هذه الكورة
اسمه العدل دخل في خدمة صلاح الدين فكان يبعثه رسولا الى الافرنج فلم يحسن
وظيفته او ربما خان مولاه بدليل قول ياقوت (فلم يكن محموداً في طريقه) وبدليل
ايات لفتيان الشاغوري الدمشقي وهو من شعراء القرن السابع للهجرة يعجبونها العدل
الزبداني قال :

بالعدل تزدان الملوك وما شان ابن ايوب سوى العدل

هو دلو دولته بلا سبب فنتى اري ذا الدلو في جبل

اما اذا استقرينا التواريخ الغربية وخصوصاً تواريخ الرومان فاننا نجد الكثير من
الاخبار عن ماخي هذا الاقليم . يكفي ان نتصفح المعاجم المطولة فنقرأ في دائرة
معارف لاروس ما ترجمته بالحرف الواحد « ايبلا او ابل مدينة قديمة في سورية المجوفة
تبعد عن دمشق عشرة كيلومترات منها الى الغرب موقعها في اسفل جبل سنير^(١) وهي

(١) هو جبل الانتي لبنان او جبل الشيخ ويدعى ايضاً لبنان الشرقي .

اليوم قرية تدعى سوق وادي بردى كانت هذه المدينة قاعدة مملكة صغيرة يرأسها ليسانيوس وقد دعا الرومان هذه المملكة ايلبنة . وكانت ايللا أخرى في فلسطين تدعى اليوم آبل . ونقرأ في دائرة المعارف الافرنسية الكبرى ما تعريبه حرفيا : « ايللا او آبل مدينة سيف سوربة المجوفة بين دمشق ومدينة الشمس ^(١) كانت تحت ملك لرؤساء الارباع (Tétrarques) أصحاب امارة ايلبنة ومن هؤلاء ليسانيوس وكان يلحق بامارته سيف ذلك العهد شمال لبنان حتى طرابلس وجنوب فلسطين حتى البثنية وتراكونية ثم آلت من بعد وفاة ليسانيوس الى ابنه هيرودس اخريبا ولا تزال آثار آبل قرب النبي هابل وقد كانت ايللا أخرى غير هذه في فلسطين وتدعى اليوم آبل » .

نستخلص من هذه النصوص :

اولاً — ان آبل هذه اي سوق وادي بردى اليوم احدى قرى إقليم الزبداني ، كانت مدينة عامرة في عهد اليونان السلوقيين ثم صارت امارة من بعدهم في عهد الرومان فدعوها ايلبنة . يؤيد ذلك كتابات في سوق وادي بردى ونقود كثيرة منقوقة في متاحف العاديات في اوربا .

ثانياً — ان ليسانيوس كان ملك ربع عليها ثم آلت من بعده الى ابنه هيرودس اخريبا ثم الى غيره بالتسلسل . فمن هو ليسانيوس هذا الذي اتت على ذكره دائرتا المعارف الافرنسيستان اللتان ذكرناهما وزادت احدهما — وهي دائرة المعارف الكبرى — انه مذكور في انجيل لوقا ؟

الجواب في نص انجيل لوقا . الفصل الثالث الآية الاولى

« في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر كانت يلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس انتبساس رئيس ربع على الجليل وفلبس رئيس ربع على ايطورية ^(٢) وبلاد تراكونيتيس ^(٣) وارشللوس رئيس ربع على السامرة واليهودية وليسانيوس رئيس ربع على ايلبنة » .

(١) اي بعلبك . (٢) ايطورية هي اليوم إقليم جيدور في حوران .

(٣) تراكونيتيس هي اليوم إقليم آخر من حوران يسمى الحما .

ولدى الامعان بهذا النص خطرت لي خطرات أستمح السامعين الكرام عرضها وان تكن معارضة خارجة عن موضوع المحاضرة :

فيل ايها السادة ان التاريخ يعيد نفسه وهي حقيقة أيدتها الحوادث في كل زمان ومكان وحوادث زماننا ومكاننا تؤيدها اليوم ايضاً . فلنقارن بلادنا في هذا الزمان الحاضر بما كانت عليه في زمن الرومان نجد ان التاريخ قد أعاد نفسه : فقد كانت في ذلك العهد تحت سيطرة الرومان وهما هي في هذا العهد تحت انذاب حفيداتهم الدول الاوربية المسيطرة علينا . كانت في عهد طيباريوس قيصر كما روى الانجيل الكريم دويلات متعددة يحكمها امراء وحكام وهما قد صارت كذلك في عهدنا . كانت يوم ذاك الحكومة وطنية في كل مقاطعة وهما هي كذلك اليوم . كانت اكثر الامراء والحكام رومانيي المولد ولكنهم كانوا يرأسون الحكومات بصفة وطنية وهما ان حكام اكثر مقاطعاتنا اورييون لحكام المقاطعات الفلسطينية تحت الانذاب الانكليزي وحكام لبنان الكبير ومقاطعتي جبل العلويين وجبل الدروز تحت الانذاب الافرنسي وهؤلاء نظير أسلافهم الرومانيين يرأسون هذه الحكومات الوطنية لحكام وطنيين . كان لتلك الحكومات الوطنية في عهد الرومان مراجع عالية رومانية مندوبة من لدن القيصر الروماني وكانوا يسمونهم ولاية وكانت سلطتهم فوق سلطة الملوك والامراء في الحكومات الوطنية ومن هؤلاء يولاطس البنطي والي اليهودية الذي يذكره لوقا الانجيلي بعد ذكر اسم القيصر وقبل ذكر اسماء الامراء أصحاب المقاطعات وفي ذلك دلالة على تسلسل الحكم والسلطة ، ولحكوماتنا اليوم مثل ذلك مراجع سامية تمثل رؤساء السلطات المنتدبة وملوكها وتعمل بالوكالة عنهم ولهم نواب ومندوبون ودواوين ورؤساء مصالح وهم المفوضون السامون أصحاب السلطات العليا . فانظروا إذن ايها السادة الى هذه الغرابة ! كيف ان سورية اليوم عادة بدارتها الحكومية الى النظام الذي يروي التاريخ انها كانت تدبر عليه منذ الف سنة !

وبعد هذا الخروج عن ملاك الموضوع فلنعردن اليه :

أوردنا نص الآية الانجيلية التي عرفنا اسماء الامراء الاربعة الذين في عهد القيصر طيباريوس والوالي يولاطس البنطي مفوضه السامي كانوا رؤساء ارباع على

دويلات المقاطعة الرومانية التي كانت تسمى اذ ذاك مملكة اليهودية ووجدنا في جملتهم اسم ليسانيوس الذي كان صاحب اماره ايلينية وكانت عاصمته صوق وادي يردى .

دعي هؤلاء الامراء الاربعة رؤساء او ملوك ارباع لان هيرودس الكبير اباهم ملك اليهودية كان له اربعة اولاد وهم الذين ذكرهم الانجيل فقسمت مملكته عليهم ارباعاً بعد وفاته ، فكان كل منهم ملك ربع او رئيس ربع حسب ترجمة الكلمة من النص اليوناني الاصلي « تيتراخون » ومنها اشتقت كلمة (Tétrarque) الفرنسية « يحكم في حصته من ميراث ابيه » .

اذن فمملكة آبل التي نحن في صددنا هي ربع مملكة هيرودس الكبير صارت من بعد وفاته الى ليسانيوس احد اولاده الاربعة .

ولكن في اية سنة أسست الرومان إقليم الزبداني اماره وأقامت عليها ليسانيوس ابن هيرودس ملك ربع ، وكان هذا اول عامل عليها كما ورد في دائرة المعارف الفرنسية ؟ يقول لوقا الانجيلي ان ذلك حدث في السنة الخامسة عشرة لملك طباريوس قيصر .

في ذلك الزمان ايها السادة لم يكن للتاريخ مبدأ معلوم مثل ما هو في زماننا هذا بل كانت للام نواريج مختلفة ومتعددة مبدأ كل عقد منها يوم جلوس احد ملوكهم على العرش ومنتهاه يوم موت ذلك العامل ، لذلك افاد لوقا الانجيلي بقوله « في السنة الخامسة عشرة لملك طباريوس قيصر » على اننا لا نعدم وسيلة نستنتج منها ما نصبو اليه من معرفة الزمان بواسطة مقابلة التواريخ القديمة بعضها ببعض مستندين الى رواية صحيحة تكون لنا بمثابة اساس لهذه المقارنات . فاذا طرقتنا باب هذه الطريقة في القضية التاريخية التي نحن في صددنا وجدنا عوامل ثلاثة : اولها ان ليسانيوس واخوته وهم اولاد هيرودس ، والثاني انهم كانوا في عهد طباريوس قيصر ، والثالث انهم لما قسم عليهم ميراث ابيهم ارباعاً وولتهم دولة الرومان هذه الايالات الاربعة كانت السنة الخامسة عشرة لملك القيصر طباريوس ، اذ ان جرى هذا الحادث التاريخي في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً قبل يوم الناس هذا . وانا تستند في

هذا الاستنتاج على رواية صحيحة ، وأصح ما يمكن التعويل عليه هي الكتب المنزلة ، فقد ورد صريحاً في الإنجيل متى ، الفصل الثاني الآية الأولى هذا النص « ولد المسيح في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك » .

فالتسمية التاريخية إذن اقليم الزبداني هو نفس مملكة ابلينة التي أسسها الرومان في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً . وان اول ملك قام عليها ليسانيوس بن هيرودس ثم صارت الى خلفائه من بعده . وان قاعدة تلك المملكة كانت مدينة آبل التي هي اليوم قرية سوق وادي بردى التي تعرفونها جميعكم .

اما آبل الاخرى التي قالت دائرتا المعارف الافرنسيستان انها غير آبل هذه وانها في فلسطين فانما هي احدى المدن العشر التي كانت يطلق عليها اسم « ذيكابوليس » وبالفرنسية (la Décapole) وهي التي غلب الظن فيها انها تنسب الى هابل بن آدم ابي البشر الذي قتله اخوه قابين حسب ضبط التوراة العبرانية الكريمة اوقايل حسب ضبط القرآن العربي الكريم .

وقد خلط بعض المؤرخين في هذه النسبة بين آبل قاعدة ابلينة — اي سوق وادي بردى في اقليم الزبداني — وآبل فلسطين — احدى المدن العشر — بلدها هابل لوحدة الاسم ، ولكنه وهم لا دليل عليه الا قرب الصيغة بين كلمتي آبل وهابل . وزادوا على ذلك ان نوحاً عليه السلام سكن هذه البلاد وقد اصطنع الخمر . وهو اهل مصطنع لها من كرمه اراضي الزبداني ، ثم سكر واتى وهو سكران على ما يستفكره الحياء البشري كما روى عنه الكتاب . وانتمتجوا من هذه الأوهام ان اقليم الزبداني هو جنة عدن التي برأ الله سبحانه فيها آدم الانسان الاول ، وان الثمرة التي طغت بها الحية حواء هي تفاحة من تفاح الزبداني المشهور .

وعلى هذا الوهم ايضاً استند الكاتب الافرنسي المشهور موريس پارس فدوت في كتابه الذي عنوانه (تحقيق عن بلاد الشرق) عبارة يشتم منها رائحة الاستهجان اذ قال : « وشاهدت على مقربة من دمشق ونحت غسق الليل مزاراً يؤيد المكان الذي دفن فيه هابل الذي قتله اخوه قابين . فيا لها من بلاد تمت بنسبها الى تاريخ اول جريمة في العالم ! فليهنأ اهلها بهذا الاصل والحسب ! »

اجل لقد وهم الكاتب الأديب وليس الذنب ذنبه بل هو خطأ ارفعه به وهم مطوفيه . وانا لنرد هذه القرية ونذكر الواهمين في التاريخ ان ذلك الدم الذي قال الكتاب الكريم عنه انه صرخ الى الله يطلب الانتقام انما لُخِخ ارض فلسطين ، وان كورة آبل الفلسطينية احدى المدن العشر هي مكان تلك اللطخة التي يوصفون بها ارضنا .

ومن رأي البجائة المدقق الاستاذ عيسى افندي المعروف احد اعضاء مجمعنا العلمي في كتابه المخطوط (تاريخ سورية المجوفة) ان اسم ايبلا منسوب الى الاله « بيل » احد معبودات الاشوريين والبابليين الذي كان له هيكل باسمه على القمة المرتفعة فوق سوق وادي بردى ، تحول كنيسة في زمن الملكة هيلانة ثم تحول مزاراً في زمن الاسلام باسم قبر النبي هابيل لقرب الصيفة ، وهذا هو الاثر الذي تشير اليه دائرة المغارف الافرنسية كما سبق القول . وتوجد ايضاً اُخرى أُخرى في تلك الضواحي تؤيد هذا الرأي وتدل دلالة واضحة على اصل هذا الاسم وهي المعروفة اليوم بخربة بتهيل وهذه الكلمة منحوتة من (بيت بيل) اي هيكل الاله بيل .

ولقد ميز فيما بعد الرومانيون بين آبل الزبداني — اي سوق وادي بردى — وآبل فلسطين احد المدن العشر بان عرفوا الاولى باضافة نسب اليها فقالوا (آبل السيق) . والسيق كلمة يونانية معناها المنسك لانه كان بقرها دير للرهبان شهير يعرف باليونانية بدير قونن — اي الدير القانوني — ومن حوله مغاور كانت مناسك للرهبان الزهاد . ولا يزال اسم دير قونن الى عهدنا تسمى به اليوم قرية دير قانون بين سوق وادي بردى وعين الفيجة ، وعلى مقربة منها ايضاً قرية دير مقرن وهي تحريف دير مكرون الذي كان ايضاً في تلك البقعة على اسم مكرون احد النساك ، ولعله كان ديراً او مدرسة للطلاب المبتدئين تابعاً لسيق قونن .

واسم آبل السيق مذكور بهذا التعريف الاضائي في مخطوط يوناني قديم محفوظ عند غبطة السيد غريغوريوس بطريرك الروم الارثوذكس فيه ذكر الكرامى الاسقفية التي كانت يومئذ تابعة للكرسي البطريركي الانطاكي وفي جملتها ذكر كرسي اسقفية آبل السيق التي اوردت المجامع الاقليمية اسماء اساقفتها في القرنين الخامس والسادس .

وقد حرفت كلمة السيق فقبل بعد ذلك آبل السوق ، ثم أهملت كلمة آبل القديمة فدعيت البلدة بامم (السوق) فقط اما لهذا التحريف او لانها كانت سوقاً لحاصلات وادي بردى الغربية . ولما سقطت أهمية هذه الكورة وتحولت الى كورة أخرى من الاقليم وهي كورة الزبداني دعيت السوق سوق وادي بردى تعريفاً لها وتمييزاً .

اما الزبداني التي هي اليوم قاعدة الاقليم ومركز حكومة قائية المقام فيظهر ان اسمها قديم العهد ايضاً اخذه اليونان والرومان عن الاسم العبراني (زَبْدَا) اي مكان الخصب ، فتروم المسيحيون في عهد الرومان انها منسوبة الى (زبدى) ابي الانجيلي يوحنا فدعوها وقتاً ما (يوانوبوليس) اي مدينة يوحنا . وقد وجدت في بعض المجمام الاقليمية نواقيع أساقفة الزبداني في القرن السابع بتعريف (اساقفة يوانوبوليس) وذلك بعد انتقال الكرسي الاسقفي من آبل السيق الى الزبداني في اوائل ذلك القرن ، اي بعد خمول آبل وترقي يوانوبوليس . ثم عادت في عهد العرب الى اسمها القديم زبدا فنسبوا الاقليم اليها فقالوا (الاقليم الزبداني) كما نسب الرومان من قبلهم الى آبل فقالوا (ابلينبة) وبه دعيت البلدة نفسها من باب تسمية الجزء بامم الكل كقولكم (مصر) في القاهرة عاصمة مصر و (الشام) في دمشق عاصمة الشام .

ولمضيفنا الاستاذ المعلوم رأي آخر في الزبداني - بتسكين الباء كما يلفظها البعض - انه نسبة الى زبدا قائد زينب ملكة تدمر ، وقد وجد هذا الاسم منقوشاً مع تعريف لقبه (قائد زينب ملكة تدمر) على حجر اقتلع من اخربة قرب الزبداني ونقل الى المتحفة الدمشقية التابعة للمجمع العلمي ، وربما كان ذلك المكان مخفراً عسكرياً لحفظ الطرق فنسب اسمه الى ذلك القائد رئيس المخفر فقبل زبداني بتسكين الباء .

ولاصل الزبداني تعليل عربي ايضاً وهو انه نسبة الى الزبادنة او الزبدنين وهم قوم كانوا غير خاضعين للرومان . هذا تعليل صحيح ، ولكن لا بالزبداني وكانت في زمن الرومان مقر معسكر ، بل باصل اسم قرية (كفر زبد) المعروفة اليوم في منطف الجبل بارض البقاع . فان كلمة كفر آرامية ومعناها بلد وهي كثيرة الى اليوم في اسماء البلاد مثل كفر عاصر ، وكفر العواميد ، وكفر شينا ، وكفر بطنا ، وكفر الزيت الخ فيكون اسم هذه القرية (بلد زبد) التي ينسب اليها الزبديون او الزبادنة .

وان لتعليل اسم بلودان اخيراً وهي قرية أخرى من اقليم الزبدان وجهان اوردهما
الاستاذ المملوف في مخطوطه (تاريخ سورية المجوفة) الاول ان يكون اصلها كلمتين
هما (بيل دان) من الآرامية اي محل الاله بيل لهيكل كان هناك ايضاً ، فصارت بعد
النحت بلودان . والثاني ان تكون منحوتة من كلمتين غيرهما آراميتين ايضاً وهما (بيت
لودان) ولودان جمع لود وهم شعب من سلالة لود بن سام اخ آرام كان قبله وأدغم
فيه فثنوسي ، وهو الذي تدعوه الآثار المصرية (ربتان) ومنه اسم (بربتان) اي بيت
ربتان باللغة المصرية القديمة قرية في سورية المجوفة ملكها المصريون ولا تزال تعرف
بهذا الاسم قرب بعلبك ، وهي التي رددت الجرائد اسمها في المدة الاخيرة بمناسبة
حوادث ملحم قاسم ورجاله .

« وصف اقليم الزبداني وقراه » = اقليم الزبداني ، ويقال له ايضاً الغوطة الغربية ،
جنة من جنان الشام بل هي على رأي البعض كما سبق القول ، بقايا جنة الفردوس
الارضى لما فيه من الينابيع المتدفقة بالمياه العذبة الرائقة ، والبساتين الملاءى بالاشجار
المثمرة ، تحيط بها أسوار من اشجار الحور الباسقة والجوز ذات الظل الوارف والأثمار
الشبه ، تظللها الرياض يزورها البقرية ، وثمارها العطرية ، والحقول والسهول
السندسية ، ويخترقها نهر بردى الجميل فتتلاها مياهه الزرقاء في بقاع هي من اطيب
بقاع الدنيا تربة وهواء . فصولها الاربعة منتظمة ولها في كل موسم من السنة حسن
يتناسب مع الفصل ، حتى شتاؤها فجميل وقد اخذ جماله بقلب شاعر القرن السابع
للحجرة فتيان الشاغوري الدمشقي الذي أوردنا له ابياتاً قبيل هذا وكان يختلف كثيراً
الى وادي الزبداني ، فقال في وصفه شتاء ابياتاً ثلاثة بديعة النظم والدورية والوصف
تذكرها النواريز العربية كما انت على ذكر الزبداني قال :

قد اجد الخمر كانون بكل قدح واخذ الخمر في الكانون حين قدح

يا جنة الزبداني انت مسفرة بكل وجه اذ وجه الزمان كلح

لالتلج قطن طليك السحب تندف والجو يحلجه والفوس قوس قزح

اذا صعدت الى اعلى ذروة في جبل بلودان تشاهد قسماً من الغوطة الشرقية
والمرج كما تشاهد بلاد بعلبك والبقاع ، ومن جهة أخرى تشرف على جبال حرمون

الجميلة المكلفة بالثلوج المعروفة عند المحدثين بجبل الشيخ وعند القدماء بجبل الثلج وهي قطعة من سلسلة انتي لبنان المسمى عند العرب بجبل سنير . ومناظر بلودان ومضابيا وبقين وهما القريتان المجاورتان لبلودان من أجل مناظر سورية الوسطى لانها مشرفة على نبع بردى ووادي الزبداني البهيج الذي امتناز منذ القدم بثفاده وأثماره المتنوعة وبطيخه . ولقد كان هذا الوادي منذ امد بعيد مما يثناه الناس للاصطياف لجودة مائه وصحة هوائه واعتلال نسيمه وانتظام موسمه ، وبالنظر الى توسطه بين البلاد ، بين لبنان وما تشعب من لبنان وبين دمشق عاصمة الشام القديمة وثغرها البامم بيروت ، كان لوادي الزبداني موقع ممتاز . ثم ان الهواء هنا غير مشبع بالرطوبات كما في بعض الانحاء الساحلية بل هو بلبل عليل ناعم نافع في الاجسام .

وتمتاز بلاد هذا الاقليم ببحيراتها الكثيرة حتى ان المصطاف فيها اذا كان صاحب عيلة ينفق فيها مع الراحة نصف ما يقتضي له في المصايف الاخرى المعروفة وهذا امتياز له وقع في الامور الاقتصادية . وكذلك العيون التي تنجس من جبال الزبداني ان هي الا عمارة ثلوجها الكثيرة ولها موقعها من الصحة كعين حور وعين النور وعين حل جرابك وعين حزيرو وعين بقين وعين الجرجانية وعين عطيب وغيرها من العيون الجميلة ، ما يمكن ان يتألف من كل عين منها منتزه من اجل منتزهات العالم لا يقل عن منتزهات الغرب المشهورة .

واذا اردنا ان ندرس بعض مواد الغذاء فيها نجد اللحم بالغاً غايته من الجودة بالنظر الى حسن المراعي في جبالها ، وهناك الالبان والاجبان التي قل مثيلها في معظم اصقاع الشام ، خاصة تميز بها هذا الجبل وما اليه من السهول . فقد اثر هذا الهواء الجيد في الانسان تأثيره في الحيوان والنبات .

ومعلوم ان المصايف يجب ان تكون الى السكون اقرب منها الى الحركة . فاذا قلنا ان ابن القاهرة مثلاً يصطاف في مدينة تشبه حركتها حركة المدد الكبرى ووسائل الراحة فيها كوسائل الراحة في المدن كانت الفائدة من مصيفه اقل ولا شك من مكان فيه سكون ودعة واخذ بالنفس الى السذاجة والطمانينة ، فجبال الزبداني فيها شروط الراحة ورجوع الى الطبيعة والرجوع الى الطبيعة فيه نوع من الرياضة

الجسمية والعقلية لا يمكن تأثيره . فابن المدن الكبرى محتاج إذن في مصيفه ان ينزل القرى ويرجع ولو اياً قليلاً في السنة الى امه الطبيعة يناغيها ، وان يريح اعصابه من ضوضاء المدن ويتعمد عن اضطرابات المدينة المربسة ومشاكلها . وكما قلت في بلد انقاس الناس كانت الى الصحة اقرب . ولا شك ان الاقبال اذا زاد على هذا الوادي وكثر مصطافوه انه يعمر بعد سنتين او ثلاث عمراناً يناسب المتمدنين ولا يبعد كثيراً عن المصايف الطبيعية .

« قرى الاصطياف في الزبداني » = اما قرى الزبداني التي تصلح للمصايف وقد مهدت اليها الطرقات بحيث أصبحت السهات تسير تواءم اليها فهي :

الزبداني — كورة الاقليم على مسافة ٤٨٠ كيلومتراً من دمشق ، علوها ١٣٠٦ أمتار عن سطح البحر ، يقطنها اكثر من ٢٥٠٠ نفس ، تمر عليها قطر السكة الحديدية ولها بها محطة جميلة مهمة وبقرىها دوائر الحكومة ، فيها ينابيع عديدة وبكثريتها التفاح والسفرجل وبقية الاثمار والبقول ولها شهرة خاصة بتفاحها السكاري المعروف بتفاح الزبداني او بالتفاح الزبداني او بالتفاح الجناني وهو تفاح ذو رائحة زكية يساع منه في أسواق دمشق ويحمل الى جميع جهات سورية والى مصر ايضاً ، ينادي عليه الباعة بدمشق « بخّر الشورة » — والشورة في كلام العامة هي المنديل — وتضعه النساء في خزائن الثياب وصناديقها فتفوح من الثوب عند لبسه رائحة نفش الفؤاد . وقد جاء في مأثور الامثال الشامية « من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح » تروي اراضيها مياه النهر المسمى بنهر الزبداني وهي تنبع من قرية عين حور وينضم اليها في طريقها ينابيع الفراسكين والدلة وشمركا والنايوع وعين البق ، ثم تتوزع مياه هذا النهر بصورة منتظمة وباوقات معينة على الاراضي والحقول والبساتين والرياح بحيث لا يبقى منه شيء في الصيف يشكل مستنقعا يفسد الهواء . من اجل ذلك كانت غزارة المياه وانتظام سيرها وضبط قنواتها في الري باعثاً على جعل الاراضي خصبة والفواكه والبقول جميلة المنظر ، كما ان برودة الماء ونوع التربة وخاصة المناخ جعلتها شهية الطعم لذيدة المأكول .

وعلى مقربة من الزبداني نبع نهر بردى بسفح الجبل الغربي ، يبعث في القلب

اضطراباً داخلياً اذ يشاهد الناظر اليه هوة عميقة يخرج منها الماء بكل سكون وهدوء ويجوانب هذه البحجة ينابيع صغيرة تسيل دمعاً رائعاً بحيث لا يسمع لهذا النهر خرير ولا ضجة كما هو المعتاد في أكثر العيون والينابيع الكبيرة . ثم يسير هذا الماء سيراً بطيئاً وهو ينساب كالأفعى ذات اليمين وذات الشمال بين سهول الزبداني حتى التكية وهي رأس الوادي وبها معمل الكهرباء لانارة دمشق وجرحافلاتها وتحريك آلات مصانعها ، ومن هناك تبدأ الشلالات العديدة وتكسر مياه النهر على الصخور فتزيد بذلك خفة وتقاء الى ان تلتقي بمياه نبع عين النجعة العجيب فيختلط المآآن ويسيران نهراً مزيجاً عرماً الى دمشق وغوطتها . هذا هو « ابانة » العبرانيين و « خريزو رواس » اليونان والرومان الذي يروي الارضين فتنبث الخيرات التي تقدر مواردها بالملايين من الدنانير الواضحة .

« بلودان » = بيت القصيد وأهم مصايف إقليم الزبداني وأبرد ما هواء وأعذبها ماء وأنقاها مناخاً . انتخبها قيادة جيش الشرق الفرنسي مصيفاً يتنار به الضباط والجنود ايام فصل الفيظ فيبأون من سقامهم ويجددون قواهم ويستردون عافيتهم ، وما انتخب القيادة هذا المصيف من بين المصايف الكثيرة الا بعد درس طويل وفني من جميع وجوهه . بلودان مبنية بسنح الجبل الشرقي تحاذي الزبداني موقعاً وتبعد عنها مقدار ثلاثة كيلومترات . ارتفاعها عن سطح البحر ١٤٠٠ متر ، ذات مناظر خلابة . يقطنها أكثر من ٦٠٠ نفس . وفيها عيون ماء عذبة باردة أهمها عين (حل جرابك) وعين (حزير) .

« بقين » = محرفة عن بوقين اي ملو الفم مرتين . وقد سميت بهذا الاسم اشتهاراً بجودة الماء النابع فيها . بقين قرية واقعة بالجنوب الشرقي من الزبداني على بعد ستة كيلومترات منها وأمامها موقف اختياري لقطار السكة الحديدية من اجل نزول المصطافين ور كوبيهم . ارتفاعها عن سطح البحر ١٣٥٠ متراً ويقطنها من السكان ٢٥٠ نسمة كلهم ممتعون بصحة نضرة .

« مضابا » = واقعة حذاء بقين ويجنوبها على مسافة كيلومترين منها هذه القرية ذات مشاهد فتانة يسرح فيها خيال الشاعر مياهها غزيرة تنبع ضمن حدود

الابنية وهي عين الحديد وعين الجديدة وعين امين مما يزيد ارباب الذوق رغبة في الاصطياف بها .

« كفر عامر » = قرية خربة اليوم قيل انها كانت من عهد ليس بالعهد مركزاً لحكومة الزبداني وهي على سفح الجبل بمقرية من كورة الزبداني ذات مناظر بديعة ومياه عذبة هدمت على اثر نزاع قام بين السكان وعسى ان تصير في المستقبل مطمح أنظار المصطافين فتبنى فيها الفنادق والبيوت ويعود اليها عزها السابق .

« عين حور » = سميت كذلك اما نسبة لاشجار الحور الكثيرة فيها او الى من كان يؤمها لكونها مصيفاً جميلاً من ذوات الاعين الحور لتكتسب من جمال الطبيعة . وعين حور قرية بشمال الزبداني على بعد سبعة كيلو مترات منها . ينبع فيها ماء عذب يجري منها الى الزبداني كما سبق القول .

« سرغايا » = قرية واحة بشمال الزبداني وعين حور علوها عن سطح البحر ١٣٧٢ متراً ويقطنها ٧٥٠ نفساً فيها محطة لقطار السكة الحديدية وبها نبعان رائقان هما عين سرده وعين الموقد ذات هواء نقي جبلي . مناظرها من جهة الشمال جبلية ومن الجهة الجنوبية فسحة من الرياض السندسية كأنما هي قطعة فردوس .

« عين الفيجة » = قرية اشتهرت بمجودة النبع السائل منها شهداً ذكياً وقد أخذ منها قسم باناييت فولاذية لا ورواء مدينة دمشق وعلى اثر ذلك زال كثير من الاوبئة والامراض السارية التي كانت تدام السكان بسبب شرب ماء بردي بعد ان يكون قد تلوث بانواع الأتذار في طريقه الى دمشق ، والناظر الى رأس ذلك النبع الفخم في فصل الربيع يراه والماء الغزير يتدفق منه بضجة وخرير ثم يجري بلون سماوي رائق على تلك الأشجار الفضية الغائصة في أسفله كالدرر فيلذ له سماع تلك النغمات الطبيعية يساوقها تغريد الطيور من فوقها وتحيط بها الأشجار الخضراء منتصبه القامات ورافة الظلال تقديه بذاتها لنقيه حر الغزالة فيحسب نفسه في دار الخلد او في جنة النعيم لذلك ترى سكان تلك القرية ذوي وجوه نضرة ودم قوي لا ينقصهم سوى منابع علم تروي منهم الافكار فتثمر آراء نضرة تشبه نضارة جنتهم الارضية .

« الخاتمة » = هذا ايها السادة يرض من رعد وساقية من بحر استقلت اليه

انظار اخواني الادباء ليقروا محاضرتي هذه بمحاضرات منهم يصفون لنا بلاد دولة دمشق إقليماً بعد إقليم فكلها ملاءى بالتواريخ المعمة والمقاصف الجميلة والمياه العذبة والمناخ النقي الذي يجعلها في مصف المصايف الحسنة .

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— ار —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر العالميان

= ٩ =

ودونك برهان البلاغة الشعرية مع فقدان سواها قال الشاعر :

(وجاوزوا ارسناتاً معصمين به	قبل الجوس الى ذا اليوم تضطرم)
(دُهم فوارسها رُكَّابُ ابطمها	وسمهر يته في وجهه عام)
(تناج رأبك في وقت على عجل	قد أفسد القول حتى أحمد الصم)
(عبرت تقدمهم فيه وفي بلدي	ان الكرام باستخام يداً خُتموا)

او كقوله :

(والماء بين عجاجتين مخاض	تحت الحسان مرايض الغزلان)
(بحر تعود ان يذم لاهله	تفرقات به وتلقيات)
(وحشاه عادية بغير قوائم	من دهره وطوارق الحدثان)
(تأتي بما سبت الخيول كأنها	عُقم البطون حوالك الالوان)

فهذا الشعر هو من أعلى طبقات الشعر ، والوصف فيه معجز المباراة ، غير انه تنقصه حقائق الاتصال لتألف مبانيه ، وتظهر لنا معانيه ، ولكنتنا اذا حللناه الى ثر بدا لنا خلط موسوس او هذيان محموم .

وعندنا ان دانتى عند نظمها الألوبة كانت قد اعتراه الوسواس او الصرع لما توالى عليه من مصائب الدهر ، وأولها خذلان حزبه ، ثم ضيعة مطامعه ، ثم خيبة آماله ، ثم نفيه من بلده والحكم عليه اخيراً بالقتل ، فخرج من وطنه طريداً شريداً لا يملك فلساً كما تقدم اجمال ذلك معنا في ترجمته .

ولا عجب بعد هذا اذا يلي بداء الصرع او الوسواس ولا سيما اذا كان في طبعه استعداد لذلك .

واذا صح زعمنا هذا ولا نراه الا صحيحاً ، زال الاشكال في وقوع الخلط الكثير الذي رأيناه في الألوبة عند الجمل الكثيرة التي لا يستخرج لها معنى ، ثم اللعنات التي صيها على الأسانفة والباباوات وإقرارهم في جهنم ، مع صلابته في دينه ، ثم استدعائه ملكاً غريباً لا كتاح بلاده مع شدة وطنيته ، ثم في ما يرويه عن مشهوداته في جهنم والمطهر والفردوس ، رواية صادرة عن يقين تام برؤية ذلك كله رأي العين وأخيراً تصريحه بان روح الله سلت فيه . على ان الظلمات التي يردد ذكرها كثيراً ليست عندنا الا نتيجة طبيعية للسوداء التي كانت تصاحبه .

وما دانتى بأول موسوس نظم فحجب سامعيه ، فالروايات عن موسومي الشعراء عند العرب كثيرة وأشهرهم الموسوس الذي يقول :

(حجبوها عن الرياح لاني قلت ياريح بلغها السلام)
(لورضوا بالحجاب هان ولكن منعوها لكيدهم ان ثامنا)

ثم الملقب بالجنون مجنون ليلي ، وعن يقال انه يلي بالصرع او الوسواس الشيخ عمر الفارسي وقالوا دخل عليه بعض أصحابه فرأوه يدور حول بركة الجامع ويقول :

(ستي ستي من حقاً اي والله حقاً حقاً)

وبصق يديه ، وفي بعض ايات نأيته الكبرى من الخلط ما يرجح هذه الرواية . ولا نطيل في تعداد الموسوسين او المصابين بالصرع من الشعراء والكتاب والعلماء فهم عند جميع الامم وحسبك ان بامسكال وهو احد افراد الدنيا ذكاء وعلماً ، قد اعتراه الوسواس كما أثبت ذلك غير واحد من مترجميه ، بل زعم بعض المحققين من الناقدين

ان بعض الانبياء كان مصاباً بالصرع او بالوسواس و يسمى الموسوسون بالفرنسوية (Les Hallucinés) .

ومن أعجب العجب بل مما يحار له الناقد اذ يرى أكثر الذين قلابوا الطرف في الالعبوة الالهية من الشراح العلماء والنقاد الالباء أجمعوا على انها آية الايات فيما تضمنته من الفصاحة والفتون ، وانها معجزة لم يدرك شأوها من جاء بعده من الشعراء .

نعم أشار بعض الشراح من الناقدين الى ان دانتى لم يكن من المبتدعين بل من المقلدين ، غير ان الجماهير وفيهم أكثر شراحه وناقديه من جميع الامم كانوا ينظرون الى الالعبوة الالهية بعيون اكأها الرضى عن نقد العيوب ، او ان رهبنتهم مما ذكره في جميعه ملكت عليهم أنفاسهم فلم تجر أقلامهم بغير الاطراء والاعجاب ، وجل اولئك من كانوا ينظرون اليها بطرف الخشوع كأنها من الكتب السماوية لفرط تحمسهم الديني وهو كما تعلم قد بهمي وبهم ، حتى انهم اذا مروا بجملة نسائي تعلم الكنيسة نفسها ، قالوا ان فيها لنظراً ، كأنهم يرددون ان من الكلام لحكمة .

ولعل ذلك يرجع الى أسباب : منها شدة تعصبهم الديني ، ومنها التيار الجراف تيار الرأي العمي ، وقد مرّ قبل هذا في ترجمة دانتى ما كان من ظهور دعاة له بعد موته بمدة طويلة وكيف انه كلما طالت المدة على زمن وقائه ، زادها الرايون خرافات سموها معجزات (عجائب) ألصقوها به وزادت في عدد أشياعه ، وجلهم من جهلاء العامة وما اكثروا في كل عصر وفي كل عصر ولاسيما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

ومنها ان الالعبوة وهي أغنيات كانت باللغة العامية يومئذ كما علمت ، واين من هؤلاء لغة فيرجيل وهم لا يفقهون منها لفظاً . ومنها انها تتبدى في جهنم والتفصيل عن سراديبها ومناورها ، وسلاييمها وكهوفها ، واعوجاجاتها ودياميسها ، وأبالستها وظلماتها ، ونيرانها القائمة ووعوشها الغريبة وعذاباتها التي لم تخطر على قلب طافل الى ثمويل بالوصف ينزل الملح والرهبة على أعظم القلوب شجاعة ، وينشر النغم والكآبة على أوضح الوجوه بشراً ، يوم كانت سيوف محاكم التنقيش مجردة فوق الاعناق في هاتيك الاقطار ، ورسلك تلك المحاكم الظالمة البربرية تجوس خلال الديار ، لاستراق لفظ

يشف عن راحة او هناء ، ومسارة شفة تبتسم عن رجاء ، وويل يومئذ للتهمين ، اذ لا طهور لهم من تلك الأوزار ، في شرع تلك المحاكم بغير الزيت والنار .

فهل يعقل ان يغتنى في مثل تلك البلاد الشقية بغير هذه الاغاني ؟ ولا سيما ان الحكماء فيهم لم يكن يروق لهم سماع سواها ، وهم وعمالمهم المسيطرون يومئذ على أعمال الناس وحركاتهم ، والناشرون فوق الرؤوس محب التهويل والكآبة والارهاب ، فلا بدع في انتشار الالعبوبة انتشاراً يضمن لها هذا الاثر الخالد بين قوم كانوا لا يرون الحياة في هذه الدنيا سوى النوح وقرع الصدور ، لنيل الغفران او للنجاة من أئمة ظالمة نناهوا في الفحشاء والشرور .

ومنها ان هوى الجمهور مع المظلوم في كل حين ، او مع من ادعى المظلمة وان كان هو البادي ، فهم ينظرون اليه في حال شقائه وذله ويسددون سهام قدحهم نحو خصمه ، وقد مرت بك ما نزل بدائتي من البلاء ، فلا بدع ان يكون ذلك من اعظم البواعث على الشفقة عليه وبعده شهرته ، وهذا في التاريخ ولا سيما تاريخ الآداب أكثر من ان نقيم عليه الدليل ، وحسبك ما ذكره اكثر نقادي وبكتور هوجو ، من ان قفيه بامر الامبراطور نابوليون الثالث ، كان من أجل الاسباب في زيادة شهرته ، وادعاء مريديه له بالزعامة الشعبية في عصره ، بل غلو بعضهم الى أبعد من ذلك .

ونعود الآن الى ذكر الرأي العمي^(١) فهو يجرف الرأي القصري ، كما تجرف الامواج عند اشتدادها كل ما أمامها ، وقد وقع في التاريخ وغيره من العلوم أغلاط لجماعة من كبار العلماء كان منشأها تيار الرأي العمي ، فمنهم من نذبه الى غلظه فأصلحه بعد حين ، اي بعد السكون . ومنهم من سجد على غلظه اذ عاجلته قبل التنبيه عليه المنون . وتفصيل ما يعرض لامثال هؤلاء من عقلاء الناس حتى نراهم عند تلاطم التيار يتقادون للرأي العمي بغير انتقاد ، فيضيم الحازم حزمه والحليم رزاقته ، مما نكلم فيه كثير من الفلاسفة ولا سيما فلاسفة علم النفس ، وليس هذا محل الاقفاضة فيه فنقتصر على الاشارة اليه ، للبرهان على ما كان من تهافت كثير من العلماء والناقدين

(١) الرأي العمي نسبة الى العامة والقصري نسبة الى الخاصة .

في رفع دانتني الى المنزلة التي احاط بها العامة ، وكان من حقهم او من حق النقد عليهم ان يكونوا أكثر ثبثاً ، وأوفر انتقاداً .

ومن أظهر الأسباب في شيوع الالعبوة الالهية ، ورفع صاحبها الى العرش الثالث لملوك الشعر عند جميع الامم الفرنجية ، هو موت اللغة اللاتينية وانتشار اللغة العامية بين سائر طبقات الامة الطليانية ، فلما بدأت هذه تنبث من رقادها ، وتحرر من قيود الاستبداد ، ونظر الى نفسها جماعات جماعات ، وثوبت الى الاتحاد ، شأن الامم في أوائل انتباهها بجمعها لغة واحدة ، نظرت الى قديمها في العلوم والآداب فلم تجد لها شاعراً غير دانتني طبع بطابع اللغة الطليانية كثيراً من أحداثها ، بل جعل تلك اللغة العامية ذات قواعد ملائمة من نظم تلك القصيدة الطويلة الشاملة (الالعبوة) . فكان في عيون الامة الطليانية يومئذ محيي آثارها ومؤسس لغتها وركن فخارها ، وطالعت ما انتابه من الويلات وما عاناه في سبيل الرجوع الى وطنه ، فانصرف الانظار عن جملة ما في الالعبوة من العيوب ، ونظرت اليه نظر المحب الى المحبوب ، فقالت مع شاعرنا ومن اين للوجه المليح ذنوب .

وآخر القول اذا كانت انشاء المرء مرآة عقله ، واختيار اللبيب دليل ذوقه ، فلا ريب انها مرآة قلبه وصورة عواطفه ومجلى أخلاقه وآدابه ، واذا رما انت نستشف من انتقاد رسالة القرآن والالعبوة الالهية ، مدي عقلي صاحبهما ، ومجلى عواطفهما وأخلاقهما ، لاني هذه الموازنة حقها من الانصاف ، نرى البون شاسعاً بينهما فان رجاحة عقل المعري واضحة على كل صفحة من صفحات الرسالة ، ولما كانت رسالة ابن اثير في ثقل الشرع والتزام حدوده ليست من معتقده ، وكان تقر يظها حتماً عليه ، اذ انتقاد الشعر وكتب الادب وتقر يظها عادة قديمة في الامم ترى حديثها في توارخ اليونان والرومان ، واما عندنا فنحن العرب فيصعد ذلك على ما وصل اليها ، الى حكاية حويليات زهير والمعلقات ، ثم الى مساجلات ابي نواس وصرير الغواني وابن الجهم ، ثم بعدم الى بشار بن برد وابي العتاهية وجماعتهما ، ثم الرواية عن قول ابي تمام للمعري عندما قرأ عليه شعره ، نعت الى نفسي يافق ، ومثل ذلك اليوم عند الفرنسيين وغيرهم من الفرنجية ، فانه قل ان يوجد بين أدبائهم بل علمائهم ، ممن

يؤلف كتاباً دون ان يطلع عليه احد أصدقائه من العلماء ، واكثر تلك الكتب تطمع
مصدرة بمقدمة ممن طالع ذلك التأليف هي في تقريب الكتاب .

قلنا ولما كان تقريب رسالة ابن القارح حتماً على ابي العلاء ، صورته حلاً رأه
كأنه يقول لابن القارح واطالعي رسالته ، ان جزاء من يلتزم هذه الحدود كما قال
صاحبي ، هو هذا الحلم الذهبي ، ثم لم يشأ ان يجعل هذا التقريب كله مزاحاً او مداعبةً
وهو الفيلسوف الزاهد المتكشف ، فملاًه فرائد وتحقيقات شعرية كانت هي محور آداب
القوم في عصره ، وبعض اشارات وتلميحات علمية كقوله : « وبيني وبينه مسيرة الوف
أعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة » والاشارة بها الى القياس بسرعة
النور في علم الحياة .

وكقوله : « ويفترق اهل ذلك المجلس بعد ان أقاموا فيه كعمر الدنيا أضعافاً
كثيرة » فهل من وصف لطول ذلك الوقت وسرعة سروره بالمقايضة مع لفظ « الابدية »
أبدع من هذا الوصف .

وكقوله : « وهل يعرف البشر من علم التنظيم الا كما تعرف البقر من علم الحياة
ومساحة الارض » الى غير ذلك من اللطائف .

اما ركن رسالة الغفران ، فهو الرحمة والحلم والحنان ، وهي عواطف صاحبها
وأخلاقه التي هي كلها تسامح وعقل وفلسفة فانه لما ألقى نظر حمله على ذلك الفردوس
الموعود . فلما بل طعن بحكمته تلك الأقفال والقيود ، وفتح ابوابه وفتح رحابه ،
ووسع فيه الا ما كن لجميع البشر بل للحيوان ايضاً ، اما لفعل خير ولو طفيف ، او للنفقة
صدق ، فلم بدع جاحداً مشهوراً الا أنزله بذلك النعيم ، ولا وثنيّاً الا سلسل في حلقه
ذلك التسليم ، ومقام كلهم ذلك الشراب الطهور القديم ، ومتهم كلهم بالحور
والقصور والشباب المقيم ، ولسان حاله يقول : ما ضرّ ربك ان يسكن مخلوقاته كلها
هذه الجنات ، وهل تسعكم وحدكم وتضيق عنهم هذه السموات ، يا ضيق العطن
وناشري الآحن ومعلي أفانين العداوات ، ثم غمزهم غمزةً فالتقى الأخطل وشار بن برد
في النار لعينهم والاول نصراني والثاني مسلم كما تعلم . ليحكم في ذلك العقلاء وبضدما
تتميز الاشياء .

على اننا ما خطر ببالنا مرةً ابو العلاء الا حرنا في امره ، ذلك انه على ما أوضحنا
اول هذه الموازنة كانت من الفلاسفة الزنادقة الذين يهزأون بالبعث ، الا انه ملا
شعره مواعظ بالزهد في الدنيا والبعث عن مسراتها واجتناب سائر لذاتها حتى الخمر
والنساء ونادى بقصر العمر وما يعقبه من الفناء وهذا كله عين ما يقول به اهل الادب ان
كقوله وهو اقصى ما يقول به المنتقشون منهم .

(ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة ان يبكوا)
(تحطمنا الايام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادله سبك)
وكقوله :

(رويدك قد غررت وانت غرٌّ بصاحب حيلة يعظ النساء)
(يحرم فيكم الصباء صجاً ويشربها على عمد ماء)
(يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء)
(اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لإجهة اساء)

وغير ذلك من أمثاله كثير جداً وفي مراجعة لزومياته غنى عن الاضافة فيه .
وكنا كما قلنا في حيرة الى هذه الساعة من امر ابي العلاء ، نراه من التناقض
بين مذهبه ومقاله فهو شديد على النساء في الحجاب ووجوب الاستقرار بالبيوت مع
علمه بانهن في طبيعتهن البشرية لا يختلفن عن الرجال بل عن سائر الحيوان ، من النزاع
الى الشمس والهواء ، والاستمتاع بكل ما في الكون مما تجيش اليه النفس وتستلذه
الحواس الخمس .

وهو شديد عليهن في ترك التبرج مع انه يحسب عند بعض علماء الطبائع من
أخلاق الانثى حتى في بعض الحيوان ومع انه لم يرا امرأة قط (سوى أمه في طفولته)
ولم يتزوج ولم يعرف أنثى لقوله وهو القائل الصادق :

(هذا جناس ابي عا - ي وما جنبت على احد)

وهو شديد على شاربي الخمر مع انها قديمة جداً وقد أحبها البشر في كل عصر
بل عبدها كثير من الامم كال يونان والفينيقيين وغيرهم ونحتوا آلهة لعبادتها وتفننوا
في تصويرها والعرب قبل الاسلام وبعده عن ادخلوا في ذكر لذتها ومنافعها وتصوير

شقي محاسنها ، ولم يحرمها من الاديان سوى دين الاسلام وفيلسوفنا كما علمت ليس من الاسلام في شيء .

وهو شديد على اهل اللهو وسائر اللذات الجسدية يأمرهم بفهر الجسد ومحاربة آميال الجسم الطبيعية ويتمردون بقصر العمر وينذرون بالنساء مع انه القائل :
(تعب كلهم الحياة فما أء — يجب الا من راغب في ازدياد)

وان كل حي مصيره كمصير النبات ، فما ضرهم — ان كان كما يزعم — انتهاب هذه اللذات ، والتمتع بما أباحته لهم الطبيعة من المرات ؟ وما الذي يجب ان يتوقاه المرء اذا هو لم يعتقد على احد من المخلوقات ؟

نقول ان في نواهي ابي العلاء وتشدده برماناً لمع الساعة أمامنا وحل لغزاً طالما امتنع علينا حله ، وذلك ما أوردناه آنفاً من جرف الرأي العمي كل ما أمامه ، واستدراج أعقل الناس اليه من حيث لا يشعر ، حتى ليضيع الحازم حزمه والبصير رشده ، وتختلف نتيجة المطبق عن مقدمته ، وهو التناقض الذي أشرنا اليه كما رأيت .
فان عهد ابي العلاء كان عصر تشدد في الدين لما انشأ الدولة العباسية العظيمة من خسارتها كل ما كان بيدها الا اسم الخلافة والدين ، وانت تعلم ان المرء حريص على ما بيده من ملك او سلطان او جاه او مال حتى اذا ما فقد شيئاً منها تمسك بسواه واذا أصيب بنقدان جميعها نظر الى ما حوله وفتش عما يستطيع امتلاكه والنباهي به ولو كان ذلك الملك شيئاً معنوياً كالدين فيقبض عليه بكتا يديه حاسباً انه القوة التي بها يغلب الاعداء ويسترد المسلوب ويستعيد المجد والملك او انه هو يغني عن كل ذلك وهذا ما أصاب غير أمة من الامم كالبيزنطيين في آخر دولتهم .

فلا بدع والامر على ما ذكرنا ان يكون الرأي العمي لعهد ابي العلاء محصوراً في الزهد والتقشف والصلاة والحجاب والنهي عن الخمر واللهو وسائر اللذات وان يجرف تيار هذا الرأي حصانة فيلسوفنا فتناقض نماذج صريح مذمبه وتختلف نتيجة عن مقدمته في بعض أقواله .

وفي الختام فلننظر في مرآة داني وهي الالعوبة الالهية ، اما من حيث العقل وإصابة الرأي ، فيصعب جداً على الناقد المنصف ان يرى لها في هذه المرآة شكلاً

وخيالاً فالخلف فيها أضع الاصابة وغشى على العقل بستر كثيف حتى ظهر فيها رجل أوهام وخرافات كان حفظ في صغره شتى كتب التاريخ والعلوم ثم أصيب في حكمة بحمي شديدة غادرته يردد في هذيانه أكثر ما حفظه متداخلاً بعضه في بعض حتى ظهر بهذا الخلف العجيب فنحن لا نرى عن رأينا تبديلاً فيما بدا لنا من وسواسه .

أما أمياله وعواطفه فقد بدت لنا غريبة عن مواطن اللطف بعيدة عن العفو والرحمة ، لا تعرف للتسامح معنى ، ولا تقيم للعنان والاعتذار وزناً ، أو هو سواد انسان لكنه قد من حجر ، ومع انه كان زوجاً وأباً فلم نسمع منه حرفاً باسم زوجته أو اولاده بل لم نسمع منه شكوى فراق أو صوت اشتياق أو عبارة يشمر منها بانه يفكر لحظة بهم ونرى حب المجد والاثرة ظاهراً في كثير من أسطرها الى الغاية القصوى .

أما أخلاقه فعبوس وكآبة وحقد وشراسة وحب انتقام وقصر نظر لا يعرف من الحلم ورحابة الصدر الا اسمياً وعندده ان كل مخلوق عاقل على الارض منذ وجدت حتى آخر الدهر يجب ان يزج في نيران جهنمه السوداء او انه محكوم عليه بها ان لم يؤمن بكل ما يؤمن به دانتني لا عنو ولا سماح ولا شفاعة ولا رأفة ولا غفران وانت نرى ما بين المعري ودانتني من البون الشاسع في النعقل والاخلاق . وان رسالة الغفران التي نطوي على أقصى مزايي التسامح والرحمة والحلم بتحويلها عن موضوعها السامي باتت في فم دانتني رسالة لعنات وانتقام وكأن شاعرنا العربي نظر اليها فقال :

(نقول هذا مجاج التحل تمدحه وان تدم ثقل في الزنابير)

وترينا تلك المرأة صفحات كثيرة من علوم عصره وحوادثه مخلوطة خلطاً عجيباً فلاحوت القديس اغوستينوس باساطير اليونان ، وهوميروس وفيرجيل وصلاح الدين وأفلاطون باجتماع واحاديث العصابة والهيام وما يمانية دانتني من نار الشوق والغرام مع القبطه او العزة الالهية أي الله ذاته وليس في كل ذلك اي فيما يعرض به من العلوم رأي لادبها او اعتراض او بيان او شرح ، فكأنها صورة كتاب ميت لا صوت لسان حي .

هذا ما وصل اليه بحثنا وتمحبهنا ونرجو ان نكون قد أصبنا فيه شاكلة الصواب ،
وأطمنا به منبع النقاب ، عن مخدرات نزلت عليهم آية العجاب ، وتوارت وراء
مغلفات الأحقاب .

عضو المجمع العلمي العربي

فسطاكي الحمصي



الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ مصطفى الغلاييني

على اقتراح الامتاز « المغربي »

(١) انت ما شاع على السنة الكتاب الفصحاء من الكلمات (غير القاموسية)
وكان له اصل في السماع او القياس قبلناه . من ذلك كلمة « بدوي » التي ذكرها الاستاذ
فانها مسبوقة ، والقياس لا يأبأها . وهناك كلمات كثيرة شاعت على أفلام الفصحاء ،
وهي تلتئم مع القياس فأرى ان يميزها المجمع الموقر : كالنطوثر والتشريع (بمعنى تعلم
الشريعة كالنفقة من الفقه) والتشريع (بمعنى شرع الاحكام وسنها) والمكائفة
(بالناء) وداهمه العدو والمواطن ومان عليه يرون ودوي الصوت بدوي (بالتخفيف
والسموع دوي بدوي تدوية بالتشديد) وغيرها من الألفاظ التي درج عليها
خواص الكتاب ، ولها أصل ترجع اليه في لغتنا الكريمة . وقد بسطت الكلام على
ذلك في كتابي « نظرات في اللغة والادب » (ص ٤٥ و ٤٧ و ٤٨ و ١٠٦ و ١٢٦) .

(٢) كلمة « أفصت » لا حاجة اليها لان « فصت » المجردة تغني عنها . ولعل
« أفصت » من تحريف النسخ او الطبع . وربما كانت بضم الهيمزة للجهمول ، فيكون
معنى قوله « فأنته فأفصت قصته » حملت على ان أفصها ، او طلب الي قصتها .
اما كلمة « نفيم » ومثلها وفير فلا أرى حرج استعمالها رجوعاً الى الاصل . لان
وفرأ وفخماً اصلها وفير ونفيم . وقد أفصت في الكلام عليها سيف (ص ٣٤) من
كتابي المذكور .

واما « صدقة » فأرى ان شيوعها كافٍ لان يحملنا على قبولها وعدّها اسمًا بمعنى المصادفة ، كمنظائرهما الكثيرة .

(٣) « هيئة المحكمة » جائزة . قال في النهاية : « الهيئة : صورة الشيء وشكله وحاله » اهـ ومثله في اللسان وتاج العروس . وهل هيئة المحكمة الا صورتها وشكلها مجتمعة ؟

واما تشكيل المحاكم ، فان أريد به انتخاب رجال لها فالتعبير صحيح ، وكذا ان أريد به الثام اعضائها . وان أريد به اصلاحها فكلمات « اصلاح وترتيب وتنظيم وتهذيب » ألبي . والدليل على ما تقدم مستوفى في كتابي السابق ذكره (ص ١٩) .
واما الميزانية والكمية والكيفية ، فقد أصبحت من الكلمات المألوفة . والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعمالها الجدد قديما . ومثل ذلك لا يجوز ان يُصادم .

(٤) لا أرى مانعا من استعمال « خايره » بمعنى راسله ، لان القياس لا يأبأها مع شيوعها على ألسنة الكتاب الخواص ، ولا ينصرف الدهن اليوم الى غير معناها الذي ألفه الناس .

واما « نفع على الشيء » فلا أرى استعمالها ، لانها لم تنجر على أفلام الفصحاء من الكتاب ، وانما درج عليها العامة وعوام الكتبة . على انه يمكننا ارجاعها الى اصل لغوي بضرب من المجاز .

واما « احتار » فالقياس لا يأبأها ، وقد أصبحت من الكلمات المألوفة . وقد أوضحت هذا المقام في كتابي المذكور (ص ٢٠) .

واما « نزه في البستان » فجائز : قال الجوهري : « خرجنا ننزه في الرياض . واصله من البعد » .

(٥) ما عُرّب من الكلمات الدخيلة الأعجمية الاصل او ترجم بالعربية ودرج عليه الكتاب ، فأرى استعماله معربا او مترجما : كالسيارة والطيارة والغواصة والمنطاد والمنصورة وغيرها . وما لم يُعرب او يُترجم فان أمكننا ايجاد لفظ عربي له فذاك ، والا عرّبناه . وقد بسطت الكلام على ذلك بعض البسط في كتابي السابق (ص ١٩٩) .

- (٦) ما لا يضر بأساليب العربية من الأساليب والتراكيب الاعجمية جاز استعماله وما ذكره الاستاذ المقترح من الأمثلة ليس مما فيه ضرر .
- (٧) اما الصنف السابع فقد كفانا الاستاذ مؤونة البحث فيه . ولا ارى احداً يغار على لغته يقول بجوازه .

* * *

جواب الاستاذ عبد الحميد^(١) الجابري

على الاقتراح المذكور

ان ما يجتمع شعوب الامة على التنام به هو لغتها كيفما كانت حدوده ومحدته فاللغة لا تتحد بقوم او زمن بل كل لغة لا بد ان تزداد مادتها بامتداد تاريخها .

فملى ذلك يكون مادون في المعاجم العربية التي يزرع اليها كل شعوب الامة هو من اللغة العربية وبصح ان يطلق عليه انه منها سواء كان في الاصل مبتدعاً او من اصطلاح شعب دون آخر او كان أعجمياً منقولاً واما ما لم يدون ولم يشع استعماله لدى الجميع فلا يصح ان يطلق عليه انه من اللغة العربية الجامعة التي تتوحد فيها الشعوب فلا ينبغي تدوينه الآن ولا استعماله وان سمع اذ لعله ان يكون من اصطلاح شعب خاص لم ندرج عليه بقية الشعوب او انه لحن من قائله ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً نقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لهنهم واما الألفاظ العامة فالمحرف والمصحف منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي لا ينبغي ان يرتضى تحريفه او تصحيفه او اشتقاقه واما المحدث المخرع من أسماء لاعيان او مواد الافعال اي مصادر اشتقاقها فهو اذا اختلف باختلاف الأقطار التي اصطلحت عليه ، فكذلك لا ينبغي اعتباره حيث لا يمكن جمع الكلمة عليه ، واما ما انفقت عليه اهل الاقطار من كل الشعوب او عرفته فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وادخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة .

(١) هو احد أعيان حلب ومن أعضاء مجمعنا العلمي فيها .

واما الألفاظ الأعجمية فان كانت مدلولاتها معروفة عند العرب رجعنا في ذلك الى الألفاظ العربية التي ننص على تلك المدلولات وليس لنا حينئذ ان ندون او نستعمل تلك الألفاظ الأعجمية لاستغنائنا باسمائنا العربية عنها وان كانت مدلولاتها حادثة لم تكن العرب تعرفها فيحتاج هجر الأسماء الأعجمية الموضوعة لها الى وضع اسماء جديدة لها فلا ينبغي ان نأبى تلك الألفاظ الأعجمية ونشكف لوضع اسماء جديدة لها بل علينا ان نستعملها على علائها مطلقاً فأسماء المخترعات الحديثة مثل التلفراف والتلفون والاولتومبيل ليس قلبها الى اسماء أخرى ننتحلها الا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . ما نحن قد سمينا التلفراف بالبرق فهل هي الا تسمية مجازية على التشبيه لا ننص صريحاً على المسمى . وسمينا الاولتومبيل بالسيارة التي هي لفظ أعم يدخل في شموله غير الاولتومبيل وكذلك الهاتف للتلفون وكذلك الطائرة . عن الله عما مضى فانه يقتضي هذه التسميات شيوع قبولها بين شعوب الامة العربية او اكثرها ونفاهمهم بها لكن لا يمكننا ان نخذ هذا التبديل قاعدة في اسماء المخترعات ولا يتمشى معنا اتفاق الكلمة على قبوله كل حين على ان دخول اسماء تلك المحدثات الجديدة على لغتنا العربية لا يمس يحفظ كيائها وحفظ شرفها . مما كثرت تلك الاسماء بل تزداد رونقاً بموافقتها للغات أصحاب تلك المخترعات . ولندكر هنا امرين الاول ان الألفاظ الأعجمية التي استعملها العرب محرفة لم يكن هذا التحريف فيها متممداً لاجل صحة تعريبها بل انما كان ذلك لأن الراوي لما نقلها محرفة لعدم الفقه ضبط حروفها فتعمدنا نحن الآن تحريف ما نقل اليها على اصله هو بدعة غير مبررة الا ما كانت منها مشتملاً على حرف غير عربي فبالطبع ان عامة المتكلمين به يبدلونه بما يقاربه في المخرج من الحروف العربية بدون تكلف لتقرير هيئة المجمع . الامر الثاني ان الاسماء التي وضعناها للمخترعات الحادثة عوضاً عن اسمائها الأعجمية لم يشع قبولها بين العامة حتى الآن فالأكثر منهم يفهم قولنا الاولتومبيل والتلفراف والتلفون دون قولنا السيارة والبرق والهاتف .

اعضاء المجمع العلمي

ترجمة العلامة احمد تيمور باشا المصري (١)

(نشأته) : هو السيد احمد بن اسماعيل تيمور باشا بن محمد تيمور كاشف بن محمد ابن اسماعيل بن علي كرد الكردي الموصللي وأمرته من كردستان جاء جده محمد تيمور كاشف الى مصر مع الجنود التي قدمت مصر على اثر تزوج الفرنسيين عنها فاتصل بمحمد علي باشا جد الأسرة الخديوية فانتخذه عوناً له وجعله من كبار قواده وولاه أعمالاً كثيرة منها (الكشوفية) فلقب بالكاشف. وتقدت كلمته عنده وكذلك ولده اسماعيل باشا .

ولد احمد باشا سنة ١٢٨٨ هـ ورقي بتيماً من صفه فدرس في داره العربية والفرنسية والتركية وبعض الفارسية ودخل المدارس المصرية فأنقن الفرنسية ثم العربية على بعض مشايخ عصره المشهورين وأهمهم الشيخ حسن الطويل وصحب الامام الشنقبلي الشهير والشيخ محمد عبده المعروف ولازم صحبة الشيخين طاهر الجزائري و ابراهيم اليازجي .

فأنقن العربية بجميع فروعها ونال الحظوة لدى الخديو بين وأنعموا عليه بالرتب العالية آخرها رتبة الباشا .

وخدم العلم خدمة عظيمة فكان عضواً في المجلس العالي للنظر في شؤون دار الكتب الخديوية والارشاف على إحياء الآداب العربية . وعضواً في المجمع العلمي المصري وعضواً في المجمع العلمي العربي . وعضواً في المجلس الشيوخ ومصححاً في المكتبة السلطانية .

واشتهر بغيرته على المشاريع العلمية وخدمة الآداب العربية فصرف معظم أوقاته مع وفرة أشغاله في إدارة مزارعه بقويسنا منفرداً في بيته مطالعاً في خزانه كتبه

(١) ملخصة من كتاب (الدر الثمين في أدباء القرن العشرين) للاستاذ عيسى

اسكندر المفلوف .

القيمة الحاسوبية أمهات نادرة وهي آية في الترتيب والتنسيق وجمع النواذر وقد مر
وصفها في مجلتنا هذه (المجلد الثالث صفحة ٢٢٥ و ٣٣٧ و ٣٦٠) فهي أكبر خزانة في
مصر بعد داري الكتب السلطانية والازهرية فيها ولكن ما فيها من النفائس قد
لا يوجد فيها . ولقد تكرم علي بن فهرسها بخطه وهو كريم بمعارفه جليل المباحث كبير
الهمة كثير الجلد في البحث والمراجعة يطالع كل كتاب ويرتب له الفهارس والتماليق
ويصفه في البرنامج الكبير الذي وضعه لخزائنه بتفصيل غريب وتحقيق عجيب . ويحضر
على طبع نواذر الكتب ويساعد ناشرها .

قراء دائماً يشتغل في الموضوعات المفيدة ويستدرك في مقالاته ما يراه لغيره من
المباحث فيعد لها بما وقف عليه من المخطوطات النفيسة التي لم يقف عليها غيره . وكل
من طلب منه شيئاً أفاده عنه بأرجحية نادرة . فبيعت بالكتب التي يطالبها السائلون
مع تقاسمها وندرتها في البريد ليطالعوها أو ينسخوها له على نفقته أحياناً كل ذلك خدمة
للأدب . وقلما ظهرت مجلة مهمة ولم يكن له فيها أبحاث رائعة وتحقيقات مفيدة .
ولقد تكرم باعاري كثير من كتبه واستنساخ بعضها . وكذلك فعل بالمجمع العلمي
العربي فإنه أزره بنسوخات مفيدة لمباحثه . فضلاً عن مقالاته المتواصلة لمجلته .
وله في الأدب والتاريخ واللغة آثار مهمة تشهد له بطول الباع والتعمق في المباحث
النادرة وجمع الشوارد والفكاهات التي قلما ينسب إليها غيره من أرباب العلم وغواة الكتب .
وفوق ذلك فإن خزائنه جامعة لنواذر المطبوعات في البلدان الأوروبية والشرقية .
وهو واقف على أسرارها مطلع على أبحاثها ومع أنه حفظه الله منحرف الصحة لكثرة اجتهاده
فهو دائم العمل منفرغ (مع كثرة أشغاله وإدارة بيته الكبير وتربية أسرته التي نشأ منها
نوابغ كشقيقته المرحومة عائشة تيمور وبنيه حفظهم الله وأقر عينيه بهم) لمتابعة
أبحاثه حتى ملأ الصحف فوائده واستدراكات وله علاقة كبيرة مع كبار العلماء
والمستشرقين في الشرق والغرب ومراسلات ومناقشات تدل كلها على سمو مداركه
وعلو منزلته وطيب أخلاقه النادرة فهو جامع بين العلم ورقة الطبع ولطف الذق
وحسن المحاضرة وجودة الخط ودقة البحث والأوضاع اللغوية الكثيرة .

(آثار أعلامه العسالة) : من مؤلفاته التي عرفت بها (معجم الألفاظ العامية المصرية) في بيان أصولها واشتقاقها ورددتها إلى لغتها الأصلية وذكر ما يرادفها من العربي الفصح وهو كبير الحجم جزيل النفع لا يزال مخطوطاً .

وله رسالتان مهمتان في (تصحيح القاموس المحيط) و (تصحيح لسان العرب) وقد طبعهما وفيهما من دقة النظر والامعان في البحث وحسن الروية ولطف النقد ما لا يوصف . وقد كان نشر في (مجلة الآثار) لكتابه قسماً صالحاً من نقد (اللسان) وكذلك في بعض الصحف قسماً آخر أضافه إلى ما كتبه صديقه البارجي في مجلته (الضياء)

وله رسالة بديعة في (الرتب والألقاب) اقترحتها عليه جريدة (القبلة) في مكة المكرمة واتصلت بمجمعنا العلمي فطبعها على نفقته في أول عهده ثم استدرك مؤلفها عليها أشياء كثيرة أرسلها إلى على نسخة منها بخطه وهو يريد إعادة طبعها بقالب جديد خالٍ من الشوائب .

أما ما ديجته يراعيه في الصحف والمجلات فإنه كتب في (المؤيد) نحو ١٥ مقالة منها (تاريخ امراء تونس الحاليين) و (المجتمع اللغوي المصري) و (اللغة والدخيل) و (أغلاط لسان العرب) و (المعري) و (الخلافة والسلطنة) .

وفي (مجلة الضياء) منها (أغلاط لسان العرب) و (ديوان ماماي الرومي) .
وفي (مجلة المقتبس) منها وصف (الطالع السعيد للادفوي) وقد طبعه أخيراً و (اللغة والدخيل) و (أبيات العادات) .

وفي (مجلة المقتطف) منها (المناقشة مع الشرتوني في الفصاحة وكتاب العصر) و (المكاحل والمدافع عند العرب) و (اليزبديّة ومعتقدهم) و (أسماء الكلاب عند العرب) .
وفي (مجلة الهلال) منها (التصوير والعرب) و (العيون الزجاجية) و (نوادر المخطوطات وأماكن وجودها) و (المترجم : الشفرة) و (أرجوزة أخبار الأعيان) .

وفي (المجلة السلفية) منها (الطباقي أي التبغ) و (الألعاب عند العرب) .
وفي (مجلة الآثار) منها (وصف الاعلان بالتوبيخ للسخاوي) و (أغلاط لسان العرب) .

وفي (جريدة الاهرام) منها (مناقشة صديقه احمد زكي باشا بشأن البراءة والتقليد) و (العلم عند المصريين) .
 وفي (مجلة مجمعنا العلمي) مقالات رائقة راجعها في (٢ : ٧٣ و ١٤٧ و ٢٨٩ و ٣٢١)
 و (٣ : ٩ و ٤٣ و ٥٦ و ٧٣ و ١١٠ و ١٢١ و ١٣٧ و ١٦٩ و ٢٠٣ و ٢٤٣ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٣٢٧)
 و (٤ : ١٤٧ و ١٩٥ و ٢٧٠ و ٣٨٨) .



آراء وافكار

كلفة (Revient)

جاء في الكتاب الآتي من احد اساتذة التعليم في حماه ونصه بعد المقدمة :
 « لم أعتز في المعاجم على كلمة عربية نفيد ثمن الشراء مع المصروف عوضاً عن
 الكلمة العامة وهي (كلف) بحيث تقابل كلمة (Revient) في اللغة الافرنسية .
 وتتكون هذه الكلمة عنواناً للبحث في (الحساب) كما يأتي :

Prix d'achat	ثمن الشراء
Prix de revient	ثمن ...
Prix de vente	ثمن البيع

ارجو ان نشكروا بافادتي ولحضرتكم الشكر . (ص ٠ ع)

فأجبت بما يلي :

لا ارى مانعاً من استعمال كلمة (كلفة) مقابل كلمة (Revient) الافرنسية
 وهي التي يُراد بها الكلفة الأصلية للمتاع او الأداة المصنوعين في المعمل . اما مقابل
 كلمة (Prix de vente) الافرنسية فتستعمل كلمة (كلفة البيع) المركبة او كلمة
 (السعر) المفردة : فان السلعة مادامت في السوق ولم يشترها المستهلك بقيمتها (سعر)
 يصعد ويهبط حتى اذا اشتراها المستهلك كان ما آداه الى البائع هو (الثمن) .
 إذن لنا ثلاث كلمات مركبات ومفردات وفرنسيات فلنعرضها على هذه الصورة .

Prix de revient تقابلها (الكلفة) مفردة او (الكلفة الأصلية) مركبة
 Prix de vente يقابلها (سعر) مفردة او (تكلفة البيع) مركبة
 Prix d'achat يقابلها (ثمن) مفردة او (تكلفة الشراء) مركبة
 وكلمة (كُلْفَة) ليست عامية محضه كما يظن بل لها اصل في العربية . فان
 معناها فيها هو (ما تكلفته من نائبة اوحق) اي ما أدبته الى غيرك بحق او بغير حق :
 كأن يكون المؤدى ضريبة او غرامة وهذا هو المراد بالنائبة لغة .
 وبالجملة فان كلمة (كلفة) تصلح لان تستعمل مكان (Prix de revient)
 — لأنها عربية الأصل — ولأنها مفردة فهي أخف وأحق بالاستعمال — ولأنها
 شائعة بين الناس وهذا مما يشفع بها .
 وفوق ذلك كله فان لها مشتقات وسُلالة : يقال (كأفُه) (يكلفُه) (تكليفًا)
 و (مكأف) و (مكأف) الخ .
 هذا رأيي في هذه الكلمة فان أعجبتك فأثبتها في (الحساب) والا فانيذها وراء
 الأَبواب .
 المقرَّب

حول كتاب (نُتْمَةُ البَيْتِيَّة)

كتب البنا الاستاذ عبد العزيز الميمني عضو مجمعنا العلمي وأستاذ الآداب العربية
 بجامعة عليكرة في الهند ما يلي :
 اطلعت في الجزئين الأخيرين من مجلة المجمع على ما كتبه الخوري جرجس
 منش بشأن كتاب (نُتْمَةُ البَيْتِيَّة) وأزید عليه انه يوجد منه نسخة جميلة كاملة في خزانة
 باريز . وان الدكتور محمد اقبال الاستاذ بجامعة بنجاب في لاهور ومصحح كتاب
 (راحة الصدور) تاريخ السلاجقة الذي نشرته لجنة (تذكار جيب) بلنديره — كتب
 نسخة من كتاب (نُتْمَةُ البَيْتِيَّة) المحفوظ في خزانة باريز وهو يريد ان يصححها ثم يطبعها
 ولكنه فيما علمت لا يمكنه انجاز ذلك بسرعة وقد أحلت على هذه النسخة في هوامش
 مصنفي الجديد (إبي العلاء) .

قال : وأزید علی مقال السيد عبدالله مخلص المنشور في مجلة المجمع (ص ٥٥٢ — ٥٥٣ مجلد ٧) ما يلي : « نعم طبع طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي عن نسخة خزانة مصر المحفوظ أصلها بالمدينة المنورة — لا عن طبعة مصر وقد كان ذلك بليدن سنة ١٩١٣ وبناية المنتشرق يوسف هيل والموجود في خزانة الآباء اليسوعيين ببيروت ليس الاطبقات ابن قتيبة لا طبقات ابي عبيدة كما وهم المرحوم جرجي زيدان . »

قال : « وجاء في حاشية ص ٥٣٢ ما نصه : (وروى في مجلة المجمع : المدلني) وموابه الدلني لا غير وانظر ترجمته في حاشية كتابنا (ابي العلاء) ص ٥٥ . »

قال : وطبع الاستاذ محمد بهجة الاثري البغدادي كتاب ابن الجوزي في مناقب بغداد عن نسخة العلامة احمد نيمور باشا وكتب في مقدمته ما نصه :

« هذا وان نسبة هذه الرسالة الى الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي لست بواثق بها ولا جازم بصحتها فقد راجعت ما بين يدي من الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكر ان فيها ما ينبف على مائة كتاب فلم أر بينها لهذه الرسالة ذكراً وقد يجوز ان يكون من ترجمه لم يقف عليها او لم يسمع بها فأغفلها والله أعلم . » أقول وقد وقفت على ان نسبتها الى ابن الجوزي صحيحة. وذلك في (رقم الحلل) للوزير لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٨ حيث ذكر ولاية المقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد والمقتني . وقال :

« وولي المقتني محمد بن المستظهر وقارب الاستبداد وقد مات التركي امير الجيوش منجبر وأظهر العدل حكى ذلك ابو الفرج الجوزي - في مناقب بغداد » . ولكنني لم أجده في هذا المطبوع ولعل في النسخة نقصاً . وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (الجزء المطبوع في شيكاغو ص ٣١٢) ايضاً حيث عدد صاحبه تأليف جده قال وهو مجلد . ولم أر لابن الجوزي ترجمة أدق من ترجمة سبطه له فقد أفاض فيها القول وأطلق عنان القلم من ص ٣١٠ الى ص ٣٢٦ هـ . »

نفائس التكية الاخلاصية بحلب

من جملة المكاتب التي وقفت عليها في مدينة حلب مكتبة التكية الاخلاصية
الكائنة في محلة البياضة عند بني الشيخ محمد بهاء الدين الرفاعي فرأيت فيها كثيراً من
الكتب النفيسة والنادرة الوجود فأحببت ان أشخّ بمجلة المجمع بما وقع عليه اختياري
من هذه المكتبة وذلك :

« في علم التفسير »

(١) = النصف الثاني من تفسير الثعلبي من سورة الكهف الى الآخر مجلد فرغ
كاتبه من نسخه بمكة سنة ٥٥١ هـ وهو ابراهيم بن ميخا بن ابراهيم .

« في علم الحديث ورجاله »

(٢) = الاول من معالم السنن للخطابي بخط البخشي احد مشايخ التكية الاخلاصية .

(٣) = الاحكام لأحاديث الامام تأليف ابي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله

الفارسي والاصدا لابن دقيق العيد .

(٤) = مختصر موضوعات ابن الجوزي للبدر بن سلامة بخط العلامة ابي ذر

ابن الحافظ البرهان الحلبي .

(٥) = تقريب التهذيب للحافظ بن حجر .

(٦) = المعرفة والمدخل في علم الحديث للحاكم . محرر سنة ٨١١ ومن هذا

الكتاب نسخة في الظاهرية بدمشق .

(٧) = الكاشف في معرفة من له ذكر في الكتب الستة للحافظ الذهبي . محرر سنة

٨٨٩ جزء تام .

(٨) = ثبت الشيخ محمد بن عقيلة المكي وعليه خطه مجيزاً به للشيخ عبد الله البخشي .

(٩) = ثبت الشيخ حسن المجيمي .

(١٠) = كتاب الفاصل بين الراوي والواعي للحافظ الرامهرمزي والنسخة نفيسة

جداً عليها خطوط كثير من العلماء منهم الامام ابو الوليد بن شحنة والحافظ البرهان الحلبي .

(١١) = الجزء الاول من كتاب مشبه النسبة في رجال الحديث تأليف الحافظ

- عبد الغني بن سعيد الأزدى ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق .
- (١٢) = كتاب التقييد والايضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح في علم مصطلح الحديث تأليف الحافظ العراقي بخط الحافظ بن حجر العسقلاني حرره في عدت سنة ٨٠٦ .
- (١٣) = غاية السؤل في خصائص الرسول تأليف أبي الحسن علي الاندلسي الشهير بابن الملقف ومعه الامتاع بحكم السماع للعلامة الخيضرى وغير ذلك .
- (١٤) = ذيل الكاشف للذهبي الحافظ العراقي بخطه كتب سنة ٨٠٥ ذكر فيه من تركه الذهبي من كتاب التهذيب للمزي .
- (١٥) = الجزء الثاني والثالث من مختصر تهذيب الكمال اختصار الشيخ الخطيب القرصى والجزء الثاني انجزم منه الصحيفة الاولى .
- « في علم الاصول والكلام »
- (١٦) = شرح معالم اصول الفقه لأبن الخطيب الشارح ابو محمد عبد الله بن محمد الفهرى التلمسانى محرر سنة ٦٦٤ وهي نسخة نفيسة جداً .
- (١٧) = شرح لمع الأدلة في قواعد اهل السنة لشرف الدين ابي محمد عبد الله الفهرى التلمسانى .
- (١٨) = كتاب لمع الأدلة في أصول الدين لامام الحرمين .
- (١٩) = المستصفي في الاصول لحجة الاسلام الغزالي . (مطبوع)
- (٢٠) = قواعد الامام الزركشي بجلد ضخمة نسخة نفيسة جداً .
- (٢١) = معالم اصول الدين للفخر الرازى .
- (٢٢) = مجموع فيه رسالة الكوكب السارى في حقيقة الجزء الاختيارى للشيخ عبد الغنى النابلسى في (٨) ورقات وغير ذلك .
- (٢٣) = مجموع فيه الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (مطبوع) وكتاب قواصم شبه الملاحدة ومسألة في الرد على المجبرة .
- (٢٤) = رسائل العلامة محمد الديباجى بخطه وهي ١٣ رسالة اولها البيان الجليل لحامن القرآن الجليل .

- (٢٥) = شرح جمع الجوامع للمحلي يخط الحسين بن محمد الشحنة محرر سنة ٨٩٢
« في الفقه الحنفي والشافعي »
- (٢٦) = المجموع المذهب في قواعد المذهب لصالح الدين ابي سعيد خليل بن
كبيكلي الملائي مجلد ضخيم محرر سنة ٨٦٠ .
- (٢٧) = نصاب الاحتساب لعمر بن عوض .
- (٢٨) = شرح منظومة النسفي في الخلافات لمحمد بن محمد اللؤلؤي .
- (٢٩) = الجزء الثاني والثالث والرابع من الفتاوى التاتارخانية . (حنفي)
- (٣٠) = الاول والثاني من بدائع الصنائع . (حنفي)
- (٣١) = منظومة ابن الشحنة في الفقه .
- (٣٢) = سيف النصر في فتاوى أئمة العصر للشيخ ابراهيم بن احمد الملا الحلبي بخطه .
« في النحو والأدب والتصوف وغير ذلك »
- (٣٣) = شرح المفصل لمظهر الدين محمد كتب في آخره انه فرغ من تأليفه
سنة ٦٥٩ .
- (٣٤) = شرح تائية ابن الفارض لعز الدين محمود الكاشي نسخة نفيسة .
- (٣٥) = فائحة العلوم للغزالي .
- (٣٦) = مجموع فيه أرجوزة تشتمل على الظاء والضاد نظمت في عون الدين بن
هبيزة الوزير — كنت كتبت عنها — وفيه مثلثات قطرب ، مثلثات الازهرى ،
مثلثات العجلوني ، تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر ،
التبيين لاسماء المدلسين ، تذكرة الطالب الملم بمن يقال انه مخضرم ، الاغنياء بمن
رحي بالاختلاط ، الثلاثة للحافظ البرهان الحلبي بخط ابن النصايي .
« في التاريخ »
- (٣٧) = كتاب القصد والام في التعريف بانساب العرب والعجم للحافظ بن عبد البر
كتاب صغير .
- (٣٨) = الباب في معرفة الانساب تأليف النسابة ابي الحسن بن ابراهيم الاشعري .
- (٣٩) = لب الباب في معرفة الانساب للحافظ السيوطي . (مطهر)

- (٤٠) = طبقات الحنفية المسماة (تاج التراجم) لابن قطلوبغا . (مطبوع)
 (٤١) = طبقات القراء للحافظ الذهبي كتب في القرن التاسع .
 (٤٢) = الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية .
 (٤٣) = تذكرة الصحابة في شعراء الصحابة للشيخ عبدالله بن محمد البخشي بخط
 مصنفه اخترته المنية قبل اتمامه وبقي في المسودة . عضو المجمع العلمي العربي
 محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

دروس في صناعة الانشاء

« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ عز الدين علم الدين وقد طبع في مطبعة الفرات ببغداد

سنة ١٩٢٧ م وصفحاته ١٦٦ صفحة

مصنف هذا الكتاب عضو من أعضاء مجعنا العلمي ومن شبان العرب الذين
 ضربوا بسهم في توفير أسباب نهضتنا السياسية والعلمية . وهو اليوم مكبٌ على التعليم
 في مدارس بغداد العالية . ومع هذا نراه لا يألو في وضع المصنفات في الفنون المختلفة
 بما يرى الطلاب في حاجة اليه : صنف في السنة الماضية كتابه المشهور في الطبيعيات
 الذي سماه (الفيزياء) ثم لما وُكل اليه امر تدريس الآداب العربية والانشاء في
 مدرسة دار المعلمين وضع هذا الكتاب الجديد وسماه (دروس في صناعة الانشاء) .
 والتأليف في هذا الفن حديث النشأة في بلادنا العربية . وأشهر طرائق أسلافنا في
 تعليم هذا الفن انهم يروون الطلاب كلام البلغاء نظماً ونثراً ويشربون قلوبهم معنى ما رويوا
 وحفظوا ثم هم بعد ذلك يحملونهم على التحدي والكتابة والنظم عملاً حتى يهتدي الى
 الاجادة فيهما من ركب الله فيه استعداداً لها . وأشهر المؤلفين على هذه الطريقة
 ضياء الدين بن الأثير . وأشهر آثاره فيها كتاباه المتعان احدهما كبير وهو الذي

سماء (المثل السائر) والآ خر صغير وقد سماه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) .
وقد انتبه أساتذة الآداب العربية في مصر الى وجوب التصنيف في فن الانشاء
على طريقة حديثة عملية تشبه في تنسيقها وترتيبها وتمازجها كتب التدريس في الفنون
العصرية المختلفة . وقد رأينا بعضهم وضعوا كتبهم هذه من عند أنفسهم غير معولين
على ما ألفه كتبة الافرنج في هذا الموضوع . اما الاستاذ عز الدين مصنف هذا الكتاب
فقد رأى ان يستعين بما كتبه الافرنج فظفر بكتاب لمؤلف كبير معدود في قومه من
أساتذة الأدب والانشاء فجعله عمدته في وضع كتابه العربي وقد قال في هذا الصدد
ما نصه : « فاتخذته قدوتي في إنشاء أبحاث هذا التصنيف وترتيب فصوله وفقراته .
واقبست من آرائه الصحيحة ونصائحه الهادية ما يتفق مع بلاغتنا او يمت اليها
بسبب » .

وقد وفى المصنف ما وعد به فكان يقتبس من كتاب (المثل السائر) وغيره من أمهات
كتب الأدب العربي أطواقاً وقلائد حل بها جيد ما ترجمه من كتاب (مورييس غوريس)
وقد أصبح كتابه بذلك مجمع البحرين . وملئى الأديبين . الفائز بالحسينين .
ومن تصفح هذا الكتاب والكتب التي صنفها الاساتذة المصريون في هذا الفن
قد يلاحظ ان مصنفينا الجدد فريقان : فريق يرى ان إنشاءنا العربي وطرائقه
والاركان التي يبني عليها — مغايرة في الجملة للانشاء في اللغات الافرنجية . فالواجب
اذن ان نضع كتباً مستأنفة في لغتنا العربية نعتمد فيها على ذوقنا الخاص غير معولين
على ما كتبه الافرنج . وفريق آخر ومنهم على ما يظهر مصنف (دروس في الانشاء)
يرى ان نعتمد في بادي الامر على ما كتبه الافرنج في هذا الفن : فنسلك مسالكهم .
ونتحدثى ظرائقهم . ونقتبس اصطلاحاتهم ونقسيماهم . وهو ما صنفه الاستاذ
عز الدين في كتابه مذ اعتمد على ما صنفه (مورييس غوريس) .

فهذا الاعتبار كان كتاب (دروس في الانشاء) اول كتاب صنف في هذا الفن
بلغتنا العربية على ما أظن . ومن ثم كان فيه عناوين جديدة واصطلاحات جديدة
ونقاسيم جديدة وطرائق في إحكام ملكة الانشاء جديدة : فالذي لا يعرف لغة اجنبية
من أساتذة هذا الفن قد يصعب عليه في اول الامر فهم اصطلاحات هذا الكتاب .

وتعقل طرائقه . حتى اذا اُطال نظره فيه أَرَسَ بها . ونفخت له مغالقتها . وكان له ما شاء من مادة للتدريس غزيرة . وفائدة في هذا الفن بالقبول جديرة .
وقدر كُتب المصنف هذا الجزء الاول من كتابه على جزئين ايضاً : (الجزء الاول) في (الاستعداد العام) وينطوي تحته من المباحث (فائدة عمل الانشاء) (الأصول العامة للانشاء) (الاستعداد بالمطالعة) (الثقافة الأدبية بالمطالعة) الخ . وعنون (الجزء الثاني) بقوله : (نصح عامة) وطوى تحته من الأبحاث ما يلي :
(تهرّي المعاني) (طريقة العثور على الخواطر) (استنباط المعاني والخطبة) (البسط) (بناء الجملة) (تصحيح المنشآت) الخ . وكل بحث من أبحاث الجزئين يحتوي على مباحث فرعية ومسائل جزئية وهو لا بدع مبدعاً مالم يعقبه بأسئلة ثم تمارين تزيد البحث وضوحاً . والطلاب تبصراً ورسوخاً . إذ ان مجرد حفظ القواعد لا يفيد كما قال الفيلسوف (كانت) : — « اذا حفظ الانسان قواعد علم من العلوم وعجز عن تطبيقها لا يكون عالماً بذلك العلم » وهذا ما راعاه المؤلف في مصنفه الجديد فهو قد اكثّر من سرد الاسئلة والتمارين لما ذكرنا من السبب .

واذ كان هذا الفن حديث النشأة كما قلنا وكان مصنف هذا الكتاب قد احتذى مثال (موريس غوريس) في كتابه كان مضطراً بالطبع الى وضع او ترجمة كلمات جديدة في لغتنا العربية مما يتعلق بفن الانشاء . فوضع :
كلمة (الحرث) ردفاً لكلمة (الثقافة) الشائعة .

وكلمة (السليقي والسليقية) مكان (الطبعي والطبيعية) او (الطبيعى والطبيعية) .
و (الانطباعات) مكان الاتصالات : Impressions
و (الأوتينات) بالتصغير ترجمة لكلمة : Nuances
و (رتبة) لكلمة : Monotones
و (الكفالة والكفيل) لكلمتي : Pension, Pensionnaire
و (الاستخطار) بمعنى تداعي الخواطر او اشتراك الخواطر .
و (النصبة) مكان (ورقة اليانصيب) .

وغير ذلك مما لا يحلو بعضه في ذوق الكثيرين في اول الأمر و يروى غيره

جدر بالاستعمال منه . ولكن الزمان كفيل بالغربة ولتمحيص واختيار . هو الأليق
او الأنسب . هذا وانا لترحب بهذا المصنف الجديد شاكرين لمؤلفه الفاضل جهوده في
خدمة الأدب . ونهضة العرب .
المصري

—•••—

اردشير وحياة النفوس

« اوبرا خيالية للدكتور احمد زكي ابوشادي طبعت في المطبعة السلفية »

« بمصر ص ١٥٢ »

ناظم هذه الاوبرا الاستاذ احمد زكي ابوشادي بك من شعراء مصر الذين
تشبعوا بالأدب الانكليزي ، واخذوا يترسسون على آثاره بلغتنا . وقد نظم في
موضوعات كثيرة يستملحها ويتذوقها شباب العرب . و«الادبرا» ضرب من ضروب
التطور في الموسيقى ولذلك كانت « آخر أنواع التأليف المسرحية في الظهور في مصر
لاعتيادها على فن آخر لا ينام لما بدونه » . وقد اخذ الشاعر موضوع هذه القصة من
أسطورة وردت في كتاب الف ليلة وليلة . وشكا من كون الملحنين يرزقون في مصر
لتلحين مثل هذه الاوبرا الخمسمائة جنيه ، ولا يكافأ واضعها عشر ما يقبضون . ولعل
الزمن الذي يوسع فيه على المؤلفين في هذا الشأن ، لا يطول كثيراً خصوصاً اذا جردوا
كما يجود أفرانهم في الغرب . وكانت الكتاب والمؤلفون بالعربية قبل عهدنا هذا
يتضورون جوعاً ، وقد ارتاش اليوم المجيدون منهم ، ولا يزالون على ارتقاء وكمالات
الامة رقواهم برفيها ، فلا يشقن ذلك على البادئين . وقد أحسن الشاعر باهداء
هذه الادبرا الى روح المرحوم الشيخ سعيد درويش نابغة الموسيقى المصرية .

م . ك

==•••==

وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية

« عن افريقية الشرقية »

تأليف المسيو جيان نقله الى العربية ملخصاً الامير يوسف كمال . الطبعة

الاولى بالقاهرة في سنة ١٣٤٥ هجرية (سنة ١٩٢٧) ص ٥١٩

معرب هذا الكتاب لا يحتاج الى تعريف عند المصريين وغير المصريين بخسنته على العلم والفنون الجميلة وهو اليوم آخذ بنشر مصنفه البديع الذي أسماه « المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الافريقية » بطبعه في ليدن من بلاد القاع . وقد صدر الجزء الاول على طريقة تأخذ بمجامع القلوب . وسيطرد طبع الاجزاء الاخرى فتدخل مجموعته في عشرة مجلدات ضخمة بحجمها وكثرة تحقيقاتها ولم يطبع منه سوى مئة نسخة . والمؤلف لا يقتنع برؤية النصوص ونقلها على ما جرت عليه عادة معظم الباحثين بل يسبح بنفسه الى البلاد التي يريد تحقيق جغرافيتها وتاريخها وحيوانها ونباتها . وما نظن عربياً يعرف قارة إفريقيا مثله . فقد توغل في أقطارها النائية الى اماكن لم يكذب ببلغها احد من الجنس الابيض . ووثائقه هذه التي نحن في صدد الكلام عليها ، نموذج من عمله وعمله . ولا عجب اذا غبطه على ما وفق اليه أعظم سياح العصر وأفاضل علمائها اهل الاختصاص .

ألف المؤلف الفرنسي كتابه في سنة ١٨٥٦ م في ثلاثة مجلدات كبار وكان من ربانة البحار وتكلم عن علم على عصر ما قبل التاريخ وعلى العرب واليهود والفينيقيين في سواحل إفريقيا الشرقية ورحلة هانون السائح القرطاجي ثم على العصر الروماني اليوناني ويدخل فيه صلات الملاحين اليونان والرومان بسواحل شرق إفريقيا وجاء بعد الى الدور الاسلامي فأفاض في انشاء العرب بمالك مستقلة صغيرة على سواحل إفريقيا الشرقية وانتقل بعد ذلك الى العهد البرتغالي وكيف أقاموا حكمهم على تلك السواحل ثم كيف انتزع عرب عمان الحكم من البرتغاليين من رأس دجلادو الى غردفون . نقل المعرب كل هذا بعبارة من جاس خلال الديار وعرف منها الغامر والعاصر في هذه الأعصار . ولا يوهان على هذا القول اصدق من تلك التفاصيل التي

~~SECRET~~ - -

« بقلم السيد اسير الغرب صاحب مجلة الشمس الجزء الاول ص ١٧٨ »

هذا كتاب من كتب الثورة على رجال الدين توخى فيه الاستاذ مؤلفه اسداء النصيح لبعض العابثين بالدين وهو « لا نعارض الدين ولا نناكسه بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحياً بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل » وقد تعرض المؤلف للارض وتكوينها واصل الرجل وتحول الحيوان وللحياة والجازبية وللأفلاك وخلق العالم ثم انتقل الى بيان حالة المذهب الباطني مما سيكون له تأثير في نفوس بعض رجال الدين لانهم لا يوافقون على بعض مبادئه فله الشكر على مهمته وحريته .

م . ك

مجلة التربية والتعليم

« مؤسسها ابوخلدون السيد ساطع الحصري تطبع في مطبعة دارالسلام »

« ببغداد وتصدر كل شهر في ٦٤ ص مصورة ومعها ملحق عملي في ٢٤ »

مؤسس هذه المجلة من أعظم الاختصاصيين في فن التربية والتعليم ، وقد كتب فيه كثيراً باللغة التركية ، ومنذ خرجت البلاد العربية عن حكم الترك اخذ يكتب بالعربية لغته الأصلية ، وقد قرأنا في مجلته هذه أبحاثاً وأخباراً وأفكاراً في هذا الفن الجليل لا يسع من يتعاطى التعليم او يمتد للعلم بسبب الا ان يستفيد منها ، ومن يعاون الاستاذ مؤسس هذه الصحيفة رصيفنا وصديقنا الاستاذان السيدان معروف الرصافي وعزالدين علم الدين النخعي فمساهما بعينان بلغة المجلة اكثر من ذلك حتي تخرج نقية جميلة من كل وجه .

م . ك

مهاتما غاندي

« تأليف رومن روللان ، ترجمة السيد عمر فاخوري ، أهدته مجلة الكشاف »

« البيروتية لقراءتها سنة ١٩٢٧ طبع في (مطبعة وزنكوغراف) طيارة »

« في بيروت ص ١٥٣ »

مؤلف هذا الكتاب رومن روللان من كبار كتاب فرنسا « من اولئك الاوربيين الاخير الذين أطلقوا نفوسهم من رق التعصب القومي وجعلوها خالصة لخدمة الانسانية جمعاء » وهذا السفر في حياة فيلسوف الهد المعاصر غاندي ، مما ينم عليه ويرفع منزلته بين الغربيين والشرقيين ، لم يترك شيئاً من حياة هذا العظيم الا وفاه حقه من الوصف مشفوعاً بأراء مترجمه وأقواله مما بلذ القاري ويتعلم به حكمة وعظمة وادباً . وقد أجاد رصيفنا الاستاذ فاخوري في تعريفه الكتاب ، وكنا نود لو نظر في الاعلام الهندية وأرجعها الى أصلها كما يرسمها الهندود أنفسهم وعصاه بفعل في الطبعة الثانية .

م . ك

الثورة الفرنسية

« طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »
هو كتاب بقطع الثمن نظيف الطبع سلس العبارة حسن التبويب متين التركيب
محتاى بعدد من الرسوم الموافقة للموضوع . وضعه السيد حسن جلال رئيس ديوان
وزارة الحربية المصرية واحد أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة .
لم يقف المؤلف عند حد جمع حوادث الثورة الفرنسية بل راعى في كتابه هذا
جملة اعتبارات أهمها انه جعله وحدة مستقلة لا تستدعي ممن يطالعها ان يراجع غيره
ليستوضح غموضاً او يكمل نقصاً . وهذا التأليف اول حلقة من سلسلة كتب تتناول
مختلف الموضوعات التي قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية ان تخرجها نبأاً
بعد ان عنت باخراج عدة كتب مدرسية مخفة . بدأ المؤلف بتعريف الثورة وشرح
أنواعها حتى يتخلص الى ذكر الثورات الفرنسية الثلاث وأهمها ثورة ١٤ تموز ١٧٨٩
وهي المقصودة بالذات في هذا الكتاب ، فأبان منشأها وأسبابها وقارت بين حالة
فرنسا في ذلك العهد وما كانت عليه من الفوضى في الحكم والبؤس في العامة وبين
حالة انكلترا التي كانت تعيش في رخاء وحرية ومساواة بين طبقات الشعب . وشاء
ان يبرأ الافرنسيين من حكم الانكليز والالمان عليهم بان ثورتهم « صنف من الجنون
تحولت معه فرنسا الى مارستان » فنسب النوبة المغناطيسية التي اتابثهم في هذه الثورة
الى النفسية اللاتينية التي وصفها بالخفة وسرعة التأثر وقال انهم ارادوا ان يحكموا على
أعمال افرنسية بعقلية انكليزية مع ما هو معروف من البعد بين نفسية الشعوب اللاتينية
والشعوب الانكلوسكسونية والتفاوت في عقليتهما .

ولكن مع التسليم بهذا التفاوت النفسي لا ينكر حكيم على الانكليز والالمان حكمهم
الذي ينطبق على العقل والمنطق . على ان ما انتشر بعد الثورة الفرنسية وبسببها
من المبادئ والاصلاحات في العالم أجمع والتي أضحت فيما بعد اساساً لكثير مما حدث
بعدها في عموم جهات العالم من حروب وثورات جدير بان يبرر نوعاً ما ذلك الجنون
ولو ان الغاية لا تبرر الوسطة .

ويظهر ان المؤلف قد قرأ تاريخ الثورة الافرنسية في كتب انكليزية حتى دونت بعض الاعلام الافرنسية على لفظها الانكليزي ، من ذلك تسمية (صفحة ٤٩) أرملة هنري الثاني ملك فرنسا كاترين دي مديشي بدل دي مديسيس . وقوله (في الصفحة نفسها) سانت برثوليو بدل سن بارتيلمي . وكامي (ص ١١٠) بدل كاميل . وفلاندرز (ص ١٤٥) بدل فلاندر . وماليشرب (ص ٢٠٣) بدل مالرب . وغير ذلك كثير من هذا النحو نأمل بان يغنى باصلاحه في طبعة ثانية ، اللهم الا اذا اعتذر المؤلف بان هذه الأعلام قد شاعت في بلاد مصر باللفظ الانكليزي .

والكتاب بالاجمال جدير بالقراءة والحفظ في الخزان الخاصة والعامة لما فيه من الأمثولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المفيدة .

عضو المجمع العلمي العربي
عبد الله رعد

تاريخ الديون العامة العثمانية

هو كتاب تقيس بهذا الموضوع جمعه الشاب الأديب السيد ادب روماني باللغة الافرنسية وجعله أطروحته لنيل رتبة العالية (الدكتوراه) في الحقوق من جامعة باريس . يحتوي على ٣٣٠ صفحة بطبع جيد تناول فيه وصف حالة الدولة عند نشوء الديون العامة في أواسط القرن التاسع عشر ، ثم تتبع القروض التي عقدتها الواحد تلو الآخر الى مبدأ الحرب العامة مع بيات شرائط كل قرض منها وقواعد توحيد الدين وأساليب الوفاء . وقد استند في مأخذه على ما كتبه المؤلفون والماليون الاوربيون في هذا الباب بدون رجوع الى أقوال علماء العثمانيين انفسهم . و ياليت شبانا الدارسين في اوربا يجعلون أطروحاتهم في مواضيع شرقية مجهولة عند الافرنج يستخرجون موادها من المؤلفات والمآخذ العربية والتركية ليوقفوا قراء الافرنسية على ما عندنا من اصول الفقه وتاريخ السياسة وأحكام الشرع وأساليب الادارة و بهذه الوسيلة يعرفون الغربيين ما في الشرق من علم وعرفان والمباحث المرغوب بها في هذا

الباب كثيرة يمكنهم طرقها ووضع المؤلفات فيها باللغة الافرنسية مثل أحكام الوقف ،
والوصية ، والحجر ، والنفقة ، وحقوق الزوجات ، وأحكام الطلاق ، والوصي ،
والفرائض ، وخراج الارض ، وبيت المال ، والقضاء ، وأمثال ذلك من الأبحاث
التي يصلح كل منها ان يفرد له كتاب خاص تكون له قيمته عند الغربيين بما يوقفهم على
مبلغ الشرقيين من المدنية والعلم والمدل . وعلى كل حال فان جهود المؤلف السديد
اديب مقدورة قدرها في هذا السفر القيم بما جمعه من الحقائق التي يجدر بمن يهمهم
الامر ان يطلعوا عليها .

(ف)

ديوان

« شمس الدين محمد حافظ ترجمه الى الافرنسية نظماً الاستاذ ارتوركي »

« قنصل فرنسا العام وعضو المجمع العلمي العربي طبع بباريس سنة ١٩٢٢ »

« وعدد صفحاته ٢٧٨ »

Arthur Guy : Ghazels de Chems ed Din Mohammed
Hafiz T.I (Paris 1927)

اب. علماء المشرقيات في الغرب بأنون كل يوم يعمل صالح يقدمونه الى ابناء
جلدهم وفي طليعة هؤلاء الاستاذ (ارتوركي) مترجم ديوان الشاعر الفارسي شمس الدين
محمد حافظ المتوفى سنة ٧٩١ هـ في شيراز . ترجمه نظماً الى الافرنسية وافتحه بمقدمة
مسيبة ذكر فيها زبدة ما وقف عليه من ترجمة الحافظ والبيئة التي عاش فيها واستفاد
الاستاذ من النسخة التركية لمترجمها (سودي) وقد أثبت بعض هذه الترجمة سيف
حاشية كتابه . فيكون الاستاذ اول من نقل الى الافرنسية شيئاً عن هذا الأديب
الشرقي الذي قدره الغرب منذ سنة ١٦٨٠ حين ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية ثم الى
الانكليزية والالمانية ، فلا عجب اذا قام الاستاذ بهذا العمل الشاق ليخفف قومه
بما فات اسلافهم من بليغ الشعر الفارسي الذي كان له التأثير العظيم على الادب الغربي
وخصوصاً على الشاعر الالماني غوته (Goethe) .

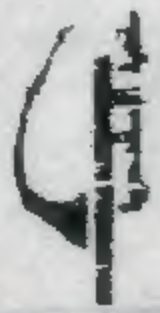
جعفر الحسني

كتب ورسائل مختلفة

- (١) الكافي في اللغة الفرنسية تأليف الأستاذ أحمد أبو الخضر منسى (الجزء الاول ص ٣٣٦) و (الجزء الثاني ص ١٧٥) طبع في مطبعة الاعتماد في مصر سنة ١٣٤٢ - ١٩٢٣ و ١٣٤٤ - ١٩٢٦ .
- (٢) المستغرب للمؤلف الموما اليه طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ص ١٦٦ .
- (٣) اربع محاضرات في التربية في إنجلترا و اميركا ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية القاها الأستاذ أحمد فهمي بك العمروسي الطبعة الثانية في مطبعة مصر ص ١٣٣ .
- (٤) محاضرة في تربية الذوق السليم و اثر الفنون الجميلة فيها للأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك مصورة ص ٣٢ بمطبعة النهضة بمصر .
- (٥) نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر تأليف الأستاذ السيد توفيق اسكاروس . جزآن طبع في مطبعة التوفيق الاول سنة ١٩١٠ والثاني سنة ١٩١٣ الاول في ٣٦٨ ص والثاني في ٣٥٢ .
- (٦) الفنون الجميلة قديماً وحديثاً - التصوير ، تأليف الأستاذ السيد أحمد يوسف طبع بمطبعة المعاهد سنة ١٣٤١ - ١٩٢٢ ص ٢٨٧ .
- (٧) تاريخ الموصل لمؤلفه القس سليمان صائغ الموصل الجزء الاول طبع بالمطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ - ١٩٢٣ ص ٣٦١ .
- (٨) حديث المائدة كتاب اجتماعي اخلاقي ادبي فلسفي عربي عن الانجليزية السيد توفيق زهرة ونشرته مجلة الزهرة في حيفا وطبع بمطبعها ص ١٧١ .
- (٩) رواية مجين القصر بقلم السيد جميل البحري طبعة ثانية في مطبعة الزهرة بحيفا ص ٧٨ .
- (١٠) القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين الطبعة الثانية بالقاهرة في سنة ١٣٤٦ طبع بالمطبعة السلفية .
- (١١) حساب الخزينة العام خزينة دولة سورية لسنة ١٩٢٥ ص ٧٤ .

- (١٢) مجموعة مراثي جان بك مراد الحلبي فيها حياته وأعماله والمراثي التي قبلت فيه ص ٦٧ بالعربية و ٥٠ بالفرنسية .
- (١٣) قائمة مكتبة السيد يوسف البان سر كيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٨ طبع بمطبعة سر كيس بمصر .
- (١٤) ضابط البوليس ، بحث في حالته الحاضرة وفي وجه الاصلاح المنشود للسيد علي حلي ومحمود علي طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر .
- (١٥) « النقد والتزييف » تأليف السيد محمد سعيد الجاني طبع بمطبعة الاصلاح بحماة سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٨ ص ١٩٢ .
- (١٦) مذكرات التاريخ القديم وهي خلاصة الدروس التي ألقاها تأليف السيد متى عقراوي طبع بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٣٣ .
- (١٧) الهندسة المجسمة تأليف زورز وتوورث وداويد اوترون سميت نقله الى العربية السيدان علي وجلال امين زريق طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ ص ٢١٩ .
- (١٨) الهندسة المستوية تأليف جورج وينثورث ودافيد اوجين سميت نقله الى العربية السيد علي مدرس الرياضيات في ثانوية بغداد - الجزء الاول طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٩٦ .
- (١٩) مبادي علم الحياة تصنيف السيد جلال امين زريق طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٢٧٠ .
- (٢٠) الاناشيد المدرسية الجزء الاول ٣٦ ص الجزء الثاني في ٣١ ص مع تلحينها طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٩٢٧ .
- (٢١) وراء الحقيقة وهو بحث في مطابقة العلم لروح الأديان ومماشاتها لها للسيد نجيب اشعيا طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ص ١٢٠ .
- (٢٢) تاريخ الشيخ ظاهر عمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد تأليف المرحوم مخايل نقولا الصباغ المكاوي عني بنشره وتعليق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي طبع بمطبعة القديس بولص في حريصا (لبنان) الجزء الثاني ص ١٨٤ .

- (٢٣) كيف تعيش مائة سنة اوقانون الصحة العام للاستاذ السيد نجيب المندراوي
طبع بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩٢٢ ص ٣٩٨ .
- (٢٤) ماري دي مدسيس تأليف دي كركك تعريب السيد نجيب المندراوي
طبعة ثانية سنة ١٩٢١ ص ٢٠٤ .
- (٢٥) بلاغات مالية دولة سورية في سنة ١٩٢٥ طبعت بمطبعة الحكومة بدمشق
ص ٦٢٨ والنهرس ٥٠ ص .
- (٢٦) ميزانية دولة سورية عن عام ١٩٢٣ .
- (٢٧) ميزانية دولة سورية عن عام ١٩٢٢ .
- (٢٨) مجموعة تتضمن صور البلاغات العامة الصادرة من مديرية المالية العامة في
دولة سورية من ابتداء تشرين الاول سنة ١٩١٨ لغاية كانون الاول سنة ١٩١٨ .
- (٢٩) بلاغات مديرية المالية العامة في دولة سورية في سنة ١٩٢٢ .
- (٣٠) ملحق بمجموعة سنة ١٩٢٢ الصادرة عن وزارة مالية دمشق وهي في ٦٩٩ ص
ما عدا الفهارس .
- (٣١) بلاغات مديرية المالية العامة في دولة دمشق في سنة ١٩٢٠ .
- (٣٢) بلاغات مالية دولة دمشق في سنة ١٩٢٤ .
- (٣٣) بلاغات مديرية المالية العامة في سنة ١٩٢١ .
- (٣٤) مجموعة تتضمن صور البلاغات العامة من مديرية مالية دمشق من ابتداء
كانون الثاني سنة ١٩١٩ الى آخر كانون الاول سنة ١٩١٩ وكل هذه المجلدات
العشرة طبعت في مطبعة الحكومة بدمشق .
- (٣٥) المقابلة الجلية ما بين الديانتين المسيحية والمحمدية للسيد نجيب قسطنطين
حداد .
- (٣٦) ترجمة فتاة روية فرغانة للرخوم جرجي زيدان ترجمها الى التركية الاستاذ
زكي بك مقاصر بالتركية وطبعت بمطبعة القدام في الاستانة سنة ١٩٢٧ ص ٤٥٠ .
- (٣٧) ديوان ابي مسلم البهلاني لناهر بن سالم بن عديم الرواحي العماني عني بنشره
الشيخ يوسف توما البستاني طبع بالمطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٦-١٩٢٨ ص ٨٢ .



Bibliotheca Alexandrina



0652785